1



الحمد لله الذى أنزل القرآن كلاماً قيماً لا يحوم حوله عوج * وجعله كتاباً محكماً بنظم معجزٍ
ناطقٍ بالبينات والحجج * والصلوة على رسوله المصطفى لقمع الضلال ورفع الهدى *
محمدٍ وآله مصابيح الدجى اما بعد فان كتاب الله المجيد هو منبع الاصول الدينية *
ومجمع الاحكام الشرعية * هو المختص بوصف الفصاحة والبلاغة * من بين سايرِ
الكتب السماوية * لانتهائه الى حدّ الاعجاز * وغاية الايجاز * لا سبيل لاحدٍ الى درك
ما فيه من الاسرار والمعانى الا بتائيد الهى * او بامداد النبوى * وقد صنف كثير من العلماء
الاعلام * والانصار لملة الاسلام * تفاسير تكشف عن اسراره * وتشرق عن انواره *
بعباراتٍ رائقة * وتركيباتٍ شائقة * ولكن كان الاطلاع لبعض طلاب العجم
والعرب * من اهل الفضل والادب * على تلك الاسرار والانوار صعباً منها
لدقة مسالكها * وغموض مسالكها * من الكشف الشافى * والبيان الوافى *

فالتجأت

2

وقصور الباع
فى هذا الصناعة
صح

فالتجأت الى الله الوهاب * ملهم الصواب * مع قلة البضاعة * ان انتخب من تلك
التفاسير تفسيراً * مختصراً قريباً من التاويل * وبعيداً عن التفصيل * شافياً لكشف حقائقه *
وافياً لدرك دقائقه * تيسيراً لكل طالب فهيم * ان يكون ذا حظٍ من علم القرآن العظيم * اذ به انتظام
صلاح العباد * واغتنام الفلاح فى المعاد * من تحلى به فقد فاز بالقدح المعلى * ومن تخلى عنه
يحشر يوم القيمة اعمى * متوكلاً على واهب العقل السليم * والهادى الى الصراط المستقيم *
وسميته عيون التفاسير * للفضلاء السماسير * فان ترفيه شيئاً من الخلل والفتور *
فانسبه الى العجز والقصور * وان تطلع على ما تقر به عينك * فاعرفه من فيضان نور رب
العالمين وامدادٍ من جناب سيد المرسلين * مقدمة يذكر فيها اشياء يحتاج المفسر اليها
منها معرفة الانزال والتنزيل وكيفية النزول * قيل للمحققين فى الانزال قولان الاول ان
مجموع القرآن انزل من اللوح المحفوظ الى ملك سماء الدنيا وهو العقل الفعال دفعةً واحدة
والثانى انه انزل من اللوح الى العقل دفعة واحدة مقدار ما نزل فى سنةٍ واحدةٍ بحسب
المصالح فعلى القول الاول يكون الانزال من العقل الى النبى عليه الصلوة والسلام فى
عشرين سنة او ثلث وعشرين * والتنزيل ظهور القرآن بحسب الاحتياج بواسطة
جبرئيل عليه السلم على قلب النبى صلى الله عليه وسلم وفيه طريقان : احدهما ان النبى
صلى الله عليه وسلم كان ينخلع عن الصورة البشرية الى الصورة الملكية ويأخذه من جبرئيل
عليه الصلوة والسلام بحسب المصالح وهو الاصعب * وثانيهما ان الملك كان
ينخلع من صورته الى الصورة البشرية حتى يأخذه الرسول صلى الله عليه وسلم ففى التنزيل

على الاختلاف وعلى الثانى
يكون الانزال من اللوح
الى قلبه عليه السلام
فى عشرين سنة او ثلث
وعشرين صح

تدريج دون الانزال واختلفوا في كيفية النزول فبعضهم قال انه ظهور القراءة على قلب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير انتقال من قولهم انزل على فلان سرور ونزل بفلان
غم اذا ظهر وقال بعضهم ان الله تعالى افهم كلامه جبرئيل عليه الصلوة والسلام في السماء وهو
متعال عن المكان فتمثل فيه ثم جاء جبريل عليه الصلوة والسلام من السماء الى الارض وعلم
النبي صلى عليه وسلم قراءته فلا انتقال في كلامه تعالى اصلا ومنها معرفة التفسير والتاويل
والفرق بينهما قالوا التفسير في الاصل هو الكشف والاظهار وحده توضيح معنى الآية وشانها
وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة والتاويل في الاصل
الترجيع وحده صرف الآية من معناه الظاهر الى معنى يحتمله اذا كان المحتمل الذي تراه موافقا
بالكتاب والسنة مثالها ما يقال في قوله تعالى يخرج الحي من الميت ان اراد منه اخراج
الطير من البيضة كان تفسيرا وان اراد اخراج المومن من الكافر او العالم من الجاهل
كان تاويلا والاول يحتاج الى السماع من الثقات لتعلقه بالرواية لئلا يقع في ورطة
الهلاك لقول النبي صلى الله عليه وسلم من فسر القران برأيه فقد كفر وفي رواية من فسر
القران برأيه فاصاب فقد اخطاء فيحمل الاول على من فسره ولم يصب ولقول ابي بكر
رضي الله عنه حين سئل عن معنى الاب في قوله تعالى وفاكهة وابا لا ادري ما الاب
فقيل له قل من ذات نفسك فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في
القران بما لا اعلم فالسماع شرط على من يفسره ولو كان واقفا على احوال التنزيل
ووجوه اللغة والاعراب والثاني لا يحتاج الى السماع بعد ان وقف على احوال التنزيل

ووجوه لغة واعرابا وطرق استعمال الالفاظ على المعاني المرادة حقيقة ومجازا وصراحة
وكناية ووفقه الله بنور البصيرة لان يقف على اسرار القران وكيفية استنباط المعاني
المكنونة تحت كلماته المصونة لتعلقه بالدراية لقول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس
رضي الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ولقول علي رضي الله عنه لو شئت
لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب اشارة الى كثرة معاني القرآن
واسراره لا يطلع عليها الا من وفقه الله تعالى بنور البصيرة الخاصة قال ابو الليث
رحمه الله في تفسيره اذا لم يعلم الرجل وجوه اللغة واحوال التنزيل فتعلم التفسير وتكلف حفظه
فلا باس بان يفسره كما سمع ويكون ذلك على سبيل الحكاية ففيه اشارة الى جواز
نقل المسموع من التفسير من غير تبديل ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ لما روي من السلف
ان من تكلم في شيء من علم التنزيل ولم يعلم الناسخ من المنسوخ كان ناقصا وقد روي
عن علي رضي الله عنه حين دخل في المسجد ورأى رجلا يفسر القرآن والناس حوله
فقال له تعرف الناسخ من المنسوخ فقال لا فقال هلكت واهلكت لا تفسر بعد لان
النسخ بيان منتهى الحكم والحكم قد يختلف بتبدل مصالح الخلق على اختلاف الازمنة
فجاز ذلك ومنها معرفة المكي والمدني بجواز اختلاف الحكم باختلاف التاريخ والنسبة
الى مكة والمدينة وتحققها باعتبار اقامة النبي صلى الله عليه وسلم باحدهما سواء نزلت الآية
فيها او في الخارج عنها حيث كان صلى الله عليه وسلم قريبا منها او بعيدا او قيل
باعتبار البلد وقربه ومنها معرفة نظم التركيب والترتيب بالاصول المعتبرة

فى فن البلاغة والفصاحة فان من تصدى لتفسير القران وقد عرى عنهما احتجبت
عنه مستودعات حقايقه ومستترات دقايقه وبالله استعين على اتمام مانويته واستعيذ
من الزلق فيما نحوته * واسئله ان يلهمنى ما اراد من كتابه العزيز * ويهدينى الى التحقيقه
من البارز والكنيز * انه خير مسئول * واكرم مأمول * بسم الله الرحمن الرحيم سورة
الفاتحة سميت بها لان القران افتتح بها لكونها اول سورة نزلت بكمالها على اكثر الاقوال
وهى لم تنزل على من قبل هذه الامة من الامم وسميت مثانى ايضا لانها نزلت مرتين
او لانها تثنى فى الصلوة والصحيح انها مكية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم بحراء لاجل
صلوة علمه جبرئل عليه الصلوة والسلام اياها بشرائطها ليعبد الله تعالى بها واختلفوا
فى البسملة منهم من قال انها ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها وانما كتبت للفصل
والتبرك بالابتداء بها وعليه ابو حنيفة ومن تابعه رضى الله عنهم ولهذا لا تجهر بها فى الصلوة
عندهم ومنهم من قال انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعى واصحابه
رضى الله عنهم ولهذا يجهرون بها فى الصلوة الجهرية روى عن ابن عباس رضى الله
عنهما من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى والباء فيها تتعلق
بفعل مقدر بعدها لاهتمام ذكر الله تعالى بالابتداء ردا للكفار عن ارادة الاهتمام بذكر اسماء
اصنامهم حيث كانوا يقولون باسم اللات باسم العزى واما تقديم الفعل فى اقرأ
باسم ربك فان الاهتمام فيه الامر بالقرائة ومعنى بسم الله باسم الاله الذى تحير الناظرون فى
عظمته وجلالته من اله اذا تحير من الولاهة او من اله اذا عبد من الالوهة والحق

انه ليس بمشتق بل اسم غير صفة علم للذات القديم المستجمع لجميع الصفات الحميدة
والا لكان كليا تعالى عنه ولانه لو كان صفة لم يبق للصفات موصوف تجرى هى عليه
وهو مما لابد منه لفظا وتقديرا لئلا يلزم الخروج عن استعمال العرب ولا يفخم لامه اذا
كان ما قبله مكسورا للثقل الرحمن اى الذى يرحم كافة الخلق بايصال الرزق والنفع
اليهم فى الدنيا من الرحمة وهى فى الاصل التعطف واستعمل للانعام مجازا ههنا قال
ابن الحاجب رحمه الله الرحمن مجاز لا حقيقة له الرحيم اى الذى يرحم المؤمنين خاصة
يوم القيمة بترك عقوبة من يستحقها وايصال الثواب لهم فى الجنة وانما ترك رعاية الترقى
من الادنى الى الاعلى تعظيما لله بالوصف الابلغ وتتميما بالوصف الالطف والفرق
بينهما ان الرحمن عام معنى وخاص لفظا لا يطلق على غيره تعالى والرحيم خاص معنى وعام
لفظا يطلق على غيره وسمى به الحمد اى جميع المحامد والاثنية لله معبود الخلق بالحق
عينية كانت او عرضية فاللام فيه للاستغراق عند اهل السنة والجماعة والجملة
مبتداء وخبر ومحلها نصب مفعول امر مقدر من القول لتعليم عباده كيف يحمدونه تقديره
قولوا الحمد لله ولهذا لم يقل الحمد لى وفيه معنى الشكر والمدح لكن الحمد اعم من الشكر لان
الحمد يقال فى مقابلة النعمة وغيرها والشكر لا يقال الا فى مقابلة النعمة وهو بالقلب
واللسان والجوارح والحمد باللسان وحده وقيل الحمد راس الشكر لان عمل اللسان
اوضح دلالة على الثناء بخلاف عمل القلب لخفائه وبخلاف عمل الجوارح لاحتمال فيه
والمدح اعم من الحمد لاقتضاء الحمد صدق الحامد فى المحمود والمدح لا يقتضى صدق

المادح فى الممدوح فكل حمد مدح وليس كل مدح حمداً رب العالمين* اى
مربى جميع الخلق ومالكهم والرب مصدر بمعنى الفاعل يستعمل للسيد اذا دخل عليه
لام التعريف اختص بالله واضافته يعم يقال رب العرش ورب الدار وكذا تنكيره
والعالم كالخاتم اسم ماسوى الله من الجواهر والاعراض وانما سمى به لانه يعلم به
الخالق القديم وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه وجمع بجميع العقلاء تغليباً لهم على
غير العقلاء لان كل شئ دال على وحدانية الله تعالى فكانه عالم يتعلم منه ذلك
ويستدل الرحمن الرحيم صفة بعد صفة كررها لتاكيد رحمته على خلقه وبيان سبقها
على غضبه مالك يوم الدين* صفة اخرى لبيان جبروته واختصاص الحكم ثمه
اى حاكم يوم الحساب والجزاء يعنى لا ينازعه احد فى ملكه وحكمه كالمتنازعين
فى الملك والحكم فى الدنيا وقرئ ملك بمعنى المالك وقيل الملك من الملك
بالضم عام من جهة المعنى وفيه معنى التسلط والمالك من الملك بالكسر خاص وفيه معنى
الاستحقاق فكل مالك ملك وليس كل ملك مالكا واضافة اسم الفاعل
الى الظرف اتساع وهو جعل المفعول فيه بمنزلة المفعول به كقولهم يا سارق
الليل والمعنى على الظرفية اى مالك الامر كله فى يوم الدين وهى اضافة
حقيقية بمعنى الاستمرار فجاز وقوعه صفة للمعرفة وخص ذكر يوم الدين
مع انه مالك يومه وغيره ليدل على انه لا ملك لاحد فى ذلك اليوم والمراد
منه الوقت المطلق من النهار والليل وهو اليوم اللغوى لا اليوم العرفى وهو

مدة من طلوع الشمس الى غروبها ولا الشرعى وهو من طلوع الفجر الثانى
الى غروبها اذ لا شمس يوم الدين اياك نعبد اى نخصك بالتوحيد
والعبادة وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب ليكون تفرقة بين حالتى الحمد
وهما المدح للغائب بسبب استحقاقه كل الحمد والحكاية عن نفسه ببيان
احواله على وجه التذلل والخضوع بين يدى الغائب بالخطاب اليه مبالغة
فى استحصال مقصوده منه واياك نستعين* اى ونخصك بطلب المعونة
منك على جميع امورنا وتكرير اياك لنفى احتمال ونستعين بغيرك وقدمت
العبادة على الاستعانة لان الوسيلة تقدم على الطلب وانما قرنت بها
جمعاً بين ما يتقرب به الى الله وبين ما يطلب للحاجة قوله اهدنا الصراط المستقيم
استيناف كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا اى ثبتنا على صراطك الموصل
الى المطلوب وهو الطريق الواضح الذى لا عوج فيه وهو الاسلام والقران
وما فيه من الآداب والاحكام وقيل امتنا على الهداية لانهم كانوا مهتدين
وتبدل من الصراط صراط الذين انعمت عليهم اى طريق احبائك اللذين اصطفيتهم
بالايمان ومننت عليهم بعبادتك على الاستقامة او المشاهدة وهى العبارة
عن الاحسان فى الحديث وهم الانبياء والاولياء قرئ فى الصراط بالسين
والصاد الخالصة وباشمام الصاد الزاء غير المغضوب عليهم مجرور لكونه نعت
الذين النعت او بدلا منه وانما جاز الوصف به هنا لان المضاف اليه ضد

ضد المنعم عليهم فلم يبق فى غير ابهام يابى عن ذلك اى صراط غير الذين غضب عليهم
باللعنة والخذلان فتركوا الاسلام وغضب الله ارادة الانتقام من العصاة والكفار
وهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه قيل عليهم بعد انعمت مفعوله وبعد
المغضوب فاعله ولا الضالين * اى وصراط غير الذين ضلوا عن طريق الهدى بمتابعة
الهوى وهم النصارى لقوله تعالى ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل قيل لا فيه
بمعنى الغير او فى غير معنى النفى فلذا جاز العطف مع لا مع انتفاء شرطه هنا وهو ان
يكون فى المعطوف عليه لا مثليه قوله آمين بالمد والقصر مع التخفيف اسم فعل مبنى على
الفتح لانه صوت بمعنى استجب او افعل يا رب مرويا عن النبى عليه السلام وروى انه ايضا
انه قال لقنى جبرئيل آمين عند فراغى من قرائة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب
اى كالطابع على الصحيفة يمنع من اطلاع احد على ما فيه وهو ليس من الفاتحة ولا من
القرآن لانه لم يكتب فى الامام ولم ينقل احد من السلف انه قران ومن اعتقد بذلك
فقد اخطاء وارتد باتفاق الخلف ولذا يقراء مفصولا عن الفاتحة ونقل عن ابى حنيفة
ومن تابعه انه يخفى بعد قرائة الفاتحة وعن الشافعى واصحابه انه يجهر به الامام و
المأموم لما روى عن وايل ابن حجران النبى عليه السلام كان اذا قراء ولا الضالين
قال امين ورفع صوته بها فقرائته بعد الفاتحة سنة بالاجماع وروى حذيفة بن
اليمان ان النبى عليه السلام قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا
فيقراء صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى

فيرفع

فيرفع بذلك العذاب اربعين سنة سورة البقرة مدنية قيل يجوز ان يقال قرأت
البقرة وسورة البقرة لورود العبارتين فى الاحاديث عنهم وقيل يجوز اطلاق البقرة اذا
ضم اليها ما لم يشكل به كالانزال والقرائة بسم الله الرحمن الرحيم * الم قيل هو
سر بين الله ورسوله لا يعلم الا بنور النبوة وقيل من المكتوب الذى لا يفسر وفايدة الايمان
به وقيل انه قسم اقسم الله به ان القران هو الكتاب الذى انزل من عنده على محمد رسوله
بجبرئيل يعنى ليس من تلقاء نفسه وقيل كل حرف من الحروف المقطعة فى اوايل
السور مفتاح اسم من اسمائه الحسنى فمعنى الم الله اللطيف المجيد انزل عليك
الكتاب الموعود فى التورية والانجيل وهى آية عند الكوفية بالعلم التوقيفى وكذا
سائر الفواتح خلافا للبصرية وهى اسماء حقيقة حروف مجازا الا انه حكى عن الخليل
انه قال لاصحابه كيف تلفظون بالكاف فى لك والباء فى ضرب فقالوا كاف با
فقال قلتم بالاسم لا بالحرف وانا اقول كه وبه فدل ذلك على اسميتها وانما لم
تعرب لعدم العامل فيها ولا محل لها من الاعراب عند من لم يجعلها اسما للسورة
كالجملة المبتداءة وعند غيره يجوز الرفع اما على الابتداء او على الخبرية والنصب على حذف
حرف الجر واعمال فعل القسم فيها والجر لصحة القسم بها باضمار حرف الجر
وتقديره فيها كما قيل فى قولهم الله لافعلن بالنصب والجر على اللغتين كانه قال
اقسم بهذه السورة وسكونها وقف وليس ببناء والا لكان كليف واين ذلك
اى هذا الكتاب الكامل الذى وعدتك بانزاله وانما اشار بذلك الى ما ليس ببعيد

لان الكتاب من حيث كونه موعوداً فى حكم البعيد قيل على تقدير ان يكون الم مبتداءً
عند من جعله اسماً و ذلك مبتداء ثانياً والكتاب خبره والجملة خبر المبتداء الاول وعلى جواز
كونه خبر مبتداءٍ محذوفٍ اى هذه الم يكون ذلك خبراً ثانياً والكتاب صفته وعلى
جواز نصبه وجره يكون ذلك مبتداءً خبره الكتاب او صفته والخبر لا ريب فيه اى
لا شك انه من عند الله وهو خبر فى معنى النهى اى لا ترتابوا او لا شك عند اهل العقل
والايمان به والشك هو التردد بين النقيضين لا ترجيح لاحدهما على الآخر عند الشاك ولم
يقدم الظرف على الريب لئلا يذهب الفهم الى ان كتاباً آخر فيه الريب لا فيه قوله هدى
خبر مبتداءٍ محذوفٍ اى هو هدى اى رشد وبيان والمراد ما يهتدى به او مبتداء خبره
محذوف اى فيه هدى او حال من الكتاب والعامل فيهما ما فى اسماء الاشارة من معنى
الفعل يعنى اشير وانبه اليه هادياً للمتقين اى الضالين الصائرين الى التقى بعد
الضلال فاختصر الكلام اعتباراً للتسمية بما يأول اليه ولو قال للضالين لدخل
فيهم الفريق الباقون على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وليس الكتاب هدى لهم
وقيل خص المتقون بالذكر لانهم المنتفعون بالهدى والتقوى صيانة النفس عما يستحق به العقوبة
من فعل او ترك قيل لا يدخل فى التقوى اجتناب الصغاير اذا تاب عن الكبائر لانها
مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يدخل فيه لقوله عليه السلام لا يبلغ العبد درجة المتقين
حتى يدع ما لا باس به حذراً مما به باس ثم وصف المتقين على طريق الكشف و
البيان بقوله الذين يؤمنون بالغيب اى يصدقون فى حال الغيبة بخبر البعث والجنة

والنار

والنار وغير ذلك من اخبار النبى عليه السلام فيكون الغيب مصدراً او الباء متعلق
المحذوف محله النصب على الحال اى يؤمنون ملتبسين بالخفاء والغيبة كالتباسهم
بالحضور لا كالمنافقين وقيل الغيب فيعل خفف كالميت وهو الخفى عن العيون لا يعلمه
ابتداءً الا اللطيف الخبير وقيل الغيب بمعنى الغائب والباء صلة الايمان وهو الله او
القران يعنى يقرون بان الله اله واحد لا شريك له او بان القران حق نازل من عند
الله والايمان التصديق بالقلب لغة وفى الشرع هو الاعتقاد بالقلب والاقرار
باللسان على ما هو الحق والتصديق بالعمل وهو المنقول عن السلف والاسلام هو
الخضوع والانقياد بما اخبره الرسول عليه السلام فكل ايمانٍ اسلامٌ دون العكس
قيل من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق
ومن اخل بالشهادة فهو كافر ويقيمون الصلوة اى يؤتونها بحقوقها من اقام
الامر اذا اتى به مع اعطاء حقوقه والصلوة بمعنى الدعاء لغة وفى الشرع افعال
مخصوصة كالطهارة وستر العورة واستقبال القبلة ورعاية الوقت واركان معلومة
كتكبيرة الافتتاح والقيام والقرائة والركوع والسجود والقعدة الاخيرة والنية
والمراد الصلوة الخمس او اعم منها قيل ان العبد اذا صلى صلوة تقبل منه خلق
الله منها ملكاً يقوم ويصلى لله تعالى الى يوم القيمة وثوابه لصاحب الصلوة والمراد
من اقامتها تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ فى فرائضها وسننها
وآدابها ومما رزقناهم اى مما اعطيناهم من الرزق وهو اسم ما ينتفع

ذو حيوة من الخلق واسناده الى نفسه تعالى ايذان بان يكون حلالاً صرفاً وادخل فيه
من للتبعيض دفعاً للاسراف والتبذير المنهى عنهما ينفقون • اى يخرجون عن ايديهم
فى سبيل الله والانفاق هو الاخراج عن اليد وهو يتناول صدقة الفريضة والتطوع
قيل نزلت هذه الآيات فيمن آمن من العرب ونزل فيمن آمن من اهل الكتاب اليهود
والنصارى والذين يؤمنون بما انزل اليك اى بالقران كلاً فيه تغليب للموجود على ما لم
يوجد بعد من الآيات وما انزل من قبلك اى ويؤمنون بالذى انزل قبلك من التورية
والانجيل وساير الكتب المنزلة على الانبياء وبالآخرة هم يوقنون • اى بالدار
الآخرة من دار الدنيا هم يعلمون بغير شك فلا يغفلون عنها ولا يعلمون بما
يعاتبون او يعاقبون عليه وتقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض اليهود والنصارى
حيث قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى وقالوا لن تمسنا النار
الا اياماً معدودات فانهم اثبتوا امر الآخرة على خلاف حقيقته لان قولهم ليس بصادر
عن ايقان فرد التقديم على التخصيص بان ايقان من آمن بما انزل اليك وما انزل من
قبلك مقصور على الآخرة الحقيقية لا يتجاوز الى ما اثبته الكفار بالاقرار من اهل الكتاب
والايقان علم بلا شك بعد ان لم يكن ولهذا لا يطلق على علم الله يقين اولئك اى
اهل هذه الصفة على هدى اى على بصيرة ورشد من ربهم فى الدنيا يعنى بين لهم
طريق الفلاح قبل الموت واولئك هم المفلحون اى الفايزون بالجنة والناجون من
النار يوم القيمة وتكرير اولئك للدلالة على ان كل واحد من الحكمين مستبد فى تميزهم

به عن غيرهم فكيف بهما وتوسط العطف بينهما تنبيه على تغايرهما فى الحقيقة وفايدة الفصل
بين المبتداء والخبر الدلالة على ان ما بعده خبر لا صفة وان المسند ثابت للمسند اليه
دون غيره ثم ابتداء بقصة الكفار بعد قصة المؤمنين بترك العطف للتباين الكلى
بينهما فقال ان الذين كفروا اى ستروا الحق وجحدوه وهو القران ونبوة محمد عليه السلام
سواء عليهم اى مستو لديهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم اى الانذار وعدم الانذار
والهمزة لمجرد الاستواء لا الاستفهام وهذا المعنى صير الفعل فى تقدير الاسم
فوقع مبتدأ وسواء خبره مقدماً عليه والجملة خبر ان قرئ بهمزتين مخففتين
بتسهيل الثانية فقط وبتسهيلها مع ادخال الف بينهما وبابدالها الفاً المعنى خوفتهم ام لم
تخوفهم لا يؤمنون جملة مؤكدة لخبر ان اى لا يصدقون بك وبما جئت به من
القران قيل هم المصرون على الكفر مثل كعب بن الاشرف وحيى بن اخطب وابى ياسر
بن اخطب من رؤساء اليهود وقيل هم مشركو العرب فعلى هذا عام
مخصوص باسلام من اسلم ومن يسلم الى انتهاء الدنيا ختم الله اى طبع بضرب الخاتم
على قلوبهم وقفلها بخذلانه لئلا ينفذ الحق فيها من اعراضهم عنه فى الظاهر
واستكبارهم عن قبوله مجازاة لكفرهم والقلب قطعة لحم متشكل بالشكل الصنوبرى معلق
بالوتين مقلوباً واسناد الختم الى الله للتنبيه على ان اباءهم عن قبول الحق كالشئ
الخلقى غير العرضى وعلى سمعهم اى على مواضع سمعهم فهم لا يسمعون الحق
ولا ينتفعون به وانما وحد السمع مع انه مضاف الى ضمير الجمع لانه مصدر ولامن

اللبس كما في قوله كلوا في بعض بطنكم اي بطونكم اذ البطن لا يشترك فيه
وكرر على للدلالة على شدة الختم في الموضعين وعلى ابصارهم غشاوة برفع التاء
مبتداء وخبر والبصر نور العين تبصر به الشيء اي استقر على ابصارهم غطاء
اي غطاء يعني غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله تعالى
فلا يبصرون الهدى بالنظر والاستدلال ولهم عذاب عظيم اي لهم من بين
الآلام نوع عظيم دائم في الآخرة لا يعلم كنهه الا الله والعذاب هو العقاب
الذي يرتدع به الجاني عن العود الى الجناية والعظيم ضد الحقير كما ان الكبير ضد
الصغير ويستعملان في الجواهر والاعراض قوله ومن الناس الى ثلث عشر آية
عطف على قصة الكافرين نزل في شان المنافقين من اليهود كعبد الله بن ابي سلول
واصحابه فانهم يبطنون الكفر ويظهرون الاسلام ليسلموا من المؤمنين فمن للتبعيض
اي منهم من يقول اي ناس يقرون باللسان آمنا اي صدقنا بالله وباليوم
الآخر اي الوقت الدائم الذي هو آخر الاوقات المنقضية والمراد به البعث
وما هم اي ليسوا بمؤمنين اي بمصدقين بالله بقولهم عزير ابن الله ولانهم
ليسوا بمصدقين بالبعث لانهم اعتقدوا على خلاف صفته بقولهم
ان الآخرة لا اكل فيها ولا شرب ولا نكاح ونعيمها ينقطع وفي الحكم
عليهم بانهم ليسوا بمؤمنين نفي ما ادعوه على سبيل البت والقطع لانه نفي
اصل الايمان منهم بادخال الباء في خبرها ولذا لم يقل وما هم من المؤمنين فان

الاول

الاول ابلغ من الثاني ومن موصوفة ان كانت اللام في الناس للجنس وموصولة
ان كانت للعهد لان الكافرين عام شامل للفريقين المصرين في الكفر وغير المصرين
ثم خص بقوله ختم الله وخص هنا بقرينة اخرى بالمنافقين وهي المخادعة ومن توحد
وتجمع نظرا الى اللفظ والمعنى فلذا قال يقول وما هم والباء زايدة لتاكيد النفي
كما في خبر ليس المعنى ان بعض الناس يدعون الايمان وهم كاذبون في دعواهم
ذلك وبين ذلك بقوله يخادعون الله اي يخالفون الله او نبي الله او ذكر الله
تحسين والذين آمنوا باظهار الايمان باللسان وستر الكفر في القلب واصل الخدع
الستر ولذا يقال للمخزن مخدع والمفاعلة هنا من واحد لقوة الداعي الى نفس الفعل
كعاقبت اللص وما يخدعون بالف المفاعلة من واحد وبغير الالف اي
اي وما يضرون بالخداع الا انفسهم لان وباله راجع اليهم لافتضاحهم في
الدنيا بنزول القران لاظهار نفاقهم ومعاقبتهم في الآخرة وما يشعرون
اي ولا يعلمون ان وبال الخداع يرجع اليهم في قلوبهم مرض اي شك وشر
مضمر وهو يمرض ويوهن افئدتهم وهنا يؤدي الى اهلاكهم لان النفاق يهلك
صاحبه فزادهم الله مرضا بامالة الزاء وبغيرها اي امدهم الله بمرض
آخر على مرضهم لان كل آية نزلت عليهم كفروا بها وازدادوا شكا ونفاقا
وهذا معنى الخبر ويحتمل ان يكون دعاء على وجه التعليم منه تعالى بجواز الدعاء على
المصرين على الكفر والنفاق لانهم اهل الذم والطرد الى الدرك الاسفل

ولهم عذاب اليم اى وجع يصل المه الى قلوبهم بما كانوا يكذبون * بتخفيف الذال
وتشديده اى بكذبهم فى قولهم آمنا او بتكذيبهم محمدا او نسبهم الى الكذب اياه فى دعوة
النبوة والاخبار بالقران واذا قيل لهم حكاية حال المكذبين قرى بضم القاف
وبكسرها فيه وفى امثاله فى القران كغيض وجيل وسيق اى قال المومنون للمنافقين
لا تفسدوا فى الارض اى لا تسعوا فيها بالفساد وهو خروج الشئ عن الاعتدال
والانتفاع ونقيضه الصلاح يعنى لا تعملوا المعاصى باضمار النفاق وصد الناس
عن الايمان والاسناد قيل الى لا تفسدوا اسناد الى لفظ على تاويل واذا قيل
لهم هذا القول قالوا كذبا منهم انما نحن مصلحون اى نحن لا نفسد والصلاح خاص
لنا فقال تعالى الا انهم هم المفسدون فى الارض بانكار الحق وصد الناس
عن دين محمد عليه السلام والا كلمة تنبيه للمؤمنين على نفاقهم وتكريرهم
لتاكيد ثبوت الفساد فيهم ولكن لا يشعرون * انهم اصحاب الفساد او انهم
يعذبون غدا بنفاقهم وذكر الشعور بازاء الفساد اوفق لانه كالمحسوس عادة
واذا قيل لهم اى هؤلاء المنافقين وهم اليهود المؤمنون بلسانهم آمنوا كما
آمن الناس كعبد الله بن سلام واصحابه او المراد جميع المؤمنين لان الناس
هم فى الحقيقة والباقى كالبهايم لعدم تميزهم الايمان عن الكفر قالوا اى
المنافقون بالانكار انؤمن كما آمن السفهاء اى الجهال الخفيف العقول قال تعالى
الا انهم هم السفهاء اى الجهال الحرقى لا غير بتركهم التصديق فى السر الموجب

للسعادة الابدية ولكن لا يعلمون انهم الجهال وذكر العلم فى مقابلة السفه انسب
طباقا لانه فى معنى الجهل ونزل فى المنافقين والمومنين واذا لقوا اى استقبلوا الذين
آمنوا بالحق قالوا كذبا آمنا كايمانكم فى حدوثه ظاهرا واذا خلوا اى مضوا الى شياطينهم
اى اصحابهم من المشركين والمنافقين والشيطان من شطن اذا ابعد لبعده من
من رحمة الله قالوا انا معكم اى على دينكم وثباته انما نحن مستهزؤن اى متساخرون
بمحمد واصحابه والاستهزاء التجهيل والسخرية يعنى نحن نسخر بهم باظهارنا الايمان
وهو تاكيد لقولهم انا معكم فرد الله عليهم مستانفا بقوله الله يستهزئ بهم اى
يجازيهم جزاء استهزائهم بتجديده دايما يوم القيامة بان يعذبهم بالنار وبان
يفتح لهم بابا من الجنة وهم فى جهنم فيساقون منها الى ذلك الباب فاذا وصلوا
اليه سد ذلك الباب عنهم وردوا الى جهنم والمومنون على الارائك فى
الجنة ينظرون اليهم ويضحكون ويفعل بهم ذلك مرة بعد مرة ويمدهم اى
يزيدهم بالامهال فهو من المدد لا من المد فى العمر لقراءة البعض ويمدهم من
من الامداد فى طغيانهم اى فى تجاوزهم الحد فى الكفر والضلالة يعمهون حال اى
يتحيرون ويترددون فى ضلالتهم عقوبة لهم فى الدنيا اولئك الذين اشتروا
اى استبدلوا الضلالة اى الكفر والعدول عن الحق بالهدى اى بالايمان والسلوك
فى الطريق المستقيم جعل الهدى كانه فى ايديهم لتمكنهم منه وهو الاستعداد به
فبميلهم الى الضلالة عطلوه وتركوه والباء تصحب المتروك فى باب المعاوضة

ومنها الاشتراء فما ربحت تجارتهم اى اذا اشتروا به ذلك فما ربحوا فى تجارتهم
والربح الزيادة على رأس المال وهو صفة التاجر وانما اسند الى التجارة
بالمجاز المرشح لاشتراء الضلالة بالهدى المستعمل فى الاستبدال لتتميم الكلام
وتزيينه وما كانوا مهتدين اى مصيبين فى تجارتهم لعدم علمهم بطرقها
او وما كانوا ناجين من الضلالة ثم عقب صفة المنافقين بضرب المثل من اوجه
ثلثة تتميما للبيان لان المثل يصير الغائب كالمحسوس فقال مبتدأ بالوجه الاول
مثلهم اى شبههم فى ايمانهم وهو قول ساير فى عرف القوم يعرف به معنى شئ
فيه غرابة كمثل الذى اى الذين من باب وضع واحد الموصول موضع الجمع منه تخفيفا
لكونه مستطالا بصلته كقوله وخضتم كالذى خاضوا والقرينة ما قبله وما بعده اى كشبه
من استوقد اى اوقد فى مفازة فى ليلة مظلمة نارا عظيمة خوفا من السباع
وغيرها وهى جوهر لطيف محرق والنور ضوءها وضوء كل نير فلما اضاءت اى انارت
ما حوله مفعول اضاءت اى ما حول المستوقد من الاماكن والاشياء وحول نصب
على الظرفية واصله الدوران ذهب الله بنورهم اى ازال نورهم بالكلية وذكر
النور ابلغ من ذكر الضوء لان فيه دلالة على الزيادة ولا يلزم من ذهابها ذهاب
النور راسا وهو جواب لما او جوابه محذوف اى طفئت ناره وذهب كلام مستأنف
كانه قيل ما حالهم فقال اخذ الله نورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون اى طرحهم
فى ظلمة متزائدة تتكاثف بعضها فوق بعض لا يبصرون ما حولهم والظلمة عدم النور

فيما

فيما شانه ان يستنير ومعنى ذلك ان المنافقين تكلموا بكلمة الشهادة مراءاة للمؤمنين
فامنوا بها على انفسهم وعيالهم واموالهم ومشوا فى ضوءها حتى اذا بلغوا الى آخر العمر كل
لسانهم عنها وبقوا فى ظلمة كفرهم ابد الابد وقيل نزلت الآية فى شان المشركين
الذين تمكنوا فى حوالى المدينة فانهم اذا حاربوا اعدائهم كانوا ينتصرون باسم محمد
قبل بعثته مقرين بنبوته ويقولون بحق نبيك محمد ان تنصرنا فلما بعث النبى عليه السلام
وقدم المدينة حسدوه وكذبوه فخمدت نارهم وبقوا فى ظلمات الكفر ثم استأنف
بالوجه الثانى بقوله صم اى هم متصامون عن سماع الحق وقوله بكم اى خرس
عن قول الحق بالاخلاص عمى اى فاقدوا الابصار عن النظر الموصل الى العبرة التى
توديهم الى الهدى يعنى ان الله تعالى خلق هذه المشاعر الثلثة السمع واللسان
والبصر لينتفعوا بها فاذا لم ينتفعوا مع سلامتها بها جعلوا كانما انعدمت مشاعرهم
فهم لا يرجعون عن ضلالتهم الى الهدى ثم ذكر الوجه الثالث الذى هو اغلظ من
الاولين بادخال او للتخيير فيه بقوله او كصيب اى ان شئت شبههم بالمستوقد او باصحاب
الصيب وهو ما نزل من علو الى سفل والمراد المطر وهو معطوف على خبر المبتدأ
اعنى كمثل تقديره او مثلهم كمثل اصحاب صيب نزل من السماء اى السحاب وفائدة
ذكر من السماء ايذان بان السحاب من السماء يأخذ ماءه لا كزعم من قال انه يأخذه
من البحر فيه اى فى الصيب او فى السحاب ظلمات رفعه بالظرف على الاتفاق
لاعتماده على موصوف جمع ظلمة اقله ثلثة فحملت على ثلث ظلمات فان عاد الضمير فى فيه

الى المطر فظلماته تكاثفه وتتابعه والاخرى ظلمة الليل بانضمامها اليهما والجملة من فيه
ظلمات فى محل الجر صفة لصيب ورعد اى وفيه صوت قاصف يسمع من السحاب
وبرق اى نار خاطفة تخرج من السحاب وقيل الرعد ملك يسوق السحاب والبرق لمعان
يظهر من سوط الملك من النار يزجر به السحاب ليمطر وهو من الصواعق ولم يجمع الرعد
والبرق كظلمات لانه روعى اصلهما وهو المصدر وان اريد منهما العيان والضمير يرجع الى
اصحاب الصيب مع كونه مضافا محذوفا اقيم مقامه الصيب فى قوله يجعلون اصابعهم
اى الانامل منها وفى ذكر الاصابع من المبالغة ماليس فى ذكر الانامل وهى انهم يدخلون
فى شدة الحيرة اصابعهم كلها فى آذانهم من الصواعق اى من اجل خوفها جمع صاعقة وهى
قطعة نار مهلكة ينزلها الله تعالى على ما يشاء ليحرقه قيل كل عذاب مهلك صاعقة
روى كان النبى عليه السلام يقول اذا سمع الرعد وصواعقه اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا
تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك المعنى انهم يدخلون اناملهم فى اذانهم ادخالا
شديدا للاحتراز عن سمع الصواعق حذر الموت مفعول له اى لاجل مخافة الهلاك
والموت عبارة عن فساد البنية من الحيوان والله محيط اى محدق بالعلم والقدرة بالكافرين
اى باعمالهم الخبيثة لا يفوت احد منهم وقت التعذيب ثمة والاحاطة ادراك الشئ من
جميع جوانبه ثم استانف ببيان تهويل حال البرق كانه قيل كيف حالهم مع البرق فقال
يكاد اى يقرب البرق يخطف اى يسلب بسرعة ابصارهم اى نورها من شدة ضوء البرق
وجملة يخطف فى محل النصب خبر يكاد وشرط خبر كاد ان يكون فعلا مضارعا بلا ان للاستقبال

لانه

لانه موضوع لمقاربة وقوع الفعل المتاول باسم الفاعل ولذا لم يقل ان يخطف كلما اضاء
اى انار البرق الطريق فى الليلة المظلمة لهم مشوا اى ساروا فيه اى فى ضوئه واذا اظلم
اى ذهب ضوءه فصار الطريق مظلما عليهم قاموا اى وقفوا متحيرين فى مكانهم قيل
استعمل كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام لان تكرير الفعل منهم فى الاضاءة مطلوب
وفى الاظلام ليس المطلوب لهم المعنى ان المنافقين شبهوا فى نفاقهم وضلالتهم عن
الهدى ممن كان فى ليلة مظلمة فى مفازة فنزل مطر من السماء وفيه ظلمات
ورعد وبرق لا يمكن المشى فيها ويجعل اصابعه فى اذانه من هول الرعد ويحبس البرق
بصره من شدة ضوئه فكلما اضاء الطريق عند ذلك يمشى فيه واذا اظلم عليه بقى
متحيرا فى مكانه لان المنافقين اذا تكلموا بكلمة الشهادة يستانسون بالمؤمنين ويمشون
معهم آمنين من السيف والسبى مع كتمان الكفر فى قلوبهم وكلما ظهر لهم علامة
علامة من علامات نبوة محمد عليه السلام مالوا اليه مدة واذا اصاب المسلمين محنة كمحنة
يوم احد ثبتوا على كفرهم واذا قرئ القران عليهم يتصاممون عن استماع آياته المنذرة
والمبشرة مخافة ان ينزل عليهم شئ يكشف سرهم ويظهر حالهم او مخافة ميل القلب
الى الايمان لكونه عندهم كفرا فالمطر القرآن لانه نزل من السماء لاصلاح الناس
وحيوة قلوبهم كالمطر نزل من السماء لاصلاح الارض وحيوة النبات والظلمات
ذكر الشرك والنفاق وشبهاتهم فى القران والرعد هو الوعيد والانذار للعصاة
بالنار والبرق ما ظهر فيه من علامات نبوته والبشارة بالجنة وما فيهما من الرعد

والصواعق التكاليف الشاقة والاخبار الرائقة فيه فهذه الامثال الثلثة للمنافقين
الذين كانوا فى المدينة لايضاح الحجة عليهم قوله ولو شاء الله مفعول محذوف اى لو اراد ان
يذهب الاسماع التى فى الراس والابصار التى فى العين كما ذهب بسمع قلوبهم
وابصارها لذهب بسمعهم وابصارهم عقوبة لهم لانه لايعجز عن ذلك ان الله على كل شئ اى
على كل موجود بالامكان قدير اى فاعل له على قدر ما تقتضيه حكمته لاناقصا ولا زائدا وهو
صفة مخصوصة به تعالى ومثله المقتدر ومعنى المقدرة ان يوقع الفاعل الفعل
على مقدار قوته وما يميزه عن العاجز فخرج المستحيل عند ذكر القادر على الاشياء
كلها والشئ ما يراد به الموجود واجبا وغيره ولا يطلق على المعدوم الا بالتجوز كقوله تعالى
ان زلزلة الساعة شئ عظيم لانه قدر كالموجود لصدق الوعد به قوله يا ايها الناس
الآية مسوق لاثبات التوحيد وتحقيق نبوة محمد عليه السلام الذين هما اصل الايمان
قيل هو خطاب لاهل مكة ويا ايها الذين آمنوا خطاب لاهل المدينة حيث جاء فى القرآن
وهو مقول قول مقدر اى قل يا كفار مكة اعبدوا اى وحدوا واطيعوا ربكم اى
سيدكم ومربيكم تربيكم الذى خلقكم اى اخترعكم ولم تكونوا شيئا وخلق الذين
من قبلكم من الامم وفى الوصف ايماء الى سبب وجوب عبادته تعالى لعلكم تتقون
اى لكى يحصل رجاء منكم ان تتقوا عصيانه فتنجوا بسبب التقوى من العقاب وخص المخاطبون
بالذكر تغليبا لهم على الغائبين ثم اشار الى احسانه الى عباده ووجوب شكره عليهم
بقوله الذى اى هو الذى جعل لكم الارض فراشا اى بساطا يستقر عليه للاستراحة والعبادة

عليها بعد خلقكم احياء وقادرين على اداء حق الشكر له والسماء بناء اى وجعلها عليكم
سقفا مرتفعا كالقبة والظلة على هذا المستقر قيل سماء الدنيا ملترقة اطرافها على
الارض وانزل من السماء اى مطرا ينحدر منها على السحاب ومنه على الارض وهو رد لزعم من
زعم انه يأخذه من البحر فاخرج به اى انبت بالمطر والباء للسببية من الثمرات اى
من انواعها والوان النبات ومن للبيان رزقا اى طعاما وعلفا لكم ولدوابكم
وهو مفعول اخرج المعنى ان الله تعالى انعم عليكم بذلك كله لتعرفوه بالخالقية والرازقية
فتوحدوه فلا تجعلوا لله اندادا اى امثالا تعبدونهم كعبادة الله يعنى لا تقولوا له شركاء
تعبد معه والند المثل المخالف اى فى الافعال والاحكام وهو نهى عن اعتقادهم
ان لهم آلهة مثله قادرة على مخالفته والفاء عاطفة فى فلا تجعلوا عطف على اعبدوا
اى يأمركم بالعبادة فلا تشركوا به شيئا وانتم تعلمون بالعقل والتمييز انه واحد لا شريك
له فى خلق هذه الاشياء الشاهدة بالوحدانية وان آلهتكم لا يقدر على نحوها
هو قادر عليه فحقه ان تعرفوا انعامه عليكم بها وتعتبروا بالنظر الصحيح الموصل الى
التوحيد فتقابلوها بالشكر لا بالشرك ثم عطف ما يدل على ثبوت المعجزة الدالة
على نبوة محمد عليه السلام على ما دل على ثبوت التوحيد فقال وان كنتم فى ريب اى
فى شك مما نزلنا اى من الذى نزلناه من القرآن على سبيل التدريج على عبدنا
اى محمد عليه السلام بانه ليس من الله فاتوا اى جيئوا بسورة من مثله اى من مثل القرآن
يعنى على صفته فى البيان الغريب وحسن النظم وعلوه او مثل محمد عليه السلام

على ما دلّ على ثبوت التوحيد فقال اى فى شك اى من
الذى نزلناه من القرآن على سبيل التدريج اى على محمد عليه السلام بانه ليس
من الله اى جيئوا اى من مثل القرآن يعنى على صفته فى البيان
الغريب وحسن النظم وعلوه او مثل محمد عليه السلام يعنى من بشر شبهه عربيا اميّا
لم يقراء الكتاب ولم يتعلم من احد والسورة قطعة من القرأن معلومة الاوّل والآخر
واقلها ثلث ايات من اسأرت فى الاناء اذا ازدت فيه شيئا من ماء او طعام
او السورة المنزلة الرّفيعة لارتفاع قارئها فى الدنيا والآخرة و ماخوذة من
سور المدينة لارتفاعه على البناء قيل اذا قرء الرجل عن ظهر القلب طائفة من كتاب الله
لها فاتحة وخاتمة كسورة يعظم عنده ما حفظه وكذا كانت القراءة فى الصلوة افضل
سورة تامة ويجدّ هو عند النّاس ومنه ما روى عن انس كان الرجل اذا قرء البقرة
وآل عمران جدّ فينا اى عظم فى اعيننا وادعوا شهداءكم اى استعينوا بآلهتكم
الى آخره القائمة او بناس يشهدون بكم كشعرائكم وعرفائكم من دون الله او
من غير اوليائه ومعنى دون ادنى مكان واخفض من الشئ ومنه الدّون بمعنى
الحقير ويستعمل بمعنى التجاوز ويستعار لتفاوت الاحوال والتغاير بين الشيئين
ومحلّ من دون الله نصب على الحال اى متجاوزة من الله ان كنتم صادقين
ان محمدا اختلق القرأن من تلقاء نفسه وهو شرط جوابه محذوف وهو فافعلوا ذلك
يدلّ عليه قوله فان لم تفعلوا اى فان لم تفعلوا ما امرتم به فيما مضى لعجزكم عن المعارضة

وجازم

وجازم الفعل لم لقربه وتوغله فى الجزم دون ان وانّما اورد ان التى للشك مع
انّ عجزهم ظاهر لانّ اتيانهم به قبل التأمّل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم
وبلاغتهم عن الاتيان مع ما يتعلق به الفعل طلبا للاختصار ثمّ نفى الفعل بالتاكيد
بقوله ولن تفعلوا فى المستقبل يعنى لن تطيقوا عليه ابدا الظهور اعجاز القرأن بينكم فانّه
معجزة للنبى عليه السلام ولن فيه لتاكيد النفى فى المستقبل والواو للابتداء ولا محلّ له
من الاعراب لعدم وقوعه موقع المفرد لكونه اعتراضا بين الشرط وجوابه وهو قوله فاتّقوا
اى احذروا بالتوحيد لعجزكم عن الاتيان بمثله وجحدكم بغير حجة النّار التى وقودها
اى حطبها وهو ما يوقد به النار النّاس اى العصاة والحجارة اى حجارة الكبريت والمراد
انّ اكثر وقودها النّاس والحجارة وقيل الحجارة اصنامهم التى نحتوها واتخذوها
اربابا لعبدوهم من دون الله وقيل يكون مع كلّ انسان من الكفار حجر معلق فى عنقه
اذا اطفئت به النار رسب به الحجر الى قعر جهنّم قيل انّما جعل حطبها من حجارة الكبريت
لسرعة وقودها وبطوء خمودها وشدّة حرّها ولصوقها بالبدن وقبح رائحتها
وانّما عرفت النّار هنا ونكرت فى سورة التحريم لانّ اية فيها نزلت بمكة
فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة فاشار بها الى ما
عرفوه اولا اعدّت اى هيئت تلك النار للكافرين بالقران ومحمد عليه السلام
وهذا لا يدلّ على اختصاصهم بها قيل فى هذه الآية دليلان على ثبوت النبوة
احدهما كون المتحدّى به وهو القران معجزا والثانى الاخبار بانهم لن تفعلوا

ذلك وهو غيب لا يعلمه الا الله وذلك انه عليه السلام عارضهم باتيان سورة
من مثل القران فعجزوا حتى بذلوا اموالهم ودماءهم دون ذلك وكونهم من الفصاحة
والبلاغة بحيث لا يخفى لاحد من العقلاء فظهر ان القران معجز في نفسه بنظمه ومعناه
وهم ما عارضوه بشئ فنعلم انهم ما اتوا بمثله والا لتواتر بين الناس لتوفر الدواعي
على نقله وحيث لم ينقل علم عدم اتيانهم به وكان اخبار عنه اخبارا بالغيب فيكون
معجزة للنبي عليه السلام فثبت عندهم صدقه لكنهم لزموا العناد ولم ينقادوا فاستوجبوا
العقاب بالنار ولذا قيل لهم فاتقوا النار اي احذروا سخطي وهذا من باب
الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة ومن عادة الكتاب العزيز ان يذكر
الترغيب مع الترهيب فلذلك قال **وبشر** عطفا على قوله فاتقوا وقيل على المقدر
قبل يا ايها الناس اي فرح يا محمد بخبر البشارة ويجوز ان يكون المخاطب
كل احد لا واحد بعينه **الذين آمنوا** اي قلوبهم **وعملوا** الاعمال **الصالحات** التي صدرت
عنهم لله تعالى على حسب الحال من مواجب التكليف **ان لهم جنات** اي بساتين
كثيرة **تجري من تحتها** اي تحت اشجارها وغرفها **الانهار** اي المياه التي فيها المعلومة
عند المخاطب ويجوز ان يكون اللام عوضا عن المضاف اليه اي انهار الجنة
تجري من غير اخدود وهو الشق من الارض بالاستطالة قيل انزه الجنات
منظرا ما كانت اشجارها مظللة وانهارها في خلالها مطردة **كلما رزقوا** اي
متى ما اطعموا **منها** اي من الجنة من فيه لابتداء الغاية **من ثمرة** اي بثمرة بزيادة

من او هي للبيان او للابتداء المقيد بعد المطلق **رزقا** اي طعاما **قالوا هذا**
الذي رزقنا اي اطعمنا **من قبل** اي قبل هذه الثمرة لان لون الاثمار في الجنة متشابه
وطعمه مختلف فاذا اطعموا ثمرة اول النهار فاكلوا منها ثم اطعموا ثمرة اخرى في
آخر النهار ظنوها الاول **واتوا به** اي جيئوا بذلك الرزق **متشابها** في اللون والجودة
فاذا اكلوا اطعمه غير ذلك اجود والذ يعني لا يكون فيها ردي وهذه الجملة معترضة
للتقرير روي انه ليس في الجنة شئ يشبه ما في الدنيا الا الاسماء **ولهم فيها** اي
في الجنة **ازواج** اي نساء وحور **مطهرة** اي مهذبة من كل قذر وعيب وقيل
من حيض وبول وخلط ونحو ذلك في ابدانهن من حسد وحقد ونظر الى الغير في
قلوبهن وفي لفظ مطهرة فخامة دون طاهرة ولم يجمع للاختصار **وهم فيها**
خالدون اي دائمون احياء لا يموتون ولا يخرجون منها روي ان اهل الجنة جرد مرد
مكحلون لا يفنى شبابهم ولا يبلى ثيابهم ثم بين شبهة من شبههم في حق القران وجوابها
بقوله **ان الله لا يستحيي** اي لا يمتنع بالحياء كاستحياء البشر من **ان يضرب** اي يذكر
للحق **مثلا ما** اي شبها حقا فما زائدة للتاكيد و**بعوضة** مفعول ثان ليضرب لانه في
معنى يجعل وهي البق الصغير والاول مثلا قيل نزل حين قالت اليهود ما اراد الله
بذكر الاشياء الخسيسة في القران كالذباب والعنكبوت والبعوضة فان ضرب
المثل بنحوها مما يستحي منه ردا عليهم على سبيل المقابلة كما في قوله ام يقولون افتراه
قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات يعني انه لا يستحي ان يصف للحق وبيانه شبها ما

بذكر البعوضة فما فوقها اى فبذكر الذى هو ازيد بها كالذباب والعنكبوت او فما
دونها فى الصغر قيل انه من الاضداد وهو دابة يسترها السكون ويظهرها
التحرك يعنى لا تلوح للبصر الحاد الا بتحريكها قيل ذكر المثل بالبعوضة تعريض للانسان
لانها اذا جاعت عاشت فاذا شبعت ماتت وكذلك الانسان اذا استغنى
فانه يطغى قوله فاما الفاء فيه لاظهار التفاوة بين حالتى المؤمنين والكافرين فى ضرب المثل
واما حرف فيه معنى الشرط وضع لاعطا فضل توكيد النسبة وتفصيلها بعد ذكر
المجمل او على استيناف الكلام ويقع الاسم بعده مبتداء ويلزم خبره الفاء
كقولك اما زيد فذاهب تريد انه بصدد الذهاب لا محالة بخلاف زيد ذاهب
ومعناه مهما يكن من شئ فزيد ذاهب نص عليه سيبويه فى كتابه اى اما الذين
آمنوا بالقران ومحمد عليه السلام فيعلمون انه اى المثل بالبعوضة والذباب
الحق اى الثابت الذى لا يسوغ انكاره من ربهم اى كائنا منه تعالى فيؤمنون
وفى ذكر اما فى هذه الجملة اضمار عظيم لهم واعتداد بعلمهم انه الحق فى ذكرها
واما الذين كفروا اى اما الذى فذا اسم موصول وما اسم استفهام مرفوع المحل
مبتداء خبره ذا مع صلته او ذا مع ما مركبة جعلت اسما واحدا منصوب المحل فى حكم
ما وحده اى اى شئ اراد الله بهذا اى بالمثل الخسيس مثلا نصب على التمييز او
او على الحال اى ممثلا كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية والارادة القصد
والطلب من غير كراهة وهى معنى يوجب للحى حالا يقع منه الفعل على وجه دون وجه

فاجابهم

فاجابهم الله تعالى بقوله يضل اى يخذل به اى بالمثل كثيرا من الكفار بتكذيبهم به يعنى
لا يوفقهم الهدى فيزدادون ضلالا ويهدى اى يوفق به اى بالمثل كثيرا من المؤمنين
بالكثرة مع وصفهم بالقلة صح
لتصديقهم به فيزدادون هداية ووصفهم بالقلة فى قوله وقليل من عبادى الشكور
لان المهتدين كثير فى الحقيقة وان خلوا فى الصورة لكونهم على الحق وكون اولئك
على الباطل وما يضل به اى ما يخذل بالمثل وتكذيبه الا الفاسقين اى الكافرين بالله
الخارجين عن امره وقد جاء استعمال اسم الفاسق على الكافر والمسلم بارتكاب الكبيرة
الذين ينقضون اى ينكثونه عهد الله اى الذى عهد اليهم يوم الميثاق بقوله الست
بربكم ان يؤمنوا بمحمد وما جاء به والعهد هنا الامر والوصية يعنى الذى اخذه من بنى آدم
من ظهورهم ثم نقضوه من بعد ميثاقه اى توكيده وتغليظه ويقطعون ما امر الله به
ان يوصل وهو قطعهم الارحام وموالات المؤمنين ويفسدون فى الارض بعمل
المعاصى والصد عن سبيل الله اولئك هم الخاسرون اى المغبونون بالعقوبة فى الآخرة
مكان المثوبة فى الجنة قيل ليس من مؤمن ولا كافر الا وله منزل واهل وخدم
فى الجنة فان اطاعه تعالى اتى اهله وخدمه ومنزله فى الجنة وان عصاه ورثه الله
المؤمنين فقد غبن عن اهله وخدمه ومنزله ثم استفهم بالخطاب تعجيبا
من كفرهم وتوبيخا لهم بعد قيام البرهان على وجوب الايمان وهو تنقلهم من
العدم الى الوجود ثم الى الموت ثم الى الحيوة يوم القيمة ثم الى النار والجنة فقال
كيف تكفرون اى تجحدون بالله اى بوحدانيته ومعكم ما يصرفكم عن الكفر الى الايمان

ومحل كيف نصب على الحال اى أمعاندين تكفرون وقيل كيف ههنا يفيد انكار حال الكفر
ولا يلزم من ذلك انكار ذات الكفر اجيب بان حال الكفر لازم لذات الكفر فى الوجود
فاذا انفى اللازم ينتفى اللزوم وهذا ابلغ واقوى لانه دعوى الشئ ببينة والواو فى وكنتم امواتا
للحال اى والحال انكم عالمون بانكم كنتم نطفا بلا روح فى اصلاب آبائكم وقد يطلق لعادم
الحيوة ميت كقوله بلدة ميتا ولما كان الاحياء عقب الموت بغير تراخ اورد الفاء
فى فاحياكم اى فى ارحام امهاتكم ثم فى دنياكم وهذا الزام لهم بالبعث ثم يميتكم عند
انقضاء اجالكم ثم يحييكم للبعث يوم القيامة ثم اليه اى الى الله ترجعون فى الآخرة
يعنى تصيرون الى ارادته ومشيته تعالى فتجزون باعمالكم لانه ليس فى جهة فترجعون اليها
لكونه مستحيلا عليه وعلمه حاصل لكم بالدلايل الموصلة اليه فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم
هذه وانما اورد ثم فى المواضع الثلثة لتصور التراخى فيها فلما سمعوا البعث وقالوا
من يستطيع ان يحيينا بعد الموت نزل قوله هو الذى خلق لكم اى قدر لاجلكم وانتفاعكم
دينا ودنيا ما فى الارض اى الذى فيها من الاشياء جميعا نصب على الحال
من الموصول الثانى وهذا حجة لمن استدل على ان الاصل فى الاشياء الاباحة
الى ان يمنع الشارع ما يمنع منها وقيل اللام للتعريف لا للتخصيص فالمعنى ان الله خلق
لكم الارض وما فيها لتعلموا المعاشكم ومعادكم وتستدلوا بها على صانعكم وتوحيده
ثم استوى اى قصد بمشيته بعد خلق الارض من غير قصد شئ آخر وقيل صعد امره
وهو قوله كن فكان الى السماء اى خلقها وهى جمع سموات تكسيرا ولذلك جعل الضمير

العائد اليها فى فسويهن جمعا ليحصل المطابقة بينهما لفظا اى خلقهن مستويات
من غير خلل فيهن او السماء مفرد والضمير فيه مبهم فسر بقوله سبع سموات نصب
تمييز نحو ربه رجلا وقيل معناه صيرهن فسبع مفعول ثان لسوى وثم فيه لتفخيم شان
منزلة السماء وتفضيله على شان الارض لا للتراخى فى الوقت ولا ينافيه قوله تعالى
والارض بعد ذلك دحاها لان الدحو البسط وهو متاخر عن خلق جرم الارض الذى
تقدم على خلق السماء روى خلق الله الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر
عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى
موضعها ثم بسط منه الارض وقيل ان الارض كانت خشفة تحت الكعبة اى اكمة فلما خلق
السماء بسط الارض بعد خلقها وهو بكل شئ عليم اى محيط بكل ما خلق مجملا ومفصلا
والعليم هو الذى كمل علمه ويجئ بمعنى المعلم ثم امر النبى عليه السلام بان يذكر لكفار مكة
قصة الملائكة وما جرى بينهم وبين ربهم لاجل خلق آدم ليتذكروا بها فان عادة الانبياء عليهم السلام
التذكير لامهم فقال واذ مفعول اذكر مقدرة اى اذكر لهم واخبرهم وقت قال ربك
على سبيل المشاورة تعليما لعباده ان يشاوروا فى امورهم قبل الاقدام عليها
للملائكة جمع ملاك فاسقط الهمزة للتخفيف من الالوكة وهى الرسالة سموا بها
لانهم رسل الله قيل المراد بعض الملائكة وهم سكان الارض روى انه تعالى
لما خلق الارض وخلق الجان من لهب نار لا دخان لها بين السماء والارض والصواعق
يكون منزلها وهو ابو الجن كآدم ابى البشر خلقهم منه واسكنهم فيها فكثروا وعلوا فى

فى الارض بالمعاصى وسفكوا الدماء ثم بعثت ملائكة سماء الدنيا مع ابليس وجعل
حاكما عليهم فطردوهم واخرجوهم من الارض الى جزائر البحور ورؤس الجبال
فسكن الملائكة فيها بامره تعالى فصار الامر عليهم اخف مما كانوا فى السماء فاطمانوا
اليها فاراد الله ان يحولهم عنها لان عادة الله ان يامر بالتحول كل من اطمان الى
الدنيا فاخبرهم بقوله **انى جاعل فى الارض خليفة** اى من يخلفكم بدلا منكم ورافعكم الى
فشق عليهم ذلك وكرهوه لما كان الامر عليهم اخف فى الارض او المراد بالخليفة
آدم عليه السلام لانه خلف الملائكة وجاء بعدهم او لانه خليفة الله فى الارض لتنفيذ
احكامه بين اولاده واستغنى بذكره عن ذكر بنيه وانما اخبرهم بذلك ليسألوا عنه
ويعرفوا حكمته قبل اعراض الشبه لهم فى وقت الاستخلاف لانه سبب الهلاك
قالوا استعظاما له طلبا لحكمته ذلك او قالوا تعجبا من الاستخلاف المخالف
للحكمة ظاهرا اذ الحكيم لا يفعل الا الخير علما بالهام من الله تعالى او من جهة اللوح
عصيانهم كعصيان الجن اياه **اتجعل فيها** اى اتخلق فى الارض **من يفسد فيها** كما افسد
الجن **ويسفك** اى يصب **الدماء** ظلما كما يسفك بنو الجان **ونحن نسبح بحمدك**
اى والحال انا نقول سبحان الله وبحمده والتسبيح التنزيه عن السوء او نحن نصلى
بامرك حامدين لك فالتسبيح الصلوة وبحمدك حال **ونقدس لك** اى نثنى لك
بالطهارة عما لا يليق بك او نطهر انفسنا لعبادتك عن المعصية **قال الله انى
اعلم ما لا تعلمون** من الحكمة والمصلحة باستخلاف آدم قيل علم من ابليس المعصية

المعصية والبعد عن رحمته ومن آدم الطاعة والتقرب اليه ومن ذريته الطايع
والعاصى فيظهر الفضل والعدل من الله ثم قال الملائكة فيما بينهم ليخلق الله ما شاء
فلن يخلق خلقا اكرم عليه وان فعل فنحن اعلم منه لانا قبله وعلمنا ما لم يعلم فبالعلم
افتخروا فبين الله عجزهم بان خلق جميع المسميات بحذف المضاف اليه وتعويض
اللام منه لا بحذف المضاف من مسميات الاسماء لان التعليم يتعلق بالاسماء
لا بالمسميات وهى الاخبار من الانس والجن والدواب وغيرها **وعلم آدم**
من اديم الارض وهو وجهها او من الادمة وهى السمرة اى الهمه **الاسماء** اى
اسماء المسميات **كلها** اى بكل اللغات حتى القصعة والقصيعة **ثم عرضهم**
اى المسميات بتذكير الضمير تغليبا للعقلاء المذكرين والعرض اظهار الشئ
للغير ليعرف العارض منه حاله **على الملائكة** ليظهر فضل آدم وقصورهم **فقال
انبئونى** اى اخبرونى **باسماء هؤلاء** المخلوقات **ان كنتم صادقين** انى لا اخلق اكرم واعلم
منكم وفيه دليل على فضل العلم اذ لو كان فى الوجود شئ اشرف من العلم لكان الواجب
اظهار فضله بذلك الشئ لا بالعلم ودليل ايضا على ان الانبياء افضل من الملائكة
فثم اظهروا عجزهم بان **قالوا سبحانك** اى ننزهك تنزيها عن كل ما يليق بعظمتك
نصب على المصدر اللازم الاضافة **لا علم لنا** لشئ **الا ما علمتنا** اى ما الهمتنا
به يعنى تبنا اليك من مغالطتنا **انك انت العليم** بكل شئ **الحكيم** فى امرك وصنعك
بجعل خليفة فى الارض بما لحكمة تعلمها وهو الذى يفعل ويحكم على وفق علمه

واصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة ولما لم يجيبوا عما سئاله الله لعجزهم قال يا آدم انبئهم
اى اخبرهم باسمائهم اى باسماء الموجودات فلما انبأهم اى اخبرهم باسمائهم واخبر عن
منافعها وما يحل الاكل وما يحرم منها قال اى الله تعالى تقريرا لعلمه الاذلى الم اقل
لكم انى اعلم غيب السموات والارض اى سرها وسر اهلها وكل ما فيها واعلم ما تبدون
اى الذى تظهرون فيما بينكم حين قال ابليس لكم ماذا ترون ان امرتم بطاعة
آدم فقلتم نطيع امر ربنا وما كنتم تكتمون اى الذى تسرون وهو الذى اسر ابليس
فى نفسه من قوله لئن فضلت عليه لاهلكنه ولان فضل على لاعصينه واذ قلنا
اى اذكر لهم وقت قولنا للملائكة اى لجميعهم اسجدوا اى اخروا لآدم اى اليه
لان السجود لله حقيقة للعبادة ولآدم تكرمة ظاهرا كالصلوة الى الكعبة والسجود
الميل فى اللغة فقيل لم يكن ثم وضع الجبهة على الارض انما كان مجرد الانحناء
وقيل انه تعالى امر جبرئيل ان يجمع التراب ليخلق آدم فنزل على الارض ليقبض
منها فقالت بحق الله عليك ان لا تفعل فانى اخاف واستحى من ربى ان يعصى
على فرجع جبرئيل واخبر بذلك فبعث ميكائيل فتضرعت مثل ذلك ثم بعث
اسرافيل فتضرعت كذلك ثم بعث عزرائيل فتضرعت فقال امر الله اولى
من قولك فجمع التراب من وجه الارض من كل لون ومن الطيبة والسبخة
ثم صعد الى السماء فقال الله لعزرائيل اما رحمت الارض حين تضرعت
اليك فقال رأيت امرك اوجب من قولها فقال انت اصلح لقبض ارواح

ولدادم

ولد ادم فصار ذلك التراب طينا ثم صار صلصالا لاربعين سنة فلما سواه ونفخ
فيه الروح امر الملائكة ان تسجد واله سجدة التحية فسجدوا الا ابليس اسم اعجمى لا ينصرف
للعجمة والعلمية وقيل عربى من الابلاس والاياس وانما لم ينصرف للعلمية وعدم
النظير له والاستثناء منقطع ان لم يكن من جنس الملك والا فمتصل ابى اى امتنع
من السجود واستكبر اى تعظم واظهر كبره وكان اى صار من الكافرين بعد ان لم يكن كافرا
وقيل كان ابليس فى علم الله منهم وهذا القول جبرى والاول سنى ثم امر الله
الملائكة ان يحملوا ادم على سرير من ذهب الى السماء فادخلوه الجنة ثم خلق
من ضلع اليسرى وآدم بين النوم واليقظة حواء زوجته فاستيقظ فرأها
عنده فقال من انت فقالت انا زوجتك خلقنى ربى لاسكن اليك وتسكن الى
فاخبر تعالى عن ذلك بقوله وقلنا لآدم يا آدم اسكن اى اثبت انت وزوجك
حواء الجنة اى بستان الخلد قيل هى فى السماء السابعة والزوج يطلق على
الذكر والانثى وقد تلحقه تاء التانيث للمراة وسميت حواء لانها خلقت من
الحى وكلا منها اى من الجنة رغدا اى اكلا واسعا طيبا بلا فوت وتقدير وتقتير
حيث شئتما اى من اى مكان اردتما بلا ضيق عليكما ولا تقربا هذه الشجرة
بالاكل وليس النهى عن الدنو بل عن الاكل اى لا تاكلا منها والا لضم الراء لان
الضم يختص بالدنو وقيل انها شجرة القمح ~~او شجرة~~ او شجرة الكرم او شجرة التين
والسر فى النهى انه خلقه من ارض الدنيا ليسكن فيها فامتحنه بذلك كما يمتحن

بذرية نسله فى الدنيا بالحلال والحرام للآخرة المعنى انى اجتكما السكون فى الجنة
والاكل من كل شجر منها الا هذه الشجرة فلا تاكلا منها شيئا فتكونا من الظالمين
اى الضارين بانفسكما بمخالفة امرى والظلم وضع الشئ فى غير موضعه والفعل
مجزوم عطف على لاتقربا اومنصوب فى جواب النهى روى ان ابليس لما رأى آدم
وحوا اسكنا الجنة واحبا ها لنعيمها حسدهما واحتال لاخراجهما منها فعرض نفسه على
كل دابة من دواب الجنة ان يدخل فى صورتها فامتنعت حتى اتى الحية وكانت
هى احسن دابة خلقا فى الجنة فاطاعته فدخل فى فمها وقام فى راسها واتى باب
الجنة وناداهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من
الخالدين وهذه الشجرة شجرة الخلد من اكل منها بقى فى الجنة ابدا فابى آدم من ذلك
فقاسمهما بالله انه ناصح لهما فاكلت حواء ثم ناولت آدم وكان يحبها فكره ان يخالفه
وكان آدم يقول لها لاتفعلى انى اخاف من العقوبة وكانت حواء تقول ان رحمة الله
واسعة فاخذ من يدها فاكل بعد امتناع فاخبر تعالى بقوله فازلهما اى اذهبهما
الشيطان عنها اى عن الجنة وقرئ فازالهما اى نحاهما فاخرجهما مما كانا فيه من
النعيم وسقط عنهما ما كان عليهما من الحلل والحلى وعريا عن الثياب حتى بدت
عورتهما وهربا استحياء فقال تعالى امنى تهرب يا آدم قال لا ولكن حياء من ذنبى
فاخذا من اوراق التين والزقا على عورتهما وقال الم انهكما عن اكل هذه الشجرة
فقال بلا ولكن ما كنت اعلم ان احدا يحلف بك كاذبا ثم امرهما الله بان تنزلا من

الجنة الى الارض فنزلا فوقع آدم بارض الهند وحواء بارض الجدة واخبر عن ذلك بقوله وقلنا اهبطوا
اى انزلوا استخفافا بكم والمراد بالخطاب لهما ولابليس والحية وقيل لهما ولذريتهما ويدل
عليه قوله تعالى فى سورة طه اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو اى اعداء والجملة حال
اى متعادين وفسرت العداوة بالعداوة بين المؤمنين وابليس او بالتى بين
ذرية آدم من ظلم بعضهم بعضا بشوم عصيان آدم ولكم فى الارض مستقر اى مكان
قرار على وجهها ومتاع اى عيش وحيوة الى حين اى الى الموت فان قيل كيف توصل
الشيطان الى ازلالهما عن الجنة وقد قيل له اخرج منها فانك رجيم اجيب بانه
منع دخولها على جهة الاهانة ولم يلزم منه وجوب الخروج فجاز ان يدخل فيها على جهة
الوسوسة ابتلاء لادم وحواء فتلقى اى اخذ وحفظ واصل التلقى القبول عن
فهم وفطنة آدم من ربه كلمات وهى قوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية قرئ برفع آدم
ونصب كلمات مفعولا وبنصب آدم ورفع كلمات على معنى استقبلته كلمات
من ربه واتصلت به يعنى الهمه بها فاعتذر وتضرع اليه باكيا طالبا منه التوبة فتاب
عليه اى تجاوز الله عن ذنوبه والتوب الرجوع فى الاصل انه هو التواب اى المتجاوز
عن الذنوب مرة بعد اخرى وان كثرت الرحيم اى كثير الرحمة لعباده المؤمنين
وكرر امر الهبوط بقوله قلنا اهبطوا منها جميعا لشدة عنايته تعالى بانزالهم من الجنة
وجميعا نصب على الحال من ضمير الجمع تاكيدا للجماعة من آدم وحواء وابليس
والحية قيل نزول ابليس بالابلة والحية باصفهان ودلت الآية على ان المعصية

تزيل النعمة عن صاحبها كما قال القائل * اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصى
تزيل النعم * ثم قال فَاِمَّا يَاْتِيَنَّكُم اى ان يجيئكم مِنِّى هُدًى اى رشد وبيان شريعة
بارسال الرسل فاما شرط مركب من ان وما زائدة للتاكيد وجوابه فَمَن تَبِعَ اى
انقاد واقتدى هُدَاىَ اى شريعتى ورسلى وجواب من فَلَا خَوفٌ عَلَيهِم فى المستقبل
من العذاب والخوف ضد الامن وهو عدم توقع مكروه فى الزمان الآتى وَلَا هُم
يَحزَنُونَ على ما خلفوا من امر الدنيا والحزن ضد الفرح وهو غلظ السرور فبعده
وعده للمؤمنين واوعد للكافرين فقال وَالَّذِينَ كَفَرُوا اى انكروا برسلى وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
اى بشريعتى معهم اُولٰئِكَ اَصحَابُ النَّارِ فى الآخرة هُم فِيهَا خَالِدُونَ اى دائمون لا يموتون
فيها ولا منها يخرجون ثم خاطب اليهود الذين كانوا حوالى المدينة من بنى قريظة
ونضير وغيرهم وكانوا من اولاد يعقوب وقال يَا بَنِى اِسرَائِيلَ وهو يعقوب اُذكُرُوا
اى اشكروا واحفظوا نِعمَتِىَ الَّتِى اَنعَمتُ عَلَيكُم والانعام الاحسان الى الحيوان الناطق
كبيرا كان او صغيرا لا غير فلا يقال احسنت الى فرس فلان والمراد منه الاحسان
بارسال الرسول المبشر به فى التورية والانجيل اليهم مع الاحسان الواصل الى
اجدادهم من اغراق اعدائهم فرعون وقومه القبط فى البحر ومن انزال
المن والسلوى فى التيه عليهم وغير ذلك لان المسند على الآباء صفة على الاولاد
وَاَوفُوا اى اتموا ولا تتركوا بِعَهدِى اى الميثاق الذى عاهدتمونى عليه بامتثال
امرى والايمان بمحمد والعهد حفظ الشئ ومراعاته حالا فى الآ والمراد منه الموثق بين

المعاهد والمعاهد والعهد والوصية يقال عهد فلان الى فلان الشئ اى اوصاه
بحفظه اُوفِ بِعَهدِكُم اى اتمم الذى قلت لكم من الجزاء وهو الجنة والعهد يضاف
الى المعاهد والمواهد جميعا وَاِيَّاىَ اى ارهبوا فَارهَبُونِ اى فاخشونى من نقض العهد
حذف الياء واقيم الكسر مقامه والفاء فى جواب شرط محذوف اى ان كنتم
راهبين شيئا فارهبونى روى ان الله تعالى عهد فى التورية بنى اسرائيل
الى باعث نبيا اميا من بنى اسمعيل فمن صدقه واتبعه غفرت لهم ذنوبه وادخلته
الجنة واعطيته اجرين اجر اتباع موسى واجر اتباع محمد عليهما السلام وَآمِنُوا
اى صدقوا بِمَا اَنزَلتُ اى بالقران مُصَدِّقًا اى موافقا لِمَا مَعَكُم اى لما فى كتابكم
التورية من النبوة والتوحيد واخبار محمد عليه السلام وَلَا تَكُونُوا اَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ اى
اول فريق يكفر بالقران عند هذا الخطاب بالايمان او الضمير لمحمد اى لا تكونوا اول
من كفر بمحمد لقوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وتقديره مثل اول كافر به يعنى
من اشرك به من اهل مكة وانتم تعرفونه فى التورية موصوفا وَلَا تَشتَرُوا اى ولا تستبدلوا
بِآيَاتِى اى بالقران والايمان بمحمد ثَمَنًا قَلِيلًا اى عرضا يسيرا من الدنيا وانما
وصفه بالقلة لان الدنيا كلها قليل قيل كان احبار اليهود ككعب بن الاشرف
واصحابه من علمائهم ينالون من اتباعهم وسفلة قومهم وظائف ومأكل وكانت
لهم رياسة عندهم يخافون ان يذهب وظائفهم ورياستهم لو آمنوا بمحمد واتبعوه
وهم عارفون صفته وصدقه فخوفهم الله بقوله وَاِيَّاىَ فَاتَّقُونِ اى اخشونى فى آياتى

ومحمد عليه السلام والتقوى حفظ النفس عما يؤثمها وههنا بمعنى الخوف والخشية
يعنى من كفر به ادخلته الى النار ولا تلبسوا اى لا تخلطوا الحق الذى تعرفونه من صفة محمد
عليه السلام بالباطل الذى تكتبونه فى التورية وتسترون بحيث لا تميز احدهما
عن الآخر فالباء للاستعانة قيل انهم اقروا ببعض صفته وانكروا بعضها بالتحريف
ليلبسوا على الناس بذلك فلا يؤمنوا به قوله وتكتموا جزم عطف على تلبسوا اى لا تستروا
الحق اى صفة محمد عليه السلام وانتم تعلمون انه رسول الله رب العالمين والفرق
بين النهيين ان لبس الحق بالباطل كتابتهم الباطل فى التورية ليظنوا انه حق فهو
الخلط وكتمانهم الحق قولهم بالكذب لا نجد نعت محمد فى التورية او حكم كذا فيها
والحال ان ذلك ثابت فيها واقيموا الصلوة اى صلوا الصلوة الخمس بشروطها
وادِيموها وآتوا الزكوة اى اعطوا الفرض فى اموالكم وادوه الى مستحقها والزكوة
زيادة فى المال ببركة من الله واركعوا اى صلوا صلوة ذات ركوع مع الراكعين
اى مع المصلين وانما امرهم بذلك لان اليهود لم يكن فى صلوتهم ركوع وكانوا
يصلون فرادى فحث المسلمين منهم ان يصلوا مع اصحاب محمد عليه السلام
فى الجماعات وامرهم ان يصلوا مع المصلين الى الكعبة قوله اتامرون الناس
الهمزة فيه للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم اى اتامرونهم بالبر اى بالخير
وهو الاتباع لمحمد والايمان به وتنسون اى تتركون انفسكم فلا تتبعونه مخافة
ان يذهبوا منافعكم والنسيان والسهو اخوان فى الترك لكن النسيان ما غاب

بعد

22

بعد حضوره والسهو ما لم يحضر نزلت الآية فى شان احبار اليهود الذين يقولون
لحليفهم الذى اسلم وسألهم عن رسول الله فى السر اثبت على دين محمد فان امره حق
ودينه صدق فوبخهم الله تعالى بقوله اتامرون الخلق بالمعروف وتتركون انفسكم
وانتم تتلون الكتاب اى تقرؤن التورية وفيها صفته عليه السلام افلا تعقلون
اى افلا تعلمون بقوة العقل انه حق فتتبعوه وهو جوهر متهيئ للعلم واصله المنع سمى به
لمنعه من الشر وفيه توبيخ على ترك الفعل لا على الامر به لكون الامر بالفعل الحسن حسنا
على كل حال قيل اطلع ناس من اهل الجنة على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم
تامروننا بالخيرات فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمر بها ونخالف الى غيرها وفيه دليل
على ان من امر بخير فليكن اشد الناس تسارعا اليه ومن نهى عن شر فليكن اشد الناس
انتهاء عنه واستعينوا اى اطلبوا النصرة على حوائجكم الى الله بالصبر على
اداء الفرايض ومشاق العبادة والصلوة اى باداها مع ما يوجب فيها
من اخلاص القلب وحفظ النية ودفع الوساوس ومراعات الآداب
انها اى الصلوة الكاملة لكبيرة اى لشاقة عظيمة من كبر الشئ اى عظم الا على
الخاشعين اى الخائفين المتواضعين والخشوع السكون من الخوف والكثر
استعماله من الجوارح الذين يظنون اى يستيقنون ويعلمون انهم ملاقوا
ربهم اى معاينوه بعد الموت يوم القيمة والظن ترجيح احد النقيضين ويستعمل
فى اليقين والشك وانهم اليه اى الى ربهم راجعون اى سايرون

بعد البعث للحساب والجزاء والمعنى ان الصلوة ثقيلة فى نفسها لكنها لم تثقل على
الخاشعين لتوقعهم ما ادخر الله لهم من الثواب يوم القيامة وثقلت على غيرهم
لانهم لا يتوقعون ثوابها يا بنى اسرائيل اذكروا اى اشكروا نعمتى التى انعمت
عليكم بانزال المن والسلوى وغيرها و اذكروا انى فضلتكم اى ميزتكم بالتكرمة
على العالمين اى عالمى زمانكم بجعل الانبياء فيكم وجعلكم ملوكا بعد ان كنتم مماليك
فى يد فرعون وتحصل تفضيل الاولاد بتفضيل الاباء واتقوا اى اخشوا يوما اى
عذاب يوم لا تجزى اى لا تودى فيه نفس عن نفس شيئا اى شيئا ما من الحقوق التى
لزمت عليها وهو نزل حين كانت اليهود يقولون نحن من ولد ابراهيم خليل
الرحمن ومن ولد اسحق ذبيح الله ردا عليهم يعنى لا ينفع فى ذلك اليوم نفس مؤمنة
عن نفس كافرة نفعا ما ولا يقبل بالتاء والياء منها اى من النفس الاولى شفاعة
ان شفعت النفس الثانية عند الله لتخليصها من عذابه ولا يوخذ اى لا يقبل
منها اى من المشفوع لها عدل اى فداء من مال او رجل مكانها او توبة واصل العدل
المعادلة وهى المماثلة ولا هم ينصرون اى لا يمنعون من العذاب والضمير فيه يرجع
الى معنى الجمع المستفاد من تنكير النفس الواقعة فى سياق النفى وهو النفوس
الكثيرة قوله واذ انجيناكم عطف على مفعول اذكروا اى اذكروا وقت انجيناكم بانجاء اباءكم
من آل فرعون اى من اهل القبط ومخصوص بالاشراف وفرعون علم لمن ملك اولاد
عمليق بن عاد قوله يسومونكم اى يطلبون لكم سوء العذاب اى تعذيبكم اشده

فى محل النصب على الحال يعنى سائمين السوء والسوم فى الاصل الذهاب
فى ابتغاء الشئ والسوء قبح الشئ قوله يذبحون ابناءكم بيان لقوله يسومونكم ولذلك
ترك العطف اى يقتلونهم ويستحيون اى يتركون نساءكم طلبا لحيوتهن للاستخدام
والسلب والذى حمل فرعون على ذلك انه راى فى منامه نارا تخرج من بيت المقدس
تحرق جميع القبط ولم تضر باسرائيلى وسال الكهنة عن ذلك فقالوا انه يولد فى
بنى اسرائيل مولود هلاكك فى يده فامر بذبح كل ذكر يولد فى بنى اسرائيل فكثر
الذبح فامر بذبحهم سنة وتركهم سنة فولد هرون فى سنة لا ذبح فيها وموسى فى سنة
فيها ذبح وفى ذلكم اى فى السوم وما لحق به من الذبح والاستخدام وفى الانجاء منه
بلاء اى امتحان مصدر ويستعمل بمعنى النعمة وبمعنى البلية من ربكم عظيم
يعنى ذلك اختبار من سيدكم كبير على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر
واذكروا اذ فرقنا اى فصلنا يمينا وشمالا بكم اى بسببكم البحر وهو اساف بحر
من بحار مصر او بحر قلزم فانجيناكم من الغرق واغرقنا آل فرعون اى نفسه
وجيوشه وانتم تنظرون اليهم غرقى مولى حين رماهم البحر الى الساحل بعد
خروجكم منه سالمين مع موسى روى ان موسى خرج مع بنى اسرائيل من مصر
ثم خرج فرعون مع قومه من مصر فى طلبهم فلما انتهوا الى البحر ضرب موسى عصاه
عليه فانفلق اثنى عشر مسلكا فارسل الله عليه ريحا فصار يابسا فدخله بنو اسرائيل
فلم ير بعضهم بعضا فخافوا عند ذلك فى الماء كوى يرى بعضهم بعضا فلما جاوزوا

البحر دخل فيه فرعون وقومه فغشيهم البحر فغرقوا فيه (اجمعون دقيهم صح) تهديدًا للكافرين
ليؤمنوا وتنبيهًا للمؤمنين ليتعظوا وينتهوا عن المعاصي وَاِذْ وَاعَدْنَا بالف
وبغير الف بمعنى واحدٍ ويجوز ان يكون المواعدة بين الله بالوحي وبين موسى
بالوفاء اي اذكروا وقت وعدنا مُوسٰى اي ننزل عليه التورية بعد هلاك
فرعون وقومه ودخول بني اسرائيل مصر ولم يكن لهم شريعة يعملون بها وضرب
له ميقاتا اَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً اي تمامها ونصب ليلة بالتمييز وذكرها لان الليلة
اوّل الشهر والاربعون ذو القعدة بكماله وعشر من ذي الحجة وجعل الميعاد
بالطور فذهب موسى الى المناجات واستخلف عليهم هرون وعدّ بنو اسرائيل
بعد مضيّ العشرين من الوعد اليوم مع الليلة يومين الى تمام العشرين وقالوا
قد تمّ اربعون ولم يرجع موسى الينا فقد خالفنا وقال السامري هاتوا الحلي التي
استعرتم من نساء فرعون بعلة عرس حتى نحرق فلعل الله يرد علينا موسى فجمعوها
وكان السامري صائغًا فاتخذ منها عجلا وقد كان قبل ذلك رأى جبرئيل على فرس
الحيوة كلما وضع حافره اخضر فرفع من تحت سنبكه قبضة من التراب والقى في العجل
فصار جسدًا له خوارًا اي صوت كصوت العجل قيل فيه حيوة وقيل صريخ دخل
الريح في جوفه من خلفه وخرج من فيه كهيئة الخوار فقال للقوم هذا الهكم
واله موسى فنسي اي اخطاء موسى طريق ربه هنا وذهب يطلبه فاقبلوا كلهم
على عبادة العجل الا هرون مع اثني عشر الفا فوبخهم الله تعالى بقوله ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ

الهًا مِنْ بَعْدِهٖ اي من بعد ذهاب موسى الى الطور وَاَنْتُمْ ظَالِمُوْنَ اي كافرون
بعبادتكم العجل ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ اي محونا ذنوبكم مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ اي بعد شرككم
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ اي ارادة ان تشكروا الله في مقابلة العفو لانه يوجب الشكر
وهو في الاصل تصور النعمة من المنعم واظهارها بامتثال الامر والنهي وحقيقته
العجز عن الشكر قال داود عليه السلام سبحان من جعل العجز عن الشكر شكرًا كما جعل
الاعتراف بالعجز عن معرفته معرفةً وَاِذْ اٰتَيْنَا اي واذكروا اذ اعطينا مُوسَى الْكِتَابَ
اي التورية وَالْفُرْقَانَ اي الفارق بين الحق والباطل يعني الكتاب الجامع بين
كونه كتابًا منزلا وكونه فرقانًا كقولك لقيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع
بين الجود والجرأة والفرقان تسع آياتِ موسى عليه السلام كالحية واليد البيضاء
وغيرهما لانها تفرق بين الحق والباطل او المعنى اعطينا موسى التورية ومحمدًا الفرقان
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ اي لكي تبلغوا الهداية من الضلالة بعلمها وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖ
وهم الذين ظلموا انفسهم بعبادة العجل يَا قَوْمِ بحذف الياء وترك الكسرة بدلا عنها
والاضافة الى نفسه للشفقة اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اي اضررتم اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ
الها للعبادة قالوا لموسى ما نصنع قال فَتُوبُوا الفاء للتسبيبة لان الظلم سبب التوبة
اي ارجعوا اِلٰى بَارِئِكُمْ باسكان الهمزة وكسرها وقلبها ياءً وباختلاس الحركة
اي خالقكم وعبادته قالوا كيف نرجع قال فَاقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ اي ليقتل بعضكم
البري من عبادة العجل بعضكم العابد له وهو من تمام التوبة ذٰلِكُمْ اي الرجوع

بالقتل مع رضاء الله فيه خير لكم عند بارئكم اى خالقكم من ترككم على عذابه فاطاعوا
امره بالقبول والرضاء قيل فارسل الله عليهم سحابة سوداء لئلا يبصر الاب ولده
والرجل جاره وقريبه ليمكن لهم امضاء امر الله تعالى فيهم فقتل بعضهم بعضا بالسيف
والخنجر الى المساء ثم تضرع موسى وهرون وبكيا من كثرة الدماء وقالا يا ربنا البقية
فنزلت التوبة عليهم من الله وقيل لموسى ارفع السيف عنهم والفاء فى فتاب عليكم
متعلق بشرط محذوف تقديره ان فعلتم ذلك فقد تاب عليكم اى قبل توبتكم وتجاوز
عن ذنوبكم انه اى الله تعالى هو التواب اى كثير التجاوز عن الذنوب الرحيم اى كثير الرحمة
للمطيعين امره حيث جعل القتل كفارة لذنوبكم قيل قتل منهم سبعون الفا وكان من
قتل منهم شهيدا ومن بقى منهم مغفورا واذ قلتم اى اذكروا وقت قولكم يا موسى
لن نؤمن لك اى لن نصدقك فى قولك حتى نرى الله جهرة اى عيانا بلا حجاب
بيننا وبينه يجوز فيها سكون الهاء وفتحها مصدر لانها نوع من الرؤية او جمع جاهر
نصبها حال بمعنى معاينين فاخذتكم الصاعقة اى النار المحرقة النازلة من السماء
فاحرقتكم لسؤالكم ما هو محال على الله من جهلكم فى الدنيا وانتم تنظرون الى الصاعقة
النازلة قيل ماتوا يوما وليلة ولم يمت موسى بل غشى عليه بدليل قوله فلما افاق
وذلك حين امر الله موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا ويأتى معهم الى الطور
للمناجات معتذرين من عبادة العجل فلما انتهوا الى الجبل قال لهم موسى امكثوا
هنا فصعد موسى الجبل فناجى ربه فلما رجع اليهم قالوا انك رأيت الله فارناه فقال

لم اره فلم يصدقوه فنزلت الصاعقة عليهم فماتوا كلهم ثم دعا موسى ربه فاحياهم
فاخبر عنه فقال ثم بعثناكم اى احييناكم من بعد موتكم لتستوفوا بقية اجالكم وكان ذلك
الموت بلا اجل والا لم يحيوا الى نفخ الصور لعلكم تشكرون الله للحيوة بعد الموت وقبول
توبتكم عن ذنوبكم قيل انما لم يمت موسى عند سؤاله الرؤية لان سؤاله كان اشتياقا
وافتقارا وسؤال قومه كان تكذيبا واجتراء وظللنا اى جعلنا ظلا عليكم
الغمام جمع غمامة وهى السحابة لتقيكم من حر الشمس فى التيه وذلك حين امروا
بان يدخلوا مدينة الجبارين فابوا ذلك فعاقبهم الله بان يتيهوا متحيرا فى الارض
اربعين سنة فاصابهم حر شديد وجوع مفرط وفى الليل ظلمة شديدة فرحمهم الله
تعالى فانزل عليهم عمودا من نور يسير معهم يضئ لهم مكان القمر وغماما يظلهم
من الحر وسألوا موسى الطعام فدعا ربه فاستجاب له فقال وانزلنا عليكم المن
اى الترنجبين فى الصورة قيل انه كان ابيض مثل الثلج كالشهد المعجون بالسمن
والسلوى اى السمانى وهو طير يشبه يضرب الى الحمرة يأتيهم مشويا قيل
يأتيهم المن والسلوى من طلوع الفجر الى طلوع الشمس فاخذ كل انسان كفايته
الى الغد فان زاد دود وفسد الا يوم الجمعة فانه يأخذ ما يكفيه ليومين لانه لا يأتيهم
يوم السبت فقلنا لهم كلوا من طيبات اى حلالات ما رزقناكم من المن والسلوى
لا ترفعوا منه شيئا ادخارا ولا تعصوا امرى فرفعوا وجعلوا اللحم قديدا مخافة
ان يفقد فرفعنا عنهم ذلك لعدم توكلهم علينا وما ظلمونا ما اخرونا بكفرهم

هذا النعم واذخارهم الرزق لبعدما نهوا عن ذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون
اى يضرون برفعهم فقطع عنهم الرزق عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال ولولا بنوا اسرائيل لم يخبث الطعام لم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن امراة زوجها
والخنز النتن والفساد وبعد مضى اربعين سنة وموت موسى وهرون امر الله
تعالى يوشع بن نون خليفة موسى بان يدخل مع قومه باب بيت المقدس بالانحناء
والتواضع ليعبدوا فيها تائبين مستغفرين فانطلقوا ودخلوا مستهزئين فقال
تعالى لهم واذ قلنا اى اذكروا وقت قولنا لكم تنزيلا لهم مكان آبائهم فى الخطاب
ادخلوا هذه القرية اى مدينة بيت المقدس والقرية الحوض الذى يجمع فيه
الماء سميت بها لجمعها اهلها وكلوا منها حيث شئتم رغدا اى رزقا طيبا
واسعا عليكم وادخلوا الباب اى باب القرية سجدا اى منحنين نصب على الحال
يعنى ناكسى رؤسكم بالتواضع وقولوا حطة رفع بخبرية المبتداء المحذوف اى مسئلتنا
من الله ان يحط عنا ذنوبنا نغفر لكم بالياء والنون مع الجزم معلوما جواب الامر
وقرئ بالياء وللتانيث مجهولا وبادغام الراء فى اللام اى نستر عليكم خطاياكم
اى ذنوبكم جمع خطيئة وهى ضد الصواب وهم الذين عبدوا العجل ثم تابوا و
سنزيد المحسنين اى سنطلب الزيادة لمن احسن فى فعله والى نفسه وغيره وهم
الذين لم يعبدوا العجل فبدل اى غير الذين ظلموا بالمعصية انفسهم قولا غير
الذى قيل اى خالفوا ما امر لهم من القول وهو ان يقولوا حطة وان

يدخلوا

يدخلوها بالاستغفار منحنين وهم دخلوها زاحفين على استاههم قائلين
حنطة سمقاثا اى حمراء بلغتهم فانزلنا على الذين ظلموا اى غيروا ما امروا به رجزا اى
عذابا من السماء وهو طاعون او نار محرقة بما كانوا يفسقون اى بسبب خروجهم
عن الطاعة روى انه مات منهم سبعون الفا من الطاعون ثم رجع الى قصتهم
فى التيه فقيل لما عطشوا فيه استغاثوا بموسى فدعى ربه ان يسقى لهم فاخبر عنه
وقال واذ استسقى موسى لقومه ماء عذبا فقلنا له بالوحى اضرب بعصاك وهى التى حملها
آدم من الجنة الحجر وهو الحجر الذى حمله موسى فى المخلاة بقول جبرئيل له ارفعه
فان لله قدرة فيه ولك معجزة حين فر بثوبه وقت الغسل فى نهر وتبعه فوصله
فضربه موسى بعصاه ورفعه فادخله فى مخلاته وذلك لما رماه بنوا اسرائيل
بالادرة واراد الله اظهار برائته عنها لهم فابتلاه بما يوجب غسله فضربه فانفجرت
اى سالت بعد انشقاق وكان مربعا مثل راس له اربعة اوجه فى كل وجه ثلث
اعين منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين قد علم كل اناس اى سبط
مشربهم اى عين شربهم قيل انهم كانوا اذا نزلوا منزلا وضعوه وضربه موسى
بعصاه فانفجرت فاذا ساروا احملوه ويمسك روى فى حكمة ذلك ان الاسباط
كانت بينهم عصبية ومباهات وكل سبط لا يتزوج من سبط آخر وغرضه تكثير
سبط نفسه فجعل الله لكل سبط نهرا على حدة لئلا يقع بينهم جدال وتخاصم
فقال تعالى قلنا كلوا من المن والسلوى واشربوا من ماء العيون من رزق الله

ولا تعثوا اى لا تتمادوا بالفساد فى الارض والعثى اشد الفساد مفسدين
اى فى حال افسادكم وهو حال مؤكدة وهى التى تقرر مضمون الجملة المتقدمة
اسمية كانت او فعلية واذ قلتم يا موسى اى اذكروا وقت قولكم له لن نصبر على
طعام واحد اى طعام لا يتبدل يعنى يداوم عليه كل يوم قيل بل الرجل من
اكل طعام يدوم عليه ولو كان فيه الوان مختلفة من الماكل فلذلك يوصف
بالواحد وقيل كانوا يخلطون المن والسلوى فيصيران طعاما واحدا وياكلونه
فكرهوا ذلك لانهم اصحاب حراثة اشتهوا ما يجانسهم بقولهم فادع اى سل لنا
اى لاجلنا ربك يخرج اى يظهر لنا شيئا مما تنبت الارض اى تخرجه من بقلها
اى البقول كلها كالنعناع والكراث وغيرهما مما ياكله الناس وقثائها وهو
المعروف وفومها وهو الثوم المعروف وقيل هو الحنطة وعدسها وبصلها
فغضب عليهم موسى قال أتستبدلون اى تطلبون الذى هو ادنى اى اردأ و
واخس من بقول الارض بالذى اى بدل ما هو خير اى اشرف واعلى
لكم بلا تعب وهو المن والسلوى فقال موسى بامر الله تعالى اهبطوا اى
انزلوا من التيه مصرا بالتنوين لانه مصر من الامصار او مصر فرعون
فصرفه لسكون وسطه كلوط فان لكم ما سألتم اى طلبتم من بقول الارض
تزرعون وتحصدون وضربت اى جعلت عليهم الذلة اى الهوان والمسكنة
اى الفقر قيل ترى الرجل من اليهود عليه زى الفقر وان كان موسرا

وباؤا

وباؤا اى رجعوا بغضب اى باثر لعنة من الله قيل غضبه ذمهم فى الدنيا
وعذابهم فى الآخرة ذلك اى ما حل بهم من الذل والفقر
والغضب محله رفع بالابتداء والخبر بانهم اى بسبب ان اليهود
كانوا يكفرون بآيات الله اى كذبوا بالقران ومحمد عليه السلام وانكروا
صفته فى التورية و ويقتلون النبيين بالهمزة وبغيره كزكريا ويحيى وشعيا
كفروا بعيسى والانجيل مع
بغير الحق اى بلا جرم محله نصب على الحال من ضمير يقتلون يعنى مبطلين
اذ هم ناصحون وداعون الى ما ينفعهم من الايمان وهو تاكيد لظلمهم فى قتل
الانبياء من غير حجة لهم عليه لو سئلوا عنه ذلك اى ما تقدم من الغضب
وغيره وكرر الاشارة اليه لزيادة التوبيخ بما عصوا اى بسبب عصيانهم
امر الله تعالى وكانوا يعتدون اى يتجاوزون عن حدود الله بقتل الانبياء
وارتكابهم المحارم ان الذين آمنوا بالسنتهم دون قلوبهم من اهل
النفاق والذين هادوا اى رجعوا عن دين موسى وتسموا باليهودية و
النصارى اى الذين تركوا دين عيسى وتسموا بالنصرانية جمع نصرانى
وياؤه للمبالغة لا للنسبة اذ يقال رجل نصران وامرأة نصرانة وسموا
بذلك لنزولهم قرية اسمها ناصرة والصابئين اى الذين صبأوا يعنى
عدلوا عن اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة ويقال صبأ بالهمزة
اذا رفع راسه الى السماء وصبا بغير همز اذا مال عن شئ الى آخر وقرئ

بما قوله من آمن فی محل النصب بدل من اسم انّ والمعطوف علیه
ای من صدق منهم مخلصاً بالله وبما انزل علی جمیع النبیین والیوم
الآخر ای یوم البعث وعمل صالحا وحده نظراً الی لفظ من ای عملاً مرضیاً
عند الله او فی محل الرفع مبتدأ فیه معنی الشرط خبره فلهم الجملة وجمعه
نظراً الی معنی من والفاء للسببیة ای لهم اجرهم وهو ثواب اعمالهم الصالحة
الذی یستحقونه عند ربهم وجملة من آمن فی محل الرفع خبر انّ والعائد
محذوف ای من آمن منهم او اخلصوا فله الجنة ولا خوف علیهم من
العذاب المستقبل ولاهم یحزنون مما خلفوا من امر الدنیا واذ اخذنا ای
اذکروا وقت اخذنا میثاقکم ای عهدکم الموثق بالعمل بما فی التوریة فلم
تعملوا بما فیها من الفرایض والتکالیف الشاقة ورفعنا فوقکم الطور
ای الجبل بالسریانیة وقلنا لهم خذوا ما آتیناکم ای الذی اعطیناکم للعمل
بقوة ای بجد ومواظبة واذکروا ای ادرسوا واعلموا ما فیه من الثواب
والعقاب لعلکم تتقون ای تخافون من الله فیسهل علیکم القبول والعمل
وتنجون من هلاک الدارین قیل لما نزلت التوریة علی بنی اسرائیل
شق علیهم ما فیها من الفرایض لانه نزل دفعة واحدة فلم یقبلوه فامر
الله الملائکة فقلعوا جبلا علی قدر عسکرهم وقالوا لهم ان قبلتم والا اهلکنا کم
بالجبل فقبلوا وسجدوا علی انصاف وجوههم وهم ینظرون الی الجبل فی سجودهم

فمن ذلک

فمن ذلک سجد بعض الیهود علی انصاف وجوههم وقالوا بهذا السجود رفع عنا
العذاب ثم تولیتم ای اعرضتم عن الایمان والطاعة من بعد ذلک ای
بعد اخذ المیثاق وقبول التوبة او من بعد رفع الطور عنکم فلولا فضل الله ای منه
علیکم بتاخیر العذاب ورحمته بالاحسان وقبول التوبة بارسال الرسل الیکم لکنتم من
الخاسرین ای المغبونین فی الدارین بالعقوبة ثم هدد الیهود بتذکیرهم ما جری
لمن تقدمهم من اصولهم وهم اصحاب الیمدینة علی ساحل البحر قیل کان یجیع السمک
یوم السبت حتی یاخذ وجه الماء وفی سائر الایام لا یاتیهم الا قلیل فحرم علیهم الصید
یوم السبت فاتخذوا مصائد لیقع فیها السمک لیلة السبت ویومه ویاخذوه
یوم الاحد بقوله ولقد علمتم ای عرفتم الذین اعتدوا ای تجاوزوا الحد ظلماً
منکم ای من اسلافکم فی السبت ای یومه فاحتالوا وحبسوا السمک فیه واخذوه
یوم الاحد واصل السبت القطع لان الیهود امروا ان یقطعوا الاعمال فیه
ویشتغلوا بعبادة الله فمسخهم الله قردة احتج مالک به فی ابطال الحیلة وجوزها
غیره من الفقهاء اذا لم یکن ابطال حق وقال هذه لیست بحیلة وانما هی عین
المنهی عنه لانهم نهوا عن اخذها بای وجه کان فقلنا لهم کونوا ای صیروا قردة
جمع قرد وهذا امر تحویل لم یکن لهم علی التحول من صورة الی صورة قدرة
قیل مسخ الشبان منهم قردة والشیوخ خنازیر لهم اذناب یتعاوون وقیل
مسخت قلوبهم وهو خلاف الظاهر خاسئین ای مبعدین من رحمة

رحمة الله من خسأ الكلب اذا بعده من عنده وهو خبر ثان لكان او صفة للقردة
او حال من اسم كان قيل بقوا ثلثة ايام بالمسخ ثم هلكوا ولم يتوالدوا منهم قط
فجعلناها اى صيرنا تلك العقوبة لهم **نكالا** اى عقوبة عبرة ليمتنع من اعتبرها
ان يقدم على مثل صنيعهم يعنى عظة وتذكرا **لما بين يديها** اى لما تقدمها من القرى
لان قصة هؤلاء مذكورة فى كتب الاولين **وما خلفها** من القرى فاذا علموا
بها اتعظوا او يمتنعوا عن المعصية او جعلنا تلك العقوبة عقوبة لما عملت من الذنوب
قبل المسخ ولما عملت حين المسخ **وموعظة** اى نصيحة وعبرة **للمتقين** اى الخائفين
من امة محمد عليه السلام **واذ قال موسى** اى اذكروا وقت قوله **لقومه** اى لبنى
اسرائيل حين قتل رجل فقير ابن عم له غنيا ليرثه ثم حمله والقاه الى جانب قرية
قريبة من قريتين فاصبح اهل القرية والقتيل بين اظهرهم واخذوا ابا القتيل
وجاؤا به الى موسى وجاء الفقير مع اهل قريته الى موسى يدعى عليهم القتل
فهم اهل القريتين ان يقتتلوا بالسلاح فقال رجل أتقتلون وفيكم
نبى الله موسى فدعا الله فى ذلك لتبيين امر المقتول وذلك قبل نزول القسامة
فاوحى الله الى موسى وقال **ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة** فتضربوا ببعضها بعض
اعضاء الميت فيحيى فيخبركم من قتله **قالوا** لموسى **أتتخذنا هزوا** بسكون الزاء
مع الهمزة وضمها بلا همزة وبضمها مع الهمزة اى اهل هزو وهو السخرية يعنون
أتستهزئ بنا نحن نسألك عن امر القتيل وانت تامرنا بذبح البقر ولا تطابق

بين

بين السؤال والجواب **قال** موسى **اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين** اى
المستهزئين لان الهزؤ من فعل الجاهلين **قالوا** يا موسى **ادع** اى سل
لنا ربك يبين اى يوضح **لنا ما هى** اى ما سنها وما صفتها من الصغر و
الكبر **قال** موسى **انه** اى الذى **يقول انها بقرة لا فارض** اى مسنة من الفرض
وهو القطع لانها قطعت السن اى بلغت اخرها **ولا بكر** اى صغيرة لم تلد قط
مأخوذ من باكورة الفاكهة ولم يؤنث لانه كالحائض فى الاختصاص بالانثى
وارتفاعهما بخبرية مبتدإ محذوف اى لا هى كبيرة ولا صغيرة **عوان بين**
ذلك اى وسط بين الكبيرة والصغيرة وانما افرد ذلك وبين يقتضى
الاضافة الى المتعدد لانه فى معنى شيئين حيث اشير به الى ما ذكر من
الفارض والبكر وانما جاز ان يشار به الى مؤنثين وهو موضوع لان
يشار به الى واحد مذكر لانه مؤول بالمذكور للاختصار فى الكلام لانه اسم
الاشارة يكثر استعماله فى كلامهم فاستحسن الافراد اذ تثنيته وجمعه وتأنيثه
ليس بحقيقة **فافعلوا ما تؤمرون** اى الذى امركم الله به من ذبح البقرة
ليتبين لكم القاتل ولا تسألوا ثم سألوا عن لونها **قالوا ادع لنا ربك يبين**
اى يعلم **لنا ما لونها** من الالوان **قال** لهم موسى **انه** اى الله **يقول انها**
بقرة صفراء والصفرة لون بين البياض والسواد **فاقع لونها** اى خالص
شديد الصفرة وهى جملة من المبتدإ والخبر صفة البقرة او فاقع صفة صفراء

ولونها مرفوع على انه فاعله وذكره تاكيد لها لان اللون اسم للهيئة وهي
الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها وهو من قولك جد جده وزاد
في وصفه لزيادة البيان بقوله تسر الناظرين اى هي تعجبهم بحسن لونها
فتلتذ قلوبهم والسرور التذاذ القلب عند وجود سببه ثم تسئلوا هي
عاملة او سائمة قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اى ما صفتها من السائمة
والعاملة ان البقر اى هذا الجنس كثير تشابه اى تشاكل علينا وانا ان شاء الله
لمهتدون اى لمدركون الى البقرة بمشية الله قال ابن عباس لولا انهم
استثنوا لم يدركوها ابدا وعنه ايضا لو انهم اخذوا ادنى بقرة لاجزءت عنهم
ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم قال موسى انه اى الله يقول انها
بقرة لا ذلول اى لا مذللة بالعمل تثير الارض اى تقلبها للزراعة ولا
تسقي الحرث اى الزرع والفعلان صفتان لذلول يعني ليست بمثيرة الارض
للكراب ولا سانية يسقى عليها الماء ليسقي الحرث مسلمة اى سليمة من كل
عيب لا شية فيها اى لا لون آخر فيها سوى لونها من الوشي للتنوع
وهو الخلط بالالوان ومنه ثوب موشي واصلها وشية كوعدة قالوا
الآن اى هذا الوقت بني لتضمنه معنى الاشارة جئت بالحق اى اتيت
بالبيان التام الذى اردنا منك تحققه في البقرة فطلبوها فوجدوها
عند شاب من بني اسرائيل مات ابوه وورث منه عجلة في غيضة كانت

ترعى فيها ولم يعلم بذلك وكان بارا بامه يحتطب ويبيعه ويعطي امه
ثلث ثمنه ويتصدق بثلثه وياكل ثلثه ويقسم ليله اثلاثا ثلثا ينام فيه
وثلثا يقعد عند راس امه فقالت له يوما ان اباك استودع الله لك
عجلة في غيضة كذا فاذهب فات بها فبعها فذهب ووجدها فلزم بعنقها
واتى بها امه فقالت بعها بستة دنانير بمشورتي فذهب ليبيعها فجاءه
ملك في صورة آدمي فاعطاه ستة دنانير على ان لا يشاور امه فلم يفعل
واخبر امه بذلك فقالت انه ملك قل له هل ابيع البقرة ام لا فسأله فقال لا
الا بملء مسكها ذهبا فلما اتى بها الى السوق وجدها بنو اسرائيل على تلك
الصفة فاشتروها بملء مسكها دنانير فذبحوها وما كادوا اى ما قربوا
يفعلون الذبح لغلاء ثمنها وقيل لخوف فضيحة القاتل في قبيلتهم وقيل
ذبحوها بعد مكث وتوقف لعدم انقطاع خيط الاستكشاف عنهم ثم خاطب
بني اسرائيل بالقتل بقوله واذ قتلتم وان وجد من بعضهم لملابسة القتل
لهم وهذا اول القصة وانما لم يقدمه لفظا للاهتمام بشان ذبح البقرة للكشف
عن القاتل وبعد ذكره ذكر القتل بنسبته الى الجماعة ليكون ابلغ في توبيخهم
عليه لوجود القتل منهم اى اذكروا وقت قتلكم نفسا وهي نفس عاميل قتلا
محرما فادارأتم اى تدافعتم واختصمتم فيها اى في شانها من الدرء
وهو الدفع لان كل واحد كان يطرح قتلها على آخر منهم ويدفع عن نفسه

وَاللّٰهُ مُخْرِجٌ اى مظهر مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ اى الذى تسترونه من قتل عاميل
وَاُعْمِلَ مُخْرِجٌ وان كان بمعنى الماضى لانه حكى عن المستقبل فى وقت
التدارء وهذه الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه والفاء فى
قوله فَقُلْنَا للبيان اى قلنا لهم ليظهر ذلك اِضْرِبُوهُ اى المقتول بِبَعْضِهَا
اى ببعض تلك البقرة قيل بلسانها وقيل بعجب ذنبها وهو آخر الاعضاء
فسادا بعد الموت قيل هو عظم تخلق اولا عند البعث ثم يركب عليه ساير البدن
فضربوه فحيى فقام واوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان ابن عمه ثم مات فحرم
الميراث وقتل فان قيل هلا احياه ابتداء ولم شرط فى احيايه ذبح البقرة
وضربه ببعضها اجيب بان فى ذلك حكما وفوايد جمة منها التقرب بذبح البقرة
واداء التكليف واكتساب الثواب والتشديد عليهم بتشديدهم فى السؤال
ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر للوالدين والشفقة
على الاولاد وغير ذلك ثم اشار تعالى الى كيفية احيايه الموتى عند البعث
مخاطبا لمنكريه فى زمان النبى عليه السلام بقوله كَذٰلِكَ اى مثل احياء
الله تعالى المقتول يُحْيِي اللّٰهُ الْمَوْتٰى عند النفخة الثانية يوم القيمة وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ اى علاماته مثل احياء الميت وغيره من العجائب لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ
يعنى ارادة ان تعلموا ان القادر على احياء نفس واحدة قادر على احياء نفوس
كثيرة وتمنعوا نفوسكم عن هواها وتطيعوا الله فيما يامركم ثُمَّ قَسَتْ اى

وقيل بفخذها الايمن صح

غلظت ويبست قُلُوبُكُمْ بخروج الرحمة وذهاب اللين منها مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ
اى بعد ما تقدم من الآيات كاحياء القتيل ومسخ القردة والخنازير ورفع الجبل
وتفجر الانهار من الحجر وغير ذلك فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ فى شدتها وقسوتها اَوْ اَشَدُّ مِنْهُ قَسْوَةً
برفع اشد ونصب قسوة على التميز اى او هى اشد غلظة ويبسا من الحجارة لا تؤثر
للواعظ فيها وانما لم يقل او اقسى فان افعل التفضيل يخرج من فعل القسوة لان
ذلك ابين وادل على فرط القسوة وشدتها قيل وانما لم يشبهها بالحديد وان
كان اصلب لانها قابل للتليين واو للتخيير فى التشبيه وقيل بمعنى الواو وهو بمعنى
بل وَاِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ اى بعضها فى الجبل لَمَا يَتَفَجَّرُ اى يحجر ينفتح ويجرى مِنْهُ
الْاَنْهَارُ بالماء وَاِنَّ مِنْهَا اى من الحجارة لَمَا يَشَّقَّقُ اى لحجر يتصدع فَيَخْرُجُ مِنْهُ
الْمَاءُ اى العيون دون الانهار وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ اى لحجر ينزل من رأس الجبل الى اسفله
مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ اى من خوفه وقلوبكم لا تخشى ولا تلين يا طائفة اليهود قيل
هذا على وجه المثل يعنى لو كان له عقل لفعل ذلك وقيل يجوز ان يراد به
الجبل الذى صار دكا حين كلم الله موسى وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ بالياء
والتاء خطابا من القبايح فيجازيكم عليها ففيه تهديد عظيم لهم قوله اَفَتَطْمَعُونَ
خطاب النبى عليه السلام واصحابه والاستفهام فيه للتعجب من طلبهم
الايمان من اليهود المعاندين بتحريف كلام الله او بتغيير تاويل من بعد
فهمهم واستيقانهم كيلا يحزنوا على تكذيبهم القرآن والنبى عليه السلام اى

اتباالغون فی دعوتهم الی الاسلام فتطمعون ان یؤمنوا لکم ای یصدقکم
الیهود فی قولکم ویحدثوا الایمان وقد کان فریق منهم ای طایفة من الیهود
فی زمان موسی علیه السلام والواو للحال یسمعون کلام الله ای التوریة ثم
یحرفونه ای یغیرون ما فیه من الاحکام کنعت النبی علیه السلام وآیة الرجم
من بعد ما عقلوه ای فهموه واستیقنوه وما فیه مصدریة وهم یعلمون انهم
مفترون بالتحریف والواو فیه للحال یعنی انهم من اهل السوء الذی مضوا بالعناد
فلا تطمعوا الایمان منهم ثم اخبر عن حال المنافقین منهم عند ملاقاتهم
المؤمنین بقوله واذا لقوا ای استقبلوا الیهود المؤمنین باللسان الذین
آمنوا بقلوبهم قالوا آمنا کایمانکم واذا خلا ای مضی ورجع بعضهم
وهم الذین لم ینافقوا الی بعض وهم الذین نافقوا او هم رؤسائهم قالوا منکرین علیهم باللوم والعتاب
اتحدثونهم ای اتخبرونهم بما فتح الله ای بینه علیکم واعطاکم من العلم بنبوة محمد علیه السلام وصدقه
الذی فی کتابکم لیحاجوکم ای لیخاصمکم اصحاب محمد به ای بما فتح الله علیکم فی انه نبی ثابت فی
حجة لهم علیکم وقیل لما قال رسول الله علیه السلام لقریظة یا اخوة القردة والخنازیر
انزلوا من حصنکم قالوا بینهم من اخبر محمدا علیه السلام بهذا ما خرج الا منکم
ثم استفهم الله تعالی بقوله اولا یعلمون ان الله یعلم ما یسرون ای یخفون
من الکفر فی قلوبهم وما یعلنون ای یظهرون من الایمان فی السنتهم
او ما یسرون فیما بینهم من القول وما یعلنون مع اصحاب محمد علیه السلام قوله

لکم ثم فتثبت الحجة علیکم عند ربکم فی الدنیا والآخرة افلا تعقلون ان ذلک صح

ومنهم

32

ومنهم امیون مبتداء وخبر اخبار عن عوام الیهود الذین قلدوهم وتابعوهم
بالجهل فشارکوهم فی الوزر العظیم قیل یجب علی العالم ان یعمل بما علم وعلی
الجاهل ان یطلب العلم لیعمل ای ومن الیهود الذین هم اهل الکتاب امیون
ای لا یحسنون قراءة الکتاب جمع امی منسوب الی الام کانه باق علی اصل
خلقته لا یکتب ولا یقراء قوله لا یعلمون الکتاب بیان للامیین ای لا یقرؤن
الکتب ولا یعرفون معناها قوله الا امانی بتشدید الیاء ونصبها استثناء
منقطع لانها لیست من جنس الکتب جمع امنیة من التمنی ای لکن الشهوات
الباطلة ثابتة عندهم وهی المفتریات والمختلقات تحرصا من تغییر صفة محمد
علیه السلام وانهم لا یعذبون فی النار الا ایاما معدودات وان اباءهم
الانبیاء یشفعون لهم وان الله لا یؤاخذهم بخطایاهم ویرحمهم ولا حجة لهم فی صحة
ذلک وان هم ای ما هم الا یظنون ظنا من غیر تیقن بها فویل ای
عقوبة عظیمة رفع بالابتداء خبره ما بعده وقیل هو کلمة الدعاء علی النفس بالعذاب
وقیل اسم وادٍ فی جهنم لو سیرت الجبال فیه لذابت من حره وهو للذین
یکتبون الکتاب المحرف وهم رؤساء الیهود الذین محوا نعت النبی علیه السلام
وکتبوا غیره بایدیهم تاکید ثم یقولون لعوامهم هذا من عند الله
فی التوریة لیشتروا به ای بالمحرف ثمنا قلیلا ای عرضا یسیرا من حطام
الدنیا فویل لهم مما کتبت ایدیهم ای العقوبة العظیمة ثابتة لهم من اجل کتابتهم

اياه وويل لهم مما يكسبون اى من اخذهم الرشوة وعملهم المعاصى وقالوا
زعمًا منهم لن تمسنا اى لا يصل الينا النار الا اياما معدودة اى اربعين
يومًا وهى مدة ما عبد آباؤهم العجل ثم يزول عنا العذاب فاكذبهم الله تعالى
فقال قل يا محمد اتخذتم عند الله عهدا موثقا بانكم لا تعذبون او اقلتم
لا اله الا الله فنجوتم من العذاب قوله فلن جواب شرط محذوف اى ان اتخذتم
عند الله عهدًا فلن يخلف الله عهده الذى عهد اليكم يعنى ينجز وعده البتة وام
فى قوله ام تقولون معادلة بالهمزة بمعنى اى الامرين المتساويين واقع التحقق
العلم باحدهما يعنى اتخذتم ذلك العهد ام تزعمون على الله ما لا تعلمون *
حقيقة روى عن النبى عليه السلام انهم اذا امضت تلك المدة عليهم فى النار
يقول لهم خزنة جهنم يا اعداء الله ذهب الاجل وبقى الابد فايقنوا بالخلود
قوله بلى اثبات لما بعد المنفى ورد لقولهم لن تمسنا النار اى بلا تمسكم النار
وتخلدون فيها وبين ذلك بعده بالشرط والجزاء وهما من كسب سيئة
هى الشرك واحاطت به اى احدقته من كل جانب خطيئته وقرئ
خطاياه اى كبايره ويموت مصرا عليها من غير توبة فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون اى لا يخرجون منها ابدًا لا يموتون لئلا
يعذبوا ثم بشر المطيعين بالجنة فقال والذين آمنوا اى صدقوا بالله ومحمد
عليه السلام بقلوبهم وعملوا الصالحات اى ادوا الفرايض وانتهوا عن

المعاصى

المعاصى اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون اى دايمون لا يموتون
ولا يخرجون منها ابدًا ثم اخبر عن اخذ الميثاق منهم فى التورية ان يؤمنوا
بمحمد عند بعثه لدعوة الناس الى الاسلام وهم نقضوا الميثاق بقوله و
اذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل اى عهدهم فى التورية وقيل وقت اخراجهم
من صلب آدم لا يعبدون بالياء غيبة بالتاء خطابًا اى بان لا تعبدوا
الا الله او قلنا لهم لا تعبدوا فيكون خبرًا فى معنى النهى وهو ابلغ من
صريح النهى لقصد المسارعة الى الامتثال اى لا توحدوا الا الله وبالوالدين
اى واحسنوا بهما احسانًا اى برًا كثيرًا وذى القربى مصدر بمعنى القرابة
واحسنوا بصاحب القرابة بحسن الخلق وايصال النفع اليهم واليتامى
جمع يتيم وهو من لا اب له بحسن التربية وحفظ حقوقهم عن الضياع
والمساكين بحسن القبول وايصال الصدقة اليهم وقولوا للناس
حسنًا بضم الحاء وسكون السين وبفتحهما او قولا صدقا فى شان محمد وصفته
والينوا لهم القول بحسن المعاشرة وحسن الخلق ومروهم بالمعروف
وانهوهم عن المنكر واقيموا الصلوة اى ادوها فى مواقيتها وآتوا
الزكوة المفروضة عليكم فى اموالكم فقبلتم تلك بجميعها يا بنى اسرائيل
ثم توليتم اى اعرضتم عن ذلك العهد وعن الايمان بمحمد عليه السلام
الا قليلا منكم وهو عبد الله بن سلام واصحابه وانتم معرضون

اى وعادتكم الاعراض عن الايمان كاعراض آبائكم والواو ههنا ليست
للحال لاتحاد التولى والاعراض فالجملة اعتراض للتاكيد فى التوبيخ ثم
اخبر عن اخذ ميثاق آخر على بنى اسرائيل ونقضهم ذلك بعده فقال
وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ اى عهدكم واقراركم لَا تَسْفِكُونَ اى بان لا تريقوا دِمَاءَكُمْ
يعنى لا يريق بعضكم دم بعض وقيل اذا قتل رجل غيره فكانما قتل نفسه لانه
يقتص منه وَلَا تُخْرِجُونَ اَنْفُسَكُمْ اى لا يخرج بعضكم بعضا مِنْ دِيَارِكُمْ وفى
اقتران الاخراج من الديار بالقتل ايذان على انه بمنزلة القتل ثُمَّ اَقْرَرْتُمْ
اى اعترفتم بهذا العهد على انفسكم وَاَنْتُمْ تَشْهَدُونَ اى انتم اليوم يا معشر
اليهود شاهدون على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق او تشهدون ان هذا
فى التورية وبخهم الله تعالى على نقضهم ذلك بقوله ثُمَّ اَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ اى
يا هؤلاء والذين يَقْتُلُونَ اَنْفُسَكُمْ اى يقتل بعضكم بعضا او انتم هولاء مبتدأ
وخبر وتقتلون بيان لهذه الجملة وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ لانه كان
بين الاوس والخزرج وهى النضير معينة للخزرج فاذا غلبت احدهما
كانت تقتلهم وتخرجهم من ديارهم واذا اسر رجل من الفريقين من طائفة
اليهود جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم
فيقولون امرنا كذا فى التورية وانما نفعل القتل المحرم علينا لانا نستحى
ان نذل حلفائنا فقال تعالى توبيخا لهم تَظَاهَرُونَ بتخفيف الظاء مع

الالف والتشديد اى تتعاونون عَلَيْهِمْ بِالْاِثْمِ اى بالعصيان وَالْعُدْوَانِ
من غير قيد يقال اسرى تُفَادُوهُمْ وقرئ تفدوهم اى تبادلوهم للاسير بالاسير
او تاخذوهم بالفداء كما امرتم به وَهُوَ اى الشان مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ اِخْرَاجُهُمْ
من ديارهم وقيل الضمير يرجع الى الاخراج فى قوله وتخرجون فهو مبتداء خبره
محرم عليكم واخراجهم مرفوع على انه بدل من الضمير فى محرم بيانا للذى حرم وذلك
لتراخى الكلام يعنى اعرضتم عن الكل بعد اخذ العهد عليها منكم الا الفداء
اَفَتُؤْمِنُونَ اى انتقضون الميثاق فتؤمنون بِبَعْضِ الْكِتَابِ اى ببعض ما
فرض عليكم فى التورية من الفداء وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ وهو القتل والاخراج
وما فى قوله فَمَا جَزَاءُ نفى اى ليس جزاء مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ اى نقض الميثاق
مِنْكُمْ اِلَّا خِزْيٌ اى فضاحة وعذاب فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا فخزى قريظة القتل
والسبى وخزى النضير الاخراج من ديارهم والنفى الى الشام وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ
يُرَدُّونَ بالياء غيبة اى يرجعون اِلٰى اَشَدِّ الْعَذَابِ وهو عذاب النار
لان عذابهم فى الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ بالتاء
والياء اى لا يخفى عليه شيء من اعمالهم فيجازيهم بها يوم البعث اُولٰئِكَ
الَّذِينَ اشْتَرَوُا اى اختاروا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ اى بدلها فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ
الْعَذَابُ فى الآخرة بسبب اتباع الهوى وترك الهدى وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ
اى لا يمنعون من العذاب بمانع لهم وَلَقَدْ اٰتَيْنَا اى اعطينا يا بنى اسرائيل

اى الظلم وتجاوز الحد وان يأتوكم اسارى وقرئ اسرى جمع اسير بمعنى واصر وقيل اذا قيد واذا قال اسارى واذا حصروا فى اليد

موسى الكتاب اى التورية جملة واحدة وقفينا اى اتبعنا من بعده اى بعد موسى
بالرسل بالانبياء مثل يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وعزير
والياس وغيرهم يعنى ارسلنا بعد موسى رسولا على اثر رسول اليكم وآتينا
عيسى ابن مريم البينات اى العلامات الواضحات كاحياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص والانجيل وايدناه اى قويناه بروح القدس اى بجبرئيل
والقدس والقدوس هو الله قرء بضم الدال وسكونه ومعناه الطاهر
من كل عيب او روح القدس اسم الله الاعظم الذى يحيى به الموتى
قيل ما بين موسى وعيسى اربعة آلاف نبى وقيل سبعون الف نبى قوله افكلما
جاءكم وسط فيه همزة الاستفهام للتوبيخ لهم بين الفاء وما تعلقت به من المعطوف
عليه وهو آتينا قبله اى آتينا انبياءكم ما آتيناهم فكلما اتاكم رسول بما لا تهوى
اى لا تريد انفسكم ولا يوافق هواكم استكبرتم اى تعظمتم عن الايمان به
ففريقا كذبتم منهم كعيسى ومحمد عليهما السلام وفريقا تقتلون كزكريا
ويحيى وشعيا واراد بالاستقبال تعظيما لهذه الحالة حيث لم يقل قتلتم
بالمضى وقالوا قلوبنا غلف بسكون اللام جمع غلاف وهو الوعاء اى
قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره او جمع اغلف
كاحمر وهو ما فيه غشاوة اى لا نفهم حديثكم لان قلوبنا فى غطاء فاضرب
تعالى عن دعواهم واثبت ان قلوبهم قابلة للايمان لكونها سليمة

باصل

باصل الخلقة وهم يعاندون بالكفر فقال بل لعنهم الله اى طردهم
عن رحمته بكفرهم اى بجحدهم الحق فقليلا ما يؤمنون ما زائدة فيه وقليلا
نصب لكونه صفة مصدر محذوف اى ايمانا قليلا يؤمنون لان مؤمنى
اليهود قليلون بالنسبة الى مؤمنى المشركين ولما جاءهم كتاب من عند الله
اى القرآن مصدق لما معهم اى موافق للتورية فى التوحيد وبعض
الشرايع وكانوا من قبل اى قبل محمد عليه السلام يستفتحون اى
يستنصرون به على الذين كفروا اى على كفار مكة لانهم قد وجدوا فى التورية
نعت محمد وكانوا اذا قاتلوا من يليهم من مشركى العرب يقولون
اللهم انصرنا عليهم باسم نبيك محمد وبكتابك الذى تنزل عليه فنصروا
على عدوهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق وهو محمد عليه السلام كفروا به
حسدا وحرصا على الرياسة وغيروا صفته قال تعالى فلعنة الله اى
طرده وسخطه على الكافرين بمحمد وكتابه بئسما اشتروا اى بئس
شيئا باعوا به اى بسببه انفسهم بئس للذم نقيض نعم للمدح
وفيه ضمير مبهم فسره ما ومحله نصب بمعنى شيئا والمخصوص بالذم
قوله ان يكفروا بما انزل الله من القرآن بغيا مفعول له اى لاجل الظلم
والحسد على ان ينزل الله بالتخفيف والتشديد من فضله من الرسالة
والكتاب على من يشاء من عباده وهو محمد عليه السلام لانه تعالى

لا اعتراض لاحدٍ عليه في وضعه الرسالة والنبوة حيث شاء فباؤا اي رجعوا بغضبٍ اي مغضوبا عليهم على غضبٍ صفة للاول يعني استوجبوا اللعنة [على اثر اللعنة] متصلة لكفرهم بمحمد بتضييعهم التورية والانجيل وعبادتهم العجل ونسبتهم عيسى الى كونه ولد الزنا وللكافرين عذابٌ مهينٌ اي ولهم عذاب مخزٍ لهم يهانون فيه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله اي بالقرآن المنزل على محمد وهم يهود اهل المدينة قالوا نؤمن بما انزل الله علينا اي بالتورية و هم يكفرون بما وراءه اي بما سواه والواو للحال وعاملها قالوا نؤمن يعني قالوا في الجواب نصدق ما معنا من الكتاب جاحدين القرآن وهو الحق حال والعامل يكفرون مصدقا لما معهم حال مؤكدة وعاملها معنى الفعل في الحق وصاحبها ما فيه من الضمير الراجع الى القرآن وفيه رد لمقالتهم نؤمن بالتورية لان معناه احقه حقا حال لكونه موافقا لكتابهم فاذا كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها وقالوا انك لم تاتنا بمثل الذي اتانا به انبياؤنا من قبلك فامر الله تعالى ان يقول نبيه عليه السلام معترضا عليهم بالاستفهام عن قتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية التي لا تسوغ قتل الانبياء قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل اي قبل مجيء نبي بالرسالة اليكم يعني قتلهم آباؤكم ورضيتم بفعلهم وقد جاؤا بالبينات والحجج ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بالانبياء قيل فيه

دليل على ان من رضي بالمعصية فكانه فاعل لها وان من ادعى انه مؤمن بالله وكتابه ينبغي ان يكون افعاله مصدقة لقوله فيه ولقد جاءكم موسى بالبينات اي الحجج الواضحات ثم اتخذتم العجل الها للعبادة من بعده اي بعد ذهابه الى الجبل للمناجات وانتم ظالمون بما حدث منكم من عبادة العجل واذ اخذنا ميثاقكم اي العهد منكم ورفعنا فوقكم الطور اي الجبل وكرر رفع الطور للتاكيد وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم اي اعطيناكم من الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد وقلنا اسمعوا ما امرتم به في الكتاب واطيعوه قالوا يا محمد سمعنا قولك وعصينا امرك ولولا مخافة الجبل ما قبلنا في الظاهر واشربوا اي خولطوا ثم بين مكان الاشراب فقال في قلوبهم العجل اي حبه ادخل في صدورهم حب العجل للعبادة وفيه استهزاء بهم لانه ليس في التورية عبادة العجل ليامرهم بها ايمانهم بها ان كنتم مؤمنين بالتورية وفيه تشكيك في ايمانهم لانهم قالوا نؤمن بما انزل علينا ولن يدخل الجنة الا من كان هودا فادعوا ان الجنة لهم خاصة دون سائر الناس فقال الله تعالى لنبيه قل ان كانت لكم الدار الآخرة اي الجنة عند الله نصب خبر كان قوله خالصة نصب على الحال من الدار يعني ان صحت دعواكم ان الجنة خاصة سالمة لكم من دون الناس اي دون المؤمنين واللام للعهد او ليس لاحد فيها سواكم حق فاللام للجنس فتمنوا الموت اي احبوه واسئلوه من الله بالقلب واللسان

ان كنتم صادقين اى فى قولكم ان الجنة لكم خاصة روى ان النبى عليه السلام قال لهم
عند ذلك قولوا اللهم امتنا فوالذى نفسى بيده لايقوله رجل منكم الا غص بريقه اى
يموت فى مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى فابوا عن قول ذلك فنزل ولن يتمنوه
اى الموت ابدا اى فى جميع الزمان المستقبل وهو من المعجزات لانه اخبار
بالغيب وكان كما اخبره اذ لو تمنوا لنقل ذلك الينا اذ ليس التمنى من اعمال القلب
بل هو قول باللسان ليت لى كذا وليت كلمة التمنى ومحال ان يقع التحدى بما
فى الضمير والقلب وفيه دليل على ان لن ليس للتابيد لانهم يتمنوا الموت فى الآخرة ولا
يتمنوه فى الدنيا بما قدمت ايديهم اى بسبب عملهم المعاصى وكذبهم فى دعواهم
واسند الفعل الى الايدى لان الاعمال يكون بها غالبا والله عليم بالظالمين فيجازيهم
وفيه تهديد شديد لهم لان علمه بهم كعلمه بغيرهم ثم اخبر تعالى نبيه عن حال اليهود
بقوله توبيخا لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة اى على حيوة متطاولة فالتنوين
للنوع من وجد بمعنى علم المتعدى الى مفعولين وهما هم واحرص وهو افعل
التفضيل الذى اذا اضيف الى متعدد وهو منه لم يحتج الى ذكر من للتفضيل كقولك
زيد افضل الناس لان المراد تفضيل الشئ على جنسه ولا يضاف الى ما هو غير داخل
فيه فلا يقال زيد افضل اخوته لانه خارج عنهم والا لزم تفضيل الشئ على نفسه بل
يقال زيد افضل الاخوة وعليه قوله تعالى احرص الناس لان اليهود من الناس
ثم زاد فى توبيخهم بقوله ومن الذين اشركوا ولتجدن اليهود احرص من المشركين

وانما اظهر فيه من لان اليهود ليس بعض المشركين لان المراد منهم المجوس لان
حرصهم شديد لعدم ايمانهم بالبعث لاشراكهم او عطف على معنى احرص الناس اى
احرص من الناس قيل يجوز ان يكون التقدير واحرص من الذين اشركوا
حذف الثانى لدلالة الاول عليه وانما كان هولاء احرص من الذين اشركوا
على الحيوة لانهم عالمون بانهم يعذبون بالنار لامحالة والمشركون لايعلمون
بل لايعرفون الا الحيوة الدنيا لانها جنتهم ولذلك افرد بالذكر مع كونهم
داخلين فى الناس لشدة حرصهم عليها فكانهم ليسوا بعضهم وقيل ومن الذين اشركوا
كلام مستانف اى ومنهم ناس يود اى يتمنى احدهم لو يعمر اى ان يطول عمره
الف سنة قيل المجوس يقولون فيما بينهم عند العطاس وغيره عش الف سنة
واليهود احرص منهم على الحيوة والتعمير وما هو اى ليس احدهم بمزحزحه اى
بمبعده ومنجيه من العذاب ان يعمر اى تعميره رفع فاعل بمزحزحه او بدل من
هو وهو عايد للتعمير يعنى ما احد ينجيه طول عمره من النار ولو عاش الف سنة كما
تمنى والله بصير اى عالم حقيقة بما يعملون بالياء غيبة فيجازيهم باعمالهم
قوله قل من كان عدوا لجبريل قرى بفتح الجيم وكسر الراء بلا همزة وبفتحهما
وكسر الهمزة بلا ياء وبفتحهما وكسر الهمزة مع الياء وبكسرهما بلا همزة مع الياء لا نصرف
للعجمة والتعريف نزل حين قال عمر بن الخطاب لابن صوريا من اليهود ما لكم لا
تؤمنون بمحمد والقران قال من يأتيه قال عمر جبريل قال هو عدونا ولو كان غيره

كميكائيل لامنا به لان جبرئيل ملك العذاب وميكائيل ملك الرحمة فامر تعالى
نبيه بقوله قل لليهود من كان عدوا لجبريل فليمت غيظا او فلا وجه لمعاداته وعلل
بقوله فانه نزله اى نزل جبرئيل القران على قلبك لتحفظه وتفهمه ويثبت به
فؤادك باذن الله اى بتيسيره وتسهيله مصدقا لما بين يديه من التورية اى
حالكونه موافقا له وهدى وبشرى اى وهاديا الى دين الحق ومبشرا بالجنة
للمؤمنين فكيف اخذوه عدوا فلا وجه لمعاداته فلو انصفوا لاحبوه لان ما انزله
عليك موافق لما معهم من الكتاب قيل حق الكلام ان يقال على قلبى ولكنه جاء
على حكاية كلام الله كما تكلم به يعنى قل كما تكلمت به من قولى انه نزل على قلبك ثم عمم الشرط
والجزاء ردا عليهم بقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال
قيل معناهما عبد الله وعبد الرحمن وافردا بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر
قرء ميكائيل بهمزة بعد الالف بلا ياء ومع الياء وجواب الشرط فان الله عدو
للكافرين اى لهم فوضع الظاهر موضع المضمر ليدل على ان الله انما عاداهم
لكفرهم ومن عاداه الله عاقبه اشد العقاب ولما سمع الآية ابن صوريا قال ما
جئتنا بشئ يا محمد فنزل قوله ولقد انزلنا اليك يا محمد آيات بينات اى واضحات
تبين الحلال والحرام وما يكفر بها اى وما يجحد بالآيات الا الفاسقون* اى
الخارجون عن طاعة الله من اليهود ومشركى العرب وكلما اى اكفروا
بالبينات وكلما عاهدوا اى احدثوا العهد فيما بينهم عهدا مصدر من غير لفظ الفعل

لئن

38

لئن خرج محمد ليؤمنن به فلما خرج كفروا والمراد من العهد ما بينهم وبين محمد ان لا
يعاونوا المشركين عليه فنقضوا العهد كقريظى والنضير وجواب كلما نبذه اى
القاه وتركه فريق اى طائفة منهم اى بعضهم لم ينقض العهد بل اكثرهم
لا يؤمنون اى بالتورية ولا يبالون بنقض العهد ذنبا ولما جاءهم رسول اى
محمد من عند الله اى بامره لدعوتهم الى الايمان به مصدق لما معهم اى داع
لهم الى ما يوافق كتابهم نبذ اى رمى فريق من الذين اوتوا اى اعطوا الكتاب
ومفعول نبذ كتاب الله اى التورية لانهم لما كفروا بالرسول المصدق لما
معهم فقد نبذوا التورية التى فيها ان محمدا رسول الله وقد علموا انها من الله
فرموا بالعناد كتاب الله وراء ظهورهم لم يعملوا به بعد علمهم بما فيه كما رمى
الشئ وراء الظهور استغناء عنه ولقلة الالتفات اليه كانهم لا يعلمون
بما فيه من المعانى والمقاصد واتبعوا اى اليهود ما تتلوا اى الذى تلته يعنى
قرأته وعملت به الشياطين على ملك سليمان اى فى زمان ملكه او فى زمان
ذهاب ملكه فعلى بمعنى فيه قيل ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ويضمون
اليه كذبا كثيرا ويلقونه الى الكهنة وهم يعلمونه الناس ودونوه فى كتب يقرؤنها
فانتشر ذلك فى زمان سليمان حتى قال الناس ان الشياطين تعلم الغيب
وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس
والجن والريح التى تجرى بامره فجمع سليمان الكتب ودفنها تحت كرسيه فاستخرجت

بعد موته وذلك ان الشيطان جاء على صورة آدمي وقال ان اردتم علم سليمان
فاحفروا هذا الموضع فحفروا واخرجوا منه كتبا كثيرة فوجدوا فيها السحر والكفر وقال العلماء
بالله لا يجوز ان يكون هذا من علم سليمان وقال السفهاء من اليهود هذا علم سليمان فاتبعوه
فبرأ الله سليمان على لسان رسوله محمد باعادة اسمه لتعظيمه بقوله وما كفر سليمان
بالسحر وعلمه وعمله يعني لم يكن ساحرا لان الساحر كافر ولكن الشياطين كفروا
باستعمال السحر وتعليمه وكتبه قرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين بالابتداء
وبتشديده ونصب الشياطين قوله يعلمون الناس السحر نصب على الحال من
ضمير كفروا قيل للسحر وجود حقيقة عند اهل السنة ومن عمل به كفر ومن تعلمه لاجتنابه
لا يكفر وللعمل به يكفر واوجب الشافعي القصاص على من قتل بالسحر قوله وما انزل
عطف على السحر اي ويعلمون الناس الذي انزل على الملكين وهما ببابل اسم
موضع فيه بئر وهما معلقان بالسلسلة فيها او بشعورهما قوله هاروت وماروت
عطف بيان او بدل من الملكين لم ينصرفا للعجمة والتعريف والذي انزل عليهما
علم السحر ابتلاء من الله للناس ومنه النارنجات وكتبوه في كتاب فيذهب
اليهود ويتعلم السحر من ذلك الكتاب وما يعلمان اي لا يعلم الملكان السحر
من احد اي رجلا حتى يقولا له نصحا انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله
فلا تكفر اي لا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر يقولان ذلك له سبع مرات
فان لم يمتنع من التعلم علماه فيتعلمون اي الناس منهما من الملكين

ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين
الزوجين حيلة كالنفث في العقد وغيره مما يحدث الله به البغض والنشوز
بينهما ابتلاء منه لان السحر له اثر كالعين والطيرة باذن الله وقيل لا اثر
في نفسه بل لما كان ظهور القضاء بعد السحر ونحوه اضيف ذلك اليه وهو قول
المعتزلة وهذا مخالف لقوله عليه السلام السحر حق والعين حق ولذلك قيل
يؤخذ الرجل عن المرأة بالسحر حتى لا يقدر على الجماع وما هم اي ليس الساحرون
بضارين به اي بالسحر من احد اي احدا الا باذن الله اي بارادته فالساحر
يسحر والله يكون قيل من شاء الله منعه فلم يضره السحر ومن شاء الله
خلى بينه وبينه فضره باذنه قوله ويتعلمون ما يضرهم اي الذي يضرهم في الدنيا
ولا ينفعهم في الآخرة وهو السحر فيه تنبيه على اجتناب كل علم يجر صاحبه الى
الغواية كعلم الفلسفة روي في قصة الملكين ان الملائكة عيرت بني آدم
لما رأت من ذنوبهم تصعد الى السماء كالشرك وعبادة غير الله وسفك
الدماء وغير ذلك من المعاصي الكثيرة وقالوا ربنا خلقت هؤلاء من
التراب واحسنت خلقهم ورزقهم فعبدوا غيرك وعصوك فقال لهم الله انهم في عذر
وعنت لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي لنا
ان نعصيك قال فاختاروا منكم اثنين لاركب ذلك فيهما فاهبطهما
الى الارض فامرهما ونهاهما فاختاروا هاروت وماروت وكانا من خيارهم واهبطا

الى الارض ليحكما بين الخلق بامرهما نهارا ثم يصعدا الى السماء ليلا ليعبدا
ربهما فيهما الى الصبح ثم نزلا الى الارض فكانا يحكمان فيها بالحق وقد نهيا
عن الشرك والقتل بغير حق والزنا وشرب الخمر فجاءت امرأة اسمها زهرة
من اجمل النساء تجادل زوجها اليهما فخضعا لها بالقول وراوداها على نفسها
فقالت لا حتى تقضيا لي على زوجي ففعلا ثم سئلاها نفسها فقالت لا حتى تشربا
الخمر معي فشربا معها ثم سئلاها نفسها فقالت لا حتى تقتلا زوجي فقتلاه
ثم سئلاها نفسها فقالت لا الآن تصليا معي لصنمي هذا ففعلا فكشف
الحجاب بينهما وبين الملائكة فنظروا اليهما والى عملهما فجعلوا يستغفرون لمن في
الارض ويعذرون اهلها فلما علما ما حل لهما في المحنة قصدا ادريس عليه السلام
فاستشفع لهما فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا والآخرة فقالا عذاب
الدنيا ينقطع وعذاب الآخرة لا انقطاع له فاختارا عذاب الدنيا
فيعذبان فيها قيل انهما منكوسان يضربان بسياط الحديد الى يوم القيمة
والزهرة قد صارت الى النار كسائر الاشياء الممسوخة التي لم تبق لها اثر
وقيل صعدت الى السماء باسم الله الاعظم الذي تعلمت منهما فمسخت
كوكبا روى ان عمر رضي الله عنه كان اذا نظر الى الزهرة في السماء
لعنها وقال انها فتنت الملكين في الارض قوله ولقد علموا تاكيدا لعدم
النفع لهم في الآخرة واللام فيه لتوكيد القسم وفي لمن اشتراه لتوطئة

القسم

القسم ومن مبتداء اي والله لقد علم اليهود في التورية لمن اشترى السحر واختاره
ما له اي ليس له في الآخرة اي الجنة من خلاق هي من نصيب وهو جواب القسم
وخبر المبتداء ولبئس ما شروا ولبئس ما باعوا به هو اي السحر انفسهم لانه اوجب
لهم نارا وهذا جواب قسم محذوف تقديره والله لبئس ما شروا به انفسهم واختاروه
على كتاب الله وسنت انبيائه لو كانوا يعلمون ذلك اي يعلمون بعلمهم وجواب
لو محذوف يعني لو انتفعوا بعلمهم لانتفعوا من اختيار السحر فجعلوا لعدم العمل
بالعلم كانهم لا يعلمون ولو ثبت انهم اي اليهود آمنوا بالقران ومحمد عليه السلام
واتقوا السحر واليهودية وجواب لو قوله لمثوبة وهي مبتداء اي لثواب
كاين لهم على الدوام من عند الله صفته والخبر خير لو كانوا يعلمون ان ثواب
الله خير لهم مما هم فيه ولقد علموا لكن جهلهم الله لعدم انتفاعهم بعلمهم ولم يقل
لمثوبة الله بالاضافة لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم فالتنوين يدل على
التقليل قوله يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا لرسول الله راعنا نزل نهيا للمؤمنين
عن القول به اذا كانت هذه الكلمة عند اليهود كلمة سب بلغتهم بمعنى الحمق والرعونة
فلما سمعوا ذلك سروا بها وقالوا كنا نسب محمدا سرا فاظهروا الآن وكانوا
يقولونها للنبي ويضحكون فامر الله المؤمنين بان يقولوا لفظ احسن اي
لا تقولوا راعنا اي احفظنا يعني فرغ سمعك لاستماع كلامنا وقولوا
انظرنا اي انظر الينا برعايتك واسمعوا ما يؤمرون به سماع قبول وطاعة

ثم ذكر الوعيد لمن خالف امره وجحد بقوله وللكافرين بما امر الله تعالى عذاب اليم
اى وجيع دايم قوله ما يود نزل حين كان المؤمنون يقولون ليهود آمنوا بالقران ومحمد
عليه السلام فيقول اليهود ليس ما تدعوننا اليه خيرا مما نحن فيه من التورية ولوددا
نا كونه خيرا منه فقال الله تكذيبا لهم ما يحب الذين كفروا من اهل الكتاب كاليهود
والنصارى والمشركين كابي سفيان وامثاله من اهل الشرك ان ينزل عليكم
اى على رسولكم من الوحي من خير اى خير زيادة من في سياق النفي من ربكم من فيه
لابتداء غاية الانزال ومحل ان ينزل الجملة نصب مفعول ما يود والله يختص ويختار
برحمته اى بوحيه ونبوته من يشاء اى من كان اهلا لذلك لان مشيته
باقتضاء الحكمة والله ذو الفضل اى صاحب العطاء العظيم اى لمن اختصه
بالوحي والرسالة ودين الاسلام ما ننسخ من آية نزل حين طعن اليهود في
النسخ فقالوا الا ترون ان محمدا يقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فلا يقول الا من
تلقاء نفسه فلو كان حقا لم يرجع فاخبر الله تعالى عن حكمة النسخ وقال ما ننسخ
مجزوم بما الشرطية اى اى شىء ننزل من آية بيان لما قرئ بفتح نون التكلم
والسين من نسخ والنسخ ازالة الشىء بشىء يعقبه كنسخ الشمس الظل وبضم
النون وكسر السين من انسخ والانساخ هو الامر بنسخ شىء للغير كامره تعالى
جبرئيل ان يجعل الآية منسوخة بالاعلام بنسخها مع اتيان بدلها قوله او ننسها
بالجزم عطف على ننسخ قرئ بضم نون التكلم وكسر السين بلا همزة من النسيان

ضد الذكر بمعنى او ننسها وبفتح النون والسين بالهمزة من النسيان بمعنى التأخير
وهو ان يذهب بحفظها عن القلوب اى او نؤخرها فلا نبدلها ببدل بان
نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كاية الرجم يعنى تبقى حكمها ويذهب تلاوتها او نؤخرها
بان نتركها في اللوح المحفوظ فلا ننزل لحكمة نعلمها والمعنى ان كل آية نذهب بها
ونبقي حكمها او نذهب بمعناها ونبقي لفظها او نذهب بهما معا فلا يعمل بها
نأت بخير منها اى نجئ بآية هي انفع للعباد يسرا والعمل بها اكثر ثوابا او مثلها
اى او نأت بآية مثلها في المنفعة ابتلاء لهم من جهة الاعتقاد كابتلاء بني اسرائيل
بالنهر قوله الم تعلم استفهام تقريره انه قادر على جميع ما يشاء اى قد علمت ان الله
على كل شىء من النسخ وغيره قدير يعنى يقدر على الاتيان بالخير ومثله
لا يعجز بشىء اذا يشاء ذلك وكرر الاستفهام التقريري تاكيدا بقوله الم تعلم
يا محمد ان الله له ملك السموات والارض اى هو يملكهما وما فيهما فهو اعلم بما يصلح
لعباده وما يفسد لهم من نسخ الآية واتيان غيرها او مثلها على حسب
مصالحهم فيجوز ان يامر بامر ثم يامر بغيره كما ان شريعة موسى لم تكن قبلهم
فامره بذلك لاختلاف الازمنة صلاحا وفسادا في حكم الشرع كاختلاف
الصيف والشتاء في حكم الطب ثم هدد من لم يؤمن بالناسخ والمنسوخ
بقوله وما لكم من دون الله اى من قرب عذابه يا يهود من ولي اى قريب
ومن زايدة ولا نصير اى مانع يمنعكم من عذابه قوله ام تريدون ان نزل حين

قالت اليهود يا محمد ان كنت نبيا فاكشف عنا الغطاء حتى نرى الله جهرة
او قالوا ائتنا بكتاب من السماء كما اتى موسى التورية او قالوا وسع لنا
ارض مكة واجعل الصفا ذهبا حتى نؤمن لك فقال الله تعالى اتريدون
والميم صلة اى تطلبون ان تسئلوا رسولكم اى محمدا كما سئل موسى اى سئل ما
سئله بنوا اسرائيل من قبل اى قبل محمد حيث قالوا ارنا الله جهرة وغيره ذلك
من الاشياء التى كانت عاقبتها وبالا عليهم فلا تسئلوه بل ثقوا بالله
فيما هو اصلح لكم وينزله عليكم مما يتعبدكم به ثم قال ومن يتبدل الكفر اى يستبدله
بالايمان بسبب السؤال وترك الثقة بالله فيما نزل على محمد بعد قيام البرهان
فقد ضل اى اخطاء وغوى سواء السبيل اى وسط طريق الهدى
قوله ود كثير نزل حين قالوا لاصحاب الرسول عليه السلام بعد وقعة احد لو
كنتم على الحق لما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم فقالوا رضينا بالله ربا و
بالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا
ثم اتوا الى رسول الله واخبروا بذلك فقال عليه السلام اصبتم خيرا وافلحتم
فاخبر الله تعالى بانه يحب ويتمنى من اهل الكتاب لو يردونكم اى ان يصرفوكم
عن التوحيد من بعد ايمانكم كفارا نصب على الحال من مفعول يردونكم ولم يكن
ما قالوا لكم على وجه النصح بل قالوه حسدا اى للحسد او نصب مصدر فعل
محذوف اى يحسدونكم حسدا منبعثا من عند انفسهم اى من اصل انفسهم او

42

ودوا ذلك من شهواتهم وتمنيهم لا من قبل الحق وامره من بعد ما تبين لهم
فى التورية الحق وهو دين محمد عليه السلام صدق فاعفوا اى اتركوهم من
الانتقام واصفحوا اى تجاوزوا عنهم بالاعراض عن مساوى اخلاقهم
حتى ياتى الله بامره بالقتال وكان ذلك قبل ان يومروا بالقتال بقوله قاتلوا الذين
لا يؤمنون ان الله على كل شئ قدير من النصرة للمؤمنين على الكفار والانتقام
منهم وهو قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير واقيموا الصلوة اى ادوها فى مواقيتها بتمام
اركانها مع الخشوع واتوا الزكوة اى اعطوا الزكوة المفروضة عليكم وما تقدموا
مجزوم بالشرطية اى اى شئ تعملوه لانفسكم من خير اى حسنة كصلوة وصدقة
او غيرهما من اعمال البر جوابه تجدوه مجزوم بحذف النون اى تجدوا ثوابه
عند الله اى محفوظا عنده فى الآخرة كاللقمة والتمرة مثل احد قيل مكتوب
فى بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم ضع كنزك عندى لا سرق ولا حرق ولا
فساد تجده حين تكون احوج اليه ان الله بما تعملون بصير اى عالم به فيجازيكم بالخير
خيرا وبالشر شرا يعنى لا يضيع عنده عمل عامل وفيه تهديد وتبشير قوله وقالوا
اى قال اهل الكتاب من اليهود والنصارى نزل حين قالت اليهود
والنصارى لا دين الا النصرانية خلف بين القولين للعلم بان السامع
يرد الى كل فريق قوله اى قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا
جمع هائد ولم يقل كانوا نظرا الى لفظ من قوله او نصارى او فيه لتفصيل

ما اجمل من الضمير فی قالوا للیهود والنصاری لا لاحد الشیئین ای قالت النصاری
لن یدخل الجنة الا من کان نصاری ثم اشار بقوله تلک ای الامانی التی ذکرت لهم
وهی ان لا ینزل علی المؤمنین خیر من ربهم وان یردهم کفارا وان لا یدخل
الجنة غیرهم ای تلک الامانی الباطلة امانیهم جمع امنیة افعولة من التمنی ای
شهواتهم الفاسدة لا حقیقة لها قل یا محمد هاتوا ای هلموا واتوا برهانکم ای حجتکم
علی دخولکم الجنة ان کنتم صادقین فی الذی تدعونه فقوله تلک امانیهم اعتراض بین
قولهم وجوابه ثم قال بلی لاثبات ما نفوه من دخول غیرهم الجنة ای بلی یدخل الجنة غیرکم
بشرط الاسلام وبینه بقوله من اسلم مبتداء متضمن لمعنی الشرط ای من اخلص
وجهه ای نفسه لله ای لا یشرک به غیره وهو محسن ای فی عمله او مؤمن بمحمد علیه السلام
وغیره من الانبیا فله اجره خبر مبتداء ای له ثوابه عند ربه ای فی الجنة ولا خوف
علیهم من العذاب حین یخاف اهل النار ولا هم یحزنون فی الآخرة او ما خلفوا من
امر الدنیا وقالت الیهود نزل حین تنازع یهود المدینة ونصاری نجران
عند الرسول علیه السلام فقال کل فریق منهما للآخر ما انتم علی شئ من الدین
یعنی قالت طایفة الیهود لیست النصاری علی شئ من امر الدین وکفروا بعیسی
والانجیل ای شئ یعتد به وفیه مبالغة عظیمة لان نفی اطلاق اسم الشئ علیه
توجب ترک الاعتداد به بالکلیة لانعدامه وقالت النصاری لیست الیهود
علی شئ من امر الدین وکفروا بموسی والتوریة وهم ای والحال انهم یتلون الکتاب

ای یقرؤنه یعنی انهم من اهل العلم وتلاوة الکتب المنزلة فحق من امن بواحد
منها ان یؤمن بکل واحد منها ولا یکفر لان کل واحد مصدق للآخر فلو نظروا
فیه حق النظر لارتفع الخلاف من بینهم فدل ذلک علی جهلهم وضلالتهم کذلک
ای مثل ما سمعت یا محمد من هؤلاء العلماء الضالة قال الذین لا یعلمون قال
الجهلة الذین لا علم لهم ولا کتاب کعبدة الاصنام وغیرهم فی شانک مثل قولهم
لان عوام الیهود ومشرک العرب قالوا ان محمدا واصحابه لیسوا علی شئ من امر
الدین فالله یحکم ای یقضی بینهم ای بین الیهود والنصاری یوم القیمة فیما
کانوا فیه یختلفون من امر الدین وحکم الله بینهم لن یکذبهم ویدخلهم النار
ویریهم من یدخل الجنة عیانا قوله ومن اظلم حین منع المشرکون رسول الله
علیه السلام ان یدخل المسجد الحرام عام الحدیبیة وقیل نزل لاجل اسفیانوس
الرومی حیث خرب المقدس والقی فیه الجیفة وبقی خرابا الی زمان عمر رضی
الله عنه ای ومن هو مفرط فی الظلم ممن منع مساجد الله وانما جمع مع ان
المنع وقع علی مسجد واحد وهو المسجد الحرام او بیت المقدس فیکون الحکم عاما
وان کان السبب خاصا قوله ان یذکر فی محل النصب مفعول ثان لمنع
ای منعها ان یذکر فیها ای فی المساجد اسمه ای اسم الله بان یسبح ویصلی
له فیها ویجوز تقدیر من قبل ان ای من ان یذکر وسعی ای عمل فی خرابها بمنع
المسبحین والمصلین او بهدمها وان ارید المسجد الحرام فتخریبه بمنع

الحاج والمعتمرين والمصلين فيه اولئك اى المانعون عن الدخول فيها وهم
النصارى والمشركون ما كان لهم اى ماينبغى لهولاء ان يدخلوها الا خائفين
من القتل نصب حال من ضمير يدخلوها والغرض عدم دخولهم الا حال خوفهم
ومعناه اذا دخلوها كانوا خائفين اى على الخوف الشديد من المؤمنين ولم يدخل
بيت المقدس بعد عمارته رومى الا خائفا لو علم به قتل او المراد من المسجد الحرام
مكة لان رسول الله عليه السلام لما فتحها نادى منادية الا لا يطوف بالبيت عريان
ولا يحجن بعد العام مشرك فالشافعى لا يجوز دخول الكافر من المسجد الحرام
ويجيزه فى غيره ومنعه مالك مطلقا وجوزه ابو حنيفة بالاذن لهم فى الدنيا خزى
اى قتل للحربى وجزية للذمى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم اى عذاب دائم لمن مات
على الكفر قوله ولله المشرق والمغرب اى بلادهما يعنى الارض كلها لله تعالى
وهو مالكها حقيقة فاينما تولوا اى تستقبلوا وتصرفوا وجوهكم فثم وجه الله اى
جهته التى امر بها ان تصلوا ورضيها قبلة نزل حين منع المسلمون الصلوة فى
المسجد الحرام او فى البيت المقدس يعنى جعلت لكم الارض مسجدا فصلوها
فى اى بقعة شئتم من بقاعها اذا وليتم وجوهكم شطر القبلة المرضية لامكان
التولية فى كل مكان لا يختص امكانها فى مسجد دون مسجد ولا فى مكان دون
مكان او نزل حين خرج قوم من اصحاب الرسول فى سفر فاصابهم الضباب
فبعضهم صلى الى المشرق فبعضهم صلى الى المغرب فلما ذهب الضباب تبين

لهم ذلك

لهم ذلك فجاؤا الى رسول الله عليه السلام فسألوه فبين لهم اينما توجهتم بنية القلب
فثم قبلة الله ان الله واسع اى واسع المغفرة عليم بنياتكم الخالصة فى صلوتكم
حيثما صليتم قوله وقالوا اتخذ الله ولدا نزل حين قال اليهود عزير ابن الله والنصارى
المسيح ابن الله والمشرك العرب الملائكة بنات الله وهو معطوف بالواو على
وقالوا لن يدخل الجنة وقرئ بغير واو على الاستيناف اى قال الكافر ذلك
القول سبحانه اى تنزيها له وتبعيدا عما يقول الظالمون وكيف يوجد له ولد
ولا مجانسة بينه وبين احد بل له ما فى السموات والارض اى هو خالقه ومالكه
ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل اى كل شئ فيهما له اى لله قانتون
اى منقادون مطيعون مقرون بربوبيته منكرون لما اضافوا اليه واورد
بجمع اولى العقل بعد ذكر ما تغليبا للعقلاء غيرهم بديع السموات والارض
اى هو مبدعهما ومنشئهما على غير مثال سبق واذا قضى اى حكم امرا من
الامور واراد كونه فانما يقول له كن اى احدث فيكون فيحدث رفعا على
الاستيناف ونصبا فى جواب الامر باضمار ان اى ان يحدث ويكون
من غير امتناع بسرعة كالمامور المطاع بلا توقف فليس المراد من
القول له يكن الخطاب بالامر حقيقة بل هو خبر عن الحكم بوجود ما يريده
فانما هو يقول له يكون فهو يكون لان الخطاب يكون للموجود لا
على المعدوم وقيل يجوز ان يكون الخطاب للموجود فى علم الله لان الاشياء

كلها موجودة فى علم الله بوجه لا نعلمه روى ان الآية نزلت حين قال النصارى
للنبى عليه السلام هل رايت خلقا من غراب جوابا لهم قوله وقال الذين لا يعلمون
اخبار عما قالوا استهزاء اى قال الجهال من الناس من اهل الكتاب
الذين لم يعملوا بعلمهم او المشركين لولا يكلمنا الله اى هلا يكلمنا كما يكلم
الملائكة وموسى فيخبر لنا انك رسول الله او تاتينا اى او هلا تجيئنا
منه آية اى علامة دالة على نبوتك فقال الله كذلك اى مثل ذلك القول
قال الذين من قبلهم من اليهود بموسى عليه السلام ارنا الله جهرة مثل قولهم
اى قول هؤلاء الجهلة تشابهت قلوبهم اى قلوب هؤلاء قلوب من تقدمهم فى
القسوة والعمى قد بينا الآيات اى اوضحنا واظهرنا العلامات وهى المعجزات
لنبوتك لقوم يوقنون اى يتيقنون وينصفون انها آيات يجب الاعتراف
والايمان بها ثم شرع فى تسلية رسول الله عليه السلام بقول انا ارسلناك
بالحق اى بالقران وشرايع الاسلام بشيرا اى مبشرا بالجنة لاوليائى
بالايمان بك ونذيرا مخوفا لاعدائى بترك الايمان بك يعنى لم نرسلك
عبثا وما عليك الا البلاغ فلا تغتم لاصرارهم على الكفر ولا تسئل معلوما
بالجزم نهيا من الله للنبى عليه السلام عن السؤال عن اصحاب الجحيم تهويلا
لعذابهم كما يقال لا تسئل عن فلان اذا كان فى هلكة وقرئ مجهولا
بضم التاء واللام اى انك بلغت الرسالة فلا تسئل عما فعلوا من الاصرار

على الكف

على الكفر والمعاصى قوله ولن ترضى نزل حين طلبت يهود المدينة ونصارى نجران
الصلح وكانوا يرونه انهم يدخلون فى دين الاسلام فاقنطه من طمعه فى اسلامهم
بقوله ولن ترضى ابدا عنك اليهود ولا النصارى ولو جهدت فى طلب رضاهم
حتى تتبع ملتهم اى حتى تدخل فى دينهم وتصلى قبلتهم ثم بلغ فى الاقناط
بان امره ان يقول فى جوابهم بقوله قل ان هدى الله الذى هو دين الحق وطريق
الاسلام هو الهدى الذى ليس وراءه هدى ولئن اتبعت اهواءهم اى
دينهم الباطل بعد الذى جاءك من العلم اى بعد ما ظهر لك حقيقة الاسلام
وما فيه من الاحكام ما لك من الله اى ليس لك من عذابه من ولى اى قريب
ينفعك ولا نصير اى مانع قوى يمنعك قوله الذين آتيناهم الكتاب مبتداء
نزل من مؤمنى اهل الكتاب وهم اثنان وثلثون رجلا قدموا مع جعفر بن
ابى طالب من ارض الحبشة وكانوا يقرؤن كتابهم ولا يحرفونه اى يقرؤن
القران ويتبعونه حق اتباعه وقيل نزل فى ابن سلام واصحابه وقيل عام
فى اهل الاسلام اى الذى اعطيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اى يقرؤنه
حق قراءته كما انزل الله تعالى على نبيه ولا يغيرون ما فيه والجملة نصب
على الحال من هم المفعول وخبر المبتداء اولئك يؤمنون اى يصدقون
به اى بالقرآن او بمحمد عليه السلام ومن يكفر به اى بالقران ويغيره او بمحمد
ولم يتبعه فاولئك هم الخاسرون لاشترائهم الضلالة بالهدى ثم خاطب

اليهود ولتاكيد النصح لهم وقطع الحجة عليهم بقوله يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم اي احفظوا منتي عليكم في التيه من المن والسلوى واشكروا
لي ولا تكفرون واني فضلتكم على العالمين اي ميزتكم عليهم بتفضيل آبائكم
بتلك النعمة ولم يكن لغيرهم من العالمين واتقوا يوما اي اخشوا عذاب يوم
لا تجزي نفس عن نفس شيئا من الحقوق التي لزمتها ولا يقبل منها عدل اي من
النفس الاولى فداء ولا ينفعها شفاعة ان شفعت للنفس الثاني ولا هم
ينصرون اي يمنعون من عذاب الله واذ ابتلى اي اذكر وقت اختبر ابراهيم
بالنصب مفعول ربه بالرفع فاعل والاختبار من الله ان يظهر حالة المحنة
ليستوجب الثواب او العقاب كما علم الكفر من ابليس ولم يلعنه بعلمه ما لم يختبره
بما يستوجب اللعنة به اي امر الله ابراهيم بكلمات اي باوامر ونواهي وقيل
هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والوقوف بعرفة
والحلق والذبح وغير ذلك وقيل عشر خصال من السنن خمس في الراس
كقص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الراس
واعفاء اللحية وخمس في الجسد كتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة
والختان والاستنجاء بالماء فاتمهن اي عمل لهن لله تعالى ووفى امره فثم
قال له ربه اني جاعلك للناس اماما يقتدى بك في الدين فاعجبه قوله
به وتمنى ان يكون مثل ذلك لذريته ولذا قال ومن ذريتي على تقدير و

وجعل فريقا من اولادي اماما يقتدى به بعدي قال الله تعالى مجيبا بابلغ الجواب
بجعله اولاده ائمة لا ينال عهدي الظالمين بفتح الياء وسكونها اي لا يصل
الامامة والاستخلاف بالنبوة التي عهدت اليك من كان ظالما من اولادك
وغيرهم وانما ينال عهدي من كان عادلا بريا من الظلم لان الامام انما هو
لمنع الظلم فكيف يجوز ان يكون ظالما وان جاز فقد جاء المثل السائر من استرعى
الذئب ظلم قيل فيه اشارة الى ان من اراد ان يبلغ درجة الاخيار ليقتدى به
فليلازم التعب وجهد النفس في طاعة الله تعالى وفيه دليل على ان الفاسق
لا يصلح الامامة ولا يقدم للصلوة قوله واذ جعلنا البيت عطف على واذا
ابتلى ابراهيم اي واذكر وقت جعلنا الكعبة مثابة اي مرجعا للناس يعني معادا
يعودون اليه من كل جهة كل سنة وامنا اي وجعلنا مأمنا لهم يأمنون فيه
لان المشركين كانوا يتعرضون الى من لم يكن من اهل مكة ولم يتعرضوا
من كان في مكة كقوله جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس في حولهم وقيل جعله
ملجاء لمن التجاء اليه كالرجل الذي وجب عليه القصاص فدخل في الحرم
لا يقتص منه في الحرم روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال كان رسول
الله عليه السلام يطوف بالبيت يوم الفتح فلما فرغ منه الى المقام وقال
هذا مقام ابينا ابراهيم عليه السلام فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر افلا نتخذه
مصلا يا رسول الله فانزل الله تعالى قوله واتخذوا بكسر الخاء امرا وبفتح الخاء

ماضيا عطف على جعلنا اى واتخذ الناس من مقام ابراهيم مصلى اى موضع صلوة
وهو الحجر الذى يصلى عنده ركعتا الطواف روى عن النبى عليه السلام انه قال ان
الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة لولا مسته ايدى المشركين لاضائتا
ما بين المشرق والمغرب والمراد منهما الحجر الاسود والحجر الذى قام عليه ابراهيم
عند بناء البيت وهو الذى اعتمد عليه برجله حين اتى لزيارة اسمعيل فلم تجده
ووجد امرأته فغسلت راسه وهو على دابته وضيفته فقال لها اقرئى زوجك
السلام وقولى قد استقام عتبة بابك فلا تغيرها يعنى صلحت زوجتك فلا تطلقها
وهذا بعد ان تطلق زوجته قبلها ثم جاء ابراهيم عم مرة ثانية فوجد اسمعيل وقال
ان الله امرنى ببناء بيت هنا اتعيننى عليه قال نعم فاخبر الله تعالى عن ذلك
بقوله وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل اى امرناهما ان طهرا بيتى بفتح الياء
وسكونها اى بان ابنياه على الطهارة من الشرك واجعلاه خاليا من الاصنام
او من جميع النجاسة للطائفين اى للزائرين حواله من الغرباء وغيرهم
والعاكفين اى المقيمين والمجاورين من اهل الحرم والركع السجود اى
المصلين من كل وجه قيل الطواف افضل للغرباء والصلوة افضل لاهل مكة واذ
قال ابراهيم رب اجعل هذا المكان بلدا آمنا ذا امن يامن فيه اهله وهو الحرم
وارزق اهله من الثمرات لانه لم يكن له ثمرة ثمة فاستجاب الله دعائه وجعلت
مكانها الآن بدعاء ابراهيم عم من آمن بدل من اهله يعنى وارزق المؤمنين

منهم بالله واليوم الآخر خاصة وانما اشترط ذلك فى دعائه خوفا من
ان لا يستجاب له فيمن ظلم وكفر كما لم يستجب له فى الظالمين حين سئل
الامامة لذريته اولانه بهم يقع الانتفاع والعبادة وهداية الخلق فرد الله
عليه قال ومن كفر اى وارزق من كفر لان امر الرزق ليس كامر الامامة لانه
وعد بالرزق كافة الخلق ولان الامامة فضل يعطيه من يشاء والرزق عدل
وهو لجميع الخلق وان كان البعض مشركا ويجوز ان يكون من شرطية والجواب
فامتعه اى ومن يكفر بالله واليوم الآخر فامهله الى اجله ليلتذ بلذات الدنيا
اثباتا للحجة عليه قليلا اى زمانا يسيرا يعنى الى منتهى اجله ووصفه بالقلة لان
متاع الدنيا قليل لفنائه ثم اضطره اى الجئه الى عذاب النار بحيث لا يمكنه
الامتناع منه وبئس المصير اى المرجع الذى يرجع اليه للاقامة فيه اى النار واذ يرفع
اى اذكر اذ يبنى ابراهيم القواعد اى الاساس من البيت اى الكعبة وانما لم يقل
قواعد البيت بالاضافة لما فى التبيين بعد الابهام تفخيم لشان المبين واسمعيل
ولده عطف على ابراهيم واسمعيل ناوله الحجارة وهو حكاية حال ماضية
فلما فرغا من البناء قالا ربنا تقبل منا اى بنائنا انك انت السميع لدعائنا العليم
بنياتنا روى ان اول من بنى الكعبة آدم ثم ابراهيم وقيل ان موضع
البيت خلق قبل الارض بالفى عام ثم بسطت الارض من تحته ولما اهبط
آدم الى الارض اهبط اليه البيت المعمور ليانس به ويطوف حوله وارسل

اليه ملكا فاراه المناسك وبقى الى ايام ~~الطوفان فرفع الى ايام~~ الطوفان فرفع الى
السماء الرابعة والكعبة بحياله على قدره ومثاله فبقى موضع البيت المعمور خاليًا بعد
رفعه (فبنيا) ابراهيم واسمعيل عليهما السلام الكعبة فى موضعه قائلين رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا
مُسْلِمَيْنِ اى مخلصين لَكَ وَمِنْ لابتداء الغاية الجعل اى واجعل من ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً
اى جماعة مُسْلِمَةً لَكَ اى مخلصة فى اسلامهم واعمالهم لك وانما خص ابراهيم
واسمعيل ذريتهما بالدعاء لانهم احق بالشفقة والنصيحة لقوله قوا انفسكم واهليكم
نارًا وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا اى علمنا شرايع ديننا واعلام الحج لنتعبدك بها قرئ بكسر الراء
وسكونها وَتُبْ عَلَيْنَا اى تجاوز عن ذنوبنا من الصغاير وعن ذنوب ذريتنا من
الكبائر إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ اى المتجاوز البليغ الرَّحِيمُ بعبادك المؤمنين رَبَّنَا
وَابْعَثْ فِيهِمْ اى فى جماعة الامة المسلمة من اولادنا او فى اهل مكة رَسُولًا مِنْهُمْ
اى محمدًا قيل كل الانبياء من بنى اسرائيل الا عشرة مع محمد عم يَتْلُو ايقرئ عَلَيْهِمْ
آيَاتِكَ اى القران المنزل منك جمع آية وهى كل كلام متصل الى انقطاعه وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ اى القران وَالْحِكْمَةَ اى مواعظه واحكامه من الحلال والحرام ليعملوا به وَيُزَكِّيهِمْ
اى يطهرهم من الكفر والمعاصى إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ اى الذى يقهر من عصاه
ولا يغلبه شئ لعزته ولا يعجزه شئ عما اراد الْحَكِيمُ اى الذى يوافق فعله علمه
روى ان النبى عليه السلام قال انا دعوة ابراهيم اى اثر دعائه وبشرى عيسى
عليه السلام لانه بشر برسول يأتى من بعدى اسمه احمد * ثم استفهم استفهام

انكار

48

انكار واستبعاد ان يكون فى العقلاء من رغب عن الحق الواضح بقوله وَمَنْ يَرْغَبُ
عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ اى يترك شريعته ودينه وهو الاسلام إِلَّا مَنْ سَفِهَ اى جهل
نَفْسَهُ نصب مفعول سفه فلا يتفكر فى امر نفسه ليعرف ربه فكل من عبد
غير الله فقد جهل نفسه ومحل من بعد الا رفع على البدل من ضمير رغب وجاز
البدل لان من رغب كلام غير موجب فى قوة ليس احد يرغب الا الذى سفه
قوله ولقد اصطفيناه بيان لكرامة ابراهيم وخطاء من رغب عن ملته اى لقد
اخترناه فِي الدُّنْيَا للنبوة ودين الحق بالوحى وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ
اى لمعهم فى الجنة يعنى اخترناه فى الدارين فلا يعرض عن دينه من كان له عقل
إِذْ قَالَ لَهُ ظرف لاصطفينا او منصوب باذكر مقدرة اى امر رَبُّهُ ابراهيم
بقوله أَسْلِمْ اى اخلص واستقم على الاسلام وذلك حين خرج عن الغار ونظر
الى الكوكب والقمر والشمس فالهمه تعالى الاخلاص وَقَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
اى اخلصت دينى له كقوله انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض
وَوَصَّى وقرئ واوصى بِهَا اى بالملة وهى السنة الحنفية او بكلمة الاخلاص وهى
لا اله الا الله إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ الثمانية واصل الوصية الايصال الى الغير بالوعظ
قوله وَيَعْقُوبُ مرفوع عطف على ابراهيم اى اوصى يعقوب بنيه الاثنى عشر فقال
يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى اى اختار لَكُمُ الدِّينَ اى الاسلام فَلَا تَمُوتُنَّ اى لا يصادفكم الموت
إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ اى مخلصون بالتوحيد وهذا نهى عن الموت فى الظاهر

د فى الحقيقة عن ترك الاسلام اذ الموت ليس فى ايديهم وذلك حين دخل
يعقوب مصر فراى اهلها يعبدون الاصنام فاوصى بنيه بان يثبتوا على الاسلام
قوله ام كنتم شهداء نزل حين قالت اليهود للنبى عليه السلام الست تعلم
ان يعقوب اوصى بنيه يوم مات باليهودية فقال الله تعالى اتدعون على
الانبياء اليهودية ام كنتم حضورا اذ حضر يعقوب الموت اى امارته وقرب منه فام
منقطعة بمعنى الانكار فالخطاب للكافرين من اليهود اى ماكنتم حاضرين عند
موته والا لما ادعيتم عليه اليهودية ولكان حرصكم على ملة الاسلام اذ قال لبنيه
ظرف بدل من اذ قبله والعامل فيه شهداء اى قال مستفهما عن دينهم ما
تعبدون من بعدى اى بعد موتى وما للاستفهام يعم العقلاء وغيرهم قالوا نعبد
الهك واله آبائك فعنى الله به انكم لم تكونوا حاضرين فى ذلك فانتم تقولون بما
لا علم لكم به فبين الله بذلك ان وصية يعقوب لبنيه كانت بخلاف ما قالت
اليهود قوله ابراهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لقوله ابائك قيل وعد اسمعيل
ابا ولو كان عما لان العرب تسمى العم ابا والخالة اما الها واحدا بدل من اله آبائك
قوله ونحن له مسلمون اى مخلصون بالتوحيد فى كل محل النصب على الحال من
ضمير المتكلم فى نعبد او من مفعوله وهو الهك قوله تلك اشارة الى ابرهيم
واولاده الموحدين اسمعيل واسحق ويعقوب اى الجماعة المذكورة امة
قد خلت اى مضت لها ما كسبت من الاعمال ولكم ما كسبتم من الاعمال

يعنى

يعنى لا ينفع كل احد منهم الا ما كسب ولا ينفعكم الا ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا
يعملون اى لا يسئل احد عن عمل غيره يعنى لا تؤخذون بسيئاتهم كما لا تنتفعون
بحسناتهم وهذا رد لافتخارهم باوائلهم وبقولهم نحن على دينهم قوله وقالوا كونوا
هودا او نصارى نزلت حين اختصم يهود اهل المدينة ونصارى اهل نجران
فقال اليهود للمسلمين لا دين الا ديننا فكونوا معنا وقال النصارى لهم
بل ديننا افضل فكونوا معنا ثم سئلوا رسول الله عليه السلام عن ذلك فقال
لهم كلكم على الباطل فاخبر عن الفريقين بقوله وقالوا اى اليهود كونوا على
دين اليهودية وقال النصارى كونوا على دين النصرانية تهتدوا اى تجدوا
الهداية من الضلالة فقال الله تعالى لنبيه قل يا محمد بل ملة ابراهيم حنيفا
اى بل نكون ملة ابراهيم اى من اهل ملة ابراهيم او بل نتبع ملته مخلصا
والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق وانه كان مستقيم الدين
وما كان من المشركين وفيه توبيخ لكفار اهل الكتاب فانهم يدعون انهم على
ملة ابرهيم وهم ثابتون على الشرك قوله قولوا آمنا نزل خطابا
للكافرين اى قولوا آمنا لتكونوا على الحق ويجوز ان يكون خطابا للمؤمنين
حين قرء اهل الكتاب التورية وفسروها بالعربية فقال عليه السلام لا تصدقوهم
ولا تكذبوهم لان فيه تكذيب الانبياء فقال المؤمنون كيف نقول حتى لا
نكذب احدا من الانبياء فعلمهم الله تعالى بان يقولوا آمنا بالله وما انزل

الينا اى بالقران الذى انزل على نبينا وما انزل على ابراهيم من صحفه
العشر وبما انزل الى اسمعيل ويعقوب والاسباط جمع سبط وهو بمنزلة
القبيلة للعرب قيل السبط الحافد والاسباط حفدة يعقوب وهم زرارى
ابناء يعقوب قيل كان له اثنى عشر ابنا فولد كل واحد منهم جماعة فصار اولاد
كل واحد منهم سبطا وكان فيهم انبياء انزل اليهم كتب وهم يعملون بها ونسب
الانزال اليهم لذلك كما نسب الى امة محمد عليه السلام فى قوله وما انزل الينا
وما اوتى اى وبما اعطى موسى وعيسى يعنى التورية والانجيل وما اوتى النبيون
من ربهم من الآيات والكتب يعنى آمنا بجميع الانبياء وبجميع كتبهم
لا نفرق بين احد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى
لان تصديق الكل واجب على المؤمنين بنبي ونحن له اى لله مسلمون
اى مخلصون بالتوحيد والاحد بمعنى الجماعة ههنا لانه فى سياق النفى يعم
القليل والكثير ولذلك صح دخول بين عليه اى لا نفرق بين احاد الجماعة
ولو قال لا نفرق بينهم لاستقام المعنى لكنه اراد ان يحقق المعنى بوجه ابلغ
ثم قال الله تعالى للمؤمنين بمحمد والقران مخبرا عن حال الخصم لتبكيتهم
بقوله فان آمنوا اى اليهود والنصارى بمثل ما آمنتم به اى بالذى صدقتم
وشهدتم به بزيادة مثل او الباء زائدة ومثل صفة موصوف محذوف اى ايمانا
مثل ايمانكم وشهادة مثل شهادتكم فقد اهتدوا اى خلصوا من الضلالة

وان تولوا اى اعرضوا عن الايمان بمحمد والقران وجميع الانبياء فانما هم
فى شقاق اى فى خلاف فى الدين ومعاندة لاهل الحق وليسوا فى شئ
من طلب الحق فسيكفيكهم اى يكفيك ويدفع عنك يا محمد الله شر اليهود
والنصارى وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم وباجلاء النضير وضرب
الجزية على الفريقين والسين فيه لتحقيق كون ذلك البتة وان تاخر الى حين
لانها تفيد الوعد من الله ووعده واقع لا محالة وبينه بقوله وهو السميع
لكلامهم ودعائك العليم باحوالهم ومرادك فيجازى كلا ما يشاء قوله صبغة
الله فيه تفضيل دين محمد عليه السلام على سائر الاديان وهى مصدر
مؤكد لقوله آمنا بالله فعله من صبغ كالجلسة من جلس وهى الحالة التى
يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس فيكون
تاكيدا للنفى والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء
اصفر اسمه عندهم المعمودية فى اليوم السابع كالختان لاولاد المسلمين
ويقولون الآن طهر هذا وصار نصرانيا حقا فامر الله المسلمين بان
يقولوا لهم قولوا آمنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا التى
كانت قبل اى طهرنا به تطهير الا مثل تطهيرنا وهذا على تقدير ان يكون
الخطاب بقوله قولوا للكافرين واما اذا كان خطاب للمؤمنين كان
صبغة الله من مقولاتهم يعنى صبغنا الله بالايمان ولم يصبغ صبغتكم ومن

احسن من الله صبغة اى دينا نصب على التمييز يعنى اى شخص يكون صبغته
احسن من صبغته الله فانه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم من انجاس
الكفر والشرك فلا صبغة احسن من صبغته وهذا من باب المشاكلة قوله
ونحن له عابدون اى الموحدون بالاخلاص عطف على قوله آمنا بالله
فيكون من متعلقات قولوا قوله قل اتحاجوننا نزل فى اليهود الذين
يظاهرون المشركين اى قل يا محمد يا اهل الكتاب اتخاصموننا فى الله
اى فى شان الله واصطفائه النبى عليه السلام من العرب وتقولون
لم خص بالنبوة محمد من العرب ونحن احق بها منه وهو ربنا وربكم
اى الله الهنا والهكم نشترك جميعا فى كوننا عباده واصطفائه احدا
للنبوة لا حكم لنا عليه فى شئ يختص برحمته من يشاء كما يشاء فلم يظاهرون
من لا يوحد الله علينا ولنا اعمالنا اى جزائها ولكم اعمالكم اى جزاء اعمالكم
ونحن له اى لله بالتوحيد مخلصون والاخلاص تصفية الاعمال من
الشرك والرياء فانتم به مشركون لان توحيدكم ليس بخالص قوله ام يقولون
بالتاء والياء ام فيه معادلة للهمزة فى اتحاجوننا للاستفهام لانكار
الامرين معا المعنى اى الامرين تاتون المحاجة بنا فى الله ام ادعاء عدم الاسلام
على الانبياء ويجوز ان يكون منقطعة اى بل اتقولون ان ابراهيم و
اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط من الانبياء كانوا هودا او نصارى

ولم يكونوا انبياء فانتم فى قولكم هذا كاذبون ثم امر نبيه على ان يقول لهم باستفهام
الانكار والرد عليهم بقوله قل انتم اعلم بذلك ام الله اعلم فانه اخبر ان ابراهيم
كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين واخبر عن الانبياء المذكورين انهم على
دين الاسلام بقوله عنهم ونحن له مسلمون ثم زادهم انكارا وتبكيتا بقوله ومن اظلم
ممن كتم اى ستر واخفى الناس شهادة حاصلة عنده واصلة من الله اليه وهى
شهادتهم لابراهيم بالحنفية ولمحمد بالنبوة والله اشهدهم على ذلك كله فى كتبهم
وهم كتموها من الناس ثم يهددهم بقوله وما الله بغافل عما تعملون اى لا يخفى
عليه شيئ من اعمالهم واقوالهم فيجازيهم عليها قيل هذا وعيد للظالم وتعذية
للمظلوم تلك امة اى جماعة قد خلت اى مضت لها ما كسبت من الاعمال ولكم
ما كسبتم منها ولا تسئلون عما كانوا يعملون اى لا يسئل احد عن عمله ويجزى به
(عمل غيره بل يسئل عن اعمـ)
قوله سيقول السفهاء اى الجهال من الناس اخبار لقولهم قبل وقوعه
وفائدته تسكين نفوس المؤمنين عند سماع المكروه من الكفار لان مفاجات
المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد عن الاضطراب اذا وقع لما تقدمه
من توطين النفس فالسين للتاخير وقيل بمعنى قد للتحقيق لانه نزل
حين طعن كفار مكة واليهود فى تحويل القبلة بقولهم ما ولّيهم اى ما الذى
صرف محمدا واصحابه عن قبلتهم التى كانوا عليها اى على اعتقادها والتوجه
اليها فى الصلوة وهى بيت المقدس وكان الانصار يصلون قبل قدوم

النبی علیه السلام الی المدینة نحو بیت المقدس فلما قدم الیها صلی ثمانیة
عشر شهرًا وقیل سبعة عشر شهرا الی بیت المقدس ثم حولت القبلة الی
الکعبة فقالوا رجع محمد الی قبلتنا فعن قریب یرجع الی دیننا فقال الله تعالی
قُلْ لهم یا محمد لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ای بلادهما کلها له یَهْدِی ای یرشد
بحکمه مَنْ یَشَاءُ من عباده هدایته اِلٰی صِرَاطٍ مُسْتَقِیمٍ ای الی دین یرتضیه
لا اعتراض علیه فیوجهه تارة الی مکة وتارة الی بیت المقدس لانه مالک الملک
وحده لا شریک له فیه قوله وَکَذٰلِکَ نزل حین قالت الیهود لمعاذ قبلتنا
قبلة الانبیاء وما ترکها محمد الا حسدا وانه لیعلم انا علی عدل بین الناس فقال معاذ
نحن علی حق وعدل فقال الله تعالی تصدیقا لقوله وکذلک ای مثل ذلک
الجعل الصالح لامر القبلة جَعَلْنَاکُمْ اُمَّةً وَسَطًا ای خیارا عدلا یقال لخیار الشیء وسط
لان الاطراف یتسارع الیها الخلل والفساد وجعل صفة لامة لانه اسم یستوی
فیه المذکر والمؤنث والواحد والجمع قیل ما یصلح فی موضعه بین فهو مسکن وما لم
یصلح فهو محرک ثم علل ذلک بقوله لِتَکُونُوا شُهَدَاءَ ای جعلناکم عدلا للخلایق لتکونوا
شاهدین عَلَی النَّاسِ یوم القیمة للنبیین بانهم قد بلغوهم وَیَکُونَ الرَّسُولُ محمد ا
عَلَیْکُمْ شَهِیدًا مزکیا کالرقیب علی وجه الاختصاص یشهد لکم بالتصدیق اذا
جرحتم فی شهادتکم روی انه یقال للکفار یوم القیمة الم یأتکم نذیر فینکرون ویقولون
ما جاءنا من نذیر فیقول الانبیاء علیهم السلام کذبوا قد بلغناهم فیسألهم الله

البینة وهو اعلم اقامة للحجة علیهم فیؤتی بامة محمد علیه السلام فیشهدون
للانبیاء بالتبلیغ فیقول الامم من این علموا وهم قد جاؤا بعدنا فیسأل
امة محمد علیه السلام عن ذلک فیقولون انک ارسلت الینا رسولا وانزلت
وانزلت کتابا اخبرتنا فیه بتبلیغ الرسل وانت صادق ثم یؤتی بمحمد علیه
السلام فیزکی امته ویشهد بصدقهم قوله وَمَا جَعَلْنَا نزل حین کانت قبلة
النبی علیه السلام بمکة بیت المقدس الا انه یجعل الکعبة فی الصلوة بین نفسه
وبین بیت المقدس ثم امر بالصلوة الی الکعبة فضل قوم وارتدوا وقال الله
تعالی وما جعلنا الْقِبْلَةَ الَّتِی کُنْتَ عَلَیْهَا الآن فالتی صفة موصوف محذوف
هو المفعول الثانی لجعل یعنی ما رددناک منها الی هذه الجهة وهی الکعبة اِلَّا لِنَعْلَمَ
ای لیظهر علمنا فی الوجود او لنمیز مَنْ یَتَّبِعُ الرَّسُولَ ای یوافقه ویصدقه فی تحویل
القبلة مِمَّنْ یَنْقَلِبُ ای یرجع عَلٰی عَقِبَیْهِ ناکصا فیرجع عن دین الاسلام
ویرتد بعد التحویل یعنی انا جعل ذلک ابتلاء لهم فی اطاعتهم للرسول و
عصیانهم له فی تحویل القبلة سبب لهدایة قوم وضلالة قوم ولقد ارتد کثیر
من الناس عن الاسلام عن ذلک والواو فی قوله وَاِنْ کَانَتْ لَکَبِیرَةً للحال
وان مخففة من المثقلة واللام هی الفارقة بینها وبین المشددة ای والحال
ان القبلة المحولة لشاقة عظیمة اِلَّا عَلَی الَّذِینَ هَدَی اللّٰهُ ای ارشدهم الی
الی دینه الحق وحفظ قلوبهم علیه واعزهم باتباع النبی صلی الله علیه وسلم

دائما بالحجة علیهم لما سبق
فی علمه ان تحویل القبلة صح

في تحويل القبلة وهم التايبون المخلصون من اصحابه ثم قال المسلمون
يا رسول الله ما صنع الله بصلوة اخواننا الذي صلوا الى بيت المقدس وماتوا
عليها فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلوتكم الى بيت المقدس
قبل التحويل لان الصلوة لاتكون الا بالايمان وبهذا استدل البعض على ان
العمل من الايمان وقيل معناه ايمانكم بالصلوة الى بيت المقدس وانما قال
ايمانكم بالخطاب تغليبا للاحياء الحضور على الاموات والمراد ايمان الاحياء
والاموات وعلل ذلك بقوله ان الله بالناس لرؤف بضم الهمزة مع الواو
الساكنة ومع غيرها اى ذو مرحمة عظيمة لهم حيث لايضيع اجورهم ولا يترك
ما يصلحهم رحيم لمغفرة ذنوبهم بالايمان وايصال الرزق اليهم قوله قد نرى
راس قصة تحويل القبلة فيكون متاخرا لفظا ومتقدم معنى على قوله سيقول
السفهاء وكان النبي عليه السلام حين هاجر الى المدينة من مكة يتوقع من
ربه ان يصرفه عن قبلة اليهود الى غيرها فجعل ينظر الى السماء رجاء ان ينزل
عليه الوحي بالتوجه الى الكعبة لكونها قبلة ابراهيم عليه السلام وساير الانبياء
ولكونها ادعى للعرب الى الاسلام لانها مفخرهم ومأمنهم فنزل قد نرى اى
نعلم ونشاهد تقلب وجهك اى تردده وتصرف نظرك في السماء اى في جهتها
فلنولينك اى فلنعطينك ولنحولنك في الصلوة قبلة اى الى القبلة
ترضاها اى تحبها وتهويها وهي الكعبة فامر الله تعالى بالتوجه اليها فقال فول

اصرف

اصرف وجهك واستقبل شطر اى تلقاء المسجد الحرام اى المحرم واراد
منه الكعبة وفيه دليل على ان الواجب في الصلوة استقبال الجهة
ومراعاتها لان الكعبة في داخله فلا يكون المراد منه العين لانه حرج
عظيم على البعيد منها قال الشافعي الواجب استقبال الجهة عن من
هو خارج المسجد الحرام سواء كان بمكة اولم يكن وعند ابي حنيفة الواجب اصابة
العين اذا كان بمكة وحيث ما كنتم اى اين ما كنتم من بر او بحر فولوا اى
اصرفوا وجوهكم مصلين شطره اى نحوه قيل كان تحويل القبلة في رجب
بعد زوال الشمس قبل بدر بشهرين ورسول عليه السلام في مسجد بني سلمة
في المدينة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل
الميزاب وجعل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك
المسجد مسجد القبلتين فثمة قالت اليهود هذا شيء يبتدعه محمد صلى الله عليه
وسلم من تلقاء نفسه فنزل وان الذين اوتوا اى اعطوا الكتاب من اليهود
والنصارى ليعلمون انه اى ان تحويل القبلة الى الكعبة هو الحق اى
الثابت من ربهم لا من تلقاء نفس محمد لانه كان في بشارة انبيائهم
انه يصلي الى القبلتين وما الله بغافل عما تعملون بالتاء والياء من انكارهم
التحويل الى الكعبة فيجازيهم ثم قال اليهود والنصارى ائتنا بعلامة على
صدق قولك يا محمد فنزل ولئن اتيت باللام لتوطئة القسم المحذوف

وهی متصلة بحرف الشرط ای والله لان جئت یا محمد الذین اوتوا الکتاب
بکل آیة ای بکل معجزة دالة علی صدقک فی امر التحویل وغیره ما تبعوا
قبلتک ای ما یتبعون کلهم قبلتک او هو عام مخصوص بمن اسلم منهم وهو
ساد مسد جواب القسم والشرط قوله وما انت بتابع قبلتهم حسم لطمعهم عود النبی
علیه السلام الی توجه قبلتهم ای ما انت بمصلی الی قبلتهم لانک علی الحق وهم
علی الباطل فلا نسخ لقبلتک ابدا او افرد القبلة فی قبلتهم وان کان لکل
طائفة منهم قبلة لاتحادها فی البطلان ثم اشار الی انهم متفرقون فیما بینهم
وان کانوا متفقین فی مخالفة النبی علیه السلام بقوله وما بعضهم بتابع قبلة
بعض لان کلا منهم یعتقدون ان الحق دینه فکیف ترجوان یتبعوک
ویصلوا الی قبلتک ولئن اتبعت علی سبیل الفرض او المراد غیره بالخطاب
اهواءهم ای مرادهم ومذهبهم بالصلوة الی قبلتهم من بعد ما جاءک ای وصل
الیک من العلم ای من البیان بالیقین ان دینک مع الحق والکعبة
هی القبلة انک اذا ای حینئذ لمن الظالمین ای الضارین بنفسک قوله
الذین آتیناهم الکتاب نزل حین قالت الیهود لاصحاب النبی علیه السلام
لم تطوفون بالبیت المبنی علی الحجارة فقال النبی علیه السلام الطواف
بالبیت حق وانکم تعلمون ذلک فی التوریة فجحدوا ذلک فقال الله
تعالی الذین آتیناهم التوریة یعرفونه ای ان الطواف حق والبیت قبلة

کما یعرفون

کما یعرفون ابناءهم یعنی لا تشتبه علیهم وقیل الضمیر راجع الی محمد ای
ای یعرفون انه نبی حق بما علموا فی کتابهم کما یعرفون ابناء لهم بین الغلمان واختص
ذکر الابناء لان الذکور اشهر واعرف عندهم قال عبد الله ابن سلام والله لقد
علمت محمدا اشد معرفة منی بابنی لان نعته فی کتابنا وما ادری ما احدثت
النساء بعدی فقال عمر اقر الله عینیک یا عبد الله وان فریقا منهم ای من
معاندیهم وجهلتهم لیکتمون الحق ای یسترون امر القبلة وهم یعلمون ذلک ثم قال
الله تعالی یا محمد الحق من ربک ای امر القبلة الذی یکتمونه هو من الله فهو مبتداء
وخبر والتقدیر ما جاءک من العلم هو الحق ومن ربک خبر بعد خبر او حال ای کائنا
من الله فلا تکونن من الممترین ای الشاکین فیما اخبرت لک به ولکل ای اهل
الادیان المختلفة وجهة ای جهة یتوجه الیها وهی القبلة هو ای کل منهم مولیها
بکسر اللام ای مستقبلها او مصرفها وجهه او الله مولیها ایاه فهو راجع الی الله
من ولیته وولیت الیه بمعنی اقبلت علیه او صرفته الیه ولو عدی بعن یکون ولیت
عنه کان بمعنی ادبرت عنه وقرئ بفتح اللام المشددة مع الالف ای کل واحد
منهم مولاها ای مولی تلک الجهة یعنی الله یولیه الیها لا غیره قوله فاستبقوا
الخیرات خطاب لامة محمد علیه السلام ای لکل منکم جهة یصلی الیها شرقیة
او غربیة او جنوبیة او شمالیة بحسب اختلاف الآفاق فبادروا باعمال الصالحة
اینما تکونوا انتم واعداءکم یأت بکم الله جمیعا ای یجمعکم یوم القیمة فیجازیکم

باعمالكم ان الله على كل شئ قدير يقدر على جمعكم ثمة قوله ومن حيث خرجت
تاكيد لامر النسخ ليعلم ان ذلك عزيمة لا يجوز تركها اي اي مكان ذهبت لسفر وصليت
فول وجهك شطر المسجد الحرام اي تلقاءه وانه اي التوجه الى القبلة للصلوة للحق
من ربك وما الله بغافل عما تعملون قرء بالتاء والياء يعني يجازيكم باعمالكم ومن حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد الحرام خطاب للنبي عليه السلام وحيث ما كنتم وصليتم
فولوا وجوهكم بالصلوة شطره اي نحوه خطاب لامته وهذا التكرير لزيادة التاكيد
والثبات في امر القبلة والتحويل لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل
الشيطان وعلل ذلك بقوله لئلا اي اعطيناكم الكعبة قبلة بعد قبلة لئلا يكون للناس
اي لليهود عليكم حجة اذا توجهتم الى غيرها فيقولوا ليست لهم قبلة لانهم يعلمون ان القبلة
هي الكعبة قوله الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لليهود
ومشركي العرب بقولهم ما باله لا يحول الى قبلة ابراهيم ابيه كما هو مذكور في نعته في التورية
فلما حولت القبلة لم يبق لهم حجة عليكم الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك محمد قبلتنا
الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء وحجة هؤلاء
الظلمة حجة داحضة لا اعتبار لها وانما اطلق عليها اسم الحجة لسوقهم ذلك في سياق
الحجة فلا تخشوهم اي لا تخافوهم بانصرافكم الى الكعبة لو تظاهروا عليكم بسببه
واخشوني فلا تخالفوا امري فاني ولاتم نعمتي عليكم عطف على
قوله لئلا اي حولنا القبلة لاتمام احساني بالثواب في الآخرة اليكم ومن تمام النعمة

الموت على الاسلام وقيل دخول الجنة ولعلكم تهتدون اي ولكي تصلوا الى
الهداية من الضلالة قوله كما ارسلنا يتعلق بقوله ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة اي ولاتم
كما اتممتها عليكم بارسالي فيكم رسولا منكم اي من العرب او من جنسكم لا من
الملائكة ليمكن الانس به والنظر اليه في الدنيا وهو محمد عليه السلام يتلو عليكم
آياتنا اي القران ويزكيكم اي يطهركم من الكفر والجهل ويعلمكم الكتاب
والحكمة من الحلال والحرام ويعلمكم بمصالح العمل ما لم تكونوا تعلمون قبل
ذلك فاعرفوا هذه النعمة العظيمة ويجوز ان يتعلقا بما بعده اي كما ذكرتم
بارسال الرسل فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت
به عليكم ولا تكفرون اي نعمتي بالمعصية يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا
بتوحيد الله استعينوا بالصبر على اداء الفرائض وبما انتم عليه وان اصابكم
مكروه والصلوة خاصة لانها اوج دينكم وراسه لكونها اشق على البدن
فاستعينوا بها في حوائجكم الى الله روي انه عليه السلام اذا اضربه امر
فزع الى الصلوة وانما خص الصبر والصلوة بالذكر لان الصبر اشد
الاعمال الباطنة على البدن والصلوة اشد الاعمال الظاهرة عليه
لانها مجمع جميع الطاعات والاركان والسنن والآداب والحضور
والخضوع والتوجه والسكون وغير ذلك كما لا يتيسر حفظها الا بتوفيق
الله تعالى ان الله مع الصابرين على الطاعة بالعون والنصرة ولا تقولوا

نزل فی حق الشهداء الذین قتلوا ببدر او عند بئر معاویة وکان الناس
یقولون مات فلان ومات فلان وانقطع عنهم نعیم الدنیا فقال الله تعالی
نهیا عن ذلک القول ولا تقولوا لمن یقتل فی سبیل الله اموات فاللام زائدة ومن
مبتداء خبره اموات او اللام ثابتة واموات خبر مبتداء محذوف ای لا تقولوا الاجلهم
هم اموات بل هم احیاء ای کالاحیاء فی الحکم لان ثوابهم تجری الی
یوم القیمة او انهم یسترحون فی الجنة حیث شاءوا وقیل تعرض ارزاقهم علی ارواحهم
فیصل الیهم الروح والفرح کما تعرض النار علی ارواح الکفار فیصل الیهم
الوجع ولکن لا تشعرون کیف حالهم فی حیوتهم ولنبلونکم ای لنختبرنکم ایها
المومنون لیتمیز بینکم المطیع والعاصی ای لنعلم ما لم نعلم به قبله بشیء من الخوف
ای خوف العدو او خوف الله تعالی والجوع ای من القحط او صوم رمضان
ونقص من الاموال ای وبنقص حادث من الاموال کالهلاک والخسران
او بالزکوة والصدقة والانفس ای وبنقص حال الانفس من القتل
والموت والمرض والضعف والهرم والثمرات ای وبنقص الثمار بالافة
والاستیصال والمراد موت الاولاد التی هی ثمرة القلب قیل فی الخبر
اذا مات ولد العبد قال الله تعالی للملائکة اقبضتم ثمرة قلبه فیقولون نعم
فیقول الله تعالی ماذا قال عبدی فیقولون حمدک واسترجع فیقول
الله تعالی ابنوا لعبدی بیتا فی الجنة وسموه بیت الحمد وبشر یا محمد

الصابرین

الصابرین المسترجعین عند البلاء لتسلیمهم لامر الله ثم وصفهم بقوله
الذین اذا اصابتهم مصیبة ای نائبة ما من الله قالوا انا لله ای نحن عبیده وممالیکه
فی الحیوة وانا الیه راجعون بعد الموت راضون بحکم یعنی صبروا علیها ولم
یجزعوا قیل فی الخبر من استرجع عند المصیبة جبر الله مصیبته اولئک ای
اهل هذه الصفة علیهم صلوات منه تعالی والمراد منها التعطفات المتوالیة
من ربهم ورحمة ای مغفرة لذنوبهم وقیل المراد من الصلوات توفیق الطاعة
والعصمة والمغفرة من الذنوب والمراد من الرحمة الثواب واولئک هم
المهتدون ای سعادة الدارین حیث استرجعوا للمصیبة وسلموا لامر الله تعالی
قوله ان الصفا والمروة وهما علمان للمکانین بطرفی السعی من شعائر الله
جمع شعیرة وهی العلامة ای من اعلام دین الله نزل حین تحرج المسلمون
من الطواف بینهما عند مجیء الاسلام لانهما کان رجلا اسمه اساف وامراة
اسمها نائلة فمسخا حجرین فوضعا فی ذلک المکان فطال الزمان فعبدوهما
فی الجاهلیة واذا سعوا مسحوهما فکره اهل الاسلام ان یسعوا بینهما
لانه فعل الجاهلیة فاذن الله تعالی فی الطواف بینهما فقال انهما
من مناسک الحج واعلام دینه فمن حج البیت ای قصده او اعتمر ای
زاره فلا جناح ای فلا اثم علیه ان یطوف ای یجول ویدور بهما واصل
الطواف المشی حول الشیء والمراد هنا السعی بینهما وهو رکن عند الشافعی

وقرئ من يطوع
بلفظ المستقبل صح

وما لك يجب عليه القضاء بتركه ولا يجزء عنه الدم وعند ابى حنيفة واجب وليس
بركن يجزء عنه الدم ومن تطوع بلفظ الماضى فى معنى المستقبل الغائب
وبتشديد الطاء اصله يتطوع ومعناه يتبرع اى من تبرع بان زاد فى الطواف
بعد الواجب خيرا اى بخير من الحج او العمرة والصلوة والصدقة فان الله شاكر
اى مجازله عليم بنيته وفيه حث على الطواف حول البيت او هو موكد لقوله فلا جناح
عليه ان يطوف بهما وحجة لمن زعم ان السعى بينهما ليس بواجب ولا ركن اذا لم
يؤوله بالزيادة على الواجب بل يريد نفس الطواف قوله ان الذين يكتمون نزل فى
رؤساء الذين كتموا صفة محمد عليه السلام وآية الرجم وغيرهما كمالك ابن الضيف
وابن صوريا وكعب بن الاشرف اى الذين يسترون ما انزلنا من البينات
اى من القران وما فيه من الاحكام والهدى اى الهداية الى دين الاسلام نعت
محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه بالايمان به من بعد ما بيناه اى اوضحناه للناس
فى الكتاب اى فى التورية اولئك اى اهل هذه الصفة يلعنهم الله يبعدهم
عن رحمته ويلعنهم اللاعنون من الثقلين والملائكة يقولون اللهم العنهم
قيل ما تلاعن الرجلان الا ارتفعت اللعنة بينهما فان استحقها احدهما والا رجعت
على الذين كتموا صفة محمد عليه السلام الا الذين تابوا اى استثناء متصل من
ضمير المفعول فى يلعنهم اى الا الذين رجعوا عن كتم البينات او منقطع اى لكن
الذين رجعوا عن الكفر واصلحوا اى الاعمال بينهم وبين الله وبينوا اى اظهروا

ما كتموا

ما كتموا باعترافه وقرانه ليقبل توبتهم فاولئك اتوب عليهم اى اتجاوز عنهم واقبل
توبتهم وانا التواب اى المتجاوز البليغ ممن تاب من ذنبه الرحيم بقبول توبته ومغفرته
ان الذين كفروا من الكاتمين وماتوا من غير توبة وهم كفار اى مصرين على كفرهم
فالواو للحال اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين فى حال
مماتهم بعد ان لعنهم الله واللاعنون فى حال حيوتهم خالدين اى دائمين فيها اى
اللعنة قيل المراد من الناس المؤمنون خاصة وقيل جميع الناس لان المخالفين
يلعن بعضهم بعضا يوم القيمة ولعنتهم عذاب النار لا يخفف عنهم العذاب
لا يهون عليهم ولا يرفع عنهم ولا هم ينظرون اى لا يمهلون فيعتذرون او لا
ينظر اليهم نظر رحمة قوله والهكم اله واحد نزل حين قال مشركو اهل مكة للنبى
عليه السلام جوابا لقولهم وحدوا الله واخلصوا عبادته وكان لهم اصنام
يعبدونها من دون الله صف لنا ربك فقال الهكم خالق واحد اى فرد لا
نظير له فى ذاته ولا شريك له فى صفاته لا اله اى لا خالق للاشياء كلها
الا هو دون غيره وهو بدل من محل لا اله الرحمن بدل من هو ولا وصف له اذ المضمر
لا يوصف اى المولى لجميع النعم فما سواه اما نعمة واما منعم عليه الرحيم بالتجاوز
عن السيأت لمن تاب بالثواب فى الآخرة ولا شئ سواه بهذه الصفة قيل لما
سمع المشركون هذه الآية تعجبوا وقالوا له عليه السلام انت باية تعرف بها
صدقك ان كنت صادقا فنزل قوله ان فى خلق السموات بغير عمد وزينتها

بالنجوم والشمس والقمر والارض ببسطها للقرار عليها باوتادها وهى الجبال و
بتفجير الانهار واحداث الاشجار والثمار والبحار وغير ذلك فيها واختلاف
الليل والنهار اى فى تعاقبها فى الذهاب والمجئ والزيادة والنقصان
والظلمة والنور والفلك يستوى فيه الواحد والجمع اى السفن التى تجرى فى البحر
بقدرة الله وارادته لا تنغمس فيه بما اى بالذى ينفع الناس من الحمل فيها
والركوب عليها وما اى فيما انزل الله من السماء من فيه لابتداء الغاية من ماء
بيان للجنس لان النازل من السماء مطر وغيره فاحيا به اى بالماء النازل الارض
بعد موتها اى يبسها وبث اى فرق ونشر فيها من كل دابة اى مايدب
على وجه الارض من الحيوان وهو معطوف على فاحيا به لان بث الدواب يكون بعد
حيوة الارض بالمطر لان عيشهم انما يكون بالنبات الحاصل بالمطر وتصريف الرياح
وقرى مفردا اى بنقلها فى مهابها جنوبا وشمالا وصباء ودبورا وفى احوالها
حارة وباردة ولينة وعاصفة وعقيما ولواقح قيل الريح اعظم جنود الله تعالى
يذكر ويؤنث والسحاب المسخر اى الغيم المذلل للرياح بين السماء والارض
يعنى تقلبه فى الجو بمشية الله ويمطر حيث يشاء لآيات اى لعلامات وعبرات
لقوم يعقلون اى ينظرون بعيون قلوبهم ويعتبرون لانها دلائل على عظم
قدرة الله فيها وباهر حكمته فليستدلون بهذه الاشياء على موجدها فيوحدونه
روى عن النبى عليه السلام انه قال ويل لمن قراء هذه الآية فمج بها اى اسقطها

عن نظره لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها ومن الناس تعنيف للكفار على عبادة
غير الله بجهلهم المفرط وقساوة قلوبهم اى ومن المشركين من يتخذ للعبادة من
دون الله وهو المستحق بها اندادا اى اصناما يحبونهم كحب الله اى كحب
المؤمنين الله تعالى يعنى يعظمون اصنامهم كما يعظم المؤمنون ربهم ثم فضل
محبة المؤمنين لعدم زوالها عنهم بكل حال من الرخاء والشدة بقوله والذين آمنوا
اشد حبا لله من حب الكفار اصنامهم لزواله عنهم لانهم اذا اصابتهم شدة
تركوا عبادتها واذا راوا اصناما يعجبهم اخذوا الهها وتركوا الاول قيل ان باهلة
اتخذوا الها من تمر واقط وعبدوه ثم اكلوه فى قحط اصابهم قوله ولو ترى بالتاء
خطاب لكل مخاطب او للنبى عليه السلام اى ولو ترى يا محمد بالعين الذين ظلموا
اى ارتكبوا الظلم العظيم من الشرك وهو مفعول وبالياء غيبة وفاعله الذين
ظلموا اى ولو يرى بالقلب ولم يعلم متخذو الانداد اذ اى اذا يرون العذاب
بعيونهم يوم القيمة بفتح الياء معلوما وبضمها مجهولا ان القوة اى الغلبة
والقدرة الالهية لله جميعا نصب على الحال يعنى لو يعلم الكفار
ان القدرة كلها لله على كل شئ من الثواب والعقاب لا لاندادهم لينفعوهم
اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لتركوا عبادتها وندموا عليها اشد ندامة فان
مع الاسم والخبر ساد مسد مفعولى يرى بالياء وجواب لو محذوف كما عرفت
وعلى تقدير ان تكون القراءة فى ترى بتاء الخطاب كان الجواب لرأيت

ان القوة لله جميعا فالجملة فی محل النصب مفعول رأيت بمعنی علمت قوله وان
الله شديد العقاب عطف عليه قوله اذ تبرء بدل من اذ يرون او ظرف لشديد ای
الله شديد العذاب حين تبرأ الذين اتبعوا ای القادة من الذين اتبعوا ای
الاتباع واصل التبرء التخلص ويستعمل للتعبد عما يستكره والتفرق عنه وراوا العذاب ای
تبرّاوا منهم فی حال رؤيتهم العذاب فالواو فيه للحال بتقدير قد قوله وتقطعت بهم الاسباب
عطف علی تبرّاء بهم بمعنی عنهم ای انقرضت عنهم اسباب الوصل والخلة من القرابة
والعهود والحلف التی كانت بينهم فی الدنيا وقال الذين اتبعوا ای الاتباع
يوم القيمة علی وجه التمنی لو ان لنا كرة ای رجعة الی الدنيا وذلك حين تبرّأ منهم
الرّؤساء ولم ينفعوا لهم شيئا فنتبرأ منهم ای من رؤسائنا كما تبرأوا منا
الآن كذلك ای مثل ذلك الابراء الفظيع وهو نزول العذاب عليهم وتبرؤ
بعضهم من بعض يريهم الله اعمالهم حسرات ای ندامات يعنی انقلبت اعمالهم
التی حسبوها نافعة لهم حسرات عليهم فلا يرون مكان اعمالهم الا الحسرات حيث
لم يقبل لكونها لغير وجه الله فاوردتهم النار وما هم الاتباع والمتبوعون بخارجين
من النار لانهم خلقوا لاجلها قوله يا ايها الناس كلوا مما فی الارض ای من بعضه
اذ لا يؤكل كل ما فيها حلالا طيبا ای مستلذا او طاهرا من الشبهة نصب بانه
مفعول كلوا او نصب علی الحال مما فی الارض والحلال كل شيئ لا يعاقب عليه
باستعماله نزل حين حرم خزاعة وثقيف وبنو عامر من العرب علی انفسهم اشياء

مما احل

مما احل الله عليهم كالبحيرة والوصيلة والسائبة من الحرث والانعام فنهاهم الله
تعالی عن ذلك وقال كلوا مما احل الله لكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان بسكون الطاء
وضمها ای آثاره وطرقه فتدخلوا فی حرام وشبهة ثم اعلمهم بحال الشيطان للاحتراز
عنه بقوله انه لكم عدو مبين ای مظهر العداوة او ظاهرها لاخفاء به وعلل ترك
الاتباع للشيطان بقوله انما يأمركم ای يوسوس لكم الشيطان شبه بعثه
علی الشر بامر الآمر الذی يستدعی اطاعته بالسوء ای الاثم الذی لا يجب فيه حد
والفحشاء ای اقبح المعاصی الذی يجب فيه الحد وان تقولوا ای ويأمركم بان
تتكلموا علی الله ما لا تعلمون من تحريم الحرث والانعام يعنی بان تكذبوا علی الله
وتقولوا بغير علم من قبل انفسكم حرم الله علينا هذا واحل ذلك واذا قيل لهم
للمشركين من الناس اتبعوا ما انزل الله ای اعملوا باتباع القران يعنی لتحليل
ما احل الله وتحريم ما حرم الله فی القران قالوا لا نتبع ما انزل الله بل نتبع ما الفينا
ای وجدنا عليه اباءنا فهم كانوا اعلم منا فقلدوا آباءهم مع جهلهم فقال الله تعالی
ردا عليهم بهمزة الانكار والتعجب مع واو الحال بعدها ولو كان اباؤهم ای
يتبعونهم حال كون آبائهم لا يعقلون شيئا من الدين القيم ولا يهتدون للصواب
والحق ومثل الذين كفروا ومثل داعيهم الی الاصنام وعبادتهم اياه كمثل الذی ينعق
ای يصوت بما لا يسمع ای بالذی لا يدرك من البهائم بالاستماع الا دعاء
ای صوتا من الناعق ونداء ای زجرا مجردا من غير فهم شيئ آخر وحفظه

كما يفهم العاقل ويجيب صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ رفع على الذم بتقديرهم يعني كانهم صمٌّ
يتصاممون عن سماع الحق خرس لايتكلمون بالحق عمى لايبصرون الهدى فَهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ اى لايفهمون شيئا من مواعظ القرآن كالبهائم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُلُوا رزقكم مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ اى من حلالات ما رزقناكم والمفعول محذوف اى
كلو رزقكم بتحليلنا لا بتحليلكم فان رضاء الله بان تحلوا حلاله وتحرموا حرامه وَاشْكُرُوا
لِلَّهِ الذى رزقكموها إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ اى ان تخصون بالعبادة
وتعرفونه مولى النعم كلها فقالوا للنبى عليه السلام ان لم يكن هذه الاشياء محرمة فالمحرم
ما هو فنزل إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ بالنصب مفعول حرم الميتة وهى التى تموت من
اى حرم الله عليكم شيء
غير ذكوة من الدواب سوى السمك والجراد لقوله عليه السلام احلت لى
ميتتان ودمان وسيق الكلام هنا على العرف والعادة وَالدَّمَ يعنى الدم
الجارى والمراد بعضه ليخرج عنه الكبد والطحال لما مر من الخبر وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ
اى جميع اجزائه وانما عبر عنه باللحم لان الاصل من الحيوان اللحم والباقى تبع له
وَمَا أُهِلَّ بِهِ اى وحرم ما ذكر عليه بذبحه اسم لِغَيْرِ اللَّهِ والاهلال رفع الصوت
فى اللغة وكان المشركون اذا ذبحوا رفعوا الصوت بذكر الهتهم ثم رخص
لعباده فى اكل الميتة عند الضرورة بقوله فَمَنِ اضْطُرَّ شرط مجزوم بكسر النون
لالتقاء الساكنين وبضمها اتباعا اى احوج والجئ الى اكل شئ مما حرم الله
فليا كل غَيْرَ بَاغٍ نصب على الحال اى فى كونه غير ظالم على مضطر آخر يعنى

لايستاثر

60
لايستاثر نفسه باكله ويمنع غيره منه بل يتناول شيئا ويعطى الباقى
بمضطر آخر وَلَا عَادٍ اى غير متجاوز حد الشبع عند الاكل بالضرورة وقيل غير
خارج على السلطان ولا عاد على المسلمين بالسيف وقال الشافعى لايجوز
للعاصى بسفره اكل الميتة للضرورة ولا [illegible] رخص رخص المسافرين قال ابو حنيفة
يجوز قيل فمن اضطر الى اكل الميتة او الدم او لحم الخنزير فلم ياكل حتى مات
دخل النار فدل ذلك على ان اكله حلال وقيل اكله حرام لكن رفع عنه الاثم
بقوله فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ جواب الشرط اى لاحرج فى اكلها واستدل بقوله بعده إِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ لاكله المحرم رَّحِيمٌ بترخيصه ذلك قوله إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ نزل فى
علماء اليهود الذين غيروا نعت محمد عليه السلام بالتاويل فى كتابهم خوفا على
زوال رياستهم وفوت ماكلهم ووظايفهم من اتباعهم اى ان الذين يسترون
مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ اى التورية وَيَشْتَرُونَ اى يختارون بِهِ اى بالمنزل
ثَمَنًا قَلِيلًا اى عرضا يسيرا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ اى ملئيا
إِلَّا النَّارَ لان ذلك الاكل يوديهم الى النار فكانهم اكلوا النار وَلَا يُكَلِّمُهُمُ
اللَّهُ بغضبه عليهم او بما ينفعهم يَوْمَ الْقِيَامَةِ بل يكلمهم بسخطه عليهم وَلَا
يُزَكِّيهِمْ اى لايطهرهم من دنس الذنوب يوم يطهر المؤمنين من
ذنوبهم بالمغفرة وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اى وجيع دائم بسبب كتمانهم الحق
ثم قال فى شان هولاء العلماء من اليهود أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا اى

اختاروا الضلالة اى الكفر بالهدى اى على الايمان والعذاب بالمغفرة
اى واختاروا النار على الجنة ونعيمها فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم
ومواظبتهم على ما يوجب لهم النار من غير مبالات فيها بها اى اى شئ
صيرهم عليها يعنى اجراهم على فعل اهل النار والقاهم فيها فما استفهامية
تورث معنى التعجب لا الاستعلام قيل من كتم علماً الجمه الله تعالى يوم القيمة
بلجام من النار ذلك اى العذاب بالنار بان الله اى بسبب ان الله نزل
الكتاب اى القران بالحق اى بالصدق وبما لاشك فيه فاختلفوا فيه
فامنوا ببعض وكفروا ببعض او قال بعض شعر وبعض سحر وبعض كهانة
وان الذين اختلفوا فى الكتاب اى فى المنزل من الله لفى شقاق بعيد اى لفى
خلاف طويل منقطع عن الحق لا يرجع الى الهدى قوله ليس البر برفع الراء اسم
ليس والخبر ان تولوا وهو الاصل والاقوى وبنصب الراء خبر ليس وان تولوا
اسمها وهو قوى من حيث انه اعرف من البر لان ان تولوا كالمضمر فى
آية يوصف نزل خطابا لاهل الكتاب حين صلى النصارى قبل المشرق
وادعوا انه البر وصلى اليهود نحو المغرب الى بيت المقدس وادعوا انه البر
فرد الله عليهم ذلك وقال ليس البر ما انتم عليه وانه منسوخ خارج عن البر
وهو ان تصرفوا وجوهكم فى الصلوة قبل المشرق والمغرب فلا تعلموا غير ذلك
ولكن البر بتشديد النون ونصب الراء وبتخفيف النون ورفع الراء

مبتداء

مبتداء خبره من آمن بتقدير المضاف اى بر من آمن بالله اى صدق به بانه
واحد لا شريك له واليوم الآخر اى بالبعث الذى فيه جزاء الاعمال على انه
كاين لا محالة والملائكة بانهم عباد الله مكرمون عنده والكتاب اى القران او الكتب
المنزلة انها من عند الله لتحليل ما احل الله وتحريم ما حرمه والنبيين بانهم بعثوا
لدعوة الخلق الى الحق قوله واتى المال عطف على من آمن اى ومن اعطى الصدقة
من ماله بعد الايمان على حبه اى مع حبه وشهوته لجوعه او على حب الله او على
حب الاعطاء بطيبة نفس وهو صحيح شحيح يخشى الفقر او يأمل العيش والغنى والجار
والمجرور نصب على الحال ذوى القربى مفعول اتى اى اصحاب القرابة الفقراء
وقدمهم لانهم احق بالصدقة لقوله عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة
وعلى ذوى رحمك اثنان لانها صدقة وصلة واليتامى من الفقراء منهم
والمساكين اى الذين يسكنون الى الناس لاحتياجهم الشديد وابن السبيل
اى المسافر المنقطع عن السفر لعدم الزاد والقوة والضيف لانه جاء من السبيل
قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه والسائلين
اى مستطعين قال عليه السلام للسائل حق ولو على ظهر فرس وفى الرقاب
اى يعطى المال فى معاونة المكاتبين ليكفوا رقابهم او فى ابتياع الرقاب
واعتاقها او فى فك الاسارى قيل فى صرف المال فى الوجوه المذكورة قبل
ذكر الزكوة حث على نوافل الصدقات لان النبى قال نسخت الزكوة كل

صدقة يعني وجوبها وقيل لان في المال حقا سوى الزكوة نقل عن الشعبي وتلا هذه
الاية قوله واقام الصلوة اى المكتوبة واتى الزكوة اى المفروضة في المال عطف على
آمن قوله والموفون عطف على من امن في محل الرفع اى الذين يوفون بعهدهم
من الاوامر والنواهى والنذور اذا عاهدوا الله او عاهدوا فيما بينهم وبين الناس من
العقود والودايع والاسرار روى عن النبى عليه السلام من اعطى عهد الله ثم نقضه
فالله منتقم منه اى انقطع نظره منه ومن اعطى ذمة رسول الله ثم غدر فالنبى خصمه
يوم القيمة والصابرين بالنصب على الاختصاص في المدح لاظهار فضل الصبر في
الشدائد على سائر الاعمال اى الذين صبروا في البأساء اى الشدة والفقر والمصيبة
والضراء اى في المرض والزمانة وحين البأس اى في وقت القتال والحرب
مع الكفار اولئك اى اهل الصفة الذين صدقوا في ايمانهم وفيما عاهدوا واولئك
هم المتقون عن محارم الله وعن نقض العهد والمطيعون لله لشدة خوفهم من
عذابه قوله يا ايها الذين آمنوا كتب نزل حين جاء الاسلام وكان بين القبيلتين
من العرب دماء في الجاهلية وجراحات وديات ثم تشوف فاقسم احدهما
لنقتلن الحر منكم للعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله
عليه السلام فقال الله تعالى يا اهل الايمان بالله ورسوله والقران فرض عليكم
اى على القاتل والخارج منكم اذا طلب الولى ولم يعف القصاص اى المماثلة
في القتلى جمع قتيل وهى ان يفعل بالجانى مثل ما فعل ان امكن اذا كان فعله

عمدا الحر بالحر مبتداء وخبر اى الحر ماخوذ بالحر وكذلك العبد بالعبد والانثى
بالانثى قال ابو حنيفه يقتل الحر بالعبد كما يقتل المؤمن بالكافر ويجعل هذه الآية
منسوخة بقوله تعالى النفس بالنفس وبقوله عليه السلام المسلمون تتكافو دماؤهم
اى تتساوى ولان التفاضل لو اعتبر في النفوس كما قتل جماعة بواحد لكنها يقتل
بالاجماع وقال الشافعى ومالك رضى الله عنهما لا يقتل الحر بالعبد ولا المؤمن
بالكافر وهذه مفسرة للمبهم في قوله النفس بالنفس ولا يصلح القول بان قوله
الحر بالحر منسوخ بقوله النفس بالنفس لانه ورد في حكاية ما وجب على اليهود
في التورية من غير فرق بين الحر والعبد والذكر والانثى منهن شريعة من
قبلنا وهى لا تلزمنا لما جاء في شريعتنا ما يخالف ذلك وانما يلزمنا لو لم يجئ
المخالف فمن عفى اى ترك واسقط له وهو القاتل والاصل ان يتعدى
عفى بعن الى الجانى او الى الذنب فاذا تعدى اليهما معا قيل عفوت لفلان
عما جنا وعلى هذا الآية لكنه اختصر عن الثانى يعنى لو عفى له عن جناية
من اخيه اى من قتيله الذى هو اخوه في الدين شئ اى بعض الدم كما اذا
عفى بعض الورثة منه سقط القصاص ووجب الدية فيكون العفو هنا
بمعنى الاسقاط والترك ويجوز ان يكون المراد من كلمة من ولى المقتول
واخيه القاتل لانه اخوه في الدين ومن شئ الواجب الذى يعطيه للقاتل
بطلب الولى من الذهب والفضة والابل فيكون المعنى من جعل له من دم

اخیه وهو القصاص علی القاتل بدل وهو الدیة فلیاخذه فیکون العفو بمعنی البدل
حینئذ فمن مبتداء متضمن لمعنی الشرط والجزاء فاتباع بالمعروف ای فالامر
فیه ان یتبع الطالب المطلوب بما یعرف شرعا یعنی لایطالبه بعنف واذا اخذ الدیة
لایطلب الاکثر مما وجب علیه واداء الیه ای الامر ان یودی القاتل الی ولی الدم
ماوجب علیه باحسان ای بلا مماطلة ولانقص وفیه تادیب لولی الدم والقاتل ذلک
ای ماذکر من العفو واخذ الدیة تخفیف تیسیر وتوسع من ربکم لکم ورحمة منه حیث
لم یحرم العفو واخذ الدیة بل خیرکم بین القصاص والعفو واخذ الدیة وانما قال
ذلک لان القصاص کان واجبا علی الیهود فی التوریة لاغیر واخذ الدیة کان
واجبا علی النصاری فی الانجیل لاغیر قال الشافعی الولی مخیر ان شاء قتل
وان شاء اخذ الدیة وان لم یرض به القاتل وقال ابو حنیفة له ان یاخذ الدیة
برضاء القاتل فمن اعتدی ای تجاوز ما شرع له فقتل الجانی وقتل غیر القاتل
بعد ذلک ای بعد اخذ الدیة وقبولها فله عذاب الیم ای وجیع فی الاخرة
او بان یقتل قصاصا ولایقبل منه دیة لقوله علیه السلام لااعافی احدا قتل بعد
اخذ الدیة ولکم فی القصاص ای فی هذه الحکم الذی هو القصاص حیوة ای
بقاء عظیم لانهم کانوا یقتلون بالواحد الجماعة فاذا علم القاتل انه یقتل اذا قتل
لایقدم علی القتل واذا قتل فقتل ارتدع غیره کان القصاص سبب حیوة
نفسین واکثر یا اولی الالباب ای ذوی العقول لعلکم تتقون ای القتل

مخافة القصاص کتب علیکم نزل حین کانوا یوصون للاجنبیین ولم یوصوا
لذی القرابة شیئا لرفع ذلک ای فرض ووجب علیکم اذا حضر ای دنا
احدکم الموت اسبابه من الامراض فظهرت اماراته ان ترک خیرا ای
مالا کثیرا طیبا یعنی للورثة والخیر فی الاصل کل ما یرغب فیه لنفعه قوله الوصیة
مرفوع فاعل کتب ای یوجب ان یوصی للوالدین والاقربین ممن یرث
ومن لایرث بالمعروف ای بالعدل یعنی لایزید علی الثلث ولایوصی لغنی دون
الفقیر حقا علی المتقین ای حق ذلک حقا علی من یتق الله ویمتثل امره قیل
کان وجوب الوصیة لهم قبل نزول آیة المواریث ثم نسخ لها وبقوله علیه السلام
ان الله اعطی کل ذی حق حقه فلا وصیة لوارث والحق هذا بالمتواتر وان کان
خبر الواحد لان الامة تلقته بالقبول ثم اختلفوا فی الوصیة قال بعضهم هی مباحة
فمن شاء اوصی ومن شاء لم یوص وقال بعضهم ان کان علیه حج او کفارة
او شیئ من الواجبات فالوصیة واجبة والا فهو بالخیار ان شاء اوصی
وان شاء لم یوص وعلیه الفتوی فمن بدله ای غیر الایصاء عن وجهه الشرعی
بعد ما سمعه ای الایصاء وحققه فانما اثمه ای اثم الایصاء المغیر
علی الذین یبدلونه ای الایصاء من الاوصیاء والشهود لا علی الموصی وهو میت
فانه بری منه ان الله سمیع بالایصاء وتغییره علیم بثوابه وجزاء من غیره
فمن خاف ای علم واحس او توقع من موص بالتخفیف والتشدید جنفا ای میل

الذی اوصی جنفًا وهو المیل عن الحق بالخطاء فی الوصیة او اثمًا ای ظلما منه عمدًا فی
وصیته فزاد فی الثلث فاصلح بینهم ای بین الموصی لهم وهم الوالدان والاقربون
فغیر وصیته باجرائها علی طریق الشرع فلا اثم علیه ای لا وزر علی المغیر لانه تغییر
باطل الی الحق فلا یکون ظلما ان الله غفور لمن تاب عن الظلم رحیم لمن اطاعه فی
امره یا ایها الذین آمنوا کتب علیکم الصیام ای فرض علیکم صیام شهر رمضان والصوم
فی اللغة الامساک وفی الشرع امساک یوم عن اشیاء مخصوصة مع النیة ثم اکد فرضیته
وبین انه عبادة قدیمة لیست مخصوصة بنا بل کانت مفروضة علی من تقدمنا ایضًا
بقوله کما کتب علی الذین من قبلکم ای علی الانبیاء والامم من عهد ادم الی عهدکم یعنی
ان صومکم هذا کصومهم فی عدد الایام وهو شهر رمضان قیل کان وقوعه فی البرد
الشدید والحر الشدید فشق علیهم فی معاشهم واشغالهم فجعلوه بین الشتاء
والربیع وزادوا عشرین یوما کفارة لتحویله عن وقته لعلکم تتقون المعاصی
لان الصایم یمنع نفسه من مباشرة السوء قال الرسول علیه السلام فعلیه
بالصوم فان الصوم له وجاء ای مجن من السوء قوله ایامًا معدودات ظرف
لکتب او للصیام ای موقتات بعدد معلوم وهو مشعر لقلتها قیل کان الصوم
واجبًا فی ابتداء الاسلام ثلثة ایام من کل شهر وصوم عاشوراء فنسخ بصیام
شهر رمضان فمن کان منکم مریضًا لم یقدر علی الصوم او علی سفر
ای عازما علیه فلم یصم فی سفره فعدة ای فعلیه صیام ایام عدد ایام فطره قضاءً

من ایام

من ایام اخر وهو صفة لعدة وهی بمعنی المعدودة وانما قال لها بالتنکیر ولم یقل
فعدتها بالاضافة لما علم من الحکم انه لا یؤثر عدد علی عددها فاکتفی بالتنکیر عن التعریف
بالاضافة ای صیام ایام من غیر ایام مرضه وسفره کیف شاء بالتواتر وبالتفریق
واخر لا ینصرف للوصف والعدل التقدیری وعلی الذین یطیقونه من اطاق
فلان اذا زال طاقته والهمزة للسلب ای لا یقدرون علی الصوم وهم الذین قدروا
علیه فی حال الشباب ثم عجزوا عنه فی حال الکبر فدیة طعام مسکین ای ان
یفتدوا بدفعهم لکل مسکین مقدار نصف صاع من حنطة عن کل یوم عجزوا عنه او صاع
من غیره عند ابی حنیفة ورطلا من طعام وثلث رطل عند الشافعی وهو المد ویفطروا
ذلک الیوم قرئ برفع فدیة مع التنوین وابدل طعام بالرفع لها او هو خبر مبتدء
محذوف ای طعام بمعنی الاطعام وبرفعها بدون التنوین لاضافتها الی طعام
کخاتم فضة لان الفدیة یکون طعامًا وغیر طعام وقرئ مساکین جمعًا بفتح النون
ومفردًا بجرها فمن تطوع خیرًا ای زاد علی الواجب علیه او علی مسکین واحد
مکان کل یوم یفطره فهو ای فالتطوع خیر له ای خیر لمن زاد علی الواجب قوله
وان تصوموا ای صیامکم وجهدکم طاقتکم فی محل الرفع مبتداء وخبره خیر لکم
ایها المطیقون من الفدیة وتطوع الخیر والافطار ان کنتم تعلمون ان ذلک
خیر لکم فصوموا الان فیه امتثال الفرض وکثرة الثواب قوله شهر رمضان خبر
مبتداء وهو هی ایام المعدودات شهر رمضان الذی انزل فیه القرآن یعنی من

اللوح المحفوظ جملة واحدة ليلة القدر اى ببيت العزة فى السماء الدنيا ثم نزل به جبرئيل
عليه السلام نجوما فى عشرين سنة قيل نزلت التورية فى ثنتى عشرة ليلة مضت من
رمضان والانجيل فى ثمان عشر منه والقرآن فى اربع وعشرين منه ورمضان
مصدر رمض اذا احترق وسمى الشهر لاحتراق الصائمين فيه من شدة الجوع
والعطش ولا ينصرف للتعريف والالف والنون المزيدتين قوله هُدًى نصب على
الحال اى هاديا لِلنَّاسِ الى الحق وَبَيِّنَاتٍ اى دلالات واضحة مِنَ الْهُدَى اى
ما يهدى الى الحق من الوحى وكتبه السماوية وَالْفُرْقَانِ اى الفارق بين الهداية و
الضلالة والحق والباطل من الحدود والاحكام بحيث لا يبقى للناس عذر لان يقولوا
لو ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى وذكره يفيد المبالغة
والتوكيد فى الهداية بعد ذكره اولا هدى للناس مَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ اى من
حضر منكم فى الشهر وهو مقيم صحيح فَلْيَصُمْهُ اى ليصم الشهر فالضمير ظرف لا مفعول به
وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا اَوْ عَلَى سَفَرٍ فافطره فَعِدَّةٌ اى فعليه عدة الايام المعدودة التى
افطرها مِنْ اَيَّامٍ اُخَرَ يقضيه بعد ذلك وانما اعاد هذا الشرط ليعلم ان هذا الحكم
ثابت فى الناسخ كما كان ثابتا فى المنسوخ الذى هو التورية والانجيل واختلف فى
المرض المبيح للافطار بعضهم يرى الفطر لمطلق المرض حتى يراه لوجع السن او
الاصبع وبعضهم اباحه بالمرض الذى يجوز معه الصلوة قاعدا او يخاف ان يزيد
الصوم فى موضعه وبعضهم قال اذا اجهده المرض افطر والا فهو كالصحيح وهو مروى

عن الشافعى واختلف فى السفر منهم من يجوز الفطر فى السفر ومنهم من لم يجوزه
بل فرضه فيه حتى يوجب القضاء على من صام فى السفر وهو قول القديم للشافعى ومنهم
من يفضل الفطر فى السفر وبعضهم يفضل الصوم فيه وهو قول الجديد والسفر المبيح
للفطر ستة عشر فرسخا يقصر فيه للصلوة عند الشافعى ومسيرة ثلثة ايام ولياليها
عند ابى حنيفة رضى الله عنه يُرِيدُ اللّٰهُ بِكُمُ الْيُسْرَ اى السهولة حيث اباح الافطار
بالسفر والمرض وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ اى المشقة بالصوم فى المرض وفى السفر قوله
وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ بالتشديد والتخفيف عطف على تعليل المحذوف اى شرع لكم ما
ذكر من الاحكام لتعلموه ولتتموا عدد ايام الشهر لقوله عليه السلام الشهر بضع وعشرون
فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلثين
والمراد لتكملوا عدد ايام الشهر بقضاء افطاركم بالمرض او بالسفر وَلِتُكَبِّرُوا اللّٰهَ اى
تعظموه حامدين عَلٰى مَا هَدٰيكُمْ اليه من الصوم وهو علة تعليمه اياكم كيفية القضاء
هو التكبير ليلة الفطر صح
والخروج عند عيدة الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال وقيل هو التكبير يوم الفطر
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ الله على هذه النعمة حيث رخص لكم الفطر فى المرض والسفر
وهو تعليل لاجل الترخيص والتيسير قوله وَاِذَا سَاَلَكَ عِبَادِىْ نزل حين سأل
بعض اصحاب النبى عليه السلام عنه اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فقال
الله تعالى ايماء الى سرعة اجابة الدعاء منهم اذا سألك عبادى فَاِنِّىْ قَرِيْبٌ اى
فقل لهم انى قريب علما واجابة عن قرب مكانه فاذا دعى اسرعت تلبيته اُجِيْبُ

اى اسمع الاجابة دعوة الداعى اذا دعان اى فى اى وقت يدعونى قرئ بالياء
فيهما وبحذفهما فليستجيبوا لى اى فليجيبوا لى اذا دعوتهم الى الايمان والطاعة كما انى
اجيبهم اذا دعونى لحوائجهم وليؤمنوا بى اى ليصدقوا بتوحيدى لعلهم يرشدون الى
الهداية من الضلالة قوله احل لكم نزل حين واقع عمر اهله فى رمضان بعد صلوة
العشاء الاخيرة بعد النوم وكان الاكل والشرب والجماع حراما فى رمضان بعد
النوم فى ابتداء الاسلام فلما اغتسل لام نفسه وبكى فجاء الى النبى عليه السلام
واعتذر اليه بما فعل فقال النبى عليه السلام ماكنت جديرا بذلك يا عمر فرجع مقيما
فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فى بشارة الاباحة بقوله احل لكم اى
ابيح لكم ليلة الصيام الرفث اى الجماع او هو كل ما يراد من النساء كاللمس والتقبيل
الى نسائكم وعدى الرفث هنا بالى وان كان الاستعمال بالباء يقال رفث
بالمرأة لتضمنه معنى الافضاء قوله هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف كالبيان
لسبب الاحلال واللباس اسم كل ما يستر الشئ فكان كل واحد منهما ستر لصاحبه
عما لا يحل او كل واحد منهما كالثوب يشتمل على صاحبه بالمخالطة والمعانقة عند النوم
فيقل منهما الصبر والاجتناب فلذلك رخص بالمباشرة علم الله انكم كنتم تختانون
اى تخونون انفسكم وتظلمون بمباشرتهن فى غير وقت المباشرة فتاب
عليكم اى تجاوز عنكم اذ تبتم من عملكم الحرام وعفى عنكم اى محا ذنوبكم فلم يعاقبكم
بفعلكم فالآن باشروهن اى جامعوهن وابتغوا ما كتب الله لكم اى

اطلبوا

اطلبوا ما قضى الله وحكم لكم فى اللوح المحفوظ من الولد لا مجرد قضاء الشهوة او اطلبوا
منهن ما ابيح لكم وامرتم به قوله وكلوا واشربوا اى ليالى الصيام حتى يتبين اى يتبين
ويظهر لكم الخيط الابيض وهو اول ما يظهر من بياض النهار كالخيط الممدودة من الخيط
الاسود وهو ما يمتد من سواد الليل مع بياض النهار وسواد الليل بخيطين هما ابيض
واسود لامتدادهما نزل رخصة للمسلمين فى ذلك لان الحكم كان فى ابتداء الاسلام
حرمة الاكل والشرب فى صيام رمضان بعد النوم الى الليلة القابلة روى عن عدى
ابن حاتم انه قال اخذت خيطين فجعلت انظر اليهما فلم يتبين الاسود من الابيض
ما لم يسفر الصبح فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فتبسم وقال
انك لعريض القفاء انما هو سواد الليل وبياض النهار فنزل قوله من الفجر فارتفع
الاشتباه وهو بيان للخيط الابيض من قبيل الاكتفاء عن بيان الخيط الاسود
ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر قيل اكثر العلماء على جواز تاخير البيان
بعد ورود المجهول ليستفيد منه المخاطب وجوب الخطاب ويعدم على فعله اذا استبان
له وبعضهم لم يجوز تاخير البيان لما فيه تحير العباد فى العمل به وهو لا يليق بالحكيم وطعن
فى هذه الرواية وابطلها قوله اتموا الصيام الى الليل اى الى اوله وهو الغروب قيل فيه دليل
على جواز النية بالنهار لرمضان اذ الاتمام بالنية فى الصوم وهو فى النهار على جواز
ترك الغسل الى طلوع الفجر وعلى نفى الوصال للمخاطبين بالاتمام قوله ولا تباشروهن
اى لا تجامعوهن وانتم عاكفون اى المقيمون بنية الاعتكاف فى المساجد قيل يجوز

الاعتكاف فی جمیع المساجد لظاهر الآیة وقیل لایجوز الا فی مسجد جامع والعامة علی
انه فی مسجد جماعة وفیه دلیل علی ان الاعتکاف لایجوز فی غیر المسجد وشرطه الصوم
عند ابی حنیفة دون الشافعی والمعنی ان الجماع مفسد الاعتکاف فی مدته لیلا
ونهارا نزل فیمن کان یعتکف فی المسجد بعد ترخیص المسلمین للجماع فی لیلة الصیام
فاذا عرضت له حاجة الی امرأته خرج باللیل الیها فجامعها ثم اغتسل فرجع الی المسجد فنهی
الله عن ذلک فحرم فی مدة الاعتکاف ثم قال تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ ای الاحکام المذکورة
والمحرمات موانع الله والحد المنع ومنه الحدید یمنع ویمتنع به ومنه حد الدار لانه یمنع من
دخول الغیر فیها والفاء فی جواب الشرط المحذوف فی فَلَا تَقْرَبُوهَا ای انتهوا فلا تقربوا
الحدود وفیه مبالغة حیث نهی عن قرب الحدود ولم یقل فلا تعتدوها کما قال فی آیة
اخری لانه نهی عن قرب الحد الذی هو الحاجز بین طرفی الحق والباطل لئلا یدانی
الباطل فضلا عن ان یتخطاه کما قال علیه السلام ان لکل ملک حمی وحمی الله محارمه
فمن یرتع حول الحمی فقد یوشک ان یقع فیه کَذٰلِكَ ای مثل ذلک لبیان یُبَیِّنُ اللّٰهُ
آيَاتِهِ لِلنَّاسِ من امر الصیام فی الصحة والمرض والمباشرة بالنساء والاعتکاف
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ای یخافون الله فیتبعون ما امرهم وینتهون عما نهاهم قوله وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ
بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ نزل فی رجلین تخاصما فی ارض بینهما فاراد احدهما ان یحلف علی
ارض اخیه بالکذب فقال النبی علیه السلام انکم تختصمون الی ولعل بعضکم الحن
بحجته من بعض فمن قضیت له حق اخیه واری انه من حقه فانما اقضی له بقطعة من

النار فصارت الآیة عامة بجمیع الناس قوله بینکم حال ای لا یأکل بعضکم اموال البعض
کائنة بینکم بوجه حرمه الشرع کالرشوة والغصب والحیلة وَتُدْلُوا بِهَا جزم بلا مقدرة
عطف علی تأکلوا ای ولا تلقوا باموال الرشوة ونحوها إِلَى الْحُكَّامِ ای امراء الظلم
وقضاة السوء وانتم تعلمون انهم ظلمة ثم علل فعلهم بقوله لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا ای طایفة
مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ ای بالجور والیمین الکاذبة وشهادة الزور وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
انکم تأخذونها بالباطل لان قضاء الحکم بالباطل لا تحل حراما کما فهم بالخبر قوله يَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْأَهِلَّةِ نزل حین قال ثعلبة بن تمیم ومعاذ بن جبل الانصاری یا رسول الله
ما بال الهلال تبدو دقیقا مثل الخیط ثم یزید نورا [حتى يمتلئ صح] ثم ینقص ویعود دقیقا کما بدا [الاهلة]
جمع هلال وهو الصوت سمی به لان الناس یرفعون اصواتهم عند رؤیته قُلْ
یا محمد فی بیان سره هِيَ ای الاهلة مَوَاقِيتُ ای معالم یعرف بها لِلنَّاسِ اوقات
معاملتهم من الزراعة والتجارة وحل دیونهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم
قوله وَالْحَجِّ عطف علی الناس ای اوقات الحج [والعمرة والحج صح] بفتح الحاء مصدر وبالکسر اسم له
وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا نزل لرفع امر الجاهلیة فی اول الاسلام
لان الناس من الانصار کانوا اذا احرم رجل منهم لا یدخل البیت فی اشهر الحج
من بابه وکان یدخل من خلفه فان کان من اهل المدر نقب فی ظهر بیته فمنه
یدخل ومنه یخرج وان کان من اهل الوبر یدخل من خلف الخیمة ویعدون ذلک
برا فقال الله تعالی لیس البر ای الاحسان والتقوی بان تجیئوا البیوت من ظهورها

اذا احرمتم ولكن البر بر من اتقى اى خاف الله واتبع امره ولا يدخل من ظهر البيت
وأتوا البيوت اى ادخلوها محرمين مخلصين من ابوابها واتقوا الله اى اخشوه
ولا تعصوه لعلكم تفلحون اى لكى تنجوا من عقوبته قوله وقاتلوا اول ما نزل
فى امر القتال لرفع الجناح عن المسلمين وذلك عند نزول رسول الله عليه السلام
مع اصحابه بالحديبية موضع فى قرب مكة فيه بئر اسمها حديبية ثم سمى ذلك الموضع
بها للعمرة فصده المشركين عن البيت فاقام فيها شهرا وصالحه المشركون على ان
يرجع من عامه ويأتى مكة فى العام المقبل ويعتمر ثلثة ايام وعلى ان لا يكون بينهم قتال
الى عشر سنين فرجع الى المدينة فخرج من العام الثانى لقضاء العمرة فى اشهر الحج
فكره اصحابه رسول الله القتال مع المشركين فى الشهر الحرام لامكان نقض العهد
منهم فاطلق عليهم القتال فيه بقوله قاتلوا اى جاهدوا لاعزاز الدين فى سبيل الله
اى فى طاعته الذين يقاتلونكم فى الشهر الحرام ولا تعتدوا اى لا تنقضوا العهد
بابتداء القتال فى الشهر الحرام او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ
والصبيان والمعاهدين ان الله لا يحب المعتدين اى لا يرضى فعل المتجاوزين
من الحلال الى الحرام او هو الابتداء بالظلم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى حيث
وجدتموهم فى الحل والحرم والشهر الحرام ان نقضوا عهدكم واخرجوهم من حيث اخرجوكم
اى من مكة لانهم اخرجوا المسلمين اولا منها واخرج عليه السلام ثانيا منها من لم
يؤمن به منهم يوم الفتح وكان المشركون يستعظمون القتال فى الحرم ويعيرون به المسلمين

فنزل قوله

فنزل قوله والفتنة اى الشرك بالله اشد اى اعظم عند الله من القتل
الذى يحل بهم منكم فى الحرم وقيل الفتنة عذاب الآخرة ولا تقاتلوهم عند
المسجد الحرام اى فى الحرم حتى يقاتلوكم فيه اى حتى يبدؤكم بالقتال فان قاتلوكم
اى فان بدؤكم بالقتال فاقتلوهم اى فلا تبالوا بقتالهم قرئ فى ثلثها بالف
وبغير الف كذلك اى مثل ذلك الجزاء جزاء الكافرين اى قتلهم فى الحرم
وغيره فان انتهوا اى عن الشرك والقتال فان الله غفور لمن تاب عن
الذنوب رحيم من اطاعه من العباد وقاتلوهم اى المشركين حتى لا تكون
فتنة اى شرك وكان تامة وحتى بمعنى الى ان او كى ويكون الدين اى
الاسلام والعبادة لله وحده فلا يعبد غيره فلا يقبل من مشركى العرب الا
الاسلام او القتل فان انتهوا عن الشرك وقتالكم فلا عدوان اى لا ظلم
يعنى لا تظلموا الا على الظالمين اى الا على الذين لا ينتهون عن الظلم وسمى جزاء
الظالمين ظلما للمشاكلة قوله الشهر الحرام بالشهر الحرام اى الشهر المحرم يقابل بالشهر
المحرم فى هتك الحرمة نزل حين ذهب رسول الله واصحابه عام الحديبية
الى مكة للعمرة فصدهم المشركون عن البيت فى ذى القعدة سنة ست ثم رجع
فى العام الثانى مع اصحابه فدخلوا مكة فطافوا البيت ونحروا الهدايا واقاموا فيها
ثلثة ايام فى ذى القعدة ايضا سنة سبع فقال تعالى اذا قاتلوكم فى الشهر الحرام
بهتك حرمته فافعلوا بهم بهتك حرمته عليكم ولا تبالوا من كراهة القتال فيه
شهركم

كما فعلوا بكم بهتك حرمته صح

لانه جزاء فعلهم فيكون هذا الشهر مقابلاً بذلك الشهر والحرمات قصاص مصدر بمعنى
المساوات اي كل حرمة يجري فيها القصاص من المحرمات اذا هتكت اقتص منها
بمثلها يعني قتالكم في الشهر الحرام الذي حرم القتال على المؤمنين يكون تقابلهم قصاصا
واكد بذلك قوله فمن اعتدى عليكم اي تجاوز بقتالكم في الشهر الحرام فاعتدوا اي تجاوزوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم اي بان تقاتلوه فيه بمثل ما قاتلوكم وسمي الثاني اعتداء
لازدواج الكلام واتقوا الله اي اخشوه اذا نصركم من اخذ اكثر من حقكم ممن ظلمكم
واعلموا ان الله مع المتقين عن الاعتداء بالمعاونة على المعتدين ونزل حين امر الناس
بالخروج الى الجهاد فقام بعض من حاضري المدينة وقالوا بماذا نتجهز في سبيل الله
فوالله ما لنا زاد ولا يطعمنا احد قوله وانفقوا اي تصدقوا يا اهل الميسرة في
سبيل الله اي في طاعته ومنها الجهاد وقيل الآية في حق اهل البخل حيث قالوا
لو انفقنا اموالنا صرنا فقراء الى الناس ولا تلقوا بايديكم اي لا تطرحوا انفسكم
وعبر بالايدي عن الانفس والباء مزيدة الى التهلكة اي الهلاك بالبخل وترك
الجهاد لانه سيئ قال عليه السلام من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة
من النفاق وقيل التهلكة هي القنوط من الرحمة عند اصابة الذنب واحسنوا
بالله الظن فيما انفقتم انه يخلف عليكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة او احسنوا الانفاق
في الغزو من غير اسراف ولا تقتير ان الله يحب المحسنين فيما يفعلون من الخير قوله
واتموا الحج والعمرة لله نزل نهيا عما لا يستحل فيهما لان المشركين كانوا يقولون

في البلية

في التلبية لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فقال الله تعالى واتموهما اي
لا تخلطوا بهما شيئا آخر وقيل اتمامهما باحرامك بهما من دويرة اهلك او باتمام مناسكهما
وسننهما بالاحرام من المواقيت ووجوب الحج اجماعي على المستطيع والعمرة واجبة
عند الشافعي وسنة عند ابي حنيفة والحج ثلثة افراد وهو ان يحج الرجل ثم يعتمر بعد فراغه
منه وهو الافضل عند الشافعي وتمتع وهو ان يعتمر في اشهر الحج وبعد الفراغ منها يحرم
بالحج من مكة فيحج في هذا العام وقران وهو ان يحرم بحج وعمرة معا او يحرم بعمرة ثم يدخل
عليها الحج قبل ان يطوف وهو الافضل عند ابي حنيفة فان احصرتم اي حبستم عن
البيت بعد ما احرمتم وهو بمرض او عدو او غيرهما مما يحول بين الرجل والحج فما استيسر
اي فعليكم ما تيسر من الهدي وهو مصدر في الاصل والمراد كل ما يهدى الى البيت تقربا
الى الله من النعم ايسره شاة واوسطه بقرة واعلاه بدنة فيتحلل المحرم بذبح الهدي وحلق
الراس في مكان احصر عند اكثر الفقهاء كما فعل النبي عليه السلام يوم الحديبية وقال
ابو حنيفة يبعث هديه الى الحرم بمكة لينحر فيه ويقيم في مكان احصر على احرامه ويواعد يوما
من ذبحه عنه فيه ثم يحل من احرامه في يوم الذبح اذا علم انه قد ذبح فيه ويرجع الى
اهله ثم يقضي حجه وعمرته بعد ذلك وما نحر النبي عليه السلام فيه من المحصر كان
طرف الحديبية الى اسفل مكة فهو من الحرم فالمعنى انكم اذا منعتم عن حج البيت فعليكم
من الهدي ما استهل لكم ولا تحلقوا رؤسكم في خلال الاحرام حتى يبلغ الهدي محله
اي منحره الذي يذبح فيه من الحلول وهو النزول يعني يثبت على احرامه عن غير حلق

حتى يذبح هديه اذا لم يضطر الى الحلق قبله ثم صار هذا الحكم تاما لجميع الحاج من المفرد والقارن
والمتمتع والمعتمر يعنى لا يجوز له ان يحلق راسه الا بعد ان يذبح هديه وان لم يحصر يعنى
فى منى نزل فى شان كعب بن عجرة حين اشتكى الى النبى عليه السلام من هوام راسه
فى خلال الاحرام فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا اى من كان فى جسده مرض اَوْ بِهِ اَذًى مِنْ رَاسِهِ
كالصداع والجراحة والقمل فَفِدْيَةٌ اى فعليه فدية اذا حلق راسه قبل وقته وهو يوم النحر
للضرورة فدية مِنْ صِيَامٍ اى صيام ثلثة ايام اَوْ صَدَقَةٍ يطعمها ستة مساكين لكل مسكين
نصف صاع اَوْ نُسُكٍ مصدر بمعنى الذبيحة ادناها شاة واوسطها بقرة واعلاها
بدنة واو هنا للتخيير اى هو مخير بين الذبح والصيام والصدقة فَاِذَا اَمِنْتُمْ من خوف
العدو ومن المرض او كنتم فى حال سعة لا فى حال احصار فَمَنْ تَمَتَّعَ اى استمتع وانتفع
بالتقرب بِالْعُمْرَةِ الى الله اِلَى الْحَجِّ الى وقت الحج يعنى قبل انتفاعه بتقربه اليه بالحج
وقيل من انتفع اذا حل من عمرته باستباحة ما كان محرما عليه اى يحرم بالحج فَمَا
اسْتَيْسَرَ اى فعليه ما تيسر مِنَ الْهَدْيِ اى من الشاة وغيرها من النعم يذبحها
يوم النحر فلو ذبحه قبله بعد ما احرم بالحج منعه بعضهم كدم الاضحية وجوز بعضهم كدم الجنايات
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ الهدى فَصِيَامُ اى فعليه صيام ثَلٰثَةِ اَيَّامٍ فِى الْحَجِّ اى فى وقته
واشهره ويكون آخر الايام يوم عرفة فيصوم يوما قبل التروية ويوم التروية ويوم
عرفة ولا يجوز صوم الثلثة فى يوم النحر وفى ايام التشريق وقيل يجوز فى ايام
التشريق وَسَبْعَةٍ اى صيام سبعة ايام اِذَا رَجَعْتُمْ الى اهليكم وبلدكم فلو صامها

قبل الرجوع لم يجز عند الاكثر ومنهم الشافعى وقيل يجوز صيامها بعد الفراغ من اعمال
الحج وبه قال ابو حنيفة وقال هو المراد من الرجوع فى الآية قوله تِلْكَ اى صيام
ثلثة ايام وسبعة عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ فى البدل من الهدى وفى الثواب وقيل هذا الكلام
لنفى توهم ان الواو فى وسبعة بمعنى او فلا يجب صيام جميع العشرة اذ الواو قد
يكون بمعنى او ويكون للتخيير وقيل هو خبر صورة بمعنى الامر اى فاكملوها ولا تنقصوها
ذٰلِكَ اى الهدى الميسر والصيام عند الشافعى لِمَنْ لَمْ يَكُنْ اَهْلُهُ حَاضِرِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
اى مقيمين فى الحرم وقيل لفظ ذلك اشارة الى التمتع اى ليس لحاضرى المسجد
الحرام متعة ولا قران وهو مذهب ابى حنيفة فمن تمتع او قرن منهم فعليه دم الجناية
لا ياكل من حاضرى المسجد الحرام عند ابى حنيفة اهل المواقيت فما دونها وعند
الشافعى من كان وطنه على اقل من مسافة القصر من مكة وَاتَّقُوا اللّٰهَ فى اداء
ما امركم به ونهاكم عنه وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لمن خالف امره تعالى ونهيه
قوله اَلْحَجُّ اى وقت الحج مبتدأ خبره اَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ وهى شوال وذو القعدة
وتسع ذى الحجة الى طلوع الفجر عند الشافعى وهما وعشر من ذى الحجة عند
ابى حنيفة وقال مالك جميع ذى الحجة مع الشهرين فمن قال تسع اراد الايام
ومن قال عشر اراد الليالى وفائدة تعيين الحج بهذه الاشهر ان يعلم ان شيئا
من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعى فى
غيرها وعند ابى حنيفة يجوز ويكره وانما جمع الاشهر على القولين لارادة الاوقات

اولان اقل الجمع اثنان او اخذ لبعض الشهر بمنزلة كله فمن فرض اى اوجب على
نفسه فيهن الحج بالاحرام والتلبية فلا رفث اى لا جماع لانه يفسد الحج او الفحش
من القول ولا فسوق اى الخروج من حدود الشرع بالمعصية ولا جدال اى المخاصمة
مع الرفقاء اى الخلاف بينهم في الحج بان يقول البعض الحج اليوم والآخر يقول الحج
غدا او بان يقول حجى ابر من حجك او الخلاف مخالفة قريش بالوقوف فى المشعر الحرام
سياير العرب فانهم كانوا يقفون بعرفة فرفع الله تلك المخالفة وانما امرنا باجتناب
ذلك كله فى الحج مع انه واجب الاجتناب فى الحج وغيره لانه فى الحج اسوء واقبح
قرئ الاولان بالرفع والتنوين اخبار بمعنى النهى اى لا يرفثوا ولا يفسقوا وبنصبهما
بلا تنوين وبنصب جدال نفيا واستدل على ان المنهى عنه فى الآية هو الرفث والفسوق
لا الجدال لقوله عليه السلام من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه قوله
وما تفعلوا من خير اى من احسان وطاعة حث على الخير عقيب النهى عن الشر
يعنى بان يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق التقوى ومكان
الجدال الوفاق يعلمه الله اى يقبله فيجازيكم به قوله وتزودوا نزل فى من كان
يحج بلا زاد يقول انا متوكل وانا احج بيت الله افلا تطعمونى فيكون كلا على الناس
اى تزودوا فى سفركم للحج والعمرة ما يكفيكم من السوال واتقوا الاستطعام من
الناس فان خير الزاد التقوى من سوال الزاد او ما تقيكم من السوال وغيره من
الطعام او اجعلوا التقوى زاد الآخرة والطعام زاد الحج واتقون اى عقابى

يا اولي

بعد نزول قوله واتموا الحج صح

يا اولي الالباب * الذين قضيتهم تقوى الله ومن لم يتقه منهم فكانه لا لب له
ونزل رخصة حين كان المسلمون يتأثمون من التجارة ايام الحج والعمرة لله
على تفسير ان لا يشوبها شئ من التجارة ليس عليكم جناح اى اثم فى موسم الحج
ان تبتغوا اى تطلبوا او فى ان تقصدوا فضلا اى رزقا وهو الربح فى التجارة
من ربكم فى ايام الحج فاذا افضتم اى دفعتم انفسكم بكثرة من افاض الماء
وهو صبته بكثرة يعنى رجعتم من عرفات اى من الوقوف بها بعد غروب الشمس
وهى علم للموقف سمى بجمع منصرف ولا اعتبار للتاء فى اللفظ لانها علامة
الجمع مع الالف قبلها ولا يجوز تقدير التاء للتانيث كما فى زينب لان هذه
التاء مانعة من التقدير لاختصاص الصيغة بجمع المؤنث وقيل التنوين فيها
ليس للصرف لكونه نظير النون فى مسلمين وسمى الموقف بالعرفات
لاعتراف الناس فيه بالذنوب او لان ادم عليه السلام لما رائى حوا فيه عرفها
قيل فيه دليل على ان الوقوف بعرفة واجب لان الافاضة لا تكون الا بعد
الوقوف ولان النبى عليه السلام قال الحج عرفة فمن ادرك العرفة فقد ادرك
الحج والمعنى انكم اذا وقفتم بعرفات ثم رجعتم من الوقوف زائرين البيت بمكة
فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والدعاء عند المشعر الحرام اى
بالقرب منه والمشعر المعلم اى معلم لعبادة الله ووصف بالحرام لحرمته
والمراد به المزدلفة وجميعها موقف الا المحسر وسمى بالمزدلفة لان آدم اجتمع

فيهما مع حوّاء و دلى منها وقد تسمى جميعا لذلك اولان فيها يجمع بين الصلوتين
المغرب والعشاء فى وقت واحد واذكروه كما هداكم كما ارشدكم لدينه وعلمكم كيف
تذكرونه فلا تعدلوا عنه فى اتيان مناسك حجه وان كنتم من قبله اى قبل الهدى
لمن الظالمين اى الجاهلين بعبادته وذكره لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه
وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة ونزل حين كان قريش واتباعها
يقفون بالمزدلفة ولا يخرجون فى الحرم اى عرفات ترفعا على الناس قايلين نحن اهل الله
وسكان حرمه لئلا يساؤهم فى الموقف والناس من اهل اليمن وغيرهم يقفون
خارج الحرم بعرفات ويفيضون منها فامر الله لهم ان يقفوا حيث يقف الناس
ويفيضوا من حيث يفيضون قوله ثم افيضوا اى ارجعوا من حيث افاض الناس
اى من عرفات ولا تكن افاضتكم من المزدلفة وثم لاظهار بعد ما بين افاضتى الصواب
والخطاء واراد بالناس جميعهم الا الحمس وهم قريش سميت به لشجاعتهم واستغفروا
الله من مخالفتكم فى الوقوف ونحوه ان الله غفور لمن تاب عن ذنبه رحيم
باثابته فى الجنة فامر النبى عليه السلام ابابكر ان يخرج بالناس جميعا الى عرفات
فيقف بها روى ان الله تعالى يباهى ملائكته باهل عرفات ويقول انظروا
الى عبادى جاؤا من كل فج عميق شعثا غبرا اشهدوا انى غفرت لهم وقال
فاذا قضيتم مناسككم اى اذا فرغتم من اداء امور الحج فاذكروا الله باللسان
يعنى اذكروه بالتكبير والثناء عليه كذكركم آباءكم فى ذلك الموقف بمنى

ای بالغوا

اى بالغوا فى ذكره بالكثرة كما تفعلون فى ذكر آبائكم وكانت العرب اذا فرغت
من حجها فذكرت مفاخر آبائهم ثم يتفرقون قوله او اشد ذكرا اى اكثر ذكرا فى موضع
الجر عطف على كم فى ذكركم تقديره او كذكر قوم اشد منكم ذكرا لآبائكم او اشد النصب
بمضمر تقديره واذكره ذكرا اشد من ذكركم لآبائكم ثم اشار الى اختلاف اغراض
الناس بالدعاء فى الحج بقوله فمن الناس من يقول وهم المشركون ربنا آتنا
فى الدنيا اى ارزقنا ابلا وبقرا وغنما وعبيدا واماء ومالا ولم يسئلوا التوبة والمغفرة
فقال وما له فى الآخرة من خلاق اى نصيب لان همه مقصور على الدنيا ومنهم اى من
المؤمنين من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة اى التوبة والمغفرة والعلم النافع والعمل
الصالح وفى الآخرة حسنة اى الجنة قيل الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة
الحوراء تانيث الاحور وجمعه حور وقنا اى ادفع عنا عذاب النار وقيل المرأة
السوء وقيل كل ما يبعد والمبعد عن الله لانه سبب عذاب النار اولئك اى
الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا اى دعوا والدعا كسب لانه عمل من
الاعمال المكتسبة كقوله بما كسبت ايديكم ثم حثهم على اعمال الخير وحذرهم بالموت
لان الجزاء والحساب انما يكون بعد الموت بقوله والله سريع الحساب اى بادروا
اكثار الذكر وطلب الآخرة فانه عن قريب يقيم ويحاسب العباد وهو سريع
الحفظ من غير غلط ونسيان لعدم احتياجه الى عقد يد او وعى صدر او فكر
بل حسابه اسرع من لمح البصر وهذا يدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه

منه روى انه تعالى يحاسب فى قدر حلب شاة او فى لمحة وَاذْكُرُوا اللّٰهَ بالتكبير عقيب
الصلوة وعند رمى الجمرات فِى اَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ بالحصر وهى ايام التشريق يعنى ايام
منى واجرى التانيث بالجمع على لفظة ايام والقياس فى ايام معدودة وقوبل
الجمع بالجمع مجازًا اذ لا يقال يوم معدودة وقيل يجوز ان يراد باليوم الساعة لاشتمال
الزمان عليها فيصح النعت بالمؤنث والايام المعلومات ايام العشر من ذى الحجة
وقيل هى ايام النحر فالتكبير مشروع للحاج وغيره عقيب الصلوة فى ايام التشريق
وهو الله اكبر ثلثا متوالية عند الشافعى واثنين عند غيره واتمامه لا اله الا الله والله اكبر
الله اكبر ولله الحمد لقوله عليه السلام كبروا دبر كل صلوة من يوم عرفة الى آخر ايام التشريق
وَمَنْ تَعَجَّلَ اى طلب الخروج من منى فِى يَوْمَيْنِ اى فى اليوم الثانى بعد يوم النحر من ايام
التشريق فَلَا اِثْمَ عَلَيْهِ بتعجيله وترك الرمى فى اليوم الثالث منها لانه رخص له ذلك
فعند ابى حنيفة يجوز الخروج فيه قبل طلوع الفجر منه وَمَنْ تَاَخَّرَ من الخروج حتى رمى
فى اليوم الثالث ثم يخرج اذا فرغ من رمى الجمار كما يفعل الناس الآن وهو مذهب
الشافعى وللامامين فَلَا اِثْمَ عَلَيْهِ بترك الرخص فالمعنى انهم مخيرون بين النظرين
وان كان التاخر افضل لجواز التخيير بين الفاضل والافضل قيل يجوز تقديم
الرمى فى اليوم الثالث على الزوال عند ابى حنيفة ولا يجوز عندهم قوله لِمَنِ اتَّقٰى
خبر مبتداء محذوف اى جواز التخيير ونفى الاثم عن المتعجل والمتأخر لمن يتقى
المناهى بعد انصرافه من الحج وانما خصه به لانه المنتفع به دون من سواه ثم زاد

في التحذير

فى التحذير بقوله وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوا اَنَّكُمْ اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ اى تجمعون فيجازيكم باعمالكم لانهم
كانوا اذا رجعوا من حجتهم تجترؤن على الله بالمعاصى فشدد فى تهديدهم قوله وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ نزل حين جاء اخنس بن شريق الى رسول الله عليه السلام واحبك قال
فاعجب النبى عليه السلام كلامه حلو حسن المنظر فاجر السريرة فقال انما جئت اريد الاسلام
وقال الله يعلم انى صادق ثم خرج من عنده فمر بزروع ثقيف من المسلمين
فاحرقه ليلا واهلك مواشيهم لانه كان بينه وبينهم عداوة فاخبر الله تعالى عنه
بقوله ومن الناس من يسرك كلامه ويعظم فى قلبك فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا اى ما يقول
لك فى غرض المعيشة فى الدنيا لان ما ادعى من محبتك انما هو لطلب حظ من
الدنيا ويتعلق الجار والمجرور بقوله وَيُشْهِدُ اللّٰهَ عَلٰى مَا فِى قَلْبِهٖ اى يقول الله شاهد
على محبتك والاسلام فى قلبى والواو للحال فى وَهُوَ اَلَدُّ الْخِصَامِ اى اشد الخصومة
والعداوة للمسلمين ويجوز ان يكون الخصام جمع خصم اى الد الخصوم خصومة وَ
اِذَا تَوَلّٰى اى ادبر عنك ورجع سَعٰى فِى الْاَرْضِ اى مضى فيها بعمل المعاصى لِيُفْسِدَ
فِيهَا ليظهر الظلم بسفك دماء المسلمين وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ بحرق الزرع وعقر
الدواب وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ اى لا يرضى بعمل المعاصى وَاِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّٰهَ اى
خف على رد قول الناصح والواعظ له قيل من الذنوب التى لا يغفران يقال
للرجل اتق الله فيقول عليك حسبك او عليك نفسك يقول الله فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ
اى هى كافية له وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ اى الفراش والمقر فصارت الآية عامة بجميع الناس

من المنافقين قوله ومن الناس من يشري اى يبيع نفسه نزل فيمن يبذلها
فى الجهاد او فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى تقتل وقيل نزل فى صهيب
ابن سنان اكرهه المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرًا كانوا معه فقال لهم انا
شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلونى وما انا عليه اى
من الاسلام وخذوا مالى فقبلوا منه الا مقدار راحلته وتوجه الى المدينة فلما دخلها لقيه
ابو بكر فقال له ربح البيع يا صهيب فقال ماذاك يا ابا بكر فاخبره بما نزل فيه ففرح بذلك
صهيب والشرى من الاضداد يستعمل فى البيع والابتياع ونصب ابتغاء مرضات
الله مفعول له اى يشرى نفسه لطلب رضوانه تعالى والله رؤف اى كثير الرحمة
بالعباد لانه كلفهم الجهاد لحصول الثواب لهم ونزل حين استاذن عبد الله بن سلام
واصحابه بان يقرؤا التورية ويعملوا ببعض ما فيها يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم
كافة بكسر السين وفتحها اى فى الانقياد والمراد الاسلام كافة حال من الضمير فى
ادخلوا اى اثبتوا جميعًا على شرائع الاسلام ودين محمد عليه السلام ولا تخرجوا منها
ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى آثاره وسننه بعد مجئ سنن الاسلام برسالة
محمد عليه السلام انه لكم عدو مبين اى ظاهر العداوة فلا تتبعوا طرقه التى
يدعوكم اليها لترجعوا عن الصراط المستقيم فان زللتم اى ملتم عن الاسلام
وشريعته من بعد ما جاءتكم البينات اى الحجج الواضحات على ان ما دعاكم اليه محمد حق فاعلموا
ان الله عزيز حكيم اى غالب بالنقمة لا ينتقم الا بالحق ثم قال الله تعالى يا محمد هل ينظرون

اى ما ينتظرون بترك الدخول فى الاسلام الا ان يأتيهم الله اى بأسه وقضاؤه
بالعذاب فى الدنيا او يوم القيمة فى ظلل جمع ظلة وهى ما اظلك قوله من الغمام اى
الغيم صفة ظلل قيل فيه ايذان لشدة العذاب لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه
العذاب كان اصعب كانه قال من حيث لم يحتسبوا والملائكة رفع عطف
على الله اى يأتيهم الملائكة ليقبض ارواحهم وقضى الامر اى وفرغ من حسابهم
او اتم امر هلاكهم والى الله ترجع الامور معلوما ومجهولا وبالتاء والياء ثم امر الله تعالى نبيه
محمد عليه السلام بان يسأل اليهود تبكيتا بقوله سل بنى اسرائيل كم آتيناهم اى
كم اعطيناهم فكم يحتمل كونها استفهامية وخبرية ومعنى الاستفهام فيها للتقرير
وبينت بقوله من آية بينة اى واضحة على نبوة موسى او محمد عليه السلام كانفلاق
البحر واهلاك عدوهم ونزول المن والسلوى عليهم او شق القمر بصنفين
وانطاق الحجر وغيرهما من المعجزات ومن يبدل اى ومن يغير نعمة الله التى
هى آيات الله الدالة على صدق محمد ودينه من بعد ما جاءته اى من بعد ما عرفها
وصحت عنده فان الله شديد العقاب لمن يشكر نعمته لاستحقاق العقوبة بكفران
النعمة ونزل فى شان المنافقين او المشركين زين للذين كفروا الحيوة الدنيا
اى ما بسط لهم من الاموال التى هى متاع الحيوة الدنيا والمزين هو الله بان خذلهم
حتى استحسنوها واحبوها او الشيطان بان حسنها فى عينهم بوساوسه ويسخرون
من الذين آمنوا اى من فقراء المؤمنين كعبد الله بن مسعود وعمار وصهيب

وحبيب وبلال والذين اتقوا من الشرك والنفاق واطاعوا الله فوقهم في الجنة
والحجة في الدنيا وهؤلاء الكفار الله في يوم القيمة وفي هذه الآية ايذان بان الكافرين لا يسعدوا
بكثرة الدنيا عند الله وان المؤمنين لا يسعدوا عنده الا بالتقوى لذكره بعد ذكر
الايمان والله يرزق من يشاء بغير حساب اي يعطي رزق كثير في الآخرة او في الدنيا
بحيث لا يعرف حسابه او يرزق الكثير في الدنيا ولا يحاسب عليه في الآخرة
او يرزق من يشاء وليس احد يحاسب منه بما يرزقه لانه المالك المطلق وقيل يرزقه
بغير حسابه اي من حيث لا يحتسب قوله كان الناس امة واحدة فيه ايماء للمؤمنين
على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا في الحق من المشركين واهل الكتاب باخباره
تعالى ان بني آدم كانوا عند اخذ الميثاق عليهم مسلمين او من آدم الى نوح اي كان
الناس وهم عشرة قرون على دين واحد وعلى ملة واحدة من الحق ثم تفرقوا او اختلفوا
فبعث الله النبيين مبشرين بالثواب من يؤمن ويطيع ومنذرين بالعقاب
لمن يكفر ويعصي وهما حالان من النبيين وانزل معهم الكتاب اي الكتب يعني انزل
مع نبي كتابا بالحق اي ملتبسا بالصدق حال من الكتاب فيحكم اي الله والنبي
الذي معه الكتاب او الكتاب بين الناس فيما اختلفوا فيه اي في دين الاسلام وما
اختلف فيه اي في الحق او في الكتاب الا الذين اوتوه اي اعطوا الكتاب
المنزل من بعد ما جاءتهم البينات اي الحجج الواضحات على صدق الكتاب ومن متعلق
بما اختلف بغيا اي حسدا وظلما بينهم اي بين المختلفين بتكذيب بعضهم بعضا

وكتمان

وكتمان صفة محمد وحكم الحق للحسد على حطام الدنيا ورياستها وقلة الانصاف منهم
فهدى اي وفق الذين آمنوا لما اي للذين اختلفوا فيه من الحق
وهو بيان لما اختلفوا فيه قوله باذنه متعلق بهدى اي بارادته ورحمته حتى ابصروا
الحق بنور التوفيق من الباطل والله يهدي اي يرشد من يشاء الى صراط مستقيم
اي الى دين الاسلام الذين اختلفوا فيه بعد الاتفاق قوله ام حسبتم نزل لما اصاب
المسلمين جهد في غزوة احد او في حفر الخندق ام فيه منقطعة والهمزة فيه لانكار
الحسبان واستبعاده اي اظننتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم اي والحال
لم يجيئكم مثل الذين خلوا اي صفة الذين مضوا من قبلكم من النبيين
والامم واصل لما لم ضمت اليها ما ليفيد معنى التوقع اي اتيان ذلك المثل متوقع
منتظر لكم والجملة الآتية مبينة لحالهم ومثلهم كان قائلا يقول كيف كان مثلهم
فقيل استينافا مستهم البأساء والضراء اي اصابتهم الشدة والفقر والبلاء او امر
الحق وزلزلوا اي حركوا وازعجوا بانواع البلايا ازعاجا شديدا لم يبق لهم صبر
حتى يقول الرسول برفع يقول واريد به الحال وبنصب يقول باضمار ان بعد حتى
بمعنى الى ان يقول والمعنى على المضي لا على الاستقبال اي الى غاية قال الرسول
عليه السلام فيها والذين آمنوا معه استبطاء للنصر الموعود لهم لا شكا متى نصر الله
الموعود فاجيبوا وقيل لهم الا ان نصر الله قريب اي غير متأخر عنكم قيل هذا في
كل نبي بعث امته واجهد فيه حتى قال من نصر الله ووقع ذلك للرسول عليه السلام

حين بلغ له ضجرٌ شديد قبل فتح مكة فقال في يوم الاحزاب حيث اصاب اصحابه شدة
ولم يبق لهم صبرٌ صيحوا وطلبوا النصرة فارسل الله ريحًا وجنودًا وهدم الكفار بها قوله
يسئلونك نزل حين حثّ النبي عليه السلام على التصدق في سبيل الله وسال عمرو
بن الجموع وكان ذا مال فقال يا رسول الله ما ننفق وما ذا ننفق فقال الله تعالى يسئلونك
ماذا ينفقون اى اىّ شئ يتصدقونه من اموالهم قل ما انفقتم اى ما تصدقتم من
خيرٍ اى مال فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وهذا الكلام
جواب بما هو اهم واهون وهو بيان المصرف لكل مال حلال لان الصدقة لا يعتد بها
الا ان يقع موقعها قيل نسخت الآية بآية الزكوة وقيل يجوز حملها على النفل فلا نسخ
حينئذٍ لان المراد بها البرّ على هولاء المذكورين وما تفعلوا من خيرٍ اذا كان من المال الحلال
فمن للبيان فان الله به عليم فيجازيكم به لا محالة قوله كتب اى فرض عليكم القتال
اى الجهاد للكفار نزل حين امرهم الله بالجهاد وكرهوا الخروج لمشقته والواو في قوله
وهو كره لكم واو الحال اى القتال مكروه يعني شاق عليكم وعسى ان تكرهوا شيئا
اى الغزو وهو خير لكم لان فيه فتحًا وغنيمة او شهادة وجنة وعسى ان تحبوا شيئا
وهو الجلوس عن الغزو وهو شر لكم لان فيه تسلط عدوكم عليكم وهلاككم والله
يعلم مصالحكم دينا ودنيا وانتم لا تعلمون ما فيه صلاحكم لحبكم القعود عن الغزو
وقوله ويسئلونك عن الشهر الحرام نزل حين بعث النبي عليه السلام عبد الله وهو
ابن عمه ابن جحش مع تسعة رهط في آخر جمادى الاخرى قبل بدر بشهرين ليترصدوا

الى جر

عير لقريش فيها عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه ليلًا واسروا اثنين
وافلت واحدٌ فعيرهم المشركون وقالوا قد استحل محمد الشهر الحرام وجاء
عبد الله بن جحش واصحابه بالعير والاسيرين الى النبي عليه السلام وقالوا يا رسول الله
فعلنا هذا وما ندري ان تلك الليلة من جمادى الآخرة كانت من رجب فتوقف
النبي عليه السلام العير والاسيرين وامتنع عن اخذها فقال الله تعالى
يسئلونك عن القتال في الشهر الحرام قوله قتالٍ فيه ابدل من الشهر بدل الاشتمال
لاشتمال الشهر على القتال قل قتالٌ فيه اى في الشهر الحرام كبيرٌ اى اثم عظيمٌ
عند الله فارسل رسول الله العير والاسرين الى قريش قوله وصدٌّ
عن سبيل الله مبتداء وهو مع خبره الجملة عطف على جملة قتال فيه كبير اى قل
يا محمد للكفار تعييرا لهم منع الناس عن الايمان بالله وكفرٌ به عطف على صد اى
والشرك بالله ويعطف قوله والمسجد الحرام بالجر على سبيل الله اى ومنع المسلمين
عن دخول مكة وزيارة بيت الله واخراج اهله اى اهل المسجد يعني النبي
عليه السلام ومن آمن به منه اى من المسجد عطف على صد وخبر المبتداء
اكبرُ اى اعظم اثما عند الله والفتنة اى الشرك بالله اكبر من القتل
اى من قتل عبد الله الحضرمي ومن القتال في الشهر الحرام المعنى قل
للمشركين توبيخًا لهم افعالكم من الصد والكفر واخراج المسلمين من مكة اكبر
اثما مما فعل بعض المسلمين من القتل والقتال في الشهر الحرام قوله ولا يزالون

اى الكفار يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين اى هم لاينفكون
عن قتالكم ايها المؤمنون حتى يردوكم عن دينكم اى يصرفوكم عن دين الاسلام الى
دينهم الكفر ان استطاعوا اى اقتدروا على ذلك ولكنهم لايقدرون عليه ثم هدد
المسلمون ليثبتوا على دينهم الاسلام قوله ومن يرتدد منكم شرط مبتدا اى يرجع
منكم عن دينه الاسلام الى دينهم الكفر سرًّا او جهرًا فيمت بالجزم عطف على يرتد
وهو كافر اى وهو مرتد عن دينه بالكفر وخبر المبتداء وجواب الشرط فاولئك
حبطت اى بطلت اعمالهم اى حسناتهم يعنى لاثواب لها لانّ عباداتهم لم تصح
فى الدنيا ولم يثابوا لها والآخرة وبه استدل الشافعى ان الردة لاتحبط العمل
حتى يموت مرتدًا وابطلها ابوحنيفة بالردة وان لم يمت ورجع مسلمًا واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون اى مقيمون لايخرجون عنها قوله ان الذين آمنوا بالله
والذين هاجروا اى فارقوا اهلهم ومنازلهم وجاهدوا اى حاربوا فى سبيل الله
اى فى طاعة الله نزل ترغيبًا للجمع بين هذه الخصال وان كان الثواب حاصلا
بكل واحدة منها حين قال الكفار للمقاتلين من المسلمين فى الشهر الحرام لولم يكن
عليهم وزر فليس لهم اجر وخسران اولئك يرجون رحمة الله اى ينالون الجنة برحمته
لانّ من طلب وجد وجد والله غفور لذنوبهم بقتالهم فى الشهر الحرام رحيم
بفضله الجنة قبل نسخ تحريم القتال فى الشهر الحرام بقوله فلاتظلموا فيهن انفسكم
وقاتلوا قوله يسئلونك عن الخمر والميسر نزل حين كان المسلمون يشربون الخمر

ويستعملون القمار مولعين فيهما اى يسئلونك عن جوازهما ولهما فقال الله تعالى
فقال الله تعالى قل فيهما اى فى استعمالهما اثم كبير اى ذنب عظيم قرئ بالباء والثاء
من الكثرة اى وافر من الفحش والمخاصمة والعداوة بسببها ومنافع للناس من
اللذة واستمراء الطعام وكسب المال بالتجارة فى الخمر ونيل المال بلاتعب فى
الميسر وانتفاع الفقراء بلحم الجزور روى فى صنعة الميسر انهم كانوا يشترون جزورا — ١٤ اى بلية
وينحرونها ويجزونها عشر اجزاء ثم يضربون سهامهم بالقدح يعنى يعيّن كل واحد
سهمه بقدح موسوم به ويتركون قدحًا بلانصيب موسوما باسم رجل ويجعلون
جميع الاقداح فى خريطة ويضعونها على يد عدل ثم يدخل يده ويخرج باسم رجل
قدحًا منها فمن خرج سهمه اولا منها ياخذ نصيبه من اللحم ولايكون من الثمن عليه
شيئ ومن خرج قدحه بلانصيب كان عليه ثمن الجذور ولاشيئ من اللحم
ويطعمونها الفقراء وهم لايطعمون منها ويفتخرون بذلك والمراد من الميسر هنا
جميع القمار فتركهما بعض الناس وقالوا لاحاجة لنا فيما فيه اثم كبير ولم يتركهما كثير
منهم وقالوا ناخذ منفعتهما ونترك اثمهما ثم نزلت آية ولاتقربوا الصلوة
وانتم سكارى حين قرء بعضهم اعبد ما تعبدون فى الصلوة بترك لا فترك
الخمر بعض الناس وشربها بعضهم فى غير اوقات الصلوة حتى نزلت آية ياايها
الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى آخره حين شرب قوم فى دعوة عتبة بن مالك
فلما سكروا افتخروا وتناشدوا وتهاجوا فضرب بعضهم راس بعض بلحى فشجه

موضحة فشكا الى النبى عليه السلام فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فلما
نزلت الآية الى قوله فهل انتم منتهون قال عمر انتهينا يا رب فصار شربها حراما عليهم
حتى قال البعض ما حرم علينا شئ اشد من الخمر وهى ما غلى واشتد وقذف الزبد بلا
طبخ النار من عصير العنب يحد شاربها ويكفر مستحلها بالاجماع واصل الخمر الستر لانها
تستر العقول قيل كل ما اسكر من شراب حرام قليله وكثيره عند اكثر الفقهاء منهم الشافعى
وقال ابو حنيفة لا يحرم الا المتخذ من عصير العنب والرطب ونقيع الزبيب والتمر
والقدر المسكر من كل شراب حالة الشرب قال النبى عليه السلام من شرب الخمر
فى الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها فى الآخرة والميسر مفعل من اليسير
ضد العسر وهو قمار العرب سمى به لان الانسان ياخذ مال الرجل بيسير وسهولة
من غير تعب قال على كرم الله وجهه النرد والشطرنج ميسر يشير به الى انهما حرام وعن
النبى عليه السلام اياكم وهاتين اللعبتين المشؤمتين فانهما من ميسر العجم **واثمهما**
اى عقاب الاثم فى تناولهما بعد التحريم **اكبر** اى اعظم **من نفعهما** قبل التحريم وهو الالتذاذ
بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما وغيرهما مما ذكر **ويسئلونك ماذا ينفقون**
اى اى شئ يتصدقون من الاموال **قل العفو** بالنصب اى ينفقون العفو اى
الفضل عن قدر الحاجة لنفسه وعياله وكانوا يكتسبون وينفقون الفاضل
عن قدر الحاجة فى عهد النبى عليه السلام ثم نسخ باية الزكوة وقرئ بالرفع
على انه خبر مبتداء محذوف اى المنفق العفو **كذلك** اى مثل هذا التبيين

يبين

يبين الله لكم الآيات من الامر والنهى **لعلكم تتفكرون** فتسعون فيما هو صلاحكم
فى الدنيا والآخرة اى لتتفكروا ان الدنيا زائلة والآخرة باقية فتطلبوا الآخرة
بترك الدنيا فى سبيل الله **ويسئلونك عن اليتامى** اى عن مخالطتهم وذلك بعد
نزول قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم وقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما فتركوا مخالطتهم ومواكلتهم وشق ذلك عليهم حتى لو كان عند رجل يتيم يجعل
له بيتا على حدة وطعاما على حدة فقال عبد الله ابن رواحة يا رسول الله قد عزلنا
عن اليتامى بما انزل الله من الشدة فيصلح لنا لطعم فنزل **قل اصلاح لهم** اى
اصلاح مالهم بنظركم فيه **خير** لكم من ترك الخلطة والنظر عليهم لتشابوا وخير
لهم لتزايد مالهم وذلك اصلاح لهم **وان تخالطوهم** اى وان تخلطوا اموالكم الى اموالهم
وتشاركوهم فيها **فاخوانكم** اى فهم اخوانكم **فى الدين** ومن حق الاخ ان يخالط
اخاه ويعينه ولا ينصره **والله يعلم المفسد** لمال اليتيم **من المصلح** لماله يعنى اذا قصدتم
به الاصلاح فلا باس عليكم بالخلطة **ولو شاء الله** اعناتكم **لاعنتكم** اى ليضيق
عليكم بالشدة يعنى لا اباح لكم مخالطتهم وشق ذلك عليهم **ان الله عزيز** اى
غالب على ان يعنت عباده **حكيم** فى صنيعهم يعنى لا يكلفهم فوق طاقتهم
ولا تنكحوا المشركات اى تزوجوهن الوثنيات **حتى يؤمن** اى حتى يصدقن
بالله وبمحمد عليه السلام نزل حين سأل ابو مرثد النبى عليه السلام عن تزوجه
بامرءة يقال لها عناق وكانت مشركة لا من اهل الكتاب فنهاه عنه ثم

ثم قال ولامة مؤمنة خير من مشركة اى نكاح امرأة مؤمنة حرة كانت اوامة فالمراد
من الامة امة الله خير من نكاح حرة مشركة ولو اعجبتكم اى ولو اعجبكم نكاحها
وتحبونها ولا تنكحوا المشركين اى لا تزوجوهم نسائكم المؤمنات حتى يؤمنوا بالله ورسوله
فلا يجوز تزويج مسلمة لكافر اجماعا ولعبد مؤمن اى نكاح عبد مؤمن من
عباد الله حرا كان او رقيقا خير من تزويج مشرك ولو اعجبكم تزويجه وتحبونه اولئك
اى المشركات والمشركون يدعون الى النار اى الى عمل اهلها والله يدعوا
اى على لسان انبيائه الى الجنة والمغفرة اى الى اعمال الجنة واسباب المغفرة
من التوبة والندامة والتقوى باذنه اى بارادته وتيسيره للعمل الذى يستحق
به الجنة والمغفرة ويبين آياته من الامر والنهى فى امر التزويج وغيره للناس
لعلهم يتذكرون اى يتعظون وينتهون عن المعاصى قيل ترك حرف العطف
الذى هو واو الجمع فى الاسولة التى ذكرت ليدل على ان تلك الحوادث التى
وقعت احوال متفرقة وذكره فى الاسولة الاخيرة لانهم سئلوا عن الحوادث
الآخر فى وقت واحد كانه قيل يجمعون لك بين هذه السؤال عن المحيض قوله السؤالات منها
يسئلونك عن المحيض نزل فى شان رجل من الانصار اسمه ابو الدحداح
سأل النبى عليه السلام كيف نضع بالنساء اذا حضن انقربهن ام لا
اى يسئلونك الوطى فى زمان الحيض فيكون المحيض اسم الزمان هنا قل هو
اى الدم اذى اى شئ نجس يؤذى من يقربه مجامعا فاعتزلوا النساء فى المحيض

اى اتركوا مجامعتهن ايام حيضهن ولا تقربوهن بالجماع حتى يطهرن بفتح
الطاء والهاء مع التشديد اى يغتسلن وبسكون الطاء وضم الهاء مع التخفيف
اى يطهرن من الحيض وينقطع دمهن قيل اذا انقطع الدم فى اقل من عشرة
لا يجوز قربانها مالم تغتسل او يمضى عليها وقت الصلوة فاذا تمت العشرة
جاز ان يقربها وعند الشافعى لا يجوز مالم تغتسل فاذا تطهرن اى اغتسلن
فأتوهن اى جامعوهن من حيث امركم الله اى من الفرج ولا تعدوه ان الله
يحب التوابين من الشرك والذنوب ويحب المتطهرين اى المغتسلين بالماء
من الجنابة والاحداث او المتنزهين من اتيانهن فى الحيض او فى ادبارهن
قوله نساؤكم حرث لكم اى مزرع ومنبت للولد كالارض للنبات فى
موقع البنيان لقوله من حيث امركم الله فأتوا حرثكم اى نساءكم فى محل
الذرع وهو القبل انى شئتم اى كيف اردتم مستقبلين ومستدبرين بعد
ان كان الماء وى واحدا وهو موضع الحرث فيه تحريم الادبار وتحليل
الاقبال لطلب النسل لا قضاء الشهوة قال عليه السلام ملعون من اتى
امرأة فى دبرها وقدموا اى الاعمال الصالحة لانفسكم ولا تعملوا المناهى
او قدموا التسمية على الوطى او طلب الولد قال عليه السلام اذا مات
ابن آدم انقطع عمله الا من ثلثة صدقة جارية بعده او علم ينتفع به او ولد
صالح يدعو له واتقوا الله اى اخشوه على كل حال من عمل السيئة واعلموا انكم

او انقطع الدم فى اقل من عشرة صح

مُلاقُوهُ اى صائرون اليه فاستعدوا له بالاتقوا به وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ اى الذين يصدقون بوعده تعالى ويحافظون حدوده قوله وَلَا تَجْعَلُوا اللّٰهَ عُرْضَةً اى علة معترضة لِأَيْمَانِكُمْ جمع يمين والمراد هنا المحلوف عليه وسمى به لملابسته اليمين فاللام يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يتعلق بالفعل والمعنى ولا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه باليمين بالله على ترك فعل الخير من الاحسان لاحد او صلة الرحم او اصلاح ذات البين والعبادة كالصوم والصلوة او غير ذلك من الخيرات فتقولون نحن حلفنا بالله فنخاف من اليمين بان نفعله فنحنث فى يميننا ومحل قوله أَنْ تَبَرُّوا اى لان تبروا النصب على انه مفعول له وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ اى لان لا تتقوا ولان لا تصلحوا بين الناس وبتقدير كراهة ان تبروا نزل فى عبد الله بن رواحة الانصارى حين حلف ان لا يدخل على ختنه بشير بن نعما ولا يكلمه فجعل يقول حلفت بالله ان لا افعل ولا يحل لى الآن ابرّ فى يمينى فصارت الآية عامة فى كل من كان يحلف بالله ان لا يحسن احدا ولا يتقى من العصيان فيفعل ما اشتهت نفسه وان لا يصلح بين الناس اذا وقعت فيهم العداوة والبغضاء فقال الله تعالى كل ذلك خير وطاعة وطاعة لا يمنعها حلفكم فان حلفتم عليها فلتكفروا عن حلفكم ولتفعلوا تلك الخيرات من البر والتقوى والاصلاح بين الناس قال عليه السلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير وَاللّٰهُ سَمِيعٌ

لاقوالكم عَلِيمٌ بنياتكم فيجازيكم عليها لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ اى لا يعاقبكم بلغو يمينكم واللغو هو المطروح من الكلام لكونه باطلا يقال لغى لغوا اذا قال باطلا ولغو اليمين ان يحلف الرجل بالله على شئ يظن انه صادق فيه وليس كذلك سواء كان الذى يحلف عليه ماضيا او غيره فليس له اثم ولا كفارة عند ابى حنيفة واما عند الشافعى فلغو اليمين ما سبق اليه اللسان بلا قصد الحلف نحو لا والله و فى الآية معنيان احدهما لا يعاقبكم الله باللغو فِى أَيْمَانِكُمْ بالظن وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ اى يعاقبكم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ من قصد الاثم بالكذب فى اليمين وهو ان يحلف الرجل على ما يعلم انه خلاف ما يقول وهى اليمين الغموس وسميت بالغموس لانغماس صاحبه فى الاثم بها وثانيهما لا يؤاخذكم يعنى لا يلزمكم الله الكفارة بلغو اليمين الذى لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدت من اليمين لا بكسب اللسان وحده وَاللّٰهُ غَفُورٌ لمن حنث وكفر عن يمينه حَلِيمٌ حيث لم يعاقبكم باللغو فى ايمانكم ورخص لكم الحنث والتكفير فى غيره قيل اذا حلف احدكم بشئ فحنث ان كان مستقبلا فعليه كفارة وهو اليمين المنعقدة وان كان ماضيا فان كان الحالف عالما بالواقع وحلف على خلافه فاليمين كبيرة ولا كفارة عند ابى حنيفة فى الكبائر وعند الشافعى يجب كفارة فيه وهو اليمين الغموس وان كان الحالف جاهلا بالواقع ويرى انه صادق فيه وليس كذلك فلا كفارة فيه وهو يمين اللغو عند ابى حنيفة واليمين الغموس عند الشافعى ويحكم فيه بالكفارة قوله الَّذِينَ يُؤْلُونَ اى يحلفون على ترك القربان من الايلاء

وهو يتعدى بعلى لكنه ضمن معنى البعد فتعدى بمن فكانه قال يبعدون بالقسم
من نسائهم نزل فيمن كان يكره امرأته ويخاف ان يطلقها فيتزوجها غيره فيحلف على ان لا
يقربها فيتركها لا ذات بعل ولا ايما فبين الله تعالى الحكم فى المولين فقال للذين يحلفون
ان لا يجامعوا نسائهم تربص اربعة اشهر اى انتظار اجل اربعة اشهر بعد الحلف
فان فاؤا تفصيل للذين يولون اى فهم بعد الايلاء ان رجعوا عن اليمين
فى تلك الاشهر وجامعوا نسائهم من قبل ان تمضى المدة فان الله غفور يغفر للمؤمنين
لرجوعهم من ضرار نسائهم بالايلاء رحيم يرحم لهم بترخيص الكفارة فى ذلك قبل ان
فاء الحالف اليها فى المدة بالوطى ان امكنه او بالقول ان عجز عن الوطى صح الفئ وحنث
بالوطى ولزمته كفارة اليمين ولا تلزمه بالفئ بالقول وان مضت المدة ولم يفئ
اليها بانت عند ابى حنيفة وعند الشافعى لا يصح الايلاء الا فى اكثر من اربعة اشهر
اى يحلف الرجل على انه لا يقربها اكثر من اربعة اشهر فاذا مضت المدة وقف
فاما ان يجامع او يطلق فان ابى طلق عليه القاضى وان عجز عن الجماع فاء بلسانه
والحر والعبد سواء فى مدة الايلاء عند الشافعى ويتنصف بالرق عند ابى حنيفة
ويعتبر رق المرأة والمالك يعتبر رق الزوج وان عزموا اى اوقعوا الطلاق
بترك الجماع فى المدة فان الله سميع لمقالتهم بكلمة الايلاء منهن عليم بنياتهم
منه والمطلقات لفظ مطلق فى تناول الجنس يصلح لكله وبعضه فاريد به البعض
هنا اى النساء اللاتى طلقن وهن مدخول بهن يتربصن اى ينتظرن خبر بمعنى

الامر اى ليتربصن بانفسهن ولا يتزوجن وفى ذكر الانفس زيادة بعث لهن
على التربص لان انفس النساء طواع الى الرجال غالبا فامرن ان يقهرن انفسهن
ويجبرنها على ان ينتظرن لوجوب العدة عليهن ثلثة قروء اى مضى ثلثة اقراء ونصبها مفعول به
وضع جمع الكثرة موضع جمع القلة والقرء بضم القاف والفتح هو الطهر عند الشافعى والحيض عند ابى حنيفة
اى ثلثة اطهار او ثلثة حيض ويظهر فايدة الخلاف فى المعتدة اذا شرعت فى الحيضة الثالثة فعند
الشافعى انقضت عدتها وعند ابى حنيفة لا تنقضى عدتها حتى تنقضى الحيضة الثالثة قوله فلا يحل
لهن نزل فى شأن المطلقة التى تحت زوجها بالطلاق الرجعى وتريد فراق زوجها فتكتم
حملها لئلا تنتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او تكتم حيضها وهى حائض
وتقول قد تطهرت استعجالا للطلاق لان الطلاق السنى انما يكون فى الطهر لا فى الحيض اى لا يباح
للمطلقات ان يكتمن اى يخفين ما خلق الله فى ارحامهن من الحمل والحيض بان تقول المرأة
لست بحامل وهى حامل او تقول لست بحائض وهى حائض لتبطل حق الزوج من الولد
والرجعة ثم عظم ذلك بقوله ان كن يؤمن اى يصدقن بالله واليوم الآخر لان المؤمن
هو الخائف من ذلك الفعل وبعولتهن جمع بعل وهو الزوج والتاء لتأنيث الجمع
اى ازواجهن احق اى احرى واولى بردهن اى برجعتهن فى ذلك اى فى العدة وهى
مدة ذلك التربص ان ارادوا ان اراد الزوج والزوجة والولى بالرجعة اصلاحا بينهما و
حسن المعاشرة ولم يريدوا اضرارهن ولهن اى وللنساء على رجالهن مثل الذى عليهن
للرجال من الحقوق بالمعروف اى بما عرف شرعا يعنى لا يكلفن الرجال ما ليس لهن ولا

يكلفهن الرجال ما ليس لهم في الشرع او في عادة النساء من المهر والنفقة والخلوة
والتزين قال ابن عباس احب ان اتزين لامراتي كما تحب امراتي ان تتزين لي
وللرجال عليهن درجة اي بعد اشتراكهما في اللذة لهم الفضيلة عليهن في المهر والنفقة
والرجعة او بالعقل والشهادة والقيام بمصلحتها والله عزيز بالانتقام عمن يعصي امره
حكيم بالحكم بالرجعة في الطلاق الرجعي قوله الطلاق مرتان نزل فيمن كان يطلق زوجته
ثم يراجعها مرارا كثيرة مضارة بالزوجة اي الطلاق الذي يملك فيه الزوج الرجعة مرتان
اي مرة بعد مرة وليس المراد الجمع بينهما اي فان رجعها بعد المرة الثانية فامساك
اي فالحكم ان يمسكها بمعروف اي بما عرف شرعا من الحقوق التي هي الانفاق عليها
وكسوتها وحسن معاشرتها وترك ايذائها ولا يراجعها لقصد تطويل العدة عليها مضارة
لها او تسريح باحسان اي ان يرسلها من غير قصد سوء لها قوله ولا يحل لكم نزل في
جميلة بنت عبد الله بن ابي وزوجها ثابت بن قيس كان يحبها وهي تبغضه فاتت
رسول الله عليه السلام وقالت لا انا ولا ثابت وكان قد اعطاها حديقة فخلعت
من زوجها على ان ترد اليه الحديقة فافتدت بها منه وهو اول خلع وقع في الاسلام
اي لا يباح لكم ايها الازواج ان تاخذوا مما آتيتموهن اي اعطيتموهن من المهر شيئا الا ان يخافا
اي الا يظنا او يعلما اي الزوجان منكم ان لا يقيما حدود الله اي لا يحفظا اوامره و
نواهيه المعروفة شرعا من حسن الصحبة قيل محل الا ان يخافا النصب على الحال اي
خائفين والاصوب فيه ان يقدر المضاف اي الا زمان خوفهما ومحل ان لا يقيما نصب على

انه مفعول

انه مفعول يخافا فان خفتم ان لا يقيما اي ان علمتم ايها الائمة والحكام ان
لا يحفظ الزوجان حدود الله المعروفة في اصلاح الزوجية بينهما فلا جناح
اي لا حرج عليهما اي على الزوج فيما اخذ ولا على الزوجة فيما افتدت به من
المال اذا كان النشوز من قبل المرأة لانها ممنوعة عن اتلاف المال بغير حق
اما اذا كان النشوز من قبل الزوج لا يحل له ان ياخذ شيئا مما اتاها لقوله
تعالى لا ياخذوا منه شيئا ففيه اشعار بجواز الخلع تلك اي هذه المذكورات
حدود الله اي اوامره ونواهيه فلا تعتدوها اي لا تتجاوزوها ومن يتعد حدود الله
اي ومن يتجاوز احكام الله بترك امره ونهيه فاولئك هم الظالمون اي الضارون
بانفسهم يعني من تجاوز عن الطلاقين والامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان
فقد ظلم نفسه واستحق العقوبة به فان طلقها اي الطلقة الثالثة فلا تحل اي
تلك المرأة له اي لزوجها من بعد اي بعد الطلقة الثالثة حتى تنكح اي حتى تتزوج
تلك المرأة زوجا غيره اي بزوج آخر ويدخل بها ويعرف الدخول بالسنة لحديث
امرأة رفاعة فانه طلقها ثلاثا فتزوجها عبد الرحمن بن زبير فاتت النبي عليه السلام
وقالت طلقني عبد الرحمن فبت طلاقي وان ما معه كهدبة الثوب فقال عليه السلام
لها اتريدين ان ترجعي رفاعة قالت نعم ليس لك ذلك ما لم تذوقي من عسيلته
ويذوق من عسيلتك فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما على الزوج الاول
والزوجة بعد انقضاء عدتها ان يتراجعا اي يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بتجديد

النكاح ان ظنا اى علما اى غلب ظنهما ان يقيما حدود الله فى حق الصحبة بين الزوجين
قيل النكاح المعقود بشرط التحليل باطل عند الاكثرين وجائز عند بعضهم وهو ابو حنيفة
مع كراهة ان صرح التحليل وان اضمره فلا كراهة وتلك حدود الله اى احكامه المعلومة
يبينها لقوم يعلمون لانهم يحفظونها والجاهل اذا بين له لا يحفظ ولا يبتغ بها ونزل فيمن طلق
امرأته فلما دنت عدتها من الخروج راجعها ثم طلقها مضارة لها قوله فاذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن اى قربن من القضاء المدة وذلك بان يمضى عليها ثلث حيض قبل ان
تغتسل او قبل ان تخرج من العدة فامسكوهن اى راجعوهن بمعروف اى من غير طلب
اضرار لهن بالرجعة او سرحوهن اى اتركوهن بمعروف اى خلوهن حتى يتبين القضاء عدتهن
ولا تمسكوهن ضرارا اى لا ضرارهن او ضارين بهن بتطويل العدة عليهن بالرجعة فى
آخر العدة والطلاق بالرجعة فى اخر العدة والطلاق بعدها لتعتدوا اى لتظلموهن بتطويل
الحبس فيلجئوهن الى الافتداء بالمال ومن يفعل ذلك اى الاضرار فقد ظلم نفسه اى اضرها
بمعصية فى الاضرار او عرض نفسه لعذاب النار ولا تتخذوا آيات الله اى القرآن هزوا
اى لعبا بان يطلق الزوج ويقول كنت لاعبا وينكح او يعتق ويقول
كنت لاعبا قال عليه السلام جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق
والعتاق وفى رواية الرجعة مكان العتاق واذكروا اى احفظوا نعمة الله
عليكم اى الاسلام واتقوا الله من المخالفة واعلموا ان الله بكل شيء عليم اى بسركم و
جهركم من اعمالكم فيجازيكم به قوله فاذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اى انقضت

عدتهن فلا تعضلوهن نزل فى معقل حين طلق ابو الدحداح اخته ثم ندم
فخطبها بعد عدتها فرضيت فمنعها اخوها ان تتزوج اى لا تحبسوهن وتمنعوهن
من ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلون لهن اذا تراضوا اى النساء
والمريدون نكاحهن بينهم بالمعروف اى بما يحسن فى الدين فى نكاح جديد و
مهر صالح وقيل بمهر المثل وعن ابى حنيفة انها اذا زوجت نفسها باقل
من مهر مثلها فلاوليائها ان يعترضوا الى ان يكمل والا فلهم ان يفرقوها
عنه لذلك ذلك اى النهى والخطاب لكل انسان او للنبى عليه السلام
يوعظ به اى ينهى ويؤمر به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر اى بالحساب و
العقاب والثواب ذلكم ايها الجمع ازكى اى اصلح لكم واطهر لقلوبكم من الريبة
وانفسكم من دنس الاثم والله يعلم ما فى قلب احدكم من الحب لصاحبه او ما
فيه صلاحكم من الاحكام والشرائع وانتم لا تعلمون اى انتم تجهلون ذلك فدعا
النبى عليه السلام معقلا فقال ان كنت مؤمنا فلا تمنع اختك عن ابى
دحداح فقال آمنت وزوجها منه ففيه دليل على ان الولى اذا منع امرأة
عن النكاح كان للحاكم ان يزوجها قوله والوالدات يرضعن اولادهن حولين
كاملين اى اربعة وعشرين شهرا من المرضع نزل لبيان مدة الرضاع المثبت
للحرمة وقوله يرضعن خبر فى معنى الامر اى ليرضعن للاستحباب لانه لا يجب
على المطلقة ارضاع ولدها من زوجها الذى طلقها ان وجد ظئرا ترضعه ويجب

ان لم يوجدا ولم يقبل الولد الاثدى امه او عجز الاب عن الاستيجار وقوله
كاملين وصف للحولين بالكمال لتاكيد ارادة الحقيقة لان بعض الحولين يسمى حولين
تجوزا فعلم به ان المراد حولان بغير نقصان ثم نزل لليسر والتخفيف قوله لمن اراد
ان يتم الرضاعة بيان لمن توجه اليه الحكم اى هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاع او اللام متعلق
بيرضعن حولين لمن اراد ان يكمل الارضاع من الاباء لان الاب يجب عليه ارضاع
الولد دون الام الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهو مستحب منها ولا يجبر عليه
ولا يجوز استيجار الام عند ابى حنيفة مادامت زوجته او معتدة من نكاح ويجوز عند
الشافعى فاذا انقضت العدة جاز بالاتفاق وعلى المولود له اى وعلى الاب ولم يقل
على الوالد ليعلم ان الاولاد للاباء لان الزوجة انما تلد الولد للزوج ولان
نسبة الولد اليه لا اليها يعنى على الوالد رزقهن وكسوتهن اى رزق الامهات
اذا ارضعن اولادهم ولباسهن وكذا اجر الرضاع للارضاع بالمعروف اى على مقدار
طاقته لا تكلف اى لا تحمل نفس الا وسعها من كل واحد منهما وهو تفسير لقوله بالمعروف
يعنى لا يجب على الاب من النفقة والكسوة الا مقدار طاقته لا تضار برفع الراء نفى
اى لا تضارر معلوما ولا تضارر مجهولا على الخبر وبفتح الراء نهى مجزوم حركت لالتقاء الساكنين
اى لا تتضرر والدة بولدها بان ينزع ولدها منها بعد رضاها بارضاعه ولا مولود له بولده
بان يلقى الولد الى ابيه بعد ما الف الولد امها وتقول الام للاب خذ له ظيرا
لترضعه فلا يجوز ان يفعل كل واحد منهما مثل ذلك الاضرار الى صاحبه واضافة

الولد

الولد اليها واليه للاستعطاف لانه ليس باجنبى من كل منهما فالحق ان تشفق عليه
منهما وعلى الوارث اى على وارث الصبى مثل ذلك اى مثل ما كان على الاب فيكون
النفقة والارضاع عليه اذا لم يكن له اب ويجوز ان يراد به الصبى نفسه فيكون اجر
الرضاع عليه ان كان له مال كما كان على ابيه والا فعلى الام ارضاعه وقيل يجب
نفقة الصبى على الورثة عند ابى حنيفة الا على من ليس بذى رحم محرم كابن العم
وعند الشافعى لا نفقة للصبى الا على الوالدين حسب فان ارادا اى الوالدان فصالا
اى فطاما للصغير قبل الحولين عن تراض اى باتفاق منهما وتشاور اى بمشاورتهما العلماء
ان الفطام لا يضر الولد وانما اعتبر اتفاق الوالدين لما فى الاب من الولاية و
فى الام من الشفقة فلا جناح اى لا حرج عليهما فى ذلك يعنى سواء زادا على الحولين
او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد قوله وان اردتم ان تسترضعوا اى المراضع وهو المفعول
الاول حذف للاستغناء والثانى اولادكم حث بالخطاب للوالدين وغيرهما
من الاولياء على ايفاء الاجر للارضاع منجزا ابدا تطييبا لنفوسهن واصلاحا لشان
الصبى اى اذا طلبتم ان تأخذوا ظير الارضاع اولادكم فلا جناح عليكم اى لا اثم لكم فيه
اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم بالمد اى اعطيتم وبالقصر اى جئتم به يعنى الذى سميتم
وشرطتم لهن بالمعروف متعلق بسلمتم اى اذا اعطيتموه لهن بطيبة نفس وحسن خلق
بقول جميل وقيل المراد بالمعروف ان يكون الاجر من الحلال لان المرضع اذا
اكلت الحلال كان اللبن انفع للصبى واقرب الى صلاحه ثم هددهم فى محافظة

الامر والاضرار وقال فاتقوا الله اى ليخف كل منكم ان يضر لصاحبه واعلموا ان الله بما تعملون
بصير من الاضرار وغيره فيجازيكم به وقال والذين اى زوجات الذين بتقدير المضاف
يتوفون اى يموتون منكم ويذرون اى يتركون ازواجا اى نساء من بعدهم يتربصن اى ينتظرن
بالاعتداد بانفسهن يعنى لا يخرجن ولا يتزين اربعة اشهر وعشرا وانما قال وعشرا بالتأنيث
ولم يقل عشرة مع ان العدة اربعة اشهر وعشرة ايام ذهابا الى الليالى لان التاريخ
بالليلة والايام تابعة لها فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء
لكونها اول الشهر مع
او الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن فى انفسهن من الزينة والكحل والخضاب ودهن
الرأس بكل دهن مطيب وغيره بالمعروف اى بالوجه الذى عرف شرعا فى التزين
والتزوج بزوج آخر اذا كان كفوا لها فلا يمنعن من ذلك قيل المرأة اذا اعتدت
بعدة الوفاة تجب عليها ترك الزينة والطيب وجوز ابو حنيفة الاكتحال
بالاسود للضرورة والشافعى ليلا وتمسحه نهارا للضرورة وكانت عدة الوفاة
فى اول الاسلام سنة فنسخت بهذه الاية الا الحوامل فان عدتها بوضع
الحمل لحديث سبيعة فانها وضعت بعد موت زوجها بليال فاستأذنت
رسول الله عليه السلام فاذن لها ان تنكح والله بما تعملون خبير اى عالم بالطاعة والتخلف
بالمعصية قيل تستوى المدخولة وغير المدخولة والصغيرة والكبيرة فى وجوب
العدة وترك الزينة والمنع من النكاح والخروج وغير ذلك ولا جناح عليكم فيما
عرضتم به اى لا حرج ولا اثم عليكم فى الكلام الذى تعرضونه للمرأة المتوفى عنها زوجها اى تلوحون

وتشيرونه اليها من خطبة النساء اى من طلب نكاحها بالتخاطب فى العدة بان تقولوا لها
غير تصريح ارادة النكاح انك لجميلة او انك لتعجبينى او انك لموافقة لى ونحو
ذلك من الكلام الموهم لارادة نكاحها حتى تحبس نفسها على القائل به فهذا هو
التعريض والجار والمجرور فى محل النصب على الحال والعامل عرضتم او اكننتم
اى فيما اضمرتموه فى انفسكم اى فى قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا بالتصريح ولا بالتعريض
قوله علم الله انكم ستذكرونهن فيه نوع توبيخ اى علم الله انكم ستذكرونهن بميلكم اليهن
وعدم صبركم عنهن فتنطقون برغبتكم فيهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا
مفعول به اى جماعا يعنى لا يصف الراغب منها نفسه بانه كثير الجماع او ظرف على
معنى لا تواعدوهن النكاح فى السر لانه مستقبح غالبا عند اهل المروة قوله الا
ان تقولوا قولا معروفا استثناء من المفعول المطلق اى لا تواعدوهن مواعدة معروفة
غير منكرة يعنى عدة حسنة مثل انك لجميلة وانى راغب منك فالمراد منها
التعريض وقيل القول المعروف ان يتواثقا على ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا اى
لا تنووا ولا تقصدوا عقدة النكاح فى العدة حتى يبلغ الكتاب اى ما كتب وفرض من العدة
اجله حتى تنقضى عدتها واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم اى فى قلوبكم من العرفان وغيره فا
حذروه اى خافوا عقابه واعلموا ان الله غفور حليم يغفر ولا يعجل بالعقوبة عليكم ونزل فى رجل
طلق امرأته وكان لم يسم لها مهرا ولم يجامعها لا جناح اى لا بأس عليكم ان طلقتم النساء
ما لم تمسوهن وقرئ تماسوهن بالالف اى ما لم تجامعوهن او تفرضوا اى ما لم تسموا لهن

فريضة اى مهراً بمعنى مفروضة وانما نفى الجناح لان الطلاق مكروه فى الشرع
لقول النبى عليه السلام ابغض الحلال الى الله الطلاق يعنى لا حرج عليكم
ان تطلقوا النساء قبل المسيس الدخول ولا ان تتزوجوهن ولم تسموا لهن مهرا
فطلقوهن ومتعوهن اى اعطوهن المتعة بما ينتفعن به وهى درع وملحفة وخمار على
حسب الحال على الموسع اى على ذى السعة واليسر منكم قدره بفتح الدال وسكونها
اى بقدر وسعه وعلى المقتر اى على ضيق الحال يعنى المعسر قدره اى بقدر عسره
وضيقه متاعا مصدر موكد لفعله اى متعوهن متاعا بالمعروف حقا اى واجبا على
المحسنين اوحق ذلك حقا على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم
بالاحسان باعتبار ما يؤل اليه وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اى تجامعوهن وقبل
الخلوة بهن وقد فرضتم لهن فريضة اى سميتم لهن مهرا فنصف ما فرضتم اى فعلى الزوج
واجب نصف ما فرض لزوجته من المهر وان مات احدهما قبل الدخول فيجب
المهر عليه كله الا ان يعفون اى الا ان تترك الزوجات المطلقات عن ازواجهن
فلا يأخذن منهم شيئا فالواو فيه لام الفعل لا للجمع والنون ضمير النساء لا
للاعراب والا لكانت محذوفة بان فظهر الفرق بينه وبين قولك الرجال يعفون
فان الواو فيه ضميرهم والنون علم الرفع فيكون الفعل معربا وعطف عليه
قوله او يعفو الذى بيده عقدة النكاح اى او يترك الولى الذى بيده عقد نكاحهن وهو قول
الشافعى فى القديم وقيل المراد الزوج وعفوه ان يصرف كل الصداق اليها

وهو قول

وهو قول ابى حنيفة والشافعى آخرا وسمى الزيادة على النصف عفواً
بطريق المشاكلة والاول اظهر لان العفو يطابقه وان تعفوا اقرب للتقوى مبتدء
وخبر وتعليل اى ترك بعضكم لبعض حقه اقرب لاجل التقوى اذ لا اخذ
كانه عوض من غير معوض عنه او ترك المروة عند ذلك ترك للتقوى و
فى الاية ندب الى الانسانية بينهم لانه تعالى امر كل واحد منهما بالعفو ثم
قال تاكيدا لها ولا تنسوا الفضل اى التفضل والاحسان بينكم باعطاء كل المهر
لها وترك المرأة نصيبها منه ان الله بما تعملون بصير اى عالم باعمالكم
فيجازيكم بها قيل تزوج جبير بن مطعم امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل
اليها الصداق وقال انا احق بالعفو قوله حافظوا على الصلوات حث للمؤمنين على
محافظة الصلوات واستدامتها بقطع التعلق بحظوظ انفسهم من النكاح
وغيره لانه يفوت القربة بالله تعالى اى داوموا على المكتوبات بمواقيتها
وحدودها اذ لا فريضة بعد التوحيد اعظم من الصلوة واتموها بما هو شرع
فيهما من الافعال والاقوال والصلوة الوسطى اى المتوسطة بين الصلوات او
الفضلى يقال للاوسط افضل وانما افردت بالذكر لانفرادها بالفضل
قيل هى الفجر لانها بين صلوتى الليل وصلوتى النهار وقيل صلوة الظهر لانها
فى وسط النهار وقيل صلوة العصر لحديث ورد فيها وهو قوله عليه السلام
يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا

او لانها بعد صلوتى النهار وقبل صلوتى الليل قوله وقوموا لله قانتين اى طايعين
خاضعين فى صلوتكم نزل حين كانوا يتكلمون فى الصلوة فنهوا عنه فان خفتم
اى ان كان بكم خوف من عدو وغيره فرجالا اى فصلوا راجلين نصب على الحال
او ركبانا اى راكبين على دوابكم قال الشافعى يصلى ماشيا وراكبا ومقاتلا
حيث كان وجهه سواء مستقبل القبلة او غير مستقبلها يومى بالركوع والسجود
والسجود يكون اخفض من الركوع فى الايماء وقال ابو حنيفة لا يصلى ماشيا
ولا مقاتلا اذا لم يمكن الوقوف وعند الكل لا ينقص عدد الركعات
وعن ابن عباس صلوة الخوف ركعة فاذا امنتم اى اذا زال خوفكم من العدو
وغيره فاذكروا الله بالصلوة اى صلوا تمه الصلوات الخمس او اشكروه على
الامن كما علمكم اى اذكروه ذكرا مثل تعليمه اياكم واحسانه اليكم كيف تصلون
الصلوة فى حال الامن وفى حال الخوف ما لم تكونوا تعلمون اى الذى لم تكونوا
عالمين به من الشرايع ثم قال والذين يتوفون مبتدأ اى يموتون منكم ويذرون
اى يتركون ازواجا اى نساء من بعدهم وصية بالنصب مصدر فعله محذوف
اى يوصون وصية والجملة فى محل الرفع خبر المبتدء وقرء بالرفع اى فعليهم
وصية والجملة خبر الذين او حكم الذين يتوفون وصية لازواجهم متاعا نصب بالوصية
او بفعلها المقدر اى الحكم ان يوصوا لهن ما يتمتعن به الى الحول اى من النفقة و
السكنى والى الحول اما صفة متاعا او متعلق بفعله المقدر اذا كان مصدرا اى

متوعهن

متوعهن متاعا ينتهى اليه قوله غير اخراج صفة متاعا او حال من ازواجهم اى غير
مخرجات من البيت الذى مات فيه الزوج قيل معناه النفقة حق على من
يموت ان يوصى ورثته بان ينفقوا على زوجته من تركته ويسكنوها فى منزله سنة
وكان ذلك واجبا فى اول الاسلام ثم نسخت النفقة بالميراث الربع والثمن
والحول باربعة اشهر وعشر التى تقدم ذكرها تلاوة وهى متاخرة تنزيلا واختلف
فى السكنى فعند ابى حنيفة لا سكنى لها فان خرجن من مساكنهن بعد الحول فلا جناح
عليكم ايها الاولياء فيما فعلن فى انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من
معروف اى بما عرف شرعا من التزين لا بما ينكره الشرع قيل الخروج يحتمل ان
يكون بعد مضى الحول وان يكون فى الحول اذا خرجت بالعذر فى امر لا بد
لها منه والله عزيز لمن ظلم حكيم فى امره قوله وللمطلقات متاع نزل فيمن سمع قوله تعالى
حقا على المحسنين وقال ان احسنت فعلت وان لم ارد لم افعل فبين
تعالى ان يكون لكل مطلقة متاع على الزوج اى متعة كما ذكرت فى الاية
المتقدمة بالمعروف اى بما عرف حقه على حسب حال الزوج واكد الوجوب
بقوله حقا اى واجبا على المتقين من عقابه تعالى قيل كانت المتعة فيما
واجبة فى مطلقة واحدة وهى المطلقة قبل الدخول ولم يسم لها مهر وفى
الباقيات اى التى لم يسم لها مهر ودخل بها الزوج والتى سمى لها مهر ولم يدخل
والتى سمى لها مهر ودخل بها الزوج كانت مستحبة لزوال ضغن القلوب

ثم اوجبها الله في هذه الاية لجميع المطلقات وقيل المراد من المتاع ههنا نفقة العدة
وهي واجبة عند ابي حنيفة كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته
من الاحكام والشرايع لعلكم تعقلون اي تفهمونها وتعملون بها قوله الم تر الى الذين
خرجوا بعث على امتثال امر الله تعالى من الجهاد في سبيل الله وغيره
لمن سمع هذه القصة وتعجيب من شأنهما ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله
وقضائه وهو استفهام على سبيل التقرير اي الم تعلم يعني قد انتهى علمك الى خبر
الذين خرجوا من ديارهم من بلادهم داوردان قبل واسط وهم الوف اي جماعة
كثيرة قيل كانوا ثمانية الاف وقيل سبعين الاف حذر الموت اي خوف الطاعون
والوباء فنزلوا واديا واستقروا فيه فقال لهم الله على لسان ملك موتوا ومعنى هذا
القول فاماتهم الله وانما جيء بهذه العبارة ليدل على انهم ماتوا ميتة رجل واحد
بامره ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة فماتوا جميعا وبقوا فيه موتى
ثمانية ايام وقيل مر بهم نبي اسمه حزقيل عليه السلام بعد زمان طويل وقد تفرقت
اوصالهم وعريت عظامهم فقال الحمد لله القادر على ان يحيي هذه النفوس البالية
ليعبدوه فدعا لهم ثم احياهم الله تعالى ليعلموا ان الحذر لا يغني من القدر وهذا
تبكيت لمن يفر من القضاء المحتوم ان الله لذو فضل على الناس حيث بصرهم ما يعتبرون
اولذو من على اولئك القوم حين احياهم ليعتبروا ويفوزوا ولو شاء الله لتركهم
موتى الى يوم البعث ولكن اكثر الناس لا يشكرون ترتب هذا الفضل والنعمة ثم خاطب

تشجيعا

تشجيعا للذين احيوا وقيل لهذه الامة بالعطف على مقدر اي لا تحذروا الموت
وقاتلوا في سبيل الله اي في طاعته اعداء الكفار واعلموا ان الله سميع لمقالتكم بالتخلف عن
الامتثال عليم بما تضمرونه من الاغراض في الجهاد يعني من عرض الدنيا
وعرض الاخرة قوله من ذا الذي يقرض الله استفهام للتحريض على التصدق نزل في
شأن ابي الدحداح حيث قال يا رسول الله ان لي حديقتين لو تصدقت احديهما
اكان لي مثلها في الجنة قال نعم اي من يعطي عباده بالتصدق قرضا حسنا
اي اعطاء جميلا بطيبة نفس يطلب منه الجزاء فيضاعفه بالالف مخففا وبغيرها مشددا وضم
الفاء للعطف على يقرض وبالالف وبغيرها ونصب الفاء لكونه في جواب
الشرط فيزيده له اضعافا كثيرة لا يعلم عددها لكثرتها الا الله واصل التضعيف ان
يزاد على الشيء مثله او امثاله ثم اخبر ان التصدق لا يمكنهم الا بتوفيق الله
تعالى بقوله والله يقبض اي يمسك الرزق عن خلقه ويبسط بالسين والصاد
اي يوسع الرزق على خلقه ثم حثهم على ترك الدنيا وسهله عليهم فقال واليه
اي الى الله ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم فلا تبخلوا بما وسع عليكم ثم اخبر عن
حال بني اسرائيل المؤمنين حيث كثرت فيهم المعاصي والخطايا فرج امرهم و
اخرج بعضهم من ديارهم بظهور عدو عظيم عليهم وهم قوم جالوت وكانوا
كفار بني اسرائيل قهروا مؤمنيهم بالقتل والسبي والاخراج من ديارهم
بحكم جالوت بقوله الم تر الى الملاء اي الاشراف والرؤساء من بني اسرائيل من

بعد موسى اذ قالوا لنبي وكان ملوكهم مطيعين لانبيائهم فقالوا النبي لهم وهو يوشع بن نون
او اشموئيل ابعث اى ارسل يعني اختر لنا ملكا اى سلطانا بتقدمنا ويحكم علينا في تدبير
الحرب ونطيع لامره نقاتل في سبيل الله بالنون والجزم في جواب الامر وبالياء والجزم
كذلك وبالرفع صفة لملكا قال اى النبي هل عسيتم بفتح السين وكسرها اى هل قاربتم
ان كتب اى فرض عليكم القتال وهو شرط معترض لان خبر عسى الا تقاتلوا يعني اتوقع جبنكم
عن القتال فالاستفهام لتقرير ان التوقع كائن قالوا وما لنا الا نقاتل
اى اى داع لنا الى ترك القتال من الاغراض في سبيل الله وقد اخرجنا من
ديارنا وابنائنا قيل ان قوم جالوت ساكنين في ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين
فاسروا من ابناء ملوك بني اسرائيل اربعماة واربعين فلما كتب عليهم القتال
في سبيل الله تولوا اى اعرضوا الا قليلا منهم وهم ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل
بدر والله عليم بالظالمين انفسهم بالقعود على القتال وترك الجهاد وعيد الهم عليه
وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا حال من طالوت وهو لا ينصرف للعجمة والتعريف
فلما عرفهم نبيهم ان طالوت ملكهم قالوا منكرين انى يكون له الملك اى من اين يستحق له
التملك علينا ونحن احق بالملك منه اى وفينا من هو احق بالملك وانه فقير والواو
في ونحن للحال وعطف عليه قوله ولم يؤت اى لم يعط سعة من المال اى كثرته ولا بد للملك
من مال يعتضد به قال نبيهم ردا عليهم ان الله اصطفاه اى اختاره عليكم وزاده بسطة
بالسين والصاد اى سعة في العلم والجسم قيل انه كان اعلم بني اسرائيل بالديانات

والامور

والامور الحرب في دقته وكان اطول من كل انسان برأسه ومنكبه وانما ذكر
هذين الامرين فيه لان الانسان يكون اعظم في النفوس بالعلم واهيب
في القلوب بالجسم والله يؤتي ملكه من يشاء لانه مختص به لا منازع له فيه فيعطيه
لمن يستصلحه للملك والله واسع اى كثير الفضل والعطاء عليم بما يصنع من
الاصطفاء والايتاء ثم طلبوا علامة من نبيهم على كونه ملكا لهم وقال لهم نبيهم
ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت وهو فعلوت من التوب وهو الرجوع وهو الوعاء
الذي يوضع فيه الشيء ويرجع اليه للاخراج دائما وليس فاعولا لانه وزن
غير معروف بينهم قيل كان التابوت صندوق التورية وكان موسى
عليه السلام اذا قاتل قدمه فكان تسكن نفوس بني اسرائيل ولا
يفرون فيستنصرون به وهو معنى قوله فيه سكينة من ربكم اى طمانينة لقلوبكم
من الله وبقية وهي لوحان من التورية وقطع الالواح التي تكسرت وعصى
موسى ونعلاه وعمامته وعمامة هارون وقفيز من المن مما ترك آل موسى
وآل هارون اى الانبياء من بني يعقوب بعدهما ونفس موسى وهارون
وهو في الرفع صفة لبقية قيل قد خبائه يوشع في التيه بعد موسى وقيل
لما مرج امر بني اسرائيل وغير وادينهم غصبهم الكفار واخذوه منهم قسرا
وكان في ارض جالوت ولما اراد ان يملك طالوت اصاب جالوت
وقومه بلاء الباسور والهلاك حتى هلكت خمس مداين فقالوا هذا بسبب

التابوت فيها فوضعوه على العجلة وربطوا العجلة على الثورين ثم وجهوها ارض
نحو بني اسرائيل فضربت الملائكة جنوبها فساقوهما الى ارض بني اسرائيل فا
فاصبحوا فاذا التابوت بين ظهرانيهم فذلك قوله تحمله الملائكة وقيل حملته الملائكة نازلين
من السماء ووضعته عند طالوت فاقروا بملكه ان في ذلك اي في رد التابوت
لآية لكم اي علامة لملك طالوت ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بان ملكه من الله
فعرفوا ذلك واطاعوا فتجهز طالوت وخرج بالجنود وهم سبعون الفا فلما
فصل اي خرج من البيت المقدس طالوت بالجنود وكان حرا شديدا فطلبوا الماء قال
طالوت بوحي الله اليه لانه جعله نبيا وقيل اخبره نبيهم وهو اخبر قومه ان الله
مبتليكم اي مختبركم بنهر وذلك ليظهر عند طالوت من كان مخلصا في نيته من
غيره ليميزهم من العسكر لان من لا يريد القتال اذا خالط عسكرا يدخل الضعف
في العسكر فينهزمون لشومه فقال فمن شرب منه اي كرع فيه فليس مني اي من اهل
ديني واتباعي على عدوي ومن لم يطعمه اي لم يذقه فانه مني اي من اهل ديني
الا من اغترف غرفة بيده بالضم اسم لملاء الكف وبالفتح مصدر للمرة ومحل الا من
نصب على الاستثناء من قوله فمن شرب المعنى ان الغرفة مباحة لكم وكانت
الغرفة يكفي للرجل ودوابه فشربوا منه اي من ماء النهر الا قليلا منهم اي لم يكرعوا فيه
فامر طالوت من شرب منه ان يرجعوا وامسك المخلصين قيل قد ظهر من الشرب
في شفة من شرب علامة عرف بها فرده فلما جاوزه اي النهر هو اي طالوت والذين

آمنوا معه اي المؤمنون ودلوا الى عسكر جالوت ورأوه قالوا لا طاقة اي قوة لنا
اليوم بجالوت وجنوده لما رأوا من كثرتهم قيل كان معه مائة الف [illegible] كلهم شاكو السلاح
قال الذين يظنون اي يوقنون انهم ملاقوا الله بالبعث بعد الموت كم من فئة قليلة
اي جند قليل غلبت فئة كثيرة باذن الله اي بارادته ونصره اذا خلصت نيتهم في طاعة
الله والله مع الصابرين بالنصرة على عدوهم ولما برزوا اي خرجوا واصطفوا في فضاء من
الارض لجالوت وجنوده دعوا الله بالاخلاص قالوا ربنا افرغ اي صبب علينا صبرا على القتال
وثبت اقدامنا عنده وانصرنا على القوم الكافرين وكان داود عليه السلام راعيا الغنم ابيه وكان
له سبعة اخوة مع طالوت للقتال فارسله ابوه لينظر اليه ويأتي بخبرهم
لبطوئهم فمر في الطريق بحجر فقال له خذني فاني حجر ابراهيم الذي قتل به عدوه فاخذه
وجعله في مخلاته ثم مر باخر فقال خذني فاني حجر موسى قتل بي عدوه ثم بثالث فقال
خذني فاني اقتل جالوت فاخذه فاتاهم وهم قد برزوا لجالوت وقال جالوت
من يبارزني اليوم فلم يخرج اليه احد فقال داود لاخوته اما فيكم احد يخرج الى هذا
الاقلف فقالوا له اسكت فذهب داود الى ناحية فيها طالوت فقال داود
له ما تصنع لمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه ابنتي واجعل له نصف ملكي
قال انا اخرج اليه فاعطاه طالوت درعه وسيفه فردهما اليه وقال اني لم اتعود
القتال في الدرع قال له طالوت هل جربت نفسك قال نعم فامر بان
يخرج اليه فاخذ قذافته وخرج فلما رآه جالوت قال خرجت لتقتلني بالقلاعة

كما يقتل الكلاب قال له داود بل انت الا مثل كلب وكان على راسه بيضة ثلثمائة
فقذفه بين عينيه
رطل فاخذ حجرا من الاحجار الثلاثة فوضعه فى قذافته فرماه فوقع فى صدره وقتل
خلفه خلقا كثيرا وقيل رمى واحدا بعد واحد فهزموهم باذن الله وقتل داود
جالوت فزوجه طالوت ابنته واراد ان يعطى نصف ملكه ومنعه وزرائه وقالوا هو
يصير منازعا لك فيفسد ملكك فامتنع من ذلك وحده فاراد قتله ثم خرج طالوت
الى بعض المغازى فقتل فيه طالوت تائبا عن جده ثم خلفه داود فى الملك
كله فقال تعالى فآتاه الله الملك اى اعطاه ملك اثنى عشر سبطا والحكمة اى النبوة
وانزل عليه الزبور اربعمائة وعشرين سورة وعلمه مما يشاء من صنعة الدرع و
منطق الطير وتسبيح الجبال وكلام النمل ولولا دفع الله بغير الالف وبالالف
واصل الدفع الصرف اى ولولا ان يصرف الله الناس بعضهم اى المشركين و
المفسدين ببعض اى بالمؤمنين لفسدت الارض اى لهلك اهلها بقتل المسلمين
وظهور الشرك والمعاصى وقيل لولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار
لهلكت الارض بما فيها بسخط الله روى عن الحسن لولا الصالحون لهلك الطالحون
وقال النبى عليه السلام ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من
جيرانه ولكن الله ذو فضل اى ذو من على العالمين اى على اهل الارض بالدفع عنهم
تلك اى الاخبار التى ذكرت من خبر الالوف اماتة واحياء ومن تمليك الله
تعالى طالوت واظهاره باية التابوت الذى اوتى به من الغيب ومغلوبية

الجبابرة

الجبابرة على يدى صبى وهو داود آيات الله نتلوها بجبرئيل عليك بالحق اى
ملابسا بالصدق ولا يشك فيه اهل الكتاب لانه مكتوب فى كتبهم
وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقرائة كتاب
او سماع خبر وهو من المعجزات الدالة على توحيد الله ورسالتك
تلك الرسل اى جماعة الانبياء الذين ذكروا فى هذه السورة
او الذين ثبت علمهم عند رسول الله عليه السلام فضلنا بلطفنا
لا لعلمهم الخير بعضهم على بعض فى الدنيا منهم من كلم الله كموسى عليه
السلام من غير سفير فهو كليمه بمعنى مكالمه ورفع بعضهم اى محمدا عليه
السلام ولم يذكره باسمه تعظيما له درجات لانه ليس شئ من الايات التى
اعطاه الله الانبياء الا وقد اعطى محمدا عليه السلام اكثر واكبر بالقرآن
الذى ثبت اعجازه على مرور الازمان فهو محرز قصبات الفضل على
ساير الانبياء اللهم ارزقنا شفاعته يوم القيمة وآتينا عيسى بن مريم
البينات اى العجايب والدلايل الواضحات كاحياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص وانما خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر فى
باب التفضيل لانهما قد اوتيا ما اوتيا من عظام الايات والمعجزات
وايدناه بروح القدس اى قوينا عيسى بجبرئيل حين ارادوا
قتله والقدس هو الله اضيف اليه تشريفا وقيل معناه احييناه

بحيوة الله لا من ماء المنى ولو شاء الله مشية قسر ما اقتتل الذين
من بعدهم اى بعد الرسل وابدل منه قوله من بعد ما جاءتهم البينات
اى بعد مجيئهم بالبينات التى يهتدى بها ولكن اختلفوا فى دينهم بعد
ذهاب الرسل فمنهم من آمن اى ثبت على الايمان ومنهم من كفر اى ارتد
ولم يثبت عليه ثم قال ولو شاء الله ما اقتتلوا بالتكرير تاكيدا اى لجمعهم
على الهدى ولكن الله يفعل ما يريد من عصمة البعض وخذلان البعض لا
يسئل عما يفعل وهم يسئلون ثم اشار اليهم بان الدنيا لا تبقى ولا
ينفعهم منها الا ما قدموا الى الاخرة ان آمنوا بها فقال يا ايها الذين آمنوا انفقوا
اى تصدقوا مما رزقناكم شيئا قيل هو الزكوة او هو التطوع من قبل ان
يأتى يوم اى الحساب والجزاء لا بيع فيه اى لا فداء ثمة ولا شفاعة بغير اذن
الله تعالى قرئ بفتح اسم لا فى الكل بلا تنوين على البناء وبالرفع على جعل لا
بمعنى ليس والكافرون هم الظالمون اى من يكفر بيوم البعث يظلم نفسه
بعذاب النار الله لا اله اى لا معبود للخلق الا هو اى الا الله الحى اى الموصوف
بالحيوة الازلية الابدية القيوم اى الدايم القائم بتدبير الخلق فى انشائهم ورزقهم
نزل حين قال المشركون اصنامنا شركاء الله وهم شفعائنا عنده فوحد
الله نفسه بالنفى والاثبات ليكون ابلغ فى ثبوت التوحيد ونفى الشرك
لا تأخذه سنة ولا نوم تاكيد للقيوم اى ليس بغافل عن امور الخلق لان

من جاز

من جاز عليه التغير بالسنة والنوم استحال ان يكون قيوما قيل السنة ما يتقدم
النوم من النعاس والنوم غشية ثقيلة تقع فى القلب ونفى الادنى اولا لانه
مبدء التغير ليلزم منه نفى الاعلى وانما ذكره تتميما للكلام او نفيا للتغيرات
كلها لانه ربما يتوهم ان الادنى لا يأخذه لضعفه والاعلى يأخذه لقوته فجمع
بينهما نفيا لذلك التوهم من ذا الذى يشفع عنده بيان بالاستفهام
لعظمته وكبريائه فى الدنيا والاخرة وان احدا لا يقدر ان يتكلم بالشفاعة
وغيرها عنده يوم القيمة الا باذنه اى الا باذن يأذن فى الكلام والشفاعة
لمن شاء فيمن شاء ثم بين انه لا يخفى عنه شئ ما بقوله يعلم ما بين ايديهم
اى ما كان قبلهم من امر الدنيا وتشريك الاصنام له وما خلفهم اى و
يعلم ما يكون بعدهم من امر الاخرة وان الشفاعة لهم فيها ولا يحيطون
اى لا يدركون يعنى الملائكة والانبياء وغيرهم بشئ من علمه اى من
جميع معلوماته الا بما شاء اى الا بما اخبر الله لهم كاخبار الانبياء والرسل
وهذا رد لعابدى الملائكة حيث يرجون شفاعتهم لعبادتهم اياهم يعنى انهم
لا يعلمون شيئا مما تقدمهم وتأخرهم ولا يملكون الشفاعة ولا غيرها الا
بما اخبرهم ربهم ثم بين وسعة ملكه بقوله وسع كرسيه السموات والارض
اى وسع ملكه الذى لا شريك له فيه تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملك
وقيل وسع علمه تسمية بالمكان الذى هو كرسى العالم الحاكم وقيل هو

وقيل النعاس فى العين
والنوم فى القلب صح

له ما فى السماوات والارض
اى لا شركة لاحد فى
ملكهما لانه خلقهما بما فيهما
ولا غفلة له عن تدبيرهما
لا بالسنة ولا بالنوم اذ
لو وجد شئ من ذلك لفسدتا
بما فيهما قوله صح

الكرسي الذي بين يدي العرش ودونه السموات السبع والارض وهو بالنسبة
الى العرش كاصغر شيء وقيل الكرسي والعرش واحد ولا يؤده اى لا
يثقله حفظهما اى حفظ السموات والارض وهو العلي الشان في الالوهية العظيم
بالملك والقدرة يعني لا ند له ولا ضد روى عن النبي عليه السلام سيد
الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وروى ايضا
من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا
الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه
امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله قوله لا اكراه في الدين
اشارة الى ان امر الايمان بعد وضوح الحجة مبني على الاختيار دون القسر
الاجبار كقوله افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اى لم يجبر الله الايمان
على الاكراه ولكنه اجراه على الاختيار وقيل هو اخبار في معنى النهي اى لا
تكرهوا في الدين فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ثم نسخ بقوله جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم وقيل نزل في انصاري مؤمن بالنبي عليه السلام
من اهل الكتاب تنصر ابناه قبل ان يبعث النبي عليه السلام ثم قدما
المدينة فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصما الى النبي عليه
السلام قال الانصاري يا رسول الله أيدخل بعضي النار وانا انظر فقال لا تكرهوا احدا
في الدين بعد فتح مكة والاسلام العرب فخلاهما فالآية مخصوصة باهل الكتاب لانهم

احضوا

احضوا انفسهم باداء الجزية فلا تكون منسوخة ثم علل عدم الاكراه في الدين بقوله
قد تبين الرشد من الغي اى تميز الاسلام من الكفر بالدلائل
الواضحة فمن اسلم والا وضعت عليه الجزية ولا يكره على الاسلام
ان كان من اهل الكتاب فمن يكفر بالطاغوت اى الصنم او الشيطان
او كعب بن الاشرف ويؤمن بالله فقد استمسك اى اعتصم بالعروة
الوثقى اى بالحلقة المحكمة او بالحبل الوثيق الموصل الى الله لا انفصام
لها اى لا انقطاع لتلك العروة وهي كلمة لا اله الا الله والله سميع
عليم لمقالاتهم واعمالهم فيجازيهم بها الله ولي الذين آمنوا اى حافظ المؤمنين
وناصرهم يخرجهم من الظلمات الى النور اى من الشبهات في الدين بتوفيق
حلها الى نور اليقين والثبات على الاستقامة واخراجهم من الكفر
الى الايمان على ارادة الماضي من المستقبل والذين كفروا اى صمموا
على الكفر اولياؤهم الطاغوت كالشيطان وكعب بن الاشرف يخرجونهم
من النور اى من نور البينات التي تظهر لهم للايمان بمحمد لانهم كانوا يعرفونه
في كتبهم ويستفتحون الى الظلمات اى الى الشك والشبهة والانكار لانهم
منعوهم عن اتباعه فيكون المراد من الاخراج عن الايمان المنع من الدخول
فيه اولئك اصحاب النار اى اهلها وملازموها هم فيها خالدون اى لا
يخرجون عنها قوله الم تر الى الذين حاج الم ينته علمك الى قصة الملك الذي

جادل وخاصم ابراهيم في ربه اى فى توحيده تعجيب للنبى عليه السلام و
تسلية له لمجادلة ابراهيم نمرود الجبار الذى ادعى الربوبية فى زمانه ان آتيه
الله الملك اى لان اعطاه ملك الارض كلها ولم يشكر له على ما اعطاه بل
فى مقابلة الشكر قيل هو اول من ملك الدنيا كلها فتنة له ولعباده اذ قال
ابراهيم ظرف لحاج وذلك حين دخل عليه اتباعه وجنوده فى عيد لهم فسجدوا له
ثم دخل عليه ابراهيم فلم يسجد فقال له نمرود ما لك لا تسجد لى قال لا اسجد الا لربى
فقال له نمرود من ربك قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت فتمه نمرود وقال
قال انا احيي واميت بمد الالف من انا ويحذفها اذا كان بعدها همزة مضمومة
او مفتوحة فى جميع القران لا مكسورة كما فى قوله ان انا الا نذير فقال له كيف تحيى و
تميت انكارا عليه فجاء برجلين فقتل احدهما وخلى سبيل الاخر فقال انك لم
تحيى الميت قيل كان لابراهيم ان يقول احيى من امت ولنمرود ان يقول
فليحيى ربك من امت ولكن لم يقله معجزة لابراهيم واما ابراهيم عليه السلام
فهو لما سمع جواب الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر عليه بشبهة او لا
شئ وفيه دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة واضحة قال ابراهيم
فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت اى تحير
وسكت الذي كفر يعنى انقطعت حجته والله لا يهدي القوم الظالمين اى لا
يرشد المعاندين الى الحجة والبيان قوله او كالذي او فيه للتخيير والكاف بمعنى

المثل

المثل منصوب المحل بمحذوف دل عليه الم تر اى ارايت مثل الذى او الكاف
زايدة تقديره الم تر الى الذى حاج ابراهيم او الى الذى مر على قرية وهو كافر
بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود فى سلك واحد وقيل المار هو عزير
النبى عليه السلام مر على قرية هى بيت المقدس وقد خربها بخت نصر
قيل لما كثرت المعاصى فى بنى اسرائيل وعظهم ارمياء فلم يتعظوا فخرج من
بينهم فجاء بخت نصر وغزا بنى اسرائيل وقتل منهم سبعين الفا فمر عزير
بعد مدة على هذه القرية وكان هو نبى من بنى اسرائيل فربط حماره تحت ظل شجرة ثم
طاف بالقرية وهي خاوية اى ساقطة على عروشها اى سقوفها والعرش
يستعمل لكل بناء مرتفع ثم استعمل لكل مسقف كالسرير يعنى سقطت سقوفها
ثم سقطت عليها حيطانها فرأى فيها فواكه كثيرة فجلس يأكل من تلك الفاكهة
ثم عصر من العنب فشربه وجعل فضله فى الزق وجمع من التين وجعله فى سل ثم نظر
الى القرية وموتاها فتعجب من كثرة حملها وفناء اهلها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها
ولم يشك فى البعث لكنه اراد ان يريه الله كيف يحيى الموتى لمزيد علمه بقدرته
فلما تكلم عزير بذلك نام فى ذلك الموضع فأماته الله اى البثه ميتا مائة عام
فليس ظرفا للاماتة بل هو ظرف للالبث لان الاماتة تقع فى اليسر زمان وامات
حماره ايضا ثم بعثه اى احياه الله فى آخر النهار وقد اماته فى اوله فقام حيا
ثم سمع صوتا قال كم لبثت يا عزير فى نومك قال لبثت يوما لما رائى بقية

اسمه سعد بن العاصم

من الشمس فظن انه من اليوم الذى نام فيه من اول النهار او بعض يوم
لانها لم تغرب بعد قال لعزير بل لبثت مائة عام يعنى كنت ميتا هذه المدة
ثم امره بالنظر ليعتبر قال انظر الى طعامك اى التين والعنب وشرابك
اى العصير الذى فى الزق لم يتسنه اى لم يتغير من مر السنين يقال سانهت
رجلا اذا عاملته سنة فالهاء اصلية او الهاء بدل من الواو المحذوفة اصله
سنو قرئ باثبات الهاء وحذفها معا وصلا وبحذف الهاء فى الوصل
والقطع وباثبات الهاء فى القطع وبحذفها فى الوصل فنظر فرائى كل واحد منهما
كما تركه بجنبه ثم ناداه ثانيا وقد مات حماره وبقى عظاما فقال وانظر الى حمارك
فنظر وقد بكى فاحيا حماره بعد رؤيته باليا فاذا هو قائم ينهق فخر عزير ساجدا
فقال المنادى فعلنا ذلك لتعلم قدرتنا ولنجعلك آية اى عبرة للناس
للدلالة على البعث لان اولاده صارت شيوخا وهم كانوا شبانا ثم قال
وانظر الى العظام اى عظام الموتى والحمار كيف ننشزها بالزاء المعجمة اى
كيف نضم بعضها ببعض للتركيب ونفخ الروح فيها والنشز التحرك والارتفاع
وقرئ بالراء من النشور وهو الاحياء ثم نكسوها اى نلبسها اى العظام لحما
كاللباس على العريان فنفخ الروح فعادت العظام حية كهيئة الاولى فلما
تبين اى ظهر له اى لعزير احياء الموتى قال عزير اعلم بقطع الهمزة ورفع الفعل
مخبرا عن نفسه وبوصل الهمزة بجزم الفعل امر النفسه او امرا مقولا من الله له

بالعلم

بالعلم اليقين ان الله على كل شيئ قدير من الاحياء والاماتة وغيرهما واذ قال
ابراهيم اى اذكر وقت قوله رب ارنى بكسر الراء وسكونها كيف تحيى الموتى
لازداد بصيرة فى ايمانى قيل سأله قوم نمرود كيف يحيى ربك الموتى فاراد
ان يرى ذلك من الله حتى يخبرهم بما رأى من المعاينة وقيل رأى فى
ساحل البحر جيفة يأكل منها دواب البحر ودواب البر ويتفرق اجزاؤها فى
بطونها فوقع فى قلبه ان يعلم كيف يجمعها الله تعالى قال ربه اولم تؤمن يا
ابراهيم بانى احيى الموتى قال ابراهيم بلى قد صدقت انك تحيى الموتى
ولكن سألت ليطمئن اى ليسكن قلبى فيصير على الاستدلال علما بالمعاينة
وهو عين اليقين وانما استفهمه الله تعالى مع انه كان عالما بايمانه لانه
اراد بسؤاله عنه ان يظهر ايمانه لكل سامع بقوله بلى قال الله ان تريد
رؤية ذلك فخذ اربعة من الطير ديكا وطاووسا وغرابا وحمامة فصرهن
بضم الصاد اى اقطعهن وبكسر الصاد وامِلهن بمعنى اضممهن اليك لتعرف
اشكالها لئلا يلتبس عليك بعد عودها اليك ثم اقطع رؤسهن
وقطعهن بحيث يختلط لحمهن بعضه ببعض ثم جزئ من سبعة اجزاء ثم اجعل
على كل جبل من جبال ارضك وكانت سبعة وقيل كانت اربعة
فجزاها اربعة اجزاء فقال تعالى ضع على كل جبل منهن اى من كل الطيور
جزءا بضم الزاء وسكونها ثم ادعهن اى قل لهن تعالين باذن الله

يأتينك سعيا اى مشيا سريعا على ارجلهن وهو مصدر مؤكد او حال
بمعنى ساعيات ففعل كما امره فعاد كل جزء الى جسده ثم اتين الى رؤسهن
لئلا يتوهم انها غير تلك الطيور فوصلت بروسهن فعادت كما كانت
وجعل ابراهيم ينظر ويتعجب حيث ينضم بعضها الى بعض ويتشكل كل طير
على شكله الاول ثم قال تعالى عند ذلك واعلم ان الله عزيز اى غالب
الانتقام ممن لم يؤمن حكيم يفعل كل شيئ بالحكمة والاتقان ثم حث المؤمنين
بانه عزيز حكيم على الانفاق والتصدق فى سبيله تحقيقا للايمان فى قلوبهم بالثواب
وتخليصا لنفوسهم عن العذاب بقوله مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله
اى مثل نفقات المؤمنين المنفقين فى طاعته كمثل حبة لزارع زرعها فى ارض
عامرة انبتت سبع سنابل فرضا وتقديرا والمنبت هو الله ولكنها سبب
الانبات اى اخرجت سبع شعب من اصلها لجودة الحبة وحذاقة الزراع
وعمارة الموضع وضع جمع الكثرة موضع القلة وهو السنبلات فى كل سنبلة
مائة حبة فيكون جملتها سبع مائة حبة فكذلك المتصدق الصالح بالمال الصالح
اذا اعطاه من يستحقه باذن الشرع يعطيه الله بكل صدقة سبع مائة حسنة او اكثر
والله يضاعف بالالف من المضاعفة وبالتشديد من التضعيف اى
يزيد الثواب لمن يشاء من المنفقين لا لكل منفق لتفاوت الاحوال بينهم
والله واسع اى واسع الفضل لتلك الاضعاف عليم بانفاقهم ونياتهم

ثم بين

ثم باين لهم طريق الانفاق فى سبيله لنيل ثوابه فقال الذين ينفقون اموالهم
فى سبيل الله اى يتصدقون بها فى مواضعها ثم لا يتبعون ما انفقوا فيها منا
اى لا يمنون عليهم بما تصدقوا بان يقول المتصدق المان اصطنعتك كذا
خيرا واحسنت اليك كثيرا ولا اذى اى ولا يوذونهم بان يقول المتصدق
الموذى انى قد اعطيتك فما شكرت او الى كم تاتينى وتوذينى او كم تسئل
الا تستحيى لهم اجرهم اى ثوابهم مهيئا عند ربهم ولا خوف عليهم فى الاخرة ولا
هم يحزنون على ما خلفوا من امر الدنيا قيل نزلت الاية فى شان عثمان
حين اشترى بئر رومة اسم موضع فى الحجاز وجعلها سبيلا على المسلمين ثم قال
تعالى تاكيدا لنفى المنة والاذى قول معروف اى عدة حسنة او رد جميل
او دعاء بالخير مبتدأ نكرة موصوفة وعطف عليه قوله ومغفرة اى وتجاوز
عن الفقير اذا استطال او عفو عن ذنبه وستر سره وخبر المبتداء قوله تعالى خير
من صدقة يتبعها اذى اى من وتعيير على من يتصدق عليه والله غنى عن صدقة منفق
مان ومؤذ حليم حيث لا يعجل بالعقوبة وفيه سخط منه ووعيد له ثم بالغ فى الوعيد
بقوله يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم اى اجورها بالمن والاذى فانه من
فعل ذلك لا اجر له فى صدقته وعليه وزر منته على الفقير ووزر ايذائه وقيل ذهب
الاجر فيهما ويبقى الوزر فى الايذاء دون المن قوله كالذى صفة موصوف محذوف
اى ابطالا مثل ابطال المنفق وقيل هو فى محل النصب على الحال اى لا تبطلوا

صدقاتكم مماثلين الذي ينفق ماله رئاء اي لاجل رياء الناس يعني ليقال انه انه كريم ولا يريد بانفاقه رضاء الله وثواب الاخرة وهو المنافق قوله ولا يؤمن اي ولا مماثلين بالذي لايصدق بالله واليوم الاخر وهو المشرك فانه ادا التصدق ابطل صدقته شركه كما تبطل صدقة المؤمن المن والاذى ثم بين مثل كل واحد من المنافق والمشرك المتصدقين بصدقة الريا والشرك فقال فمثله كمثل صفوان اي حجر املس عليه تراب واصابه وابل اي مطر شديد فتركه صلدا اي نقيا لا تراب عليه يعني مثل المرائي والمشرك في صدقتهما يوم القيمة كمثل حجر عليه تراب فازال المطر كذلك فوتت رياؤه وشركه ثوابه لايقدرون على شيء مما كسبوا من العمل الخير يعني لايجد المراؤن والمشركون بصدقاتهم ثوابا في الاخرة كقوله تعالى فجعلنا هباء منثورا اي لاينتفعون بما فعلوا رياء وضمير الجمع عايد الى الذي لانه اريد به الجنس او هو كمن الموصولة والله لايهدي اي لايرشد القوم الكافرين بالاخرة الى الاخلاص والى الاسلام وفيه ايماء الى ان الرياء من المومنين كالكفر من الكافرين لما روى انهم قالوا يا رسول الله ما الشرك الاصغر قال عليه السلام الرياء ثم بين حال المنفقين بالاخلاص تبكيتا للمنفقين رياء بقوله والذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اي لطلب رضوانه وتثبيتا اي تحقيقا من انفسهم اي للتصديق الحاصل من اصل نفوسهم بثواب الاخرة وصدقهم بالانفاق وجه الله من قلوبهم وفيه ايماء الى الانفاق والاخلاص ومن في انفسهم

للابتداء

للابتداء اي تثبيتا صادرا من انفسهم كقوله حسدا من عند انفسهم قوله كمثل جنة خبر المبتداء وهو مثل الذين اي مثلهم كمثل ثمرة بستان بربوة بفتح الراء و ضمها اي في مكان مرتفع مستو من الارض لايعلوه الماء ولايخلو عن شرب الماء فيكون منبته حسنا اصابها وابل اي مطر عظيم القطر فاتت اي اعطت اكلها بسكون الكاف وضمها ونصب اللام اي ثمرتها ضعفين اي مثلين يعني حملت تلك الجنة في سنة ما يحمل غيرها في سنتين فان لم يصبها وابل اي مطر شديد فطل اي فالذي يصيبها طل وهو المطر الضعيف القطر والطل اذا دام عمل عمل الوابل المعنى ان صدقة المؤمن المخلص تنفعه يوم القيمة جلت او قلت كما ان الجنة تعطي ريعها كثر المطر او قل والله بما تعملون بصير من عمل الاخلاص والرياء فيجازيكم به قوله ايود احدكم تاكيد لمنع الرياء وتحقيق للندامة على فاعله اي يحب احد منكم ان تكون له جنة اي بستان من نخيل جمع نخل واعناب تجري من تحتها الانهار خصهما بالذكر وان كان فيها غيرهما لقوله له فيها ثمرة من كل الثمرات تفضيلا لهما وتغليبا على غيرهما لانهما اكثر منافع العرب واكرم الشجر عندهم واصابه الكبر اي والحال انه بلغ نهاية السن وله ذرية ضعفاء اي اولاد صغار والجملة حال من ضمير المفعول في اصابه يعني عجزة لاحيلة لهم في معيشتهم ولا له في معيشته ومعيشة ذريته الا من بستانه فاصابها اعصار اي ريح شديدة يرفع الى السماء كالعمود قوله فيه نار صفة اعصار اي في تلك الريح نار محرقة

فاحترقت تلك الجنة فبقى الرجل متحيرا لا يجد ما يعود به عليها ولا قوة له ان يغرس
مثلها ولا خير فى ذريته من الاعانة لكونهم ضعفاء عاجزين عن ان يعينوه فكذلك
مثل المرائى بعمله لانه يبعث له الشيطان فاعمله الطاعات بالرياء فاحبطها
الله كلها ثم ندم ولم ينفعه الندم وان احدكم اذا فارق الدنيا يكون احوج من
كل شئ الى عمله كذلك اى كهذا البيان الذى بين فيما مر من الجهاد والانفاق
فى سبيل الله وقصة ابراهيم وعزير وغير ذلك يبين الله لكم الآيات
اى الدلالات الواضحة فى تحقيق التوحيد وتصديق الدين لعلكم تتفكرون
تتدبرون فيها وتعتبرون بها ثم حث المؤمنين بالانفاق من الحلال الذى
يحصل من الكسب بالتجارة والصناعة قال عليه السلام ما اكل احد طعاما
قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل
يده فقال يا ايها الذين آمنوا انفقوا اى تصدقوا من طيبات اى من حلالات
ما كسبتم اى ما جمعتم بعمل اليد من الذهب والفضة ومما اى ومن طيبات ما
اخرجنا لكم من الارض من الحبوب والاثمار ومن المعادن والكنوز وهذا امر
باخراج الزكوة من الحلال قوله ولا تيمموا الخبيث اى لا تعمدوا بالتصدق
والاخراج الى ردى المال منه تنفقون فى محل النصب على الحال من ضمير
تيمموا اى حال كونكم منفقين بالاختصاص من خبيث المال نزل حين حث
النبى عليه السلام الناس على التصدق فجعل الناس يأتون بالصدقة

يجمعون

يجمعون فى المسجد فجاء رجل بعذق من تمر عامته حشف ولستم بآخذيه اى آخذى
الخبيث بدل الطيب الا ان تغمضوا فيه اى الا فى حال اغماض البصر عنه فتأخذون
دون حقكم مخافة ان يذهب جميعه يعنى لو كان لكم على رجل حق فجاء بردى مال
بدل حقكم الطيب لا تأخذونه الا فى حال الاغماض والتساهل مخافة فوت حقكم
ولاحتياجكم اليه قوله واعلموا ان الله غنى عن ذلك فلا يقبل الا الطيب حميد
فى فعاله عند خلقه حيث يعطى الجزيل ويقبل القليل الشيطان يعدكم الفقر اى
يخوفكم بالفقر بقوله لا تنفقوا من مالكم لاحتياجكم اليه فان تصدقتم افتقرتم
ويأمركم بالفحشاء اى البخل ومنع الزكوة او بالزنا وقول الزور وغيرهما والله يعدكم
بالتصدق واخراج الزكوة مغفرة لذنوبكم منه اى من الله وفضلا اى خلفا مما
تصدقتم فى الدنيا وثوابا عليه فى الآخرة والله واسع فضله عليم بما تنفقون فيجازيكم
يؤتى الحكمة اى يؤتى العلم النافع والعمل به للوصول الى رضاء الله تعالى و
قيل المعرفة بمكايد الشيطان ووساوسه والاصابة فى القول والعمل من
يشاء من عباده ومن يؤت اى يعط الحكمة اى العلم والعمل فقد اوتى اى اعطى
خيرا كثيرا اى خيرا يتزايد ولا ينتقص وهو خير الآخرة بخلاف خير الدنيا فانه
ينقص ويقل ولا يتزايد لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل الآية وما يذكر اى
ما يتعظ بمعانى القرآن الا اولوا الالباب اى اصحاب العقول الكاملة واللب
جوهر العقل والمراد منهم العلماء بالله العمال باحسن الاعمال قيل من اعطى علم القرآن

ينبغي ان لا يتواضع لاهل الدنيا لاجل دنياهم لان ما اعطيه خير كثير والدنيا متاع
قليل ولقوله عليه السلام القران غنى لا غنى بعده وما انفقتم اى ما تصدقتم فى سبيل
الله او سبيل الشيطان من نفقة اى صدقة او نذرتم من نذر كذلك فان الله يعلمه
اى يحصيه ويحفظ فيجازيكم به والضمير فى يعلمه عايد الى ما وما للظالمين اى ليس للذين
يظلمون بمنع الصدقة والزكوة او بالانفاق فى المعاصى من انصار يمنعونهم من
عذاب الله ان تبدوا اى ان تعلنوا الصدقات المفروضة فنعما هى قرئ بفتح النون
وكسر العين على الاصل وبكسر النون واخفاء حركة العين وبكسر النون والعين للاتباع
والتشديد فيه اتفاق اى فنعم الشيء شيئا الصدقة المعلنة فنعم مدح فاعله مضمر
فيه وما نكرة بمعنى شيئ مفسر للضمير المبهم ويقصد به فعل الفاعل وهو الابداء المعلوم
بالذكر وهى خبر مبتداء محذوف بتقدير المضاف عايد الى الصدقة كانه قيل
ما الممدوح فقيل هى اى الصدقة يعنى هى ابداء الصدقة المفروضة وان تخفوها
اى الصدقة وتؤتوها اى تعطوها الفقراء سرا فهو اى فالاخفاء خير لكم من الابداء و
افضل من الجهر وكل متقبل اذا اصلحت النية قيل اعلان الفريضة افضل
من اخفائها بخمسة وعشرين ضعفا وصدقة السر فى التطوع تفضل على علانيتها
سبعين ضعفا قال عليه السلام صدقة السر تطفئ غضب الرب و
هذا محمول على التطوع قوله ويكفر عنكم بالنون والياء والجزم عطف على محل الجزاء
لانه جواب الشرط وبالرفع على الاستيناف اى نحن نكفر ها اى نمحو

عنكم

عنكم من سيئاتكم اى جميع ذنوبكم على زيادة من او هى للتبعيض لانه تمحو بعض
الذنوب بالتصدق فى السر والعلانية والله بما تعملون خبير من التصدق
فى حالين فيجازيكم به قوله ليس عليك هديهم اى التوفيق الى الهداية نزل حين كان
المسلمون يمتنعون عن التصدق على كافر حتى يسلم فقال تعالى للنبى عليه السلام
عليك يا محمد هداية البيان للدعوة كما فى قوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم
وليس عليك هداية التوفيق للكافرين حتى يسلموا ولكن الله يهدى اى يرشد
هداية التوفيق من يشاء فيسلم يعنى لو انفقت لاقربائك المشركين لكان ثواب
نفقتك لك فيه ايماء الى ان الكفر لا يمنع صدقة التطوع واختلف العلماء فى الواجب
قال ابو حنيفة يجوز انفاق صدقة الفطر لاهل الذمة ومنعه غيره وما تنفقوا اى
اى شيئ تصدقوا من خير اى من مال فلانفسكم اى فثوابه لكم لا لغيركم وما تنفقون
اى لا تتصدقون فى طاعة الله الا ابتغاء وجه الله اى لطلب ثوابه وما تنفقوا
اى اى شيئ تتصدقوا من خير فى اهل الذمة وغيرهم يوف اليكم اى يعط ثوابه
لكم وافرا مضاعفا وما هذه شرط ويوف مجزوم جزائه وانتم لا تظلمون شيئا من
ثوابكم قوله للفقراء الذين احصروا خبر مبتداء محذوف اى صدقاتكم للفقراء
الذين حبسوا نفوسهم فى سبيل الله اى فى طاعته من الغزو وتلاوة القران والعبادة
فى المسجد وهم اهل الصفة كانوا مقدار اربعمائة يسكنون المسجد ويقرؤن
القران ويعبدون ربهم فيه ليلا ونهارا وتركوا الكسب والتجارة لا يستطيعون

ضربا في الارض اى سيرا وسفرا للكسب والتجارة يحسبهم الجاهل بكسر السين و
فتحها اى المتجاهل بحالهم وشأنهم اغنياء من التعفف اى لاجل تعففهم من السؤال
وهو ترك الطلب ومنع النفس عن المراد بالتكلف استحياء تعرفهم بسيماهم اى
بعلامتهم التواضع وصفرة الوجوه ورثاثة الحال من قيام الليل وصيام النهار
والفقر لا يسألون الناس الحافا اى الزاما والحاحا، وهو مصدر منصوب بانه
مفعول له ففيه نفي السؤال والالحاف جميعا اى لا يسألون اصلا او تقديره سؤال
الحاف فيكون مفعولا مطلقا من غير لفظه ويكون معناه انهم ان يسألوا يسألوا
بتلطف ولم يلحوا قال عليه السلام لان يأخذ احدكم حبله فيأتي بحزمة حطب على
ظهره فيكف بها وجهه خير له من ان يسأل الناس اشياءهم اعطوه او منعوه وما
تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم به وفيه تحريض على التصدق للفقراء ثم زاد
التحريض عليه بقوله الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى خفية
وظاهرا فلهم اجرهم اى ثوابهم حاضر عند ربهم ولا خوف عليهم مما يستقبل
ولا هم يحزنون مما مضى فيه حث على التصدق في كل الاوقات على كل الاحوال قيل
نزل في شأن ابي بكر حيث تصدق عشرة آلاف دينار بالليل وعشرة آلاف بالنهار
وقيل في شأن علي حين نزل التحريض بالصدقة وكان له اربعة دراهم فتصدق بدرهم
بالليل وبدرهم بالنهار وبدرهم بالسر وبدرهم بعلانية الذين يأكلون الربوا اى يعاملون
به وخص ذكره بالاكل لانه اعظم المقاصد منه والربوا الزيادة المطلقة في اللغة

وفى الشرع

وفى الشرع هو الفضل على المعيار الشرعي لا يقومون من قبورهم للبعث الا كما يقوم اى
الا قياما مثل قيام الذي يتخبطه اى يصرعه ويخبله الشيطان من المس اى الجنون
متعلق بقوله لا يقومون يعني لا يقومون للبعث من الجنون الا كقيام المصروع
المخبل ويكون ذلك بسيماهم يعرفون به عند اهل الموقف ذلك اى العذاب
النازل بهم بانهم قالوا اى بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا فاستحلوا الربوا بذلك
وكان الرجل اذا حل اجل ماله طلبه فيقول له المطلوب منه زدني في الاجل وازيدك
في مالك فيفعلان ذلك فاذا قيل لهما هذا ربوا لا يجوز فعلكما ذلك قالا الزيادة
في اول البيع كالزيادة في آخر البيع وقيل قالا الربوا والبيع سواء في الحل فابطل
الله قولهم بقوله واحل الله البيع وحرم الربوا وهذا تصريح بان النص يبطل القياس
لانه جعل تحليل الله وتحريمه دليلا على بطلان قياسهم فمن جاءه موعظة اى من بلغه
وعظ من ربه وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى اى فسمع النهي وامتنع عنه فله ما سلف
اى له ما مضى من ذنبه فلا يؤاخذ به وجعل ملكا له لان الحجة لم تقم عليه قبل النهي ولم يعلم
بحرمة الربوا وامره الى الله اى بعد ذلك شأنه مفوض الى الله فيما ينهاه ويأمره لانه
عبده ليس له شيء من امر نفسه ومن عاد الى الربوا مستحلا بعد النهي كما استحل قبله
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كالكفار ومن تاب منهم فلا بد له من
ان يرد الفضل ولا يكون له ما سلف لان حرمة الربوا ظهرت بين المسلمين
فلم يبق له عذر اصلا روي ان رسول الله عليه السلام لعن آكل الربوا وموكله

وكاتبه وشاهديه وعنه عليه السلام الربوا بضع وسبعون بابا ادناها كاتيان
الرجل امه يعني كالزنا بامه يمحق الله الربوا اي يذهب بركته ويهلك المال الذي
يدخل فيه ولا يقبل منه فعل خير واصل المحق النقص ويربي الصدقات اي يزيدها
ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف الثواب بها في الاخرة قال عليه السلام ما نقصت
زكوة من مال قط والله لا يحب كل كفار اي جاحد بتحريم الربوا اثيم فاجر باكله وفعله
وفيه تغليظ لحال الربوا وتهديد لاهله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اي
الطاعات واقاموا الصلوة اي الصلوة الخمس واركانها وادابها واتوا الزكوة
في مواقيتها
اي الصدقة المفروضة لهم اجرهم عند ربهم اي ثواب اعمالهم من غير نقص ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون وفيه ترغيب لاهل الايمان في الاعمال الحسنة و
تزهيد عن الاعمال السيئة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي اخشوه ولا تعصوه
فيما نهاكم عن امر الربوا وغيره وذروا اي اتركوا ما بقي من الربوا اي من الزيادة
الباقية بعد اخذكم ما شرطتم على الناس من الربوا فلا تطلبوها ان كنتم مؤمنين
اي ان صح ايمانكم وتصديقكم بتحريم الربوا لان امتثال الامر دليل على صحة
الايمان او ان كنتم كاملي الايمان او ان بمعنى اذ ثم هددهم فان لم تفعلوا اي
ان لم تتركوا الزيادة ولم تقروا بتحريم الربوا فاذنوا بسكون الهمزة وفتح الذال
من اذن بمعنى علم اي فاعلموا وبفتح الهمزة الممدودة وكسر الذال من الايذان
بمعنى الاعلام اي فاعلموا غيركم اي ليعلم بعضكم بعضا بحرب من الله ورسوله

ولم يقل

ولم يقل بحرب الله ورسوله ليكون ابلغ في التحذير لان المعنى بنوع حرب
عظيم من عند الله ورسوله وحرب الله النار وحرب الرسول السيف قيل
يقال يوم القيمة لاكل الربوا خذ سلاحك للحرب من الله ولما سمع المربون
هذه الاية قالوا لا طاقة لنا بحرب من الله ورسوله ورضوا برؤس اموالهم
ثم بين الله تعالى الحكم بعد التوبة بقوله وان تبتم عن الربا فلكم رؤس اموالكم
اربيتم بها لا تظلمون غيركم بطلب الزيادة على راس المال ولا تظلمون
بان ينقص المطلوب عن رأس المال قيل الاية نزلت في ثقيف
وبني المغيرة فان بني ثقيف اربوا بني المغيرة في الجاهلية فلما ظهر النبي
عليه السلام على اهل مكة وضع الربوا كله والدم كله فطلبوا رؤس اموالهم
من بني المغيرة فشكوا المغيرة وطلبوا الاجل الى وقت ادراك ثمارهم
فقال تعالى وان كان اي ان وقع ذو عسرة اي صاحب اعسار وهو الشدة
والصعوبة وكان تامة قوله فنظرة خبر مبتداء محذوف اي فالحكم انظار
وامهال الى ميسرة بضم السين وفتحها اي الى وقت يسر بادراك
ثمارهم وغيره قوله وان تصدقوا بتشديد الصاد وتخفيفها قيل
تشديد الدال في محل الرفع مبتداء اي وتصدقكم باسقاط الدين كله عن
اعسر من الغرماء او بالتاخير والانظار خير لكم ان كنتم تعلمون انه
خير فتعملوا به جعل من لا يعمل بعلمه كمن لا يعلم قال عليه السلام من نظر

معسراً او وضع له انجاه الله من كرب يوم القيمة واتقوا يوما ترجعون بضم
التاء وفتحها مجهولا ومعلوما من رجع فيه الى الله اى اخشوا يوما تصيرون فيه الى
حكم الله وهو يوم القيمة ثم توفى اى تكمل كل نفس ما كسبت من عمل خيرا او شرا وهم
لا يظلمون اى لا ينقصون من ثوابهم ولا يزادون على عقابهم عن ابن عباس
انها آخر آية نزل بها جبرئيل وقال ضعها فى رأس المأتين والثمانين من البقرة و
عاش بعدها احداً وعشرين يوما وانما امر بوضعها هنا تاكيداً لزجر عن الربوا
قوله يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم حين نزل حرم الله الربوا الاباحة السلم المضمن
الى اجل معلوم اى يا ايها المؤمنون اذا عامل بعضكم بعضا بدين معطيا او
آخذا الى اجل مسمى اى معلوم الاول والاخر احتراز عن الحصاد والدياس
لعدم التسمية فاكتبوه اى دين المديون بالاجل والاشهاد وانما امر بكتبه الدين
كذلك لانه ابعد من الانكار وآمن من النسيان قيل هذا كان فرضا ثم
نسخ بقوله فان امن بعضكم بعضا الاية وقيل هو امر ندب ثابت ثم بين كيفية
الكتابة فقال وليكتب اى كتاب الدين بينكم اى بين خصمين من البايع والمشترى
كاتب بالعدل اى بالحق متعلق بقوله فليكتب يعنى بالاحتياط والتسوية
لا يزيد على ما يجب ان يكتبه ولا ينقص عنه قيل فيه اشارة الى ان يكون
الكاتب عالما بالشرط ليجيئ مكتوبه معدلا بالشرع ولا يأب اى لا يمتنع كاتب
من الكتاب ان يكتب كما علمه الله اى مثل ما علمه كتاب الوثايق لا يبدل

ولا يغير

ولا يغير وهو نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة بالوصف الذى يجيئ ذكره ثم
قال للكاتب فليكتب تلك الكتابة تاكيدا وبينها بقوله وليملل الذى عليه
الحق اى الدين وعنى بالذى المطلوب بالدين وهذا امر بالكتابة المقيدة
والاملال والاملاء لغتان فى معنى واحد وهو ان يقول رجل ويكتب آخر
اى ليملى على الكاتب ليكتب من عليه حق الداين لان قوله حجة على نفسه فيكون
بالاملاء على الكاتب اقرارا منه لوجوب الحق عليه ثم خوف المديون
المملى بقوله وليتق اى المطلوب بالدين الله ربه فى الاملاء ولا يبخس اى لا ينقص منه
اى من الحق الذى وجب عليه شيئا ولو كان قليلا فان كان الذى عليه الحق
اى المطلوب بالدين سفيها اى جاهلا بالاملاء او ضعيفا على الاملاء
لكونه صبيا او هرما او اخرس او مجنونا فيعجز عنه او لا يستطيع اى لا يقدر ان
يمل اى يملى هو بنفسه لعى فيه او لعذر لا يمكنه حضور الكاتب فليملل وليه اى
ولى من عليه الحق وهو القيم على امره من وكيل او وصى او غيرهما ممن يترجم
عنه وهو يصدقه وقيل وليه صاحب الدين لانه اعرف بحقه بالعدل اى
بالصدق والتسوية واستشهدوا اى اطلبوا على حقكم شهيدين من رجالكم اى من
اهل دينكم يعنى من الاحرار البالغين المسلمين فيشهدان على الدين ولا يجوز شهادة
العبد فى شيئ عند عامة العلماء ولا شهادة الكافر الا عند ابى حنيفة فانه جوز
شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا اى الشاهدان رجلين فرجل

اى فليكن الشهادة رجل **وامرتان ممن ترضون من الشهداء** فى ديانته وامانته و
شهادة النساء مع الرجال فى الاموال جايزة بالاجماع قوله ممن ترضون فى محل الرفع
صفة رجل وامرئتين **ان تضل** بفتح ان المصدرية اى لان تنسى وبكسر ان الشرطية
اى ان نسيت **احديهما** اى احدى المرئتين الشاهدتين **فتذكر** بالرفع والتشديد
والتخفيف من التذكير والاذكار جواب الشرط اى فهى تذكرها احديهما الاخرى والجملة
الشرطية فى محل الرفع صفة ثانية لرجل وامرئتين ومعنى الشرطية ان نسيت
احديهما الشهادة فهى اى فالشهادة تذكرها **احديهما الاخرى** فاحديهما فاعل و
الاخرى مفعول ثان لتذكر فيكون المبتداء مع العايد محذوفا وقرئ بنصب
تذكر عطفا على تضل المنصوب بان والمعنى فليكن المرئتان شاهدتين لارادة ان
تنسى احديهما فتذكر احديهما الاخرى ان نسيت وليس ضلال احديهما براد
لكن الضلال لما كان سببا للتذكير والتذكر عنه وهما من حيث الاتصال
كشيئ واحد كانت ارادة الضلال ارادة للتذكير والتذكير مراد لا محالة فكانه
قال ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وهذا الكلام كثير فى عرف الناس
من ذلك قولهم اعددت هذا السلاح ان يظهر لى عدو فادفعه به ثم حث الشهداء
على اقامة الشهادة بقوله **ولا يأب** اى لا يمتنع **الشهداء** عن اداء الشهادة **اذا ما**
دعوا الى الحاكم ليشهدوا ففيه حرمة الاباء عن الشهادة والتقصير فى ادائه اباء
والفسق ايضا اباء قوله **ولا تسأموا ان تكتبوه** فيه تحريض على الكتابة اى لا تملوا

من ان

من ان تكتبوا الحق **صغيرا او كبيرا** حالان من ضمير المفعول اى لا تتركوا
كتابة الحق حال كون الحق قليلا او كثيرا **الى اجله** اى الى وقته المعلوم
بين الغريمين بالتسمية **ذلكم** اى كتب الحق الى اجله **اقسط** من القسط
بالكسر بمعنى العدل اى اعدل **عند الله واقوم للشهادة** اى اعون
على اقامة الشهادة لان كتبه يذكر الشهود من التقويم بمعنى الثابت المحكم
ثبوته **وادنى** اى اقرب **الا ترتابوا** اى الى ان لا تشكوا فى شهادة المعنى
ان الكتابة والاشهاد بالشهود العدول احفظ لاموالكم **الا ان تكون**
التجارة **تجارة حاضرة** بالنصب خبر كان وبالرفع على ان كان تامة
يعنى الا ان يكون البيع بيعا حاضرا يدا بيد **تديرونها بينكم** اى تداولها
ايديكم ولم يكن المال مؤجلا والجملة خبر بعد خبر لكان **فليس عليكم جناح**
اى بأس **الا تكتبوها** اى التجارة اذا كانت حاضرة لان فيها امنا ليس فى
التداين **واشهدوا** على التبايع **اذا تبايعتم** على كل حال نقدا كان او مؤجلا لانه
احوط وارفع مما عسى ان يقع من الاختلاف وهذا امر ندب لانه لو ترك
الاشهاد لجاز البيع قوله **ولا يضار** يحتمل البناء على الفاعل وعلى المفعول
فعلى الاول نهى الكاتب عن ترك الاجابة الى ما يطلب منه وعن التحريف
والزيادة والنقصان اى لا يمنع **كاتب** عن الكتابة المقصودة **ولا شهيد**
اى ولا يمتنع الشاهد عن اقامة الشهادة المعلومة وعلى الثانى النهى عن

الضرار بالكاتب والشاهد اي لا يوصل احد مضرة للكاتب والشهيد اذا كانا
مشغولين بما يهمهما ويوجد غيرهما فلا يضاران بابطال شغلهما وقد يكون اضرار
الكاتب والشهيد بان لا يعطي حقهما من الجعل فيكون النهي عن ذلك وان تفعلوا
اي الضرار فانه اي فعلكم اياه فسوق بكم اي معصية واتقوا الله اي في ضرار
او فيما امركم من الكتابة والاشهاد وفيما نهاكم عن الاضرار قوله ويعلمكم الله في
محل النصب على الحال من فاعل اتقوا اي والحال انه يعلمكم مصالحكم وطرق
فلاحكم والواو صلة او التقرير وهو يعلمكم والله بكل شيء عليم من اعمالكم ودنياكم
وان كنتم على سفر اي مسافرين وانما شرط السفر في الارتهان مع ان الارتهان
لا يختص به سفر دون حضر لان السفر لما كان مظنة عدم الكتب والاشهاد امر بالارتهان
ليقوم مقامهما تاكيدا وتوثيقا لحفظ المال ولم تجدوا كاتبا بان لا يحسن الكتابة
او لا يوجد الصحيفة او الدواة والقلم فرهان جمع رهن وقرئ رُهُن جمعه ايضا اي
فالتوثق رهن مقبوضة اي مسلمة الى المرتهن ولا بد من القبض خلافا لمالك فان
امن بعضكم بعضا اي وثق طالب الحق على المطلوب لانه علمه امينا فلم يطلب
منه الرهن فليؤد الذي اؤتمن امانته قرئ بسكون الهمزة وضمها بمعنى واحد
اي فليقض المطلوب الامين ما في ذمته من الدين من غير رهن منه وليتق الله
ربه في اداء الدين من غير مطل ثم خاطب الشهود بالتهديد من كتمان
الشهادة بقوله ولا تكتموا الشهادة اذا دعيتم الى الحاكم لادائها على وجهها

ومن

ومن يكتمها فانه آثم اي فاجر قلبه وهو رفع بآثم على الفاعلية ويجوز كونه مبتدأ
وآثم خبره والجملة خبر ان اسند الاثم الى القلب لما عرف ان اسناد الفعل الى
القلب ابلغ من اسناده الى الجارحة التي تعمله به وفيه اشارة الى ان ذلك من
معاظم الذنوب لان القلب اصل في افعال الجوارح ولانه محل النيات
فيكون اقوى في الاثم قيل المراد مسخ القلب عن ابن عباس رضي الله عنه اكبر
الكبائر الاشراك بالله وشهادة الزور وكتم الشهادة والله بما تعملون عليم
من اقامة الشهادة وكتمانها قوله لله ما في السموات وما في الارض اي له
الملك كله فيهما وحكمه نافذ في اهلهما فلا تعبدوا احدا سواه ولا تعصوه فيما امركم
ونهاكم نزل لتاكيد تهديد عباده من العصيان وان تبدوا اي ان تظهروا
ما في انفسكم اي في قلوبكم او تخفوه من المعصية ككتمان الشهادة وموالات
المشركين وغيرهما من المناهي يحاسبكم به الله اي يجازيكم به قيل لما نزلت
هذه الاية شق على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يا رسول الله انا لنحدث
انفسنا بالمعصية ولا نعمل بها فنزل قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فنسخت
به قال عليه السلام ان الله تجاوز عن امتي ما وسوست به انفسها ما لم يتكلموا
او يعملوا به والمعنى ان الله يحاسب عبيده بكل ما اضمروا من السوء او اظهروا و
قيل انه خبر فلا ينسخ اذ النسخ انما يرد على الامر والنهي فالمراد من المضمر في القلب
ما عزم الرجل عليه واعتقده فلا يدخل فيه حديث النفس والوسوسة لان دفع

ذلك ليس مما في وسعه فيغفر لمن يشاء اى الذنب الكبير ويعذب من يشاء على الذنب
الحقير وكل ما يفعله تعالى عدل منه قرئ برفع الراء والباء اى فهو يغفر ويعذب و
بجزمهما عطفا على جواب الشرط وهو يحاسبكم والله على كل شيء قدير من المغفرة
والعقوبة قوله آمن الرسول الاية لم ينزل به جبرئيل على محمد عليه السلام عند البعض
وانما سمعها من الله ليلة المعراج بعد ما جاوز سدرة المنتهى ومنعه الاكثرون لان
هذه السورة كلها مدنية اى صدق النبي عليه السلام بما انزل اليه من ربه
من آيات القران والمؤمنون عطف على الرسول ليكون المؤمنون
داخلين فيما آمن به الرسول كل آمن اى كل واحد من الرسول والمؤمنين
صدق بالله ايمان اثبات وتصديق وتوحيد وملائكته ايمان توقير
وتعظيم وكتبه قرئ مفردا وجمعا ايمان تصديق انها من عند الله وتحليل
ما احله وتحريم ما حرمه ورسله ايمان اتباع واطاعة لا نفرق اى يقولون
يعني الرسول والمؤمنين لاغير بين احد من رسله بان نؤمن ببعض و
نكفر ببعض كما قال اليهود والنصارى واحد هنا بمعنى الجمع فلذلك
اضيف بين اليه وقالوا سمعنا اى اجبنا واطعنا اى دخلنا في الطاعة
قيل لما نزلت هذه الاية قال جبرئيل للرسول عليهما السلام ان
الله قد اثنى عليك وعلى امتك فسل تعط فقال الرسول عليه السلام
غفرانك اى اعطنا مغفرتك ونسألك غفرانك ربنا واليك المصير

اى المرجع

اى المرجع فقال تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها اى طاقتها وهذا اخبار
عن عدله ورحمته لها ما كسبت اى للنفس ما عملت من الخير يعني لها ثوابه
وعليها ما اكتسبت من الشر يعني عليها وزره وخص الكسب بالخير والاكتساب
بالشر لان تحصيل الخير ليس باشتهاء النفس بخلاف الشر فانه لا يكون
الا بانجذاب النفس في تحصيله واجتهادها فجعل مكتسبا للنفس ولما كان
بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا من الاوامر والنواهي واخطأوا العمل شيئا من المناهي
عجلت عقوبتهم في الدنيا فامر الله المؤمنين ان يدعوا ذلك عنهم بالمسئلة منه
تعالى فقالوا ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا اى ان غفلنا او اخطأنا اى
تجاوزنا الحد قيل يجوز الدعاء بذلك وان كان الخطاء والنسيان مرفوعين
عن هذه الامة لقوله عليه السلام رفع عن امتي الخطاء والنسيان اعترافا
بنعمة الله تعالى عليهم وقيل معنى قوله ان نسينا ان تركنا الامر ومعنى اخطأنا
تعمدنا الخطاء وقيل المراد بالخطاء والنسيان ما هما مسببان عنه من التفريط
والاغفال ربنا ولا تحمل علينا اصرا اى ثقلا كما حملته على الذين من قبلنا
وهو انهم كانوا اذا اذنبوا بالليل وجدوا مكتوبا على بابهم بالنهار وكانت
الصلوة عليهم خمسين صلوة في يوم وليلة وكان اخراج ربع اموالهم زكوة
وكانت الطيبات محرمة عليهم بظلمهم فخفف عن هذه الامة ربنا ولا تحملنا
من العقوبات النازلة بمن قبلنا ما لا طاقة لنا به يعني ان نزلت بهم بسبب

التفريط فى محافظة التكليفات الشاقة التى كلفوها فنحن نسألك ان لا تكلفنا
بها فتعذبنا بتركها واعف عنا بجوز ذنوبنا واغفر لنا اى استر عيوبنا
وارحمنا اى ادخلنا الجنة برحمتك وقيل اعف عنا من المسخ واغفر لنا
من الخسف وارحمنا من القذف لان كلها اصاب الامم الماضية انت
مولانا اى سيدنا ومتولى امورنا وحافظنا فانصرنا على القوم الكافرين
لان المولى حقه ان ينصر عبيده قال ابن عباس ان رسول الله عليه السلام
لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وقال عليه السلام
من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه اى من قيام الليل او من حساب
يوم القيمة وقال عليه السلام السورة التى يذكر فيها البقرة فسطاط القران اى
مصره الجامع فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة
قيل وما البطلة يا رسول الله قال السحرة اى لا يستطيع السحرة ان تسحر قاريها
آل عمران
صدق الله العظيم سورة آل عمران مدنية بسم الله الرحمن الرحيم الم
بفتح الميم وصلا لالتقاء الساكنين تخفيفا وهما الميم ولام التعريف وبسكون الميم
وقفا والابتداء بما بعدها وذلك مروى عن عاصم اى الله اللطيف المجيد
هو الله لا اله الا هو الحى القيوم اى الذى يبقى ابدا ويقوم على تدبير خلقه
بالرزق والاجل نزل عليك الكتاب اى القران بجبرئيل بالتشديد
للتكثير لنزوله نجوما بالحق لبيان الحق او بالصدق مصدقا لما بين يديه

اى فى حال كونه مصدقا للكتب قبله وانزل التورية على موسى والانجيل على
عيسى من قبل اى قبل هذا الكتاب والتورية بفتح الراء وامالتها فوعلة
من ورى الزند اذا ظهرت ناره وسمى بذلك لظهور الحق به والانجيل افعيل
من نجلت الشيء اذا ربيت به وسمى به لرسه الباطل وابعاده عن عباد الله
قوله هدى للناس نصب على الحال من الكتابين ولم يثن لانه مصدر فى معنى
الصفة اى هاديين لجميع الناس موسى وعيسى ومن تابعهما وانزل الفرقان
اى جنس الكتاب الفارق بين الحق والباطل ذكره بالتفصيل والاجمال بعد
التفخيم والتفضيل او المراد به القران كرره لتفضيله على جميع الكتب لكونه معجزا
فارقا باقيا الى آخر الدهر ان الذين كفروا بآيات الله اى بالقرآن ومعجزات
النبى عليه السلام لهم عذاب شديد فى الدنيا وفى الاخرة نزل فى شأن
المشركين من العرب والله عزيز ذو انتقام اى ذو عقوبة شديدة لا يقدر على
مثلها احد لمن عصاه ان الله لا يخفى عليه شىء من الاشياء فى الارض و
لا فى السماء اى مدرك للاشياء كلها يعنى هو مطلع على كفر من كفر به وايمان
من آمن به وعلى جميع اعمالهم فيجازيهم يوم القيمة ثم قال مخبرا عن قدرته فى
الوهيته هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء ليعتبروا به فيؤمنوا اى يخلقكم
بصور مختلفة من ذكر وانثى وقصير وطويل ودميم وحسن قيل هذا رد على الذين
قالوا عيسى الله وابن الله لان من صور فى الرحم يمتنع ان يكون الها وولد الله

لكونه مركبا وحالا في المركب والمركب في معرض الزوال والفناء لا اله الا هو العزيز
الحكيم اي الغالب بالنقمة للكافرين والفاعل بالحكمة تصوير الخلق كما يشاء بعلمه
هو الذي انزل عليك الكتاب اي القرآن منه اي من الكتاب آيات محكمات
متقنات واضحات لا يدخل فيها شيء من الاشتباه هن ام الكتاب اي
تلك المحكمات اصل الكتاب الذي تعمل عليه الاحكام وترد عليه المشتبهات
بالتأويل واخر متشابهات عطف على آيات ومتشابهات صفة اخرى اي
ومنه آيات اخر يدخل فيها اشتباه واحتمال يحتاج الى التأويل مثال المحكمات
والمتشابهات قوله تعالى لا يأمر بالفحشاء محكم وقوله امرنا مترفيها ففسقوا فيها
متشابه وتأويله آمرنا بمعنى كثرنا كما يجئ في موضعه وقيل المراد بالمحكم ما لا يدخله التغيير
كالناسخ والمتشابه ما يدخله التغيير كالمنسوخ والاول اظهر لقوله وما يعلم تأويله
الا الله وانما لم يجعل الله القرآن كله محكما لما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين
الثابت على الحق والمتزلزل فيه كابتلاء بني اسرائيل بالنهر في اعتقاد نبيهم ولان
النظر في المتشابه والاستدلال به لكشف الحق يوجب عظم الاجر ونيل الدرجات عند
الله فاما الذين في قلوبهم زيغ نزل في شأن المبتدعين والمنافقين او في اليهود
والنصارى اي الذين في قلوبهم ميل عن الحق فيتبعون ما تشابه منه اي يتعلقون
بما يوافق هواهم ظاهرا دون ما يوافق المحكم من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة اي
لطلب ان يفتنوا الناس ويضلوهم عن دينهم وابتغاء تأويله اي لطلب تأويل

المتشابه بما يحبونه برائيهم ثم بين ان لا سبيل لاحد الى معرفة تأويله
بقوله مستثنيا وما يعلم تأويله اي تأويل المتشابه الا الله والراسخون
في العلم اي الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا من عباده فانهم
يهتدون الى تأويله الحق قالوا كان ابن عباس يقول انا من الراسخين
في العلم وبعضهم يقف على الله تعالى به واستبد بعلمه وحكمته كعدد الزبانية
في قوله عليها تسعة عشر والصوم وعدد الركعات في الصلوة الخمس وقيام
الساعة والاول اوجه لما ذكرنا وقوله يقولون آمنا به نصب على الحال من
الراسخين اي القائلين صدقنا بالقرآن المحكم والمتشابه كل اي كل واحد
من المحكم والمتشابه من عند ربنا وما يذكر اي وما يتعظ بما انزل من القرآن
الا اولوا الالباب اي ذوي العقول من الناس ثم قال عبد الله بن سلام
واصحابه حين سمعوا قول اليهود وتكذيبهم به ربنا لا تزغ اي لا تمل قلوبنا
عن الهدى بعد اذ هديتنا اي ارشدتنا الى دينك وهب لنا من لدنك
اي من عندك رحمة اي نعمة بالتوفيق والمعرفة انك انت الوهاب
اي معطي الثواب للمؤمنين ربنا انك جامع الناس اي تجمعهم بعد الموت
ليوم اي لقضاء يوم لا ريب فيه اي لا شك انه كائن لا محالة عند من آمن
ثم ذكر الله بالتصريح تعظيما وايماء الى صدق وعده بقوله ان الله لا يخلف
الميعاد اي الوعد يعني الالوهية تنافي خلف الوعد في البعث واستجابة الدعاء

ان الذين كفروا بالقرآن وتركوا العمل به لن تغنى اى لاتنفع عنهم اموالهم
ولا اولادهم اى كثرتهما والتفاخر بهما من الله اى من عذابه شيئا اى غنى لا
فى الدنيا اذا انزل بهم مصيبة من المصائب ولا فى الآخرة اذا حكم بهم الى عذاب
النار واولئك هم وقود النار اى حطبها والوقود بفتح الواو اسم ما يوقد به والوقود
بالضم مصدر كدأب آل فرعون اى عادة هؤلاء الكفار كقريظة والنضير فى الكفر وتكذيب
القرآن والرسل كعادة قوم فرعون فى تكذيب موسى واصل الدأب الدوام
واللزوم والمراد هنا العادة الدائمة والذين من قبلهم اى كفار الامم المتقدمة
كقوم نوح وثمود وقوم لوط كذبوا باياتنا اى بكتبنا ودلائلنا مع رسلنا كما كذب
بها قومك فاخذهم الله اى عاقبهم بذنوبهم والله شديد العقاب لمن كفر
بالايات والرسل قوله قل للذين كفروا نزل حاين جمع النبى عليه السلام
المشركين او اليهود بعد وقعة بدر فى سوق بنى قينقاع وقال اسلموا قبل
ان يصيبكم الله بمثل ما اصاب قريشا فقالوا يا محمد لا تغرنك نفسك انك
لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب والقتال فانك لو قاتلتنا لعرفت
من الناس فامره تعالى بقوله لهؤلاء الكفار ستغلبون اى ستهزمون و
تقتلون فى الدنيا وتحشرون قرئ بالتاء والياء فيهما اى وتجمعون بعد القتل
فى الآخرة والفرق بين القرائتين معنى انها بالياء امر بان يحكى لهم ما اخبره به من
سيغلبون ويحشرون وانها بالتاء امر بان يخبرهم بما سيجرى عليهم من الغلبة والحشر

البتة الى جهنم وبئس المهاد اى بئس الفراش والمقر جهنم ثم خاطب قريشا مشيرا
الى وقعة بدر ليعتبروا فيؤمنوا فقال قد كان لكم آية اى علامة دالة على
صدق قولى انكم ستغلبون ومحل قوله فى فئتين رفع صفة آية ومحل قوله
التقتا جر صفة فئتين اى قد حصل لكم عبرة كائنة فى جمعين جمع المؤمنين
من اصحاب محمد عليه السلام وجمع الكافرين من اهل مكة اجتمعا للقتال
احديهما فئة تقاتل فى سبيل الله اى فى طاعته وهم النبى عليه السلام
واصحابه كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا واكثرهم رجالة واخرى كافرة وهم
كفار قريش كانوا تسعمائة وخمسين رجلا يرونهم بالياء على الغيبة اى
يرى المسلمون المشركين مثليهم اى مثلى المسلمين وهو نصب على الحال لانه من
رؤية العين او يرى المشركون المسلمين مثلهم ليعظموا فى انفسهم والاول حقيقة
والثانى ظن منهم وبالتاء على الخطاب لليهود لان منهم من حضر الوقعة لكنه
ينظر من الكرة والرؤية على القراءتين من رؤية العين لقوله راى العين وهو
نصب على المصدر اى رؤية ظاهرة لا لبس فيها يعنى معاينة كساير المعاينات
والله يؤيد اى يقوى بنصره من يشاء اى بتكثيره فى عين العدو وقيل
ارسل الله الى المسلمين الملائكة وهزموا المشركين ان فى ذلك اى فى صنعه من
نصر القليل على الكثير لعبرة لاولى الابصار اى لذوى النظر بالعقل لدرك
الحق من الباطل زين للناس حب برفعه فاعل المجهول اى حسن لهم محبة الشهوات

اى مرادات النفوس والشهوة نزوع النفس الى مرادها ومحبوبها وقد يسمى المشتهى
شهوة والمزين هو الله قوله تعالى زينا لهم اعمالهم وذلك على جهة الامتحان وقيل
هو الشيطان لقوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم وذلك على جهة الوسوسة
قوله من النساء حال من الشهوات اى حال كونها من طايفة النساء وانما بدأ
بهن لان فتنة النساء اشد من فتنة كل الاشياء ومن طايفة البنين والفتنة
بهم ان الرجل يبتلى بسببهم على جمع المال من الحلال والحرام ولانهم يمنعونه عن مجاهدة
حدود الله وهو من قبيل الاكتفاء اذ المراد الاولاد الذكور والاناث قيل اولادنا
فتنة ان عاشوا فتنونا وان ماتوا احزنونا والقناطير المقنطرة جمع القنطار وهو
المال الكثير والمقنطرة ماخوذة من القنطار للتاكيد كما يقال الوف المؤلفة اى الاموال الكثيرة
المجتمعة من الذهب والفضة حال من المقنطرة قيل حده الف ومائتا دينار
او مائة الف مثقال او سبعون الف دينار اى ملء مسك ثور ذهبا والخيل
المسومة عطف على النساء جمع خايل كطير جمع طاير وقيل جمع لا واحد له من لفظه اى
الافراس المعلمة من السمة او المرعية من السوم والانعام اى الابل والبقر
والغنم جمع نعم والحرث اى الزرع قيل كل منها فتنة للناس اما النساء
والبنين فتنة الجميع والذهب والفضة فتنة للتجار والخيل فتنة للملوك
والانعام فتنة لاهل البوادى والحرث فتنة لاهل الرساتيق ثم رغب
فى الاخرة وزهد عن الدنيا بقوله ذلك اى الذى ذكر من الاشياء

السبعة متاع الحيوة الدنيا اى منفعة قليلة للناس فى الحيوة الدنيا ثم يزول
ويبقى والله عنده حسن المآب اى حسن المرجع فى الاخرة لا يزول ولا
يفنى وهو الجنة ثم امر تعالى النبى عليه السلام ان يبين للمؤمنين ان
ما وعد لهم فى الاخرة افضل مما زين للمكاثرين فى الدنيا فتنة لهم
بقوله قل أؤنبئكم اى اخبركم بخير من ذلكم اى من الذى زين للناس للذين
اتقوا اى خافوا من الشرك والمعاصى والتزين بزينة الدنيا الشاغلة
عن طاعة الله عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين اى مقيمين
فيها ابدا وازواج مطهرة اى زوجات طاهرة من العيوب الظاهرة كالحيض
والامتخاط واتيان الخلاء ومن الباطنة كالحسد والغضب والنظر الى غير ازواجهن
روى عن النبى عليه السلام لشبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها ورضوان
من الله اى رضاء منه وهو اكبر النعم قرئ بكسر الراء وضمها والله بصير
بالعباد اى باعمالهم فيثيب ويعاقب على الاستحقاق قوله الذين يقولون
نصب او رفع على المدح ويجوز الجر صفة للعباد اى هم الذين يقولون
ربنا اننا امنا اى صدقناك ونبيك فاغفر لنا ذنوبنا التى كانت فى
الشرك وفى الاسلام وقنا اى ادفع عنا عذاب النار ونصب الصابرين
مدحا ويجوز ان يكون مجرورا صفة للعباد اى الذين صبروا على الطاعات والمصيبات
والممتنعين عن المعاصى والصادقين فى ايمانهم واعمالهم الصالحة وعدم

بينهم وبين الله وبين الناس والقانتين اى المطيعين لله والمنفقين اى
المتصدقين فى سبيل الله والمستغفرين بالاسحار اى الذين يصلون بالليل
ويمدون فى الصلوة فاذا كان السحر اخذوا فى الدعاء والاستغفار قال
لقمان لابنه يا بنى لا تكونن اعجز من هذا الديك يصوت بالاسحار وانت نايم
على فراشك قوله شهد الله انه لا اله الا هو نزل حين جاء رجلان من احبار
الشام فقالا للنبى عليه السلام انت محمد قال نعم فقالا انت احمد قال انا محمد
واحمد قالا اخبرنا عن اعظم الشهادة فى كتاب الله فاخبر به اى اثبت الله بالحجة
القطعية واعلم بمصنوعاته الدالة على توحيده انه واحد لا شريك له فى خلقه
الاشياء اذ لا يقدر احد ان ينشئ شيئا منها والملائكة اى شهدت الملائكة
واقرت بما عاينت من عظم قدرته ايضا واولوا العلم اى وشهد ذوو
العلم بالاحتجاج على وحدانيته ايضا وهم الانبياء والمؤمنون الذين علموا توحيده
واقروا به اعتقادا صحيحا فشبه دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التى لا يقدر
عليها غيره واقرار الملائكة واولى العلم بذلك بشهادة الشاهد فى البيان والكشف
قوله قائما بالقسط نصب على الحال المؤكدة من الله او من هو كقوله هو الحق
مصدقا لا من الملائكة واولى العلم وانما جاز ذلك مع امتناع جائنى زيد
وعمرو راكبا لامن اللبس اذ القايم بالقسط من الصفات الخاصة به تعالى
اى مقيما بالعدل فى قسمة الارزاق والاجال والاثابة والمعاقبة وما يامره

عباده وينهاه عنهم من العدل والتسوية فيما بينهم ورفع الظلم عنهم وهذه الحالة
دخلت فى حكم شهادة الله والملائكة واولى العلم كما دخلت الوحدانية وقيل انها
سبقت للمدح لا للتاكيد وحق ما ينتصب على المدح ان يكون معرفة وقد
يجئ نكرة اذا اختصت لا اله الا هو العزيز الحكيم كرر المشهود به لتاكيد التوحيد
ليوحدوه ولا يشركون به شيئا لانه ينتقم عمن لا يوحده بما لا يقدر على مثله ينتقم ويحكم
ما يريد على جميع خلقه لا معقب لحكمه لغلبته عليهم ان الدين عند الله الاسلام
بكسر ان على الاستيناف اى ان الدين المرضى عند الله الاسلام وهو التوحيد
والعدل وبفتح ان بدلا من انه لا اله الا هو اى وشهد الكل ان الدين الحق هو
دين الاسلام من بين الاديان وما اختلف الذين اوتوا اى اعطوا الكتاب
وهم اليهود والنصارى فى هذا الدين ونبوة محمد عليه السلام الا من بعد ما جاءهم
العلم اى فى التورية انه نبى حق ودينه حق فكذبوا واشركوا بان قالت النصارى الله
ثالث ثلثة وقالت اليهود عزير ابن الله بغيا بينهم نصب بمفعول له اى للبغى والحسد
وطلب الرياسة ومن يكفر بايات الله اى بالقران ومحمد عليه السلام فان
الله سريع الحساب اى سريع المجازات لانه عالم بجميع الاعمال لم يحتج الى التذكر
والتفكر او سريع فى محاسبة جميع الخلق لانه يحاسبهم فى اقل من لمحة بحيث يظن
كل احد منهم انه يحاسب نفسه فقط فان حاجوك اى خاصمك يا محمد اهل الكتاب
فى الدين فقل اسلمت اى اخلصت وجهى اى دينى وعملى لله وخص الوجه

بالذكر لانه اكرم اعضاء الرجل ولأاذا تواضع وخضع بالوجه فخضع بجميع اعضائه
قوله ومن اتبعن باثبات الياء وحذفها وصلا وبحذفها وقفا فى محل الرفع
عطف على فاعل اسلم وجاز العطف من غير تاكيد للفصل اى اسلمت و
اسلم من اتبعنى وجوههم ايضا قوله وقل امر للنبى عليه السلام بان يقول بعد
قيام المعجزة على نبوته وصدق دين الاسلام للذين اوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى
والاميين اى مشركى العرب أأسلمتم بالاستفهام للتوبيخ على المعاندة فى
معنى الامر اى اسلموا كقوله تعالى فهل انتم منتهون اى عن الكفر والشرك فان
اسلموا فقد اهتدوا اى ان اخلصوا فى التوحيد والتصديق بمحمد فقد وجدوا
الهداية وخرجوا من الضلالة وان تولوا اى ان اعرضوا عن التوحيد والتصديق
بمحمد عليه السلام فانما عليك البلاغ اى التبليغ بالرسالة دون الهداية
والله بصير بالعباد اى باعمالهم من الايمان وعدمه قيل هذه الاية نسخت
باية القتال قوله ان الذين يكفرون بآيات الله اى بالقرآن والمعجزات
على نبوة محمد عليه السلام ويقتلون وقرى يقاتلون بالالف النبيين
اى ويرضون بالقتل الذى فعله ابائهم بغير حق اى بظلم منهم نزل اخبارا عن
كفار بنى اسرائيل الذين قتلوا الانبياء واتباعهم عنادا وتوبيخا لاهل الكتاب
والمشركين الذين كفروا بمحمد ويقاتلونه ثم قال ويقتلون الذين يامرون بالقسط
اى بالعدل من الناس وهم مؤمنو بنى اسرائيل يامرونهم بالمعروف وكانوا

يقتلونهم

يقتلونهم فاعد الله لهم النار بقوله فبشرهم بعذاب اليم اى وجيع دايم و
الفاء فى فبشرهم الذى هو الخبر يدل على انهم مستحقون لهذه البشارة لتضمن
اسم ان معنى الجزاء قيل قتلوا ثلثة واربعين نبيا اول النهار فى
ساعة واحدة فقام مائة واثنى عشر رجلا من مؤمنى بنى اسرائيل فامروهم
بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعهم آخر النهار من ذلك اليوم
اولئك الذين حبطت اعمالهم اى بطلت حسنات اعمالهم فى الدنيا
والاخرة وما لهم من ناصرين يمنعونهم من عذاب النار قوله الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا اى اعطوا حظا من الكتاب اى من علم التورية نزل
حين دعا النبى عليه السلام اليهود الى الايمان فامتنعوا منه او جاء
اهل خيبر الى النبى عليه السلام برجل وامرأة زنيا فحكم عليهما بالرجم فقال
علماء اليهود ليس عليهما الرجم فقال النبى عليه السلام بينى وبينكم
التورية فقالوا انصفتنا فجاؤا بالتورية فوجد فيها الرجم فرجما فانصرف
اليهود مغضبين قوله يدعون الى كتاب الله فى محل النصب على
الحال من الذين اوتوا اى حال كونهم مدعوين الى حكم القرآن ليحكم بينهم ثم
يتولى اى ينصرف عن سماع ذلك الحكم فريق منهم وهم معرضون
عن قبول الحق والواو فيه للحال ذلك اى الاعراض عن الحق بانهم
قالوا اى بسبب قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات اى اربعين

بوا على عدد ايام عبادة العجل وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون اى
يكذبون بالعهد على الله وهو قولهم نحن ابناء الله واحباؤه فيعفوا عنا
بتأخير العذاب ثم اوعدهم بقوله فكيف اى كيف يصنعون ويحتالون
اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه اى لا شك فيه لمن يعقل الحق ووفيت اى
وفرت واعطيت كل نفس من اهل الكتاب وغيرهم ما كسبت اى
الذى عملته من الحسنات والسيئات وهم لا يظلمون اى لا ينقصون
من حسناتهم ولا يزادون على سيئاتهم قل اللهم مالك الملك نزل
حين فتح النبى عليه السلام مكة ووعد امته ملك فارس والروم فعلمه
الله ان يدعوا بهذه الدعاء او حين حفر اصحابه الخندق فوصل الحفر الى الصخرة
فعجزوا عن حفرها فاخذ الرسول عليه السلام المعول وضرب ضربة فظهر
من تلك الضربة نور فقال له سلمان رائيت شيئا عجيبا يا رسول الله
فقال ما رائيت قال رائيت قصور الحيرة من الشام ثم ضرب ضربة اخرى
فظهر كذلك فقال رائيت قصور اهل فارس فقال عليه السلام سيظهر
لامتى ملك فارس وملك الشام فقال المنافقون ان محمدا لا يامن
نفسه واضطر الى حفر الخندق فكيف يتمنى ملك الشام وفارس فقال
تعالى قل يا محمد اللهم اى يا الله امنا بخير اى اقصدنا يا مالك الملك
كله تؤتى الملك من النبوة وغيرها من تشاء اى محمدا ومن آمن به و

تنزع الملك ممن تشاء اى من فارس والروم وتعز من تشاء بالاسلام وبالملك
وتذل من تشاء بنزع الملك من اهله وبالشرك بيدك الخير اى الخير
والشر فيكون من قبيل الاكتفاء او المراد الخير دون الشر لان الكلام فى
ذكر الخير المسوق الى المومنين وهو الهداية والسعادة انك على كل شيء قدير
من الاعزاز والاذلال ثم اشار الى قدرته الباهرة الدالة على توحيده وكبريائه
بقوله تولج الليل اى تدخله فى النهار اى فى مكانه لان ما نقص من الليل
يدخل فى مكان النهار حتى يصير النهار خمس عشرة ساعة وتولج النهار فى الليل
اى تدخله فيه حتى يصير الليل خمس عشرة ساعة وتخرج الحى من الميت بالتخفيف
والتشديد اى تظهر الحيوان من النطفة والطير من البيضة او العالم من الجاهل
او المؤمن من الكافر او النبات من الارض اليابسة وتخرج الميت من الحى
وهذا عكس الاول وترزق من تشاء بغير حساب اى من غير ان يحاسب فى
الاعطاء لانه المالك حقيقة ليس فوقه من يحاسبه فيه او ترزقه بلا تقطير او بلا حسبان
وظن له قوله لا يتخذ بكسر الذال ورفعه نهيا او خبرا فى معناه المؤمنون الكافرين
اولياء اى احباء من دون المؤمنين اى مكان المؤمنين وبدلهم نزل فى شأن
المنافقين كعبد الله بن ابى واصحابه كانوا يتولون اليهود فى العون والنصرة و
يأتونهم بالاخبار من المؤمنين او فى شأن حاطب بن ابى بلتعة وغيره كانوا
يظهرون المودة لكفار مكة لكون اولادهم واقربائهم فيها فنهاهم الله تعالى عن

ذلك اى اجتنبوا ايها المؤمنون عن موالات الكفار فلكم غنية عنها بموالات
المؤمنين لانهم اعداء الله **وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ** اى ولاء الكفار **فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ**
اى من دينه وتوفيقه **فِي شَيْءٍ** فى حظ لان من والى عدو الله فقد دخل
فى عداوة الله وانسلخ من ولاية الله رأسا لانهما متنافيان لايجتمعان
ثم استثنى الخايفين فقال **إِلَّا أَن تَتَّقُوا** فى محل النصب مفعول له اى لا تتولوهم
الا لاجل ان تخافوا **مِنْهُمْ تُقَاةً** (بالالف والامالة صح) اى مخافة بوجه يجب الاحتراز عنه وذلك بان
يغلب الكفار او يقع المسلم بينهم فيرضيهم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان
فلا اثم عليه وهذا رخصة منه تعالى فلو صبر فقتل كان اجره عظيما **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ**
نَفْسَهُ اى يقول الله اياكم ونفسى يعنى احذروا من سخطى بموالات اعدائى
قيل انما يحذر نفسه من يعرفه بالمكاشفة واما من لايعرفه فخطابه واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله **وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** (الى المرجع صح) تحذير آخر بالبعث والجزاء **قُلْ إِن**
تُخْفُوا اى تضمروا **مَا فِي صُدُورِكُمْ** ما فى قلوبكم موالات الاعداء ونقض العهود
والعمل بما لايرضى الله به **أَوْ تُبْدُوهُ** اى تظهروه المؤمنين **يَعْلَمْهُ اللَّهُ** جزم بجواب
الشرط قوله **وَيَعْلَمُ** استيناف فى معنى التعليل اى لايخفى عليه ذلك
لانه يعلم **مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** فيعلم سركم وجهركم **وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ**
شَيْءٍ من الستر والعلن والعذاب والمغفرة **قَدِيرٌ** اى مقتدر بقدرة
ذاتية لايختص بمقدور دون مقدور **يَوْمَ** اى اذكر يوم **تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا**

عملت

عَمِلَتْ فى الدنيا **مِنْ خَيْرٍ** اى ثوابه من غير نقص فما بمعنى الذى اى تجده
مُّحْضَرًا اى مكتوبا فى صحفهم يقرؤنه **وَمَا عَمِلَتْ** مبتداء بمعنى الذى عملت
النفس **مِن سُوءٍ** اى من شر فى الدنيا ولايصح ان يكون شرطية لان قوله
تَوَدُّ لم يسمع فيه الجزم الذى هو المختار من القراء وهو فى محل الرفع على انه خبر
المبتداء اى تحب النفس وتتمنى **لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ** اى ان يكون بين النفس
وبين السوء **أَمَدًا بَعِيدًا** اى مسافة واسعة كما بين المشرق والمغرب ولم تعمل
ذلك السوء قط **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ** كرر التحذير بنفسه لئلا يغفلوا عنه **وَاللَّهُ رَءُوفٌ**
بِالْعِبَادِ اى بليغ الرحمة بهم حيث لم يعجل فى عقوبتهم قوله **قُلْ إِن كُنتُمْ**
تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ نزل حين دعا رسول الله عليه السلام
كعب بن الاشرف ومن تابعه الى الايمان فقالوا نحن ابناء الله واحباؤه
فقال تعالى لنبيه قل لهم انى رسول الله ادعوكم اليه فان كنتم تحبونه فاتبعونى
على دينه وامتثلوا امرى يحببكم الله ويرضى عنكم **وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** فان
من ادعى محبة الله وخالف سنة نبيه فهو كذاب بنص كتاب الله
تعالى والمراد من محبة الله تعالى عصمته بالتوفيق ومن محبة العباد رغبتهم
فى طاعة الله **وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** للتائب المطيع ثم قالوا بعد نزول هذه الاية
ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله فيريد ان نحبه كما احبت النصارى عيسى
بن مريم ثم نزل **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ** امرالهم بالجمع بان طاعة الله

وطاعة رسوله رغما لهم **فان تولوا** اى اعرضوا عن طاعتهما **فان الله لا يحب**
الكافرين اى لا يرضى فعلهم لا يغفر لهم لكفرهم قيل يحتمل ان يكون تولوا
مضارعا بان يكون اصله تتولوا فحذف التاء الاولى ويدخل فى جملة ما يقول
الرسول وان يكون ماضيا بلا حذف ولم يدخل فيها **ان الله اصطفى** اى
اختار **آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران** اى نفس ابراهيم و
نفس عمران او هما واولادهما كاسمعيل واسحق وذريتهما وكموسى وهرون
وباقى الانبياء من بنى يعقوب يعنى اختص ادم ومن ذكر معه من الانبياء
ومن اولاد هم بالنبوة وارتضى بدينهم وفعلهم **على العالمين** اى عالمى
زمانهم قوله **ذرية** نصب على الحال من المصطفين بعد ادم او بدل من
نوح وما عطف عليه او بدل من الالين بمعنى ان الالين ذرية واحدة
بعضها من بعض جملة اسمية محلها نصب وصف لذرية اى ذرية متسلسلة
التشعب بعضها من بعض بالتوالد وقيل بعضها من بعض فى الدين والتناصر
والله سميع لمقالتهم **عليم** بدينهم واعمالهم **اذ قالت** نصب بحذف اى
اذكر وقت قالت **امرأة عمران** هى حنة ام مريم وعمران بن ماثان فى
زمن زكريا لا عمران ابو موسى وهرون وكان بينهما الف وثمانمائة سنة
فاحبت حنة الولد بعد ما اسنت فدعت ربه ان يرزقها ولدا ونذرت
ان تجعله من خدم بيت المقدس فلما احست فى نفسها بالولد قالت

رب انى

رب انى نذرت لك ما فى بطنى من الولد **محررا** حال من ما بمعنى الذى و
لم يقل محررة لان نذرهم كان فى الغلمان اى عبدا خالصا لله لا يعمل عمل
الدنيا ولا يتزوج فيتفرغ لعمل الاخرة والمحرر المعتق الذى لم يملك من الحر
قبل من كان اسير الشهوة فليس بحر **فتقبل منى انك انت السميع** لدعائى
العليم بنيتى ثم مات عمران فبقيت حنة حاملا بمريم **فلما وضعتها** اى ولدت
النسمة وهى انثى **قالت** تحسرا واعتذارا وتوهما ان لا يقبل نذرها لكونها
انثى **رب انى وضعتها انثى** وهو حال من المفعول فى وضعتها والاصل
وضعته انثى وانما انث لتانيث الحال **والله اعلم بما وضعت** بفتح العين
وسكون التاء فيكون الجملة من مقول الله وسكون العين وضم التاء
فيكون مقول حنة وكذا قوله **وليس الذكر كالانثى** يحتمل ان يكون مقول الله
وان يكون مقول حنة فلو كانت الجملتان مقول الله كانتا اعتراضا
باين قول ام مريم انى وضعتها انثى وقولها وانى سميتها مريم وفائدته التسلية
لنفس حنة والتعظيم لوضعها ويكون المعنى اعلم بسر وضعها انثى وقولها
وحكمته فانها خير من الذكر فى علمه لانه يجعلها اية بولادة عيسى عليه السلام
للعالمين وهى جاهلة بذلك ومن جهلها تحسرت فقالت انى وضعتها انثى
وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت لها واللام فيهما للعهد يعنى
هى افضل من مطلوبها وهى لا تعلم ولو كانتا مقول حنة كان المعنى ان

الله اعلم بشر ما وضعت انا لعل هذه الانثى خير من الذكر الذى طلبت بالنذر وليس
الذكر كالانثى فى الخدمة لضعفها ولما يعترضها من احوال النساء ففيه تحزن لها لوقوع
خلاف نذرها الله تعالى قوله وانى سميتها مريم من مقول حنة عطف على قوله انى
وضعتها اى جعلت اسمها مريم وهو العابدة فى لغتهم وارادت بذلك التقرب الى الله
والطلب ان يعصمها من الشيطان ليكون فعلها مطابقا لاسمها ولذلك اتبعه بقوله
وانى اعيذها بك وذريتها اى اولادها من الشيطان الرجيم اى المطرود من الرحمة
قال عليه السلام ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه اى يطعنه باصبعه حين يولد
فيستهل صارخا من الشيطان الا مريم وابنها فانه طعن فى الحجاب فتقبلها اى قبل
مريم من حنة ربها بقبول حسن اى بامر ذى قبول مرضى فسلك بها سبيل السعداء
وانبتها نباتا حسنا اى سوى خلقها ورباها تربية حسنة قيل كانت تنبت
فى اليوم ما ينبت المولود فى السنة قيل لما وضعتها حنة لفتها فى خرقة ثم اتت
بها الى بيت المقدس ووضعتها عند المحراب فاجتمعت الاحبار فى المسجد فقالت
حنة لهم خذوا هذه النذيرة للخدمة فى المسجد فرغبوا فيها لانها كانت
بنت امامهم فقال زكريا انا احق بها لان خالتها عندى فقالوا امها احق
بها من خالتها ولكنا نتقارع بالقاء الاقلام فى النهر وكانت اقلامهم من
النحاس فخرجوا الى عين سلوان فالقوا اقلامهم فيها فغابت اقلامهم
فى الماء وبقى قلم زكريا على وجه الماء فعلموا ان الحق له وكفلها بتشديد الفاء

اى ضمها

اى ضمها اليه زكريا بالمد والقصر وتخفيف الفاء اى ضمها زكريا الى نفسه
وهو معنى قوله فتقبلها ربها الاية كلما دخل عليها زكريا المحراب اى غرفتها
من المسجد والمحراب اشرف المجالس فى اللغة قيل انه بنى لها غرفة فى المسجد
وجعل باب الغرفة فى وسط الحايط لا يصعد اليها الا بالسلم واستاجر لها
ظئرا تربيها وكان اذا خرج يغلق عليها الباب ولا يدخل عليها الا زكريا
حتى كبرت واذا دخل عليها فى ايام الشتاء وجد عندها رزقا اى
فاكهة الصيف وفى ايام الصيف فاكهة الشتاء قال زكريا يا مريم انى
لك هذا اى من اين لك هذا الرزق ولا يدخل احد عليك غيرى
قالت هو اى هذا الرزق من عند الله اى من الجنة تكلمت صغيرة
كما تكلم عيسى فى المهد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب اى بغير تقدير لكثرته
او فى غير اوانه او بلا محاسبة او من حيث لا يحتسب هنالك اى
حيث كان قاعدا عند مريم فى المحراب ورأى حصول الفاكهة فى غير اوانها
فتنبه على امكان ولادة العاقر وكان آيسا من ذلك دعا زكريا ربه
قال رب هب لى اى ارزقنى من لدنك اى من عندك ذرية طيبة
اى ولدا صالحا والذرية تقع على الواحد والجمع انك سميع الدعاء اى
مجيب الدعوات فنادته الملائكة بالياء لارادة معنى الجنس وبالتاء
للتأنيث لفظ الجماعة والمراد بالقرآنين جبرئيل اى ناداه جبرئيل وهو قائم

يصلي في المحراب الواو في الجملة واو الحال اى ناداه حال كونه في الصلوة
ان الله بكسر الهمزة على اضمار القول وبفتحها على انه مفعول ثان لنادته يعني قالوا
ان الله يبشرك بالتشديد من التبشير وبالتخفيف من الابشار من بشر معلوما
بيحيى اى بولد اسمه يحيى لانه حيي به رحم امه او لانه يحيى به المجالس من وعظه
وهو لا ينصرف لوزن الفعل والتعريف كيزيد ويشكر او العجمة والتعريف ان
كان اعجميا مصدقا حال من يحيى اى مؤمنا بكلمة من الله اى بكتاب منه
تعالى وقيل المراد من الكلمة عيسى اى بكلمة كائنة من الله بان قال له كن من
غير اب فكان كما قال فوقع عليه اسم الكلمة وسيدا على قومه يعني يفوقهم
في الشرف بانه لم يرتكب سيئة قط وحصورا اى بليغ المنع من شهوة وتزوج النساء
مع ذلك ليكون اغض لبصره قيل انه مر وهو طفل بصبيان يلعبون فدعوه
الى اللعب فقال ما خلقت للعب ونبيا من الصالحين اى ناشيا من الانبياء
لانه كان من اصلاب الانبياء قال زكريا عند نداء الملائكة اياه وبشارتهم
له بالولد بالاستفهام تعجبا وسرورا من حيث العادة رب انى يكون اى كيف
يحصل لي غلام وقد بلغني اى نالني الكبر اى كبر السن الغاية فاضعفني
وامرأتي عاقر اى عقيم لا تلد وكان زكريا ابن تسع وتسعين وامرأته بنت ثمان
وتسعين قال اى الله كذلك كما قلت انه قد بلغك الكبر وامرأتك عاقر
لا تلد الله يفعل ما يشاء من خلق الولد بين الهرمين وغيره لا اعتراض عليه

او معنى

او معنى كذلك مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعاقر
الله يفعل ما يشاء او معناه كذلك الله مبتدء وخبر على هذه الصفة الله وقوله
يفعل ما يشاء بيان له قال رب اجعل لي آية اى علامة لعلم بها الى وقت
حمل زوجتي لازيد في الشكر والعبادة قال آيتك اى علامة حمل امرأتك الا
تكلم الناس اى تمتنع عن كلامهم وانت صحيح وتذكر الله وتسبح وتعبد قضاء لشكر
تلك النعمة العظيمة التي طلبت الآية من اجلها ثلثة ايام الا رمزا اى اشارة
بيد او رأس او عين وسمي الرمز كلاما لانه يؤدي ما يؤديه الكلام ويفهم منه ما يفهم
من الكلام فلهذا جاز الاستثناء المتصل منه قيل كانت اشارته بالمسبحة و
لم يكن الامتناع من الكلام عقوبة له بل كان كرامة له ومعجزة دالة على اجابة
دعائه في ظهور الحبل ودفعا لوسوسة الشيطان حيث صور له وقال ان
نداء البشارة لك ليس من الله وانما هو من الشيطان ونصب رمزا على
الحال من الفاعل والمفعول معا اى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس
بالاشارة ثم امره تعالى بذكره لعدم منعه عن ذكر الله تعالى فقال واذكر
ربك كثيرا وسبح بالعشي هو زوال الشمس الى غروبها والابكار مصدر والمراد
طلوع الفجر الثاني الى الضحى اى سبحه في وقتيهما وقيل في الليل والنهار واذ
قالت الملائكة عطف على قوله اذ قالت امرأة عمران اى اذكر وقت قولهم
يعني جبرائيل يا مريم ان الله اصطفاك اى اختارك اخرا بان وهب لك

عيسى بلا اب دون احد من النساء يعني فضلك على نساء العالمين اى عالمي زمانها
او على جميع النساء لولادة عيسى من غير مسيس رجل قبل كلمها جبرائيل شفاها اظهارا
لنبوة عيسى ثم امرها بالصلوة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلوة
فقال يا مريم اقنتي اى اطيعى لربك واطيلى القيام فى الصلوة له تعالى واسجدي
واركعي مع الراكعين اى صلى مع المصلين يعني مع الجماعة ويحتمل ان يكون
معناه كونى مع الراكعين لا مع من لا يركع لان فى زمانها كان من يقوم ويسجد
ولا يركع ولم يقل الراكعات لعموم الراكعين الرجال والنساء على سبيل التغليب ذلك
اى خبر يحيى وزكريا ومريم وعيسى من انباء الغيب اى من اخبار الغيب التى لم تعرفها
الا بالوحى نوحيه اى الخبر اليك يا محمد وفيه تعريض لمنكرى الوحى ودلالة على نبوته
حيث اخبر عما غاب عنه وما كنت لديهم اى ولم تكن حاضرا عند الاخبار وهم
عاملون به ونفى الحضور عن النبى عليه السلام تهكم لمنكرى الوحى لانه معلوم
لهم ولعلمهم يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة اذ يلقون اى يطرح الاحبار
فى البيت المقدس اقلامهم فى الماء بالقرعة وهى الاقلام التى يكتبون التورية
بها ايهم يكفل مريم اى ليعلموا ايهم يضمها الى نفسه للتربية يعني ما كنت عالما
بذلك الخبر قبل هذا الوقت وانما تخبرهم بالوحى واكد ذلك بقوله وما
كنت لديهم اذ يختصمون فى امر مريم من التكفل بها بالرغبة قوله اذ قالت الملائكة
بدل من اذ قالت قبلها اى اذكر وقت قولهم لمريم يا مريم ان الله يبشرك

بكلمة

نعم ك

بكلمة اى بولد مخلوق منه اى من الله بامره وهو قوله كن فكان اسمه المسيح
وهو المبارك والضمير فى اسمه راجع الى المسمى بالكلمة لا الى الكلمة وهو مبتداء
خبره المسيح وقيل بمعنى الماسح لانه يمسح وجه الاعمى فيبصر ويسمى الدجال
مسيحا بمعنى الممسوح لانه ذهبت احدى عينيه قوله عيسى عطف بيان للمسيح وهو
لقبه ابن مريم نعت لعيسى او خبر مبتداء محذوف اى هو ابن مريم وانما خاطبها
اليها اعلاما لها انها تلد بلا اب فلا ينسب الا الى امه وانما جمع هذه الثلاثة فى
الاسم لان الاسم علامة يعرف بها فكانه قيل الذى يعرف به هذا الولد
من غير اب وتميز عمن سواه مجموع هذه الثلثة قوله وجيها حال من الكلمة
اى صاحب قدر وجاه بالنبوة فى الدنيا اى بين الناس فيها والآخرة
اى ذا قدر فى الاخرة بالشفاعة وارتفاع درجته فى الجنة ومن المقربين
عند ربه بارتفاعه الى السماء وصحبته الملائكة فيها ويكلم الناس فى المهد
اى صغيرا قبل وقت الكلام روى انه كان يحدث امه وهو فى بطنها اذا خلت
به وحدثته واذا اشتغلت عنه سبح فى بطنها وهى تسمع تسبيحه ومحل فى المهد نصب
الحال قوله وكهلا عطف عليه اى يكلمهم فى كبره وبعد نزوله من السماء والمعنى
انه يكلمهم فى هاتين الحالتين بكلام الانبياء من الحكمة والعبرة من غير
تفاوت بين حال الطفولية والكهولة التى تكمل فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء
ليكون على طرفى كلامه معجزة لا يشبه كلام ساير الناس وتكلمه معهم دليل على

حدوثه لحدوث الاصوات والحروف وَمِنَ الصَّالِحِينَ اى حالكونه مع
النبيين فى الجنة قيل هذه احوال اربعة مقدرة يبشر الله مريم بها انه موصوف
بهذه الصفات ولم يجتمع هذه المجموعة فيمن سواه من الناس قَالَتْ رَبِّ
اى قالت مريم يا سيدى أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي اى لم يصيبنى
بَشَرٌ وهو كناية من الجماع قَالَ اى الله بواسطة جبرائيل كَذَٰلِكِ اى
كما قلت انه لم يمسك بشر اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا اى اذا حكم بخلق
امر وحدوثه فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ اى يحدث فى اسرع وقت فنفخ جبرائيل
فى نفسها فعلقت بذلك وَيُعَلِّمُهُ بالياء والنون عطفا على يبشرك او هو
كلام مستأنف اى ويعلمه الله الْكِتَابَ اى الكتابة يعنى الخط بالوحى والالهام
وَالْحِكْمَةَ اى والفقه والمعرفة وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ فيحفظهما عن ظهر القلب
وَرَسُولًا اى ويجعله مرسلا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ او يكلم الناس حالكونه رسولا اليهم
ومحل قوله أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ نصب بنزع الخافض اى بانى قد جئتكم بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ
اى بعلامة منه تعالى يدل على صدقى والمراد من الاية الجنس لانه اتى بايات
كثيرة ومحل أَنِّي أَخْلُقُ بفتح الهمزة نصب بدل من انى قد جئتكم او جر بدل
من آية او رفع على هى انى اخلق لَكُمْ مِنَ الطِّينِ وقرئ بكسر انى على الاستيناف
اى قال عيسى بعد ان اوحى اليه فى حال الكبر قد جئتكم باية من ربكم لبيان
الدالة على صدقه انى اخلق لكم اى اشكل شكلا واقدره من الطين كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ الآية

اى كصورة

اى كصورته فَأَنْفُخُ فِيهِ اى فى ذلك الشكل فَيَكُونُ طَيْرًا اجمعا وطايرا مفردا
بِإِذْنِ اللَّهِ اى بامره ومشيته قيل لم يخلق سوى الخفاش لانهم طلبوه منه
لكونه اعجب الخلق ومن عجائبه انه لحم ودم يطير بلا ريش ويضحك كالانسان و
يحيض كالمرأة ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كساير الطيور ولا يبصر فى ضوء النهار
ولا فى ظلمة الليل وانما يرى فى ساعتين بعد غروب الشمس وبعد طلوع الفجر فى ساعة
قبل الاسفرار فلما رأوا ذلك ضحكوا وقالوا هذا سحر وَأُبْرِئُ اى اشفى الْأَكْمَهَ وهو
مطموس العين او الذى ولد اعمى وَالْأَبْرَصَ اى الذى وضح وانما خصهما
بالذكر للشفاء لانهما مما اعيا الاطباء فى تداويها لانه بعث زمان الطب
وسألوا الاطباء منهما فقال جالينوس واصحابه اذا ولد اعمى لا يبرأ بالعلاج
وكذا الابرص اذا كان بحال لو غرزت الابرة فيه لا يخرج منه دم لا يقبل العلاج
فرجعوا الى عيسى وجاؤا بالاكمه والابرص فمسح يده بعد الدعاء عليهما فابصر الاعمى
وبرئ الابرص فامن به البعض وجحد البعض قالوا هذا سحر روى انه ابرئ فى
يوم واحد خمسين الفا من المرضى ثم قال وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ فسئلوا
جالينوس عنه فقال الميت لا يحيى بالعلاج فان كان هو احيى الميت فهو
نبى وليس بطبيب وطلبوا ان يحيى الموتى فاحيى اربعة عازر وكان صديقا له
وابن العجوز الذى حمل على سرير وابنة العاشر ماتت واتت عليها ليلة وسام
بن نوح وكان قوم عيسى يقولون انه يحيى من كان موته قريبا فلعلهم اصابتهم

سكتة فحيوا فقالوا له احي سام بن نوح فقال دلوني على قبره فجاذا به على قبره

فدعا الله فاحياه فقال له عيسى كيف شاب راسك ولم يكن لك شيب في حيوانك

فقال شاب رأسي حين سمعت صوتا يقول اجب روح الله فحسبت ان القيامة

قد قامت فشاب من هول ذلك رأسي قبل كان موته اكثر من اربعة الاف

سنة فقال للقوم صدقوه فانه نبي فآمن به بعض وكفر به البعض قائلين بانه سحر

وكرر قوله باذن الله نفيا لتوهم الالوهية فيه ثم قالوا لعيسى ارنا آية نعلم بها

انك صادق فقال وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ من انواع المآكل وَمَا تَدَّخِرُونَ اى

وما تخبئون للغد فِي بُيُوتِكُم فكان يخبر الرجل بما اكل قبل وبما ياكل بعد ويخبر الصبيان

وهو في المكتب بما يصنع اهلهم وبما ياكلون ويشربون إِنَّ فِي ذَلِكَ اى فيما

صنع عيسى لَآيَةً لَّكُمْ اى علامة لنبوته إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ اى مصدقين انه نبي

وَمُصَدِّقًا حال معطوف على قوله باية اى جئتكم مصدقا بالكتاب الذى انزل

على وهو الانجيل لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ اى لما تقدمني مِنَ التَّوْرَاةِ يعني انه موافق له في

الدين وَلِأُحِلَّ لَكُم اى وجئتكم لان ارخص لكم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ في شريعة موسى

من لحوم السمك ولحوم الابل والشحوم والثروب جمع ثرب وهو شحم رقيق يتصل

بالامعاء ولحم كل ذي ظفر فاحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا ضبطة له

هي شوكة الحايك التي بها يسوي السدا واللحمة او احل لهم جميع المحرم عليهم

فيكون بعض بمعنى كل قوله وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ كرره تأكيدا اى ما جئت

لكم

لكم الآيه ان بين يجب اتباعي به عليكم فَاتَّقُوا اللَّهَ فيما يأمركم وينهاكم وَأَطِيعُونِ

فيما ادعوكم اليه ولا تخالفوني فيما انصح لكم إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ اى الهي والهكم

ورازقي ورازقكم فَاعْبُدُوهُ ولا تقصدوه بالشرك هَذَا اى التوحيد الذى ادعوكم

اليه صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ لا عوج فيه يوصلكم الى معرفة الله ودخول الجنة فَلَمَّا أَحَسَّ

اى ادرك وعلم يقينا عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ بالله وارادوا قتله قَالَ مَنْ

أَنصَارِي اى من اعواني إِلَى اللَّهِ اى مع الله وهو جمع نصير قَالَ الْحَوَارِيُّونَ

اى اصفياء عيسى سموا بذلك لنقاء قلوبهم او الراجعون الى الله من حار يحور اذا

رجع او القصارون من التحوير وهو التبييض نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ اى اعوان دينه قيل

مر بهم عيسى وهم يغسلون الثياب وكانوا قصارين فقال لهم الا ادلكم بقصارة

انفع من هذا قالوا نعم قال طهروا نفوسكم من الذنوب فبايعوه قالوا آمَنَّا

بِاللَّهِ اى صدقنا بتوحيده وَاشْهَدْ يا عيسى بِأَنَّا مُسْلِمُونَ اى داخلون في الاسلام

بالاخلاص وانما قالوا ذلك تأكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيمة

لقومهم وعليهم ثم زادوا في التاكيد بقولهم رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ من الانجيل على

عيسى وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ اى عيسى على دينه فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ لله بالوحدانية

او مع الانبياء الذين يشهدون لامهم ثم اخبر الله عن كفار قومه الذين احس

منهم الكفر فقال وَمَكَرُوا اى ارادوا قتله وَمَكَرَ اللَّهُ اى جازاهم على مكرهم وَاللَّهُ

خَيْرُ الْمَاكِرِينَ اى اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث

لا يشعرون روى ان اليهود اجتمعوا على قتل عيسى فهرب منهم فدخل البيت فرفعه جبرائيل
من الكوة الى السماء فقال ملكهم لرجل خبيث اسمه يهوذا ادخل عليه فاقتله فدخل فلم
يجده فالقى الله شبه عيسى عليه فلما خرج ليخبرهم رأوه على شبه عيسى فاخذوه وقتلوه
وصلبوه ثم اختلفوا فيه فقال بعضهم وجهه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فليس
هو بعيسى فقتل بعضهم بعضا لذلك وعيسى يطير فى السماء مع الملائكة لا اب النور
يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه اذ قال الله اى اذكر وقت قول الله يا عيسى انى
متوفيك اى مميتك او قابضك من الارض او انى مستوفى اجلك ولا
ادع ان يقتلوك يعنى انى عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى
اجل كتبته لك فى الدنيا ورافعك الى اى الى السماء ومطهرك اى
مبعدك ومنجوك من الذين كفروا اى من شر تسوء جوارهم وخبث صحبتهم
قيل سينزل عيسى من السماء على عهد الدجال ليقتله ويتزوج بعد قتله امرأة
من العرب وتلد منه بنتا فتموت ابنته ثم يموت هو بعد ما يعيش سنين كثيرة
لانه يسئل ربه ان يجعل من هذه الامة فاستجاب الله دعائه وجاعل الذين
اتبعوك فى دينك الاسلام فوق الذين كفروا بك وبدينك اى يعلونهم
بالحجة وبالسيف الى يوم القيمة قال ابن عباس الذين اتبعوه هم امة
محمد لانهم متبعوه فى اصل الاسلام وان اختلف الشرايع ثم الى مرجعكم
اى رجوع الذين اتبعوك والذين كفروا بك فاحكم بينكم اى بين

المؤمنين

المؤمنين والكافرين فى الاخرة فيما كنتم فيه تختلفون من الذين فى الدنيا
ثم اخبر عن كل حكم من الفريقين بقوله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا [في الدنيا]
بالسيف والسبى واخذ الجزية وبالاخرة بعذاب النار وما لهم من ناصرين
اى مانع يمنعهم من العذاب واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
بالياء والنون اى نعطيهم بلا نقص اجورهم اى ثواب اعمالهم الخير والله
لا يحب الظالمين اى لا يرضى دين الكافرين قوله ذلك مبتداء خبره
نتلوه اى خبر عيسى وغيره من الاخبار التى بيناها فى القرآن نقرأه عليك
يا محمد من الآيات حال من ضمير المفعول او خبر بعد خبر اى من البيان
المعجز والذكر الحكيم اى من الكلام المحكم الممنوع من كل خلل لا يقدر عليه
احد والناطق بالحكمة وهو القران وصف بصفة من هو بسببه قوله ان مثل
عيسى عند الله نزل حين جاء وفد نجران مع علمائهم الى النبى عليه السلام
فناظروه فى امر عيسى فقالوا انك تقول هو عبد الله ورسوله قال عليه السلام
اجل انه عبد الله ورسوله فقالوا هل رأيت ولدا بلا اب فقال تعالى ان
صفة عيسى عند الله كمثل آدم اى كصفته يعنى شبه خلق عيسى كشبه آدم فى
الغرابة خلقه من تراب تفسير للمثل لا محل له من الاعراب اى خلق الله
آدم من تراب يعنى صورة جسدا من طين ثم قال له كن فيكون اى فكان
وهو حكاية حال ماضية اى فصار بشرا بغير اب فكذلك خلق عيسى بشرا من

غيراب فاشتركا في الوجود الخارج عن العادة المستمرة بل الوجود في آدم اغرب
من وجود عيسى لان الوجود من غير اب وام اخرق للعادة من الوجود من غير
اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع لشبهة الخصم اذا نظر فيما هو اغرب
مما استغرب به قوله **الحق** خبر مبتداء محذوف اي هو الحق يعني خبر عيسى و
مثله ثابت **من ربك فلا تكن من الممترين** اي من الشاكين وهذا نهي له
والمراد غيره او هو من باب التهييج على الثبات والطمانينة **فمن حاجك فيه**
اي فمن خاصمك من النصارى في حق عيسى **من بعد ما جاءك من العلم**
اي من البينات الموجبة للعلم في امر عيسى **فقل تعالوا** اي هلموا **ندع ابناءنا** اي
حسنا وحسينا **وابناءكم ونساءنا** اي فاطمة رضي الله عنها **ونساءكم وانفسنا**
اي النبي عليه السلام وعليا زوج فاطمة رضي الله عنه **وانفسكم** يعني لنجتمع
نحن وانتم في موضع **ثم نبتهل** بالجزم عطف على ندع المجزوم في جواب الامر
اي نلتعن من البهيل وهو اللعن ثم استعمل الابتهال لكل دعاء خيرا او شرا وان
لم يكن التعانا **فنجعل** بالجزم عطف عليه اي فنفعل **لعنت الله** بالدعاء على
وجه التضرع **على الكاذبين** منا ومنكم في حق عيسى وهذا غاية الانصاف وانما
ضم الابناء والنساء في دعاء المباهلة ليتبين الكاذب والصادق وهو مخصوص
به وبمن يحاذبه لان ضمهم الى نفسه اكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه
حيث استجراء على تعريض اعزته وافلاذ كبده لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له

فلما

فلما سمعوا الاية من النبي عليه السلام قالوا حتى ننظر في امرنا ونأتيك غدا
وتفرقوا على الموعدة ثم ندموا فاتوا النبي عليه السلام من الغد وقد خرج
اخذا بيد الحسن والحسين وقد خرج معه علي وفاطمة رضي الله عنهما الى موضع
الذي واعدهم فطلب منهم المباهلة فقال اسقف نجران يا معشر النصارى
اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا عن مكانه لازاله فلا تبتهلوا
الجزية فعقلوا
فتهلكوا فابوا المباهلة فقال عليه السلام لهم اما ان تبتهلوا واما ان تقبلوا
الجزية وصالحوا على مال يؤدونه اليه كل عام وانصرفوا الى بلادهم فقال عليه السلام
لو انهم ابتهلوا لهلكوا كلهم حتى العصافير في سقوف الحيطان ثم قال الله تعالى
ان هذا اي خبر عيسى **لهو القصص الحق** اي الخبر الصادق من انه عبد الله و
رسوله ولا شك فيه والاصل ان يدخل اللام على المبتداء الا ان يمنع مانع
فيدخل على الخبر وههنا قد دخل على الفصل لانه اذا جاز دخوله على الخبر كان
دخوله على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتداء **وما من اله الا الله** اي لا شريك
له في الالوهية **وان الله لهو العزيز** في ملكه ينتقم ممن عصاه **الحكيم** في امره اي
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد من خلق عيسى بلا اب ومن خلق آدم من تراب
ومن خلق نبيه من اب وام وغير ذلك **فان تولوا** اي ان ابوا عن الحق
ولم يؤمنوا به **فان الله عليم بالمفسدين** وهو وعيد شديد لهم كقوله زدناهم
عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون **قل يا اهل الكتاب** نزل حين

قال اليهود نحن على دين ابراهيم فانه كان يهوديا و قال النصارى نحن على
دين ابراهيم وكان نصرانيا فقال النبى عليه السلام كلاهما برئ منه
لانه كان حنيفا مسلما ونحن على دينه فامر الله نبيه بقوله قل يا اهل الكتاب من
اليهود والنصارى تعالوا الى كلمة اى الى كلام مفيد عدل سواء اى يستوى
بيننا وبينكم لا يختلف فيه الكتب السماوية ويرتفع الاهواء المختلفة
باعتقاده على وجه الانصاف ثم باين الكلمة بقوله الا نعبد اى لا نوحد الا الله
ولا نشرك به شيئا من خلقه ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
اى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع احبارنا فيما احدثوه من
التحريم والتحليل من غير رجوع الى ماشرع الله فان تولوا اى اعرضوا عن هذا
التوحيد فقولوا انتم لهم اشهدوا اى اعلموا بانا مسلمون اى مخلصون لله بالتوحيد
والعبادة ثم قال تعالى يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تحاجون اى
لم تخاصمون فى ابراهيم اى فى دينه زاعمين انه على دينكم وما انزلت التورية
والانجيل الا من بعده وانتم سميتم باليهودية والنصرانية بعد نزول الكتابين
افلا تعقلون اى افلا تدركون بطلان قولكم فتجادلون بالجدال المحال لان بين
ابراهيم وموسى الف سنة وبين موسى وعيسى الفى سنة فكيف يكون ابراهيم
ابو البشر على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة ها انتم مبتدا و
ها للتنبيه هؤلاء خبره اى انتم هؤلاء الاشخاص حاججتم اى جادلتم فيما لكم به علم من

ام موسى

امر موسى وعيسى لانه ثابت فى كتابكم من التورية والانجيل فلم تحاجون اى
تجادلون فيما ليس لكم به علم من امر ابراهيم وليس ذكره فى كتابكم لانه قبلكم و
الله يعلم ان ابراهيم كان على دين الاسلام وانتم لا تعلمون ذلك ثم نزه ابراهيم
عن اليهودية والنصرانية بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان اى
ابراهيم حنيفا اى مقبلا الى الله مسلما اى مخلصا فى دينه والحنيف الميل الى الشئ
والاقامة عليه واكد بقوله وما كان من المشركين كما لم يكن منكم فى الدين ثم قال
ان اولى الناس بابراهيم اى احقهم بدينه واقربهم منه للذين اتبعوه اى اقتدوا
به فى زمانه وبعده وهذا ابعادهم عنه والباء فى ابراهيم يتعلق باولى وخبر ان
للذين قوله وهذا النبى اى محمد عليه السلام عطف على الذين والذين آمنوا بمحمد
من هذه الامة عطف على النبى يعنى محمدا ايضا واتباعه المؤمنين اولى بابراهيم
لانهم على دينه والله ولى المؤمنين اى ناصرهم ومحبهم قوله ودت طائفة من
اهل الكتاب نزل حين دعا اليهود معاذا وعمارا وحذيفة الى دينهم اى ارادت
وتمنت جماعة من اهل الكتاب لو يضلونكم اى يصرفونكم عن دين الاسلام الى
دين الكفر وما يضلون الا انفسهم اى وما يعود وبال الضلال الا عليهم فوق
عذاب كفرهم او وما يصرفون عن الاسلام الا اشباههم وما يشعرون بذلك ثم
قال يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اى القران وبيان نعت محمد عليه
السلام وانتم تشهدون اى تعلمون ان نعته فى كتابكم من التورية والانجيل لانهم

كانوا يخبرون بنعته قبل البعثة ثم قال يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل اي
الايمان بالكفر وتخلطون الاسلام باليهودية والنصرانية وتكتمون الحق وهو نعت
محمد عليه السلام اي تسترونه وانتم تعلمون انه ثابت حق في كتابكم قوله وقالت
طائفة من أهل الكتاب نزل حين صرفت القبلة الى الكعبة وقال كعب بن الاشرف
لاصحابه من اليهود آمنوا اي اظهروا الايمان بالذي انزل من القرآن على الذين
آمنوا يعني بالصلوة الى الكعبة وصلوا اليها وجه النهار اي في اول النهار واكفروا
آخره اي ثم اكفروا به وصلوا الى الصخرة في آخر النهار لعلهم اي لعل المسلمين يقولون
هم اعلم منا وقد رجعوا فيشكون فيه ثم يرجعون عن دينهم بفعلكم وقيل تواطئت
جماعة من اليهود وهم اثنى عشر من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في
دين محمد اول النهار من غير اعتقاد به واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في
كتابنا فما وجدنا نعته فظهر لنا بطلان دينه فحينئذ يشك اصحابه في دينهم فيرجعون عنه
بعد ما دخلوا فيه قوله ولا تؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على الامر وهو آمنوا ويكون
معمولا لقوله وقالت طائفة وان يكون الواو فيه للاستيناف فهو مقول قول مقدر
اي وقالت طائفة منهم للسفلة لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم اي الا لمن وافق دينكم
لا لمن تبع لمحمد واسلم وقيل معناه لا تظهروا هذا الايمان وهو ايمانهم وجه النهار
الا لمن كان تابعا لدينكم واسلم بمحمد فان رجوعه من دين محمد الى دينكم ارجاء
من رجوع من سواه من المسلمين وهذا تاكيد منهم في صرف المسلمين من الدين

ثم قال

ثم قال قل ان الهدى هدى الله اي قل للرؤساء من اليهود ان الهداية والتوفيق
من الله يلطف بمن يشاء فيسلم او يثبته على الاسلام فلا يضره كيدكم وحيلتكم وقوله
ان يؤتى احد علة بتقدير اللام لفعل محذوف اي قلتم ذلك القول الخبيث
من الحسد ودبرتم الكيد لان يعطى احد مثل ما اوتيتم من فضل الكتاب
والعلم لا لشيء آخر يعني ما بكم من الحسد صار داعيا لكم الى ان قلتم ما قلتم قوله
او يحاجوكم عطف على ان يؤتى وضمير الجمع عايد الى احد لانه في معنى الجمع
اي دبرتم ما دبرتم لذلك او لان يحاجوكم اي المسلمين عند كفركم بما يؤتى احد
من الكتاب مثل كتابكم عند ربكم يوم القيمة فيغلبوكم بالحجة وقيل يجوز ان يكون
قوله ولا تؤمنوا متعلقا بقوله ان يؤتى احد وما بينهما اعتراضا لدفع اعتقادهم
الباطل اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم
دون غيرهم يعني لا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا في دينهم ولا الى المشركين
لئلا يدعوهم قولكم هذا الى الاسلام او يحاجوكم اي ولا تؤمنوا الا لاهل دينكم
لا لغيرهم مخافة ان المسلمين يخاصمونكم بالحق ويغلبونكم عند الله يوم
القيمة وقيل معناه لا تصدقوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الكتاب
والعلم فيشرف عليكم في الدنيا او يحاجوكم عند ربكم في الاخرة فيغلبكم الا
من تبع دينكم بزيادة اللام في لمن والاستثناء من احد وكره البعض ذلك
لما فيه من تقديم المستثنى على المستثنى منه قلت فيه مانع اخر وهو ان ما في حيز

ان لا یتقدم علیها ثم اکد قوله بکون الهدی من الله بقوله قل ان الفضل ای ان الهدی
والتوفیق والایتاء والکتاب بید الله ای بقدرته ومشیته یؤتیه من یشاء من عباده
والله واسع ای کثیر الفضل علیم بمن هو اهله یختص برحمته ای بنبوته او دینه
من یشاء فیعطیه والله ذو الفضل العظیم ای ذو المن الجزیل لمن اختصه بدین الاسلام
ومن اهل الکتاب من ان تأمنه بقنطار یؤده بسکون الهاء اجراء للوصل مجری الوقف
وبکسر الهاء اکتفاء بالکسرة عن الیاء وبالیاء علی الاصل ومن مبتداء وخبره من
اهل الکتاب ای منهم من ان تعطیه امانة فی حفظ قنطار من ذهب او فضة یؤده الیک
من غیر جحد وانکار ونقص وهو عبد الله بن سلام استودعه رجل الفا ومائتی اوقیة ذهب
فاداه الیه فمدحه الله تعالی لذلک فالباء فی بقنطار بمعنی فی او علی ومنهم من
ان تأمنه بدینار لا یؤده الیک وهو کعب بن الاشرف استودعه رجل من
قریش دینارا فلم یؤده وجحده فذمه تعالی وقیل فنحاص بن عازوراء بقوله
الا ما دمت ما فیه مصدریة نصب علی الحال او ظرف ای الا فی حال ملازمتک
او مدة دوامک یا صاحب الحق علیه قائما تطالبه بالحاح ذلک ای ترک الاداء
بانهم ای بسبب ان اهل الکتاب الخائنین قالوا لیس علینا فی الامیین
ای فی مال العرب سبیل ای اثم فانهم کانوا یستحلون مال من کان علی
خلاف دینهم ویقولون علی الله الکذب من ان ذلک حلال فی التوریة
وهم یعلمون بکذبهم لان الله امرهم فیها باداء الامانات الی اهلها بلی

ایجاب لما نفوه من السبیل علیهم فی الامیین ای بلی علیهم سبیل فیهم ثم استانف
وقال بالشرط من اوفی بعهده ای من اتم بعهد الوافی او بعهد الله الذی
عهده الیهم فی التوریة واخذ میثاقهم علیه من الایمان بمحمد واداء الامانة
واتقی ای الشرک والخیانة وجواب الشرط وان الله یحب المتقین عن الغدر
والخیانة ونقض العهد ای فان الله یحبه عموم المتقین مقام الضمیر الراجع
من الجزاء الی من قوله ان الذین یشترون بعهد الله نزل حین ادعی رجل
علی صحابی حقا فاراد المدعی علیه ان یحلف بالله کذبا لیأخذ مال ذلک الرجل
او نزل حین صرف الیهود نعت محمد وعهد الله الذی عهده الیهم
فی التوریة وکتبوا فیها غیرهما لاجل منافع الدنیا ای ان الذین یستبدلون
بعهد الله الیهم فی اداء الامانة وایفاء العهد وایمانهم الکاذبة ثمنا قلیلا
ای عرضا یسیرا من حطام الدنیا اولئک لا خلاق ای لا نصیب لهم فی
الآخرة ونعیمها ولا یکلمهم الله غضبا علیهم ولا ینظر الیهم یوم القیمة بنظر
الرحمة والاحسان یرید نفی اعتداده بهم وهو مجاز عن الاستهانة بهم
والسخط علیهم ولا یزکیهم ای لا یطهرهم من الذنوب ولهم عذاب الیم ای وجیع
دایما وان منهم ای من الیهود لفریقا ای لطایفة کمالک بن الصیف وکعب
بن الاشرف وحیی بن احطب یلوون ای یمیلون ویحرفون السنتهم بالکتاب
ای فیه والمراد تحریفهم الکتاب بالسنتهم فی التلاوة او فی التأویل علی خلاف

ما فى الكتاب او بالكتابة وهو التورية كاية الرجم ونعت محمد عليه السلام وغيرهما
لتحسبوه اى لتظنون المحرف من الكتاب اى من التورية وما هو من الكتاب اى ليس
المحرف من الكتاب الذى انزل من الله ويقولون هو من عند الله اى مما انزل
الله وما هو من عند الله اى والحال انه ليس مما انزله الله ثم اكد كذبهم بقوله
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون فى ذلك قوله ما كان
لبشر ان يؤتيه الله الكتاب نزل حين جاء رجل من النصارى وقال لرسول الله
اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا كعيسى او قال المسلمون انسلم عليك كما يسلم بعضنا
على بعض افلا نسجد لك فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بعبادة غير
الله اى ما جاز لبشر ان يعطيه الله الكتاب كالتورية والانجيل والقران والحكم والنبوة
اى الفهم عن الله بما امر ونهى والعمل بالشرع ثم يقول بالرفع على الاستيناف
والنصب للعطف على يؤتيه اى يامر للناس بقوله كونوا عبادا لى من دون الله
ولكن يقول لهم كونوا ربانيين اى علماء بالله او متعبدين له اى معلمين الخير
جمع ربانى منسوب الى الرب تعالى والالف والنون زايدتان فيه ومعناه
المبالغة فى طاعة ربه او مربى الغلمان بصغار العلم قبل كباره او عاملين لله
بما كنتم تعلمون بالتشديد اى بسبب كونكم دارسين الكتاب غيركم وبالتخفيف
اى تعلمون انتم وبما كنتم تدرسون اى تقرؤنه وتعملون به قيل اذا
لم يعمل العالم بعلمه فهو والجاهل سواء وقيل من علم ودرس ولم يعمل به فليس

من الله فى شئ وانما ينسب العالم الى الله بطاعته لا بعلمه ولا يامركم بالرفع
على الاستيناف اى لا يامركم الله وبالنصب على العطف على ان يؤتيه
او على يقول بتقدير ان ولا زايدة لتاكيد النفى اى وان يامركم الرسول ان
تتخذوا اى قريش وغيره الملائكة بقولهم انها بنات الله والنبيين كعيسى وعزير
اربابا اى معبودين كاتخاذ اليهود والنصارى اياهما معبودين قوله ايامركم
بالكفر بعد اذ انتم مسلمون انكار عليهم بالهمزة من عبادة غير الله والسجدة
له اى يامركم بعبادة الملائكة والسجدة للانبياء بعد كونكم مخلصين بالتوحيد
لله فانه لو امركم بذلك لكفر ونزع منه النبوة والايمان قوله واذ اخذ الله ميثاق
النبيين فيه حث للرسول ان يامرهم بما فى كتاب الله من معرفة احكامه ولامته
ان يؤمنوا بما يقول لهم من الامر والنهى ويتبعوا دينه وينصروه ولا يخالفوه
عن امره اى واذكر يا محمد وقت اخذ الله ميثاق الانبياء واممهم وعهدهم
فى يوم الميثاق حين اخرجهم من صلب آدم ان يبلغ الاول الاخر وان يصدق
الاخر الاول قوله لما بكسر اللام حرف جر يتعلق باخذ وما بمعنى الذى اى للذى
اتيتكم وبفتح اللام للابتداء والتوكيد بمعنى القسم لان اخذ الميثاق فى معنى الاستحلاف
وسيأتى جواب القسم وما بمعنى الذى ايضا والعايد اليه محذوف اى للذى
اتيتكموه قرئ مفردا وجمعا اى اتيناكم تعظيما لله تعالى والمعنى على كون اللام للجر
اخذ الله ميثاقهم وميثاقكم من قبيل الاكتفاء لاجل الذى اعطيتكموه من كتاب

وحكمة وهى بيان احكام الحلال والحرام والحدود ثم جاءكم رسول عطف على اتيتكم
بتاويل المصدرين ليكون عطف المفرد على ان ما مصدرية والعايد من المعطوف
محذوف وهو به بقرينة قوله لتؤمنن به بعده او عطف عليه على ان ما موصولة و
لاحاجة الى العايد لان قوله لما معكم بمعنى له فكانه قيل للذى اتيتكموه وجاءكم
رسول مصدق له والاوجه كون ما مصدرية واللام للتعليل فيكون المعنى اخذ
ميثاق الانبياء لاجل ايتائى كتابا لكم وحكمة ومجىء الرسول اياكم يا اهل
الكتاب وهو محمد عليه السلام فانه رسول منى لكم مصدق لما معكم وهو التورية
والانجيل لتؤمنن به جواب القسم اى لتصدقنه اذا بعث اليكم نبيا ولتنصرنه
على اعدائه لاظهار دين الحق اذا دعاكم اليه ثم قال الله تعالى لهم فى ذلك
الوقت ءاقررتم بذلك الميثاق بتصديقه ونصرته اذا خرج واخذتم
اى قبلتم على ذلكم الميثاق اصرى اى عهدى الذى عقدته عليكم فى شان
محمد واصل الاصر الثقل سمى به العهد لانه ثقل على صاحبه من حيث انه يمنع
عن مخالفته اياه قالوا اى اهل الكتاب اقررنا على ذلك قال الله تعالى
للملائكة او لاهل الكتاب فاشهدوا اى فليشهد بعضكم على بعض بانا قد اخذت
عليكم العهد وانا معكم من الشاهدين على اقراركم بذلك وشهادتكم به
وهذا توكيد عليهم وتهديد من الرجوع فمن تولى اى اعرض بعد ذلك
اى بعد الاقرار والتوكيد فاولئك هم الفاسقون اى الخارجون عن الايمان

بالله

بالله وطاعة بنقض العهد ثم قال بهمزة الانكار لهم افغير دين الله اى ايتولون
فغير دين الله يبغون بالياء والتاء اى يطلبون وله اسلم اى لله اخلص
وانقاد من فى السموات والارض اى اهلها طوعا اى بلا اباء وكرها اى
باباء يعنى يسجد له اهل السماء طوعا ويسجد له اهل الارض بعضهم طوعا كالمخلصين
وبعضهم كرها كالمنافقين وقيل خضع له من ولد فى الاسلام طوعا بالنظر
الى الادلة والانصاف من نفسه ومن ابى اجبر حتى ادخل فى الاسلام كرها
او قتل واليه ترجعون بالتاء والياء اى تصيرون فى الاخرة فلا يقدرون
على الاباء ثم قال تعالى للنبى عليه السلام قل امنا اى قل لاهل الكتاب
ان لم يؤمنوا امنت انا والمؤمنون بالله وانبيائه وما انزل علينا من القران
وما انزل على ابراهيم من صحف العشر وعدى انزل هنا بحرف على وفى البقرة
بحرف الى لوجود معنى الاستعلاء والانتهاء جميعا فى الانزال لان الوحى
ينزل من فوق وينتهى الى الانبياء فجاء باحد المعنيين تارة وبالاخر اخرى
وعلى اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب من الانبياء
وما اوتى اى وبما اعطى موسى من التورية وعيسى من الانجيل والنبيون
من ربهم لا نفرق بين احد منهم فى النبوة كما نفرق اهل الكتاب فيكفرون
ببعض ويؤمنون ببعض ونحن له مسلمون اى مخلصون بالتوحيد والطاعة
قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا نزل فى شان حارث بن سويد واصحابه

من المرتدين وكانوا عشرة او اثنى عشر رجلا رجعوا عن الاسلام فى المدينة
ولحقوا بمكة اى ومن يطلب سوى دين الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو
فى الآخرة من الخاسرين اى مغبونين لانه اختار منزلة النار بدل منزلة الجنة
ثم قال كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم اى كيف يلطف بهم وليسوا
من اهل اللطف لعلمه تصميمهم على كفرهم لرجوعهم عن الايمان قوله وشهدوا
نصب على الحال من كفروا باضمار قد اى والحال انهم شهدوا ان الرسول
حق اى صادق فيما يقول وجاءهم البينات اى الشواهد من القرآن على صدقه
والله لا يهدى اى لا يلطف القوم الظالمين اى المعاندين الذين علم
ان اللطف لا ينفعهم وهذا القول فيمن اقام على كفره ودام على ظلمه مصرا ليس
بقصد الرجوع الى الاسلام فى قلبه وسره اولئك جزاؤهم مبتدأ والخبر
ان عليهم لعنة الله اى سخطه وطرده من رحمته والملائكة والناس اجمعين خالدين
فيها اى فى اللعنة والعقوبة بالنار لا يخفف عنهم العذاب اى لا يهون
عليهم ساعة ولا هم ينظرون اى يمهلون ثم استثنى التائبين من الكفر
والمعصية بقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك اى بعد الكفر والمعصية
واصلحوا اى دخلوا فى الصلاح بالتوبة والعمل الصالح فان الله غفور
رحيم بعد التوبة والاصلاح ونزل فى طائفة اليهود الذين امنوا بمحمد عليه
السلام قبل البعثة لما رأوا صفته فى كتابهم ثم ارتدوا ان الذين كفروا

محمد

بمحمد عليه السلام بعد ايمانهم بصفته ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك
بعد دعوتهم الى الايمان به والذين كفروا بعيسى بعد ايمانهم بموسى ثم
ازدادوا كفرا بمحمد عليه السلام لن تقبل توبتهم عن الكفر فى مرض موتهم
واولئك هم الضالون عن طريق الهدى فماتوا على كفرهم كأنهم
لم يتوبوا عنه ثم نزل فيمن اقاموا على كفرهم وماتوا عليه ان الذين كفروا و
ماتوا وهم كفار وادخل الفاء فى فلن يقبل ليدل على معنى الجزاء
للشرط الذى تضمنه الموصول ويؤذن بان سبب امتناع التوبة هو الموت
على الكفر اى لن يقبل من احدهم فدية ملء الارض ذهبا اى بملئها
من شرقها الى غربها وقيل وزن الارض ذهبا نصب على التمييز ولو افتدى
به اى بملء الارض ذهبا تعلقه بما قبل بالحمل على المعنى كأنه قيل لن يقبل
من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى
بمثله بتقدير المثل وهو كثير فى كلامهم نحو ضربته ضرب زيد اى مثل ضربه
قيل اذا رأى الكافر النار يوم القيمة تمنى لو كان له ملء الارض ذهبا
وقدرة على ان يفتدى به نفسه من العذاب لافتدى به ولو افتدى
ما يقبل منه اولئك اى اهل هذه الصفة لهم عذاب اليم اى مؤلم وما
لهم من ناصرين اى مانعين من عذابه قوله لن تنالوا البر اى لن تبلغوا حقيقة
البر يعنى ثوابه وهو الجنة وكل اعمال الخير حتى تنفقوا مما تحبون اى حتى

تصدقوا من اموالکم التی تحبونها ومن فیه للتبعیض نزل حین جاء ابو طلحة فقال
یا رسول الله ان احب اموالی الی بیرحا اسم ضیعة له فضعها فی سبیل الله فقال
علیه السلام انی اری ان تجعلها فی الاقربین فقال ابو طلحة افعل یا رسول الله
حیث اراک الله فقسمها فی اقاربه قیل هذا منسوخ بآیة الزکوة وقیل المراد
به اخراج الزکوة عن طیبة النفس وما تنفقوا من شیء ای ای شیء کان من طیب
تحبونه او من خبیث تکرهونه فان الله به علیم لا یخفی علیه فیجازیکم به قیل
معناه لا وصول الی المطلوب الا باخراج المحبوب ولذلک کانت الصحابة
اذا احبوا مالا من اموالهم انفقوه فی سبیل الله قوله کل الطعام ای کل انواع
الطعام کان حلا لبنی اسرائیل نزل حین قالت الیهود حرمنا علی انفسنا
لحوم الابل والبانها لان یعقوب حرمها علی نفسه ونزل تحریمها فی التوریة
فقال تعالی کل الطعام هو حلال لامتک کما کان حلا لبنی اسرائیل سوی المیتة والدم
ولحم الخنزیر قوله الا ما حرم اسرائیل ای یعقوب علی نفسه نصب علی الاستثناء
من انواع الطعام فانه لم یکن حلالا لهم وصار حلالا لامتک والمراد منه لحوم الابل
والبانها وانما حرمها علی نفسه لما اصابه عرق النساء وقال الاطباء له اجتنب
لحوم الابل والبانها فحرمها علی نفسه وذلک ایضا باذن من الله فکانه تحریم الله
ابتداء وقیل نذر ان یحرم احب الطعام الیه ان شفی الله منه فلم یاکله اولاده
اتباعا له او قال ان شفانی الله لا یاکله ولدی فحرم علیهم من قبل ان تنزل التوریة

ای الذی

ای الذی حرم علیهم بعد ابراهیم هو المحرم قبل نزول التوریة بسبب بغیهم
وظلمهم لقوله تعالی فبظلم من الذین هادوا حرمنا علیهم الایة ولیس بتحریم قدیم
کما یدعونه وان جحدوا ذلک قل فأتوا بالتوریة فاتلوها لیظهر صدقکم
ان کنتم صادقین فیما تزعمون فابوا من اتیانها لما بهتوا وعرفوا
انه حق بالوحی وما قالوه افتراء علی الله فقال تعالی فمن افتری
علی الله ای اختلق علیه الکذب من بعد ذلک ای بعد لزوم
الحجة القاطعة فاولئک هم الظالمون ای الذین لا ینصفون انفسهم
بسبب المکابرة والعناد ثم امر نبیه تعریضا بکذبهم فقال قل صدق
الله ان تحریمه لیس فی التوریة فاتبعوا ملة ابراهیم ای ملة الاسلام
حنیفا ای مخلصا فی دینه واسلامه مستقیما فی سبیله وما کان من المشرکین ای
علی دینهم فکلوا لحوم الابل والبانها کما اکل ابراهیم ولا تحرموا علی انفسکم شیئا
باهوائکم التی افسدت دینکم ودنیاکم بتحریف کتاب الله لتسویة اغراضکم
لان یکون التحریم قدیما والتوریة ناطق بانه تحریم حادث بسبب ظلمکم
وتحریم الطیبات التی احلها الله لابراهیم ولمن تبعه وصلوا الی بیت الله
الذی بناه ابراهیم بالوحی وفیه آیات کثیرة تدل علی نبوة ابراهیم وصحة
دینه لقوله تعالی ان اول بیت وضع للناس مجهولا والواضع الله قیل
نزل حین قالت الیهود قبلتنا بیت المقدس قبل قبلتکم فهو احق بالصلوة

الیه فرد الله تعالی قولهم بذلک روی ان الملائکة بنته ولما حجه آدم
قالت له بر حجک یا آدم قد حججناه قبلک بالفی عام وقال النبی علیه السلام
ان المسجد الحرام وضع قبل الاقصی باربعین سنة وقیل هو اول متعبد في
الارض وقیل اول من بناه آدم علیه السلام وقیل اول من بناه ابراهیم
علیه السلام ثم بناه قوم من العرب فی الیمن من اصهار اسمعیل علیه السلام ثم
بناه قوم من اولاد عملیق بن لاوذ ثم بناه قریش وخبر ان قوله **للذی ببکة** ای بمکة
والباء تبدل من المیم یقال سبدته وسمدته اذا استأصلته من البک وهو
الازدحام سمی بها لان الناس یزدحم بعضهم بعضا وقیل بکة موضع البیت ومکة
البلد قوله **مبارکا** حال من ضمیر وضع ای کثیر الخیر للناس لحصول الثواب لهم
بالطواف والصلوة والعکوف عنده ومغفرة لذنوبهم **وهدی للعالمین** عطف
علی الحال ای حال کونه سببا لهدایتهم لانه قبلتهم یصلون الیها لاجل عبادة
الله **فیه آیات بینات** ای علامات واضحات قوله **مقام ابراهیم** عطف
بیان لقوله آیات بینات وهو مفرد فی معنی الجمع لما فیه من ظهور شان ابراهیم
من تأثیر قدمه فی حجر صلد وظهور نبوته وقوة دلالته علی قدرة الله تعالی
ولان الانة بعض الحجر دون البعض آیة وابقاءه دون ابقاء آیات سایر الانبیاء
علیهم السلام آیة لابراهیم خاصة وحفظه مع کثرة اعدائه من الکفار الوف
سنین آیة فیکون مقام ابراهیم مشتملا علی الایات **ومن دخله**

ای حرم البیت **کان آمنا** کقوله اولم یروا انا جعلنا حرما آمنا ویتخطف
الناس من حولهم والامن ایضا عطف بیان للایات کمقام ابراهیم
من حیث المعنی تقدیره مقام ابراهیم وامن داخله یعنی من دخل فیه
لایهاج منه اذا وجب علیه القتل خارج الحرم فلذلک لایقتص من الجانی
فی الحرم عند ابی حنیفة اذ التجاء الیه وقیل آمنا من النار قال علیه السلام و
من مات فی احد الحرمین بعث یوم القیمة آمنا وقال علیه السلام الحجون و
البقیع یؤخذ باطرافهما وینثران الی الجنة وقال علیه السلام من صبر علی
حر حرم مکة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسیرة مائتی عام ثم بین
فریضة الحج بقوله **ولله علی الناس حج البیت** بکسر الحاء وبالفتح بمعنی
القصد ای استقر لله علیهم فرض حج بیته قوله **من استطاع الیه سبیلا**
بدل البعض من الناس ای فرض الحج علی من استطاع الی البیت سبیل
الذهاب والرجوع والاستطاعة الزاد والراحلة ونفقة العیال بقدرهما
مع التمکن واجبه مالک علی الفقیر القادر علی المشی **ومن کفر** ای ومن ترک
الحج بعد الوجوب عمدا اولم یری الحج واجبا **فان الله غنی عن العالمین** ای
عمن حج وعمن لایحج وفیه تغلیظ علی تارک الحج قال علیه السلام من امکنه الحج
فلم یحج فلیمت ان شاء یهودیا او نصرانیا قیل انما خصهما بالذکر لان الحج
لم یکن مفروضا علیهما ثم امر نبیه علیه السلام بان یقول لجاحدی الحج بقوله

قل يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تكفرون اى لم تجحدون بايات
الله اى بالقران والحج وبعث محمد عليه السلام والله شهيد على ما تعملون
من الجحود بها والواو فيه للحال اى والحال ان الله شهيد على اعمالكم فيجازيكم
عليها قل يا اهل الكتاب لم تصدون اى تصرفون بتغييركم صفة محمد
عن سبيل الله اى دين الاسلام والحج من آمن اى من صدق بالاسلام
والحج لبرنا بوافى بنوته فمن مفعول تصدون ومحل تبغونها حال اى تطلبون
السبيل عوجا اى ميلا عن الاستقامة بتلبيسكم اياها على الناس حتى
توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييره صفة
رسول الله عن وجهها وانتم شهداء بانها مستقيمة لعلمكم فى التورية
ان محمدا صادق فى دعواه النبوة وما الله بغافل عما تعملون من
كتمان صفة محمد وتغييرها بصفة اخرى قيل العوج بكسر العين يطلق على
ما لا ينتصب كالدين والقول والارض وبفتح العين فيما ينتصب قائما
كالرمح والحائط يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا نزل حين كان الكفار
من اليهود يدعون بعض المؤمنين الى دينهم اى تطيعوا طائفة من الذين اوتوا
الكتاب وهم رؤساء اليهود يردوكم بعد ايمانكم كافرين نصب
على الحال من كم لانهم يريدون كفركم ثم قال مستفهما توبيخا وتعجبا
وكيف تكفرون اى تجحدون بوحدانية الله وبمحمد والقران وانتم تتلى عليكم

ايات الله على لسان رسوله غضة طرية بالوحى مع ما فيها من الحكم والبينات
وفيكم رسوله اى بين اظهركم فانه ينبهكم ويعظكم قيل يجوز هذا خطابا
للصحابة خاصة لانهم يشاهدونه وان يكون لجميع الامة لان آثاره والقران
الذى اتى به فيهم فكان الرسول حاضر لديهم وان لم يشاهدوه ومن يعتصم بالله
اى ومن يلتجى اليه او يتمسك بدينه فقد هدى اى وفق وارشد الى صراط
مستقيم يوصل سالكه الى الجنة قوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
اى حق خوفه بان يطاع فلا يعصى طرفة عين وان يشكر على نعمه ولا يكفر وان
يذكر فلا ينسى نزل حين تفاخر الانصار من الاوس والخزرج وكان الغلبة
للاوس فاخذوا السلاح ليقاتلوا مع الخزرج ثم قالوا يا رسول الله من يقوى
على هذا الحكم فنزل قوله فاتقوا الله ما استطعتم فنسخ ذلك ثم نهاهم عن
مفارقة الاسلام بقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون اى كونوا ثابتين على
دين الاسلام بحال يلحقكم الموت وانتم على الاسلام ثم اكده بقوله
واعتصموا بحبل الله اى تمسكوا بدينه او بالقران جميعا ولا تفرقوا اى لا
تختلفوا فى الدين بعد الاسلام كاختلاف اليهود والنصارى ثم ذكر
نعمته التى انعمها عليهم بتبديل العداوة السابقة الطويلة بالالفة والمحبة
بسبب الاسلام واتباع الرسول وانتقاله من مكة اليهم منة عليهم بقوله
واذكروا نعمة الله اى انعامه عليكم ايها الانصار اذ كنتم اعداء قبل

الاسلام فألف اى جمع بين قلوبكم بالاسلام تودداً فاصبحتم اى فصرتم
بنعمته اخوانا فى الدين وكنتم على شفا حفرة اى على طرف حفرة فى الجاهلية
من النار لو متم على ماكنتم عليه لوقعتم فى النار فانقذكم اى انجاكم بالاسلام
واتباع النبى منها اى من النار فى الحفرة وشفة الشيئ وشفاه جانبه كذلك
اى مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته من الامر والنهى لعلكم تهتدون
اى لكى تنجوا من الضلالة وتعرفوا الحق بهذه النعمة ثم امر الله للناس بالامر
بالمعروف والنهى عن المنكر فقال تاكيدا بلام الامر ولتكن منكم امة اى
لتقم منكم جماعة يدعون الى الخير اى الى جميع الخيرات من الاسلام وغيره والدعاء
الى الخير عام فى الافعال والترك ثم عطف على الامر بالمعروف والنهى عن
المنكر بقوله ويامرون بالمعروف وهو الاقتداء بالنبى وقيل كل ما يحسن فى
الشرع وينهون عن المنكر وهو العمل المخالف للشرع وانما ذكر الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر بعد ذكر الدعاء الى الخير فانه عام فى الافعال والترك
ايذانا بفضلهما عن ساير افراده وانما ورد من التبعيضية لانه لا يصلح كل
احد للامر بالمعروف والنهى عن المنكر وانما يصلح لذلك من علم المعروف و
المنكر وعلم كيفية ترتيب الامر والمباشرة فان الجاهل ربما عكس او يغلظ فى
مقام اللين ويلين فى مقام التغليظ وربما ينكر على من يزيده انكاره تماديا
فى الشرور ربما عرف مذهبه وجهله فذهب غيره فانكره فيكون عبثا وقيل

من فيه للبيان اى كونوا امة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب
ذلك على كل واحد على سبيل فرض الكفاية حتى على الفاسق عند البعض
لقوله عليه السلام من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وقيل هذا محمول
على انه يجب على الامراء باليد وعلى العلماء باللسان وعلى العوام بالقلب
وقد اجمعوا على ان من رأى تارك الصلوة وجب عليه الانكار لان
قبحه معلوم لكل احد من اهل الاسلام قبل شرط الوجوب ان يغلب على
ظنه وقوع المعصية لظهور اماراتها كاعداد الات شرب الخمر وان لا يغلب
ظنه على انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة ويبتدئ بالاسهل فان لم ينفع فبالاضعف
وينهى الصبى والمجنون اذا هما بضرر الغير وينهى الصبى عن المحرمات حتى
لا يتعودها روى عن بعض الصحابة ان الرجل اذا لم يستطع الانكار على
منكر رآه فليقل ثلث مرات اللهم ان هذا منكر واذا فعله ذلك فقد فعل
ما عليه واولئك هم المفلحون اى اهل هذه الصفة هم المخصوصون بالفلاح يوم
القيمة روى انه عليه السلام سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم
بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم ولا تكونوا كالذين
تفرقوا فى الدين كاليهود والنصارى وكالمبتدعين من هذه الامة و
اختلفوا من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة الحق و

اولئك لهم عذاب عظيم اى لايرفع عنهم ابدا يوم تبيض وجوه نصب بالظرف
وهو لهم او باضمار الفعل اى اذكر يوم تكون وجوه المؤمنين مبيضة بالايمان
والثبات عليه كوجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه اى تكون وجوه الكفرة
مسودة بالكفر والارتداد عن الايمان كوجوه بنى قريظة والنضير والبياض
من النور للحق والسواد من الظلمة للمبطل قيل من كان من اهل الحق وسم وجهه
ببياض اللون فى المحشر ببياض صحيفته سرورا اذا قرأها ومن كان من اهل
الباطل وسم وجهه بسواد اللون وكسوفه فيه بسواد صحيفته خزاية اذا رأها وقدم
تبيض على تسود ثم قدم حكم تسود على حكم تبيض لرعاية لطف الكلام بكون اوله
واخره بما يوجب انشراح الصدر للمستمع فقال مستأنفا بجواب سوال مقدر
وهو كيف يكون حالهم فيه فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم اكفرتم
بالاستفهام توبيخا بعد ايمانكم يوم الميثاق بقولكم بلى وهم المنافقون
باظهار الايمان وابطان الكفر فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بالقران
ومحمد عليه السلام واما الذين ابيضت وجوههم بالايمان ففى رحمة الله
اى جنته التى ينال برحمته هم فيها خالدون اى دائمون فى نعيمها وهو
استيناف فى جواب سوال مقدر وهو كيف يكونون فيها تلك ايات
الله اى ايات القران الواردة فى الوعد والوعيد نتلوها اى نقرأها عليك
بالحق اى بالصدق والعدل من جزاء المحسن والمسئ بما يستحقانه يعنى

نعرفك

نعرفك ايا با بجرايل وما الله يريد ظلما للعالمين اى لايأخذ احدا بغير
جرم ولا يزيد ولا ينقص من العقاب والثواب ولله ما فى السموات
وما فى الارض اى جميعه ملكه فاسئلوه من نعم الدنيا والاخرة واعبدوه
ولا تعبدوا غيره والى الله ترجع الامور اى اليه تصير امور العباد فى
الاخرة خيرا كان او شرا ثم اخبر عن حال المسلمين بانهم خير اهل دين
عند الله بالاسلام والوفاء به تعريضا للكفار وقال كنتم خير امة اى انتم
خير الامم عند الله او فى اللوح المحفوظ بزيادة كان او بمعنى وجدتم او صرتم
خير امة بالايمان بخير الرسل او كنتم فى الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة
اخرجت اى اظهرت للناس قوله تأمرون بالمعروف بيان لكونهم خير
امة اى تأمرون بشهادة ان لا اله الا الله وهو اعظم معروف وتنهون عن
المنكر اى تنهون عن الشرك والكذب بالحق كالبعث وهو انكر منكر وقيل
المعروف اقامة السنة والجماعة والمنكر اقامة البدعة والضلالة قال
عليه السلام من امر بمعروف ونهى عن منكر فهو خليفة الله فى الارض وخليفة
كتابه وخليفة رسوله قيل لا تأمر بالمعروف حتى يكون فيك ثلث خصال
ان تصح نيتك وتعرف حجتك وتصبر على ما اصابك وتؤمنون بالله
اى تثبتون على توحيده وعلى كل ما يجب الايمان به من رسول وكتاب
وبعث وعقاب وثواب وغير ذلك فمن انكر شيئا منها فهو غير مؤمن

بالله ويدل عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب من اليهود والنصارى بالرسول
مع ايمانهم بالله لكان ذلك الايمان خيرا لهم مما هم عليه من الكفر وحب
الرياسة وحظوظ الدنيا ثم قال على سبيل الاستطراد مدحا وذما منهم المؤمنون
كعبد الله بن سلام واصحابه ومن آمن منهم بالرسول واكثرهم الفاسقون اى
الخارجون عن طاعة الله ككعب بن الاشرف واصحابه ومن لم يؤمن منهم به ثم انزل
تعالى عند ايذاء اليهود من اهل الكتاب المسلمين بمحمد عليه السلام تثبيتا لمن اسلم منهم
وتشجيعا عليهم لن يضروكم الا اذى اى ضررا بالقول تتاذون به كسب ووعيد
وليس لهم قوة القتال معكم وان يقاتلوكم اى ان خرجوا الى قتالكم يولوكم الادبار
اى يرجعوا ويهربوا الى ادبارهم منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر ثم هم لا ينصرون
اى ثم لا يكون عون لهم من احد ولا يمنعون منكم وهو وعد بالاستيناف
وثم للتراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار
بهربهم الى الادبار يعني انهم بعد توليتهم الادبار لا ينصرون قاتلوا او لم
يقاتلوا وهو معطوف على جملة الشرط والجزاء ضربت عليهم الذلة اى الزم عليهم
القتل او الجزية اينما ثقفوا اى وجدوا الا بحبل من الله اى بعهد منه وحبل
من الناس اى بعهد من المسلمين فيؤدون اليهم الجزية فان لم يكن لهم
عهد قتلوا وباءوا اى رجعوا بغضب من الله وضربت عليهم اى جعلت
عليهم المسكنة اى زي الافتقار فقيل انهم يظهرون من انفسهم الفقر

لكي

لكي لا تضاعف عليهم الجزية ذلك اى ما ذكر كائن بانهم اى بسبب
انهم كانوا يكفرون بآيات الله اى بالقران وبمحمد ويقتلون الانبياء بغير
حق اى يرضون بفعل آبائهم من القتل فكانهم قتلوهم ذلك اى الكفر
والقتل والغضب من الله بما عصوا الله وكانوا يعتدون عن حدود الله
والباء للسببية ثم قالت اليهود عند اسلام عبد الله بن سلام واصحابه ما اسلم منا
الا الاشرار فنزل ليسوا سواء نافيا للتسوية بينهم وتفضيلا لمن آمن من اهل الكتاب
على من لم يؤمن اى ليس اهل الكتاب مستوين في الدرجة عند الله لان منهم
مصدقين بمحمد ومنهم مكذبين به من اهل الكتاب امة قائمة جملة مستانفة
مبينة لجملة ليسوا سواء اى منهم جماعة مستقيمة بالايمان في دين الله مهتدية
عاملة بكتاب الله او قائمة في الصلوة وطاعة الله يتلون آيات الله آناء
الليل وهم يسجدون اى القران صفة ثابتة بخصائص اخرى ما كانت في اليهود
فقال يؤمنون بالله واليوم الآخر اى يقرون بالبعث ويامرون بالمعروف
اى بالايمان بمحمد واتباعه وينهون عن المنكر اى عن الكفر والمعصية ويسارعون
في الخيرات اى يبادرون بالاعمال الصالحة لرغبتهم في امتثال امر الله
واولئك اى الموصوفون بتلك الصفات من الصالحين اى من جماعة الذين
صلحت احوالهم عند الله واستحقوا ثناء الله عليهم وهم اصحاب محمد عليه السلام
في الجنة ثم خاطب المؤمنين تحريضا على العمل الخير بقوله وما تفعلوا اى

الذين تعملوا من خير بالتاء للخطاب وبالياء للغيبة فلن يكفروه اى لن تحرموا
ثوابه فى الاخرة وبمعنى الحرمان عدّى الكفر الى المفعولين قال عليه السلام البر
لايبلى والاثم لاينسى والديان لايفنى يعنى هو شكور يوفى جزاء اعمالكم الخير
والله عليم بالمتقين فيه بشارة لاهل التقوى بجزيل الثواب وهم مؤمنوا اهل
الكتاب ومن كان مثلهم فى عمل الخير بالتقوى ثم بين حال من لم يؤمن
من اهل الكتاب بقوله ان الذين كفروا لن تغنى اى لن تنفع عنهم اموالهم
ولا اولادهم اى الكثرة منهما من الله اى من عذابه فى الاخرة شيئا
اى نفعا ما قاله ردا لقولهم نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين ثم قال
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اى يعذبون دايما ونزل
حين انفقوا دايما فى عداوة الله ولم يبلغوا مرادهم مثل ما ينفقون اى
صفة اهلاك نفقة الكفار فى هذه الحيوة الدنيا من اموالهم فى غير
طاعة الله كالمفاخر والمكارم وحسن الذكر بين الناس وعداوة اهل
الاسلام كمثل ريح اى كصفة اهلاك ريح فيها صر اى برد مهلك او حر
اصابت حرث اى زرع قوم ظلموا انفسهم بالكفر او بمنع حق الله فيه
فاهلكته اى احرقته وافنته فلم ينتفعوا به شيئا وقيل هو من باب التشبيه
المركب وما ظلمهم اى اولئك المنفقين الله بعدم قبول نفقاتهم و
لكن انفسهم يظلمون بارتكاب عمل لم يستحقوا به القبول ويجوز عود الضمير

الا اصحاب

الى اصحاب الحرث اى وما ظلمهم باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب
ما استحقوا به العقوبة ونزل نهيا للمسلمين عن مصادقة الكفار والمنافقين
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة اى صداقة وصفوة من دونكم اى من
غير جنسكم المؤمنين مأخوذ من بطانة الثوب لقربها من البدن اى لا تقربوا
انفسكم بالصداقة والخلة فتطلعوهم على اسراركم ومحل من دونكم نصب
بانه صفة بطانة اى بطانة كائنة من دون ابناء جنسكم مجاوزة لكم ثم اخبر عن
سبب نهيه عن المواصلة بهم بقوله لا يألونكم اى لا يقصرون فى اذاكم خبالا
اى فسادا بالمكر والحيلة والخديعة وهو نصب على التمييز ودوا ما عنتم
اى اثمتم بربكم والعنت المشقة يعنى ارادوا ان يضروكم فى دينكم ودنياكم
اشد الضرر قد بدت اى ظهرت البغضاء اى العداوة للمؤمنين
والتكذيب لهم من افواههم لوقوع هولاء الكفار فى المسلمين بحيث
لا يتمالكون ضبط انفسهم فيخرج ما يعلمون به من اسرار المسلمين من
افواههم ويطلعونه الى اخوانهم الكفار وما تخفى صدورهم من عداوتكم والبغض
لكم اكبر مما اظهروا بافواههم قد بينا لكم الآيات اى آيات القران
الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين ومصادقة اولياء الله ومعاداة
اعدائه ان كنتم تعقلون ما بينا لكم به والظاهر ان الجملة من قوله لا
يألونكم الى ههنا استئنافات على وجه التعليل للنهى على اتخاذهم بطانة

ثم اتبع النهي بالتوبيخ على مصادقة المنافقين من اهل الكتاب فقال ها انتم اولاء
ها للتنبيه وانتم مبتداء واولاء خبره اى انتم اولاء الخاطئون فى موالات الاعداء
من اهل الكتاب قوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم فى موالاتهم اى تحبونهم
لمظاهرتكم اياهم ولا يحبونكم لانكم على خلاف دينهم وتؤمنون اى تصدقون
بالكتاب كله اى بجميع الكتب المنزلة من السماء وهم لا يؤمنون بكتابكم المنزل
من السماء واذا لقوكم اى المنافقون منهم قالوا آمنا بمحمد انه رسول الله
واذا خلوا فيما بينهم عضوا عليكم الانامل اى اطراف الاصابع من الغيظ اى
لاجل الحنق عليكم وهو غاية الغضب وشدته لما يرون من ائتلافكم ومحبتكم
بعضكم بعضا بقوة الاسلام وعز اهله فيقول بعضهم بعضا الا ترون الى هولاء
قد ظهروا وكثروا فى دينهم فقال تعالى قل موتوا بغيظكم على وجه الدعاء عليهم
والمراد اللعن والطرد لا على وجه الايجاب والا لماتوا من ساعته اى
اثبتوا على غيظكم الى الممات فتخرجون من الدنيا بهذه الحسرة وقل لهم ان الله
عليم بذات الصدور اى بما فى القلوب من العداوة فيجازيهم عليه ثم قال
لتاكيد حالهم ان تمسسكم حسنة اى ان تصبكم الظفر والغنيمة كيوم بدر
تسوءهم اى تحزنهم ذلك وتسوءهم وان تصبكم سيئة اى خذية وهزيمة
كيوم احد يفرحوا بها المعنى انكم اجتنبوا عن موالات من هو بهذه
الصفات لعدم النفع لكم منهم وان تصبروا على عداوتهم ميثاق دينهم

وتتقوا الله فى محاربته لا يضركم بضم الضاد والراء والتشديد من الضرر و
لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء من الضير اى لا يخسركم كيدهم شيئا اى
مكرهم من المكاره شيئا وهو ارشاد من الله الى الاستعانة بالصبر
والتقوى على كيد الاعداء ان الله بما تعملون محيط اى علمه باعمالكم
من الصبر والتقوى وغيرهما مدرك من كل جانب والاحاطة ادراك
الشيء بكماله ولما جاء المشركون باحد ونزلوا فيه لقتال المؤمنين شاور
رسول الله فى الخروج لقتالهم فاشار بعض الصحابة بالخروج واشار بعضهم
بترك الخروج فخرج عليهم وراح اليهم ونزل فى الشعب من احد وجعل يقوم
اصحابه كالقدح كى لا يتقدم احدهم ولا يتأخر وجعل ظهر عسكره الى احد ثم
امر على الرماة عبد الله بن الجبير وقال ادفعوا عنا من ورائنا فنزل بهم
ما نزل فاخبر تعالى عنه نبيه ليعرف منة الله عليه ويشكره ويصبر على ما
يصيب المؤمنين من الاذى عن المشركين والمنافقين بقوله واذ غدوت
اى واذكر وقت خرجت بالصباح من اهلك من عند اهلك من المدينة
تبوئ المؤمنين اى تنزلهم وتهيئ لهم مقاعد للقتال اى مواطن يقفون
فيها للمحاربة والله سميع بقولك وقولهم عليم بنياتكم وامر الكفار وابدل
من اذ غدوت اذ همت طائفتان اى قصدت جماعتان منكم اى
من المؤمنين وهما بنو سلمة وبنو حارثة من الاوس وكلاهما من الانصار

ان تفشلا اى تجبنا عن القتال خوفا وترجعا وذلك لانه عليه السلام كان قد
خرج الى احد بالف وقيل تسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون ثلثة الاف
فلما بلغوا الشرط رجع عبد الله بن ابى سلول مع ثلثمائة من المنافقين ومن تابعهم
فهمت طائفتان من الانصار ان يرجعوا معه فحفظ الله قلوبهم وثبتهم ومضوا مع رسول
الله فاخبر عنه بقوله والله وليهما اى حافظ قلوبهما وناصرهما وعلى الله فليتوكل
المؤمنون وهو امر بان يتوكل المؤمن عليه ويفوض امره اليه والفاء فيه لجواب الشرط
المحذوف اى ان صعب الامر فتوكلوا ايها المؤمنون ولما رجعوا الى المدينة
منهزمين من المشركين بمشية الله تعالى وتقديره نزل تذكير الهم بمنة الله تعالى
السابقة عليهم فى يوم بدر من الفتح والظفر مع كونهم فى حال قلة وذلة ولقد نصركم
الله ببدر موضع فيه ماء لرجل اسمه بدر وانتم اذلة اى جماعة قليلة من الذلة لا من
الذل وهو الهوان لان المسلمين كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا ببدر والمشركين
تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة فاتقوا الله اى اخشوه وتعرفوا حق نعمته
لعلكم تشكرون اى لكى تشكروه ولا تكفروه وقوله اذ تقول بدل ثان من اذ
غدوت اى اذكر يا محمد اذ تقول يوم بدر للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم اى
يعينكم ربكم من الامداد وهو الاعانة وما كان الزيادة من المد يقال مد
مدا بثلثة الاف من الملائكة منزلين بصيغة المفعول مخففا ومشددا للمبالغة
اى حال كونهم نازلين من السماء باذنه تعالى قال لهم قبل نزولهم السكينة

لقلوبهم

لقلوبهم فانزل الله عليهم يوم بدر للنصر ووعد لهم ليوم احد بخمسة الاف
ان يمتثلوا امر نبيهم فلما عصوا وتركوا امر رسول الله رجعوا عنهم فلذلك
قال بلى اى يكفيكم الامداد بهم ان تصبروا مع نبيكم للمشركين وتتقوا مخالفة امر
نبيكم ويأتوكم اى ان يجيئ لكم المشركون من فورهم هذا اى من غضبهم الذى
غضبوه لبدر واصل الفور الغليان والاضطراب يمددكم ربكم اى يعينكم
بخمسة الاف من الملائكة مسومين بكسر الواو اى معلمين خيولهم بالصوف الابيض
وبفتح الواو اى سومهم غيرهم او نفوسهم بعمامة صفراء وثياب بيض قال عليه
السلام يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض فى قلانسهم
ومغافرهم وقال ايضا نزلت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر او بيض قد ارسلوها
بين اكتافهم ثم قال وما جعله الله الا بشرى لكم اى وما جعل الوعد والامداد الا
بشارة لكم بانكم تنصرون وتغلبون ولتطمئن قلوبكم به اى ولتسكن بالامداد قلوبكم
وما النصر لكم على عدوكم الا من عند الله العزيز اى المنيع بالانتقام لمن جحده
الحكيم اى يفعل ما يشاء بالحكمة فلا تجزعوا عن كثرة عددكم وقلة عدد كم
قيل لم يقاتل الملائكة بل انزلوا للبشارة للمؤمنين من ذلك فضيلة وانما هى تقبالهم
وهزمهم اياهم ولو كانوا نازلين للاعانة ليكفى ملك واحد كما فعل بقوم لوط قوله
ليقطع طرفا متعلق بقوله لقد نصركم الله ببدر اى ليهلك الله جماعة بالاستيصال
من الذين كفروا بمحمد والقران او يكبتهم اى يهزمهم ويغيظهم فقتل منهم يوم بدر

سبعون واسر سبعون فاو للتفصيل ويجوز ان يكون بمعنى الواو اى فقتلهم
ويخزيهم فينقلبوا خائبين اى غير ظافرين بمرادهم قوله ليس لك من الامر شيئ
هو رفع بانه اسم ليس ولك خبره ومن الامر فى محل النصب على الحال من اسم
ليس اى ليس امر العباد مفوضا اليك من التغلب والانهزام بل الامر كله لله ان
عليك الا البلاغ نزل حين شج وجهه عليه السلام يوم احد وكسرت رباعيته
واراد ان يدعو عليهم بفعلهم القبيح وباللعنة وعلى اصحابه بانهزامهم من
المشركين فكف عن ذلك لعلمه تعالى فيهم انهم سيتوبون وان المشركين سيؤمن
كثير منهم كعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعكرمة بن ابى جهل وغيرهم من الصحابة
والتابعين وقيل نزل حين دعا على الذين قتلوا سبعين رجلا من اصحابه
فى بئر معونة اربعين صباحا فى صلوة الغداة فى قنوته وقد خرجوا الى
الغزو مجتنبين قوله او يتوب عليهم او يعذبهم معطوفان على ليقطع
ان نصركم ليقطع من الكافرين او يهزمهم او يتوب عليهم فيؤمنوا او يعذبهم
ان لم يؤمنوا فانهم ظالمون انفسهم بكفرهم فيكون ليس لك من
الامر شيئ اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل يجوز ان يكون
او يتوب نصبا بتقدير ان اى ليس لك من امرهم شيئ من التوبة والعقوبة
الا ان يتوب الله عليهم فتسروا او يعذبوا فتشتفى منهم ويجوز ان يكون
او بمعنى حتى فلا يكون اعتراضا على التقديرين ثم عظم نفسه بانه المالك

المطلق على جميع خلقه ولله ما فى السموات وما فى الارض اى اهلهما عبيده
وملكه يغفر لمن يشاء اى الذنب الكبير ويعذب من يشاء اى على
الذنب الصغير اذا اصر عليه والله غفور رحيم لمن تاب عن الذنوب
واطاع امره او غفور رحيم بتاخير العذاب على المسيئين المستوجبين
العذاب او قبول التوبة عن التائبين عن محارمه ثم غلظ ثم تحريم
الربوا الذى هو من المحارم التى لا تغفر كعقوق الوالدين وقطيعة الرحم و
الخيانة فى الامانة وظلم العباد روى ان رجلا كان عاقا بوالديه يقال له
علقمة فقيل له عند الموت قل لا اله الا الله فلم يقدر عليه حتى جائت امه فرضيت
عنه فقال بكلمة التوحيد ثم مات يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا
مضاعفة اى امثالا كثيرة متزايدة فاضعافا نصب على الحال من الربوا
ومضاعفة صفتها ففى هذه الاية ايماء الى ان الربوا يضر بايمان المؤمنين
ونهى لهم عن اكله مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه اى لا تضعفوا اموالكم
بالربوا ان كان لكم ايمان بالله واياته وكان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله
زاد فى الاجل والمال بعد بيع الشيئ باكثر من قيمته فيزيد ماله بذلك ثم اكد
النهى عن اكله بقوله واتقوا الله من اكل الربوا وعله لعلكم تفلحون من العقوبة
فى الاخرة ثم زاد فى التخويف فقال واتقوا النار التى اعدت اى خلقت
وهيئت للكافرين بالله واياته قيل معنى هذه الاية اتقوا العمل الذى

ينزع به الايمان عند الموت فيستحقون به الخلود فى النار كالكفار وقد جاء فى
ذلك آثار كثيرة منها قضية ثعلبة وروى ابو بكر الوراق عن ابى حنيفة رحمه الله
اكثر ما ينزع الايمان لاجل الذنوب من العبد عند الموت واعظمها نزعا
للايمان ظلم العباد ثم قال **واطيعوا الله** فى فرائضه وتحريم الربوا **والرسول** فى
سننه وفى ما بلغكم من تحريم الربوا وغيره **لعلكم ترحمون** اى رجاء ان يرحمكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم فلا تعذبوا بالنار المعدة للكفار **وسارعوا** بواو العطف وتركها
للاستيناف اى بادروا **الى مغفرة من ربكم** اى الى اسباب المغفرة من الله
وهى التوبة من الذنوب كالزنا والربوا وغيرهما والاعمال الصالحة التى توجب
لكم تكفير السيئات كالصلوة الخمس بمواقيتها والجهاد والانفاق فى سبيل الله
وجنة اى وسارعوا الى عمل يوجب دخول الجنة **عرضها السموات والارض**
مبتداء وخبر فى محل جر صفة الجنة اى عرضها مثل عرضهما وخص العرض بالذكر لانه
يكون اقل من الطول غالبا والمراد وصفها بالسعة قيل كل جنة من الجنان
عرضها كعرض السموات والارض لو وصل بعضها ببعض وهذا حث على اجتناب
المحرمات والعمل بالحسنات سريعا قبل الفوت لان فى التأخير آفات
اعدت للمتقين وصف آخر للجنة وفيه ايماء الى ان قبول العمل بالتقوى
لا غير قوله **الذين ينفقون** يجوز ان يكون صفة للمتقين ويجوز ان يكون خبر
مبتداء محذوف اى هم الذين ينفقون اموالهم **فى السراء والضراء** اى

فى حال

فى حال اليسر والعسر وقيل فى الصحة والمرض وفيه حث على التصدق بما
امكن على كل حال قل او كثر قال النبى عليه السلام السخى قريب من الله قريب
من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد
من الجنة بعيد من الناس قريب من النار **والكاظمين الغيظ** اى الجارعين
الغضب فى اجوافهم عند امتلاء نفوسهم به ومنه كظم السقاء اى شده بعد ملئه و
المراد انهم لا يظهرون ما فى نفوسهم من الغيظ ثم قال عليه السلام من كظم غيظا وهو
يقدر على ان ينفذه. دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلايق حتى يخيره من اى الحور
شاء **والعافين عن الناس** اى الذين يعفون عن ظلمهم بعد قدرتهم عليه او عن
مماليكهم لسوء ادابهم **والله يحب المحسنين** واللام فيه للجنس اى يحب كل محسن من
الاحرار والمماليك قال عليه السلام ينادى منادٍ يوم القيمة اين الذى كانت
اجوره على الله فلا يقوم الا من عفى قوله **والذين اذا فعلوا فاحشة** استيناف
نزل فى رجل تمار جائت امرأة تشترى منه تمرا فادخلها فى الحانوت فقبلها ثم
ندم على ذلك فهم فى كل من اذنب الذنب وطلب التوبة اى الذين فعلوا الكبائر
من الزنا وغيره **او ظلموا انفسهم** بفعل الصغاير كالقبلة واللمسة **ذكروا الله** اى وعيده
وعقابه **فاستغفروا لذنوبهم** اى باللسان وندامة القلب لان الاستغفار
باللسان بغير ندامة القلب توبة الكذابين **ومن يغفر الذنوب الا الله** جملة
معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لوصف سعة رحمته وقرب مغفرته

للتائبين وفيه بعث على التوبة وردع عن اليأس ولم يصروا اى لم يقيموا على ما فعلوا
اى على ذنب فعلوه وهم يعلمون انه ذنب او ان الله يغفر الذنوب اولئك اى
اهل هذه الصفات جزاؤهم اى ثوابهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها اى لا يخرجون عنها ولا يموتون ونعم اجر العاملين اى نعم ثواب
المطيعين ما اعد لهم من الجنة بالتوبة والطاعة قال عليه السلام ما من عبد مؤمن
يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ثم يستغفر الله الا غفر له قوله قد خلت من
قبلكم سنن تحريض على التوبة وتحصيل المغفرة والجنة بالاخبار عن احوال من تقدمهم
والامر بالاعتبار بعواقبهم اى قد مضت فى الامم قبلكم طرايق باهلاك المكذبين
جمع سنة وهى الطريقة التى سنها الله لاهلاك من كذب انبياء الله وآياته
فسيروا فى الارض اى ان شككتم فى ذلك فسافروا فى الارض بسير الاقدام او تفكروا فى
ارض القلب بسير الفكر فانظروا بنظر العين والمشاهدة كيف كان عاقبة المكذبين
من آثار هلاكهم بوقايعه تعالى هذا اى القرآن بيان للناس اى تطهير لنفوسهم من الضلالة
او الجهل هدى يدعوهم الى النسك والخشوع والثبات على الطاعات والصبر
على ما اصابهم فى سبيل الله ويصرفهم عن اقتران الاثم والفسوق من القول والفعل
قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا نزل تسلية لرسول الله عليه السلام وللمؤمنين على ما اصابهم
يوم احد ورجعوا الى المدينة منهزمين محزونين وتقوية لقلوبهم على الجهاد وردعا
عن التقاعد عنه جبنا ووهنا وهو عطف على مقدر اى جاهدوا فى طاعة ربكم

ولا تضعفوا عن قتال عدوكم بما اصابكم فى دين الله ولا تجبنوا ولا تحزنوا من
استبطاء العون والنصرة منه تعالى او من ما اصابكم من قتل وجرح باحد والهزيمة
وانتم الاعلون شأنا على الاعداء اى الغالبون عليهم بعد احد فى الدنيا
روى ان المسلمين لم يخرجوا بعد ذلك مع رسول الله الا ظفروا وفى كل عسكر
بعد رسول الله اذا كان فيه واحد من الصحابة كان الظفر لهم وانتم غالبون ايضا
فى الاخرة لان قتلاكم فى الجنة وقتلاهم فى النار وهى بشارة لهم بالعلو والغلبة فى
الدارين قوله ان كنتم مؤمنين شرط جوابه محذوف بدلالة ما قبله من النهى
اى ان كنتم مصدقين بنصر الله ووعده فلا تهنوا ولا تحزنوا لان صحة الايمان
فى القلب يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه ثم قال
تعزية لهم ان يمسسكم اى يصيبكم قرح بفتح القاف وضمها اى جراحة فقد مس
القوم اى الكفار ببدر قرح مثله قيل قتل المسلمون من الكفار ببدر سبعين
واسروا سبعين وقتل الكافرون باحد من المسلمين سبعين واسروا سبعين
وفيه ضعف لما سيأتى ويدل على المماثلة قوله وتلك الايام اى ايام الظفر
والغلبة نداولها اى نصرفها بين الناس اى بين المسلمين والكافرين تارة
لهم وتارة عليهم ومنه قول العرب الحرب سجال اى مساجلة وهى المناوبة بان
يصنع احد مثل ما يصنع قرينه فى جرى وسقى او غيره ذلك بالنوبة واصله من الدلو
اذا كان فيه ماء قل او كثر قوله وليعلم عطف على العلة المقدرة اى فعلنا

ذلك ليتعظوا وليعلم بالتميز والاظهار الله الذين آمنوا بالاخلاص ممن شكوا
فى دينهم فيجازون على ما فعلوا الان المخلص يتبين حاله فى الشدة والبلاء فيعطى
ثوابه بما يظهر منه لا بما يعلم منه ويتخذ منكم شهداء اى لكى يكرمكم بالشهادة
لا لاجل نصر الكفار وجبهم والله لا يحب الظالمين نفوسهم بالكفر والنفاق و
ليمحص الله عطف على ليعلم اى ليطهر ويصفى الذين آمنوا من الذنوب قتلوا
او قتلوا بالجهاد من محصت الذهب اذا ازلت منه الوسخ ويمحق اى ويهلك
بالاستيصال الكافرين لانهم بذلك يتشجعون فيخرجون تارة اخرى ويهلكون
ام حسبتم اى اظننتم فالهمزة للانكار والميم صلة ان تدخلوا الجنة قبل ان تصيبكم
شدة فى دين الله وهو المراد من ولما يعلم الله بكسر الميم للساكنين والواو
واو الحال ولما بمعنى لم الا ان فى لما معنى التوقع واراد وبه ان لما يدل على نفى الفعل
فيما مضى وعلى توقع ثبوته فيما يستقبل اى ولم يعلم الله الذين جاهدوا منكم
يعنى ولم يظهر جهاد المجاهدين فى سبيله بعد بقتل او جرح وغيرهما ويعلم الصابرين
بالنصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع وبالجزم على العطف على ولما يعلم لكن
فتح الميم لالتقاء الساكنين اتباعا للام والمعنى تحسبون دخول الجنة والحال انه
ما اجتمع علم الله بالمجاهدين منكم بالصابرين منكم فى الشدائد قوله ولقد
كنتم تمنون الموت اى القتل والشهادة قيل كان غرضهم وقصدهم الى
نيل الشهادة والكرامة لا غلبة الكافرين على المسلم من قبل ان تلقوه اى

ان تلاقوه

ان تلاقوه وتصلوا اليه فقد رأيتموه باعينكم يوم احد وانتم تنظرون
عيانا اسباب الموت وهى السيوف والسهام نزل عتابا لهم حين وصف
الله لهم الكرامة النازلة بشهداء بدر فقالوا ليتنا نجد مثل ذلك فلما القوا القتال
يوم احد هربوا ولم يقيموا على ما قالوا قوله وما محمد الا رسول نزل توبيخا لهم على هزيمتهم
بخبر قتل الكفار النبى عليه السلام وذلك حين خرج رسول الله الى الشعب من
احد لسبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير على الرجالة وقال اقيموا باصل الجبل
وادفعوا عنا بالنبل من لا يأتونا من خلفنا ولا تنقلوا من مكانكم حتى ارسل
اليكم فلا نزال غالبين ما دمتم فى مكانكم فجاء المشركون ودخلوا فى الحرب مع
النبى عليه السلام واصحابه حتى حميت الحرب فاخذ رسول الله سيفا و
قال من يأخذه بحقه فاخذه ابو دجانة فقاتل فى نفر من المسلمين قتالا شديدا
وقاتل على ابن ابى طالب حتى التوى سيفه وقاتل سعد بن ابى وقاص وكان
النبى عليه السلام يقول لسعد ارم فداك ابى وامى فحمل هو واصحابه على
المشركين فانزل الله نصره عليهم فهزموا المشركين فلما نظر الرماة الى قوم هازمين
اقبلوا على النهب بترك مركزهم فقال لهم عبد الله بن جبير لا تبرحوا عن مكانكم
فقد عهد اليكم نبيكم فلم يلتفتوا الى قوله فجاؤا لاجل الغنيمة فبقى عبد الله بن
جبير مع ثمانية نفر فخرج خالد بن الوليد مع خمسين ومائتى فارس من المشركين
من قبل الشعب وقتلوا ما بقى من الرماة ودخلوا خلف المسلمين

فهزمهم ورمى ابن قميئة النبي عليه السلام فكسر رباعيته وشجه وتفرق عنه اصحابه
وحمل ابن قميئة لقتل النبي عليه السلام فذب عنه مصعب بن عمير صاحب الراية
يومئذ فقتله ابن قميئة ورجع وظن انه كان قتل النبي عليه السلام فقال قتلت
محمدا فصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل قالوا كان ذلك ابليس عليه اللعنة فرجع اصحابه
منهزمين متحيرين فاقبل انس بن النضر عم انس بن مالك الى عمر بن الخطاب
وطلحة بن عبد الله في رجال من المهاجرين والانصار فقال لهم ما يجلسكم قالوا قتل
محمد عليه السلام فقال ما تصنعون في الحيوة بعده موتوا كراما على ما مات عليه
نبيكم ثم اقبل نحو العدو فقاتل حتى قتل قال كعب بن مالك انا اول من عرف رسول
الله من المسلمين رايت عينيه من تحت المغفر تزهران ينادي باعلى صوته
الى عباد الله فاجتمعوا اليه فلامهم رسول الله على هزيمتهم فقالوا يا رسول الله
فديناك باباءنا وامهاتنا اتانا خبر سوء فرعبت قلوبنا له فولينا مدبرين
فوبخهم الله تعالى بقوله وما محمد الا رسول كساير الرسل **قد خلت** اي مضت **من قبله**
الرسل فسيخلو كما خلوا والهمزة في قوله **أفإن مات** لانكار الانقلاب بعد
الشرط قدمت لان الاستفهام له صدر الكلام والفاء لعطف الجملة الشرطية
على ما قبلها اصلا فان مات **او قتل انقلبتم** اي ارجعتم **على اعقابكم** كافرين
وذكر القتل مع العلم بانه لا يقتل لكونه ممكنا عندهم يعني اترجعون الى دينكم
الكفر بسبب هلاك الرسول بقتل او موت مع علمكم انه لم يقتل بقوله تعالى والله

يعصمك

يعصمك من الناس وعلمكم بان هلاك الرسل قبلكم لم يكن سببا لارتفاع
دينكم لان هلاك الرسل قبله لم يكن سببا لارتفاع دينهم فيجب ان يكون
دين نبيكم باقيا بعد موته ايضا ثم اشار الى غناه عنهم بقوله **ومن ينقلب**
اي يرجع **على عقبيه** اي كافرا بعد الاسلام **فلن يضر الله شيئا** من
ملكه وسلطانه وانما يضر نفسه والله منزه عن الضر والنفع **وسيجزي** اي
سيثيب **الله الشاكرين** اي الذين لم ينقلبوا على اعقابهم بل شكروا
نعمة الاسلام بالصبر كانس بن النضر وامثاله ثم شجعهم بقوله **وما كان لنفس**
ان تموت الا باذن الله اي بقضائه ومشيته ولا ينجي حذر من قدر لانه
كتب الموت **كتابا مؤجلا** اي ذا اجل وهو الوقت المعلوم لا يتقدم
ولا يتاخر **ومن يرد** بطاعته **ثواب الدنيا** اي جزاء عمله من الدنيا **نؤته**
منها اي نعطه ثوابها ما قسم له منها وما له في الاخرة من نصيب **ومن يرد ثواب**
الاخرة بطاعته **نؤته منها** جزاء عمله **وسنجزي الشاكرين** نعمة الله
بالجهاد في الاخرة وهذه الاية تعريض بالذين شغلتهم الغنايم عن الجهاد
يوم احد ثم قال تعالى **وكأين من نبي** بمد الالف وبكسر الهمزة بلا ياء
بمعنى كم التي للتكثير وقرئ بهمزة مفتوحة بعد الكاف وتشديد الياء
المكسورة واصله اي بمعنى بعض من كل دخل عليها كاف التشبيه فصار
كلمة واحدة وهي المبتدا خبره **قاتل** وقرئ قتل مجهولا اي كم نبي قاتل او

قتل معه ربيون كثير اى جماعة كثيرة بكسر الراء نسبة الى الربة بمعنى الجماعة
فربيون مرفوع بالفاعلية فيكون القتل لهم لا للانبياء عليهم السلام (دون النبى نسخه)
لما روى عن الحسن وغيره ما قتل نبى قط فى قتال فما وهنوا اى ما عجزوا عن القتال
لما اصابهم فى سبيل الله فى الشدة والبلاء لاجل دين الله تعالى وهذا ايضا
تعريض لمن اصابهم من الوهن والانكسار بخبر قتل رسول الله واستكانتهم
للمشركين حتى ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابى فى طلب الامان
من ابى سفيان وما كان قولهم بنصب اللام خبر كان واسمه الا ان قالوا
اى ما كان قول الذين قالوا مع انبيائهم الا قولهم هذا ربنا اغفر لنا ذنوبنا
واسرافنا فى امرنا باضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين
هضما لها والمراد الصغائر والكبائر وثبت اقدامنا عند القتال مع الاعداء
وانصرنا على اعدائنا القوم الكافرين بك وبنبيك وانما قدموا الاستغفار
لان تقديم الدعاء بالاستغفار والخضوع اقرب الى الاستجابة فآتاهم
الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة وطيب الذكر واتاهم حسن ثواب
الآخرة من الاجر والجنة وقيد ثواب الاخرة بالحسن ليدل على فضله و
الاعتداد به عنده والله يحب المحسنين فى الجهاد والطاعة بالصبر والاستغفار
قوله يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا نزل فى المنافقين الذين
قالوا عند الهزيمة للمؤمنين ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم فقال تعالى

من قتل الغنم وما ضعفوا لعدوهم بالجبن وما استكانوا اى وما خضعوا لاعدائهم لطلب الامان منهم والطمع لنصرة

والله يحب الصابرين صح

يا ايها

يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا المنافقين يردوكم على اعقابكم بعد الايمان
كفارا فتنقلبوا خاسرين بطاعتهم فى مقالتهم فلا تطيعون بل الله مولاكم اى
ناصركم ووليكم فاطيعوه فيما يأمركم وهو خير الناصرين على عدوكم فلا احتياج
لكم الى نصرة غيره وولايته قوله سنلقى نزل حين عزم المشركون بعد عودهم الى
مكة من احد ليرجعوا من الطريق فيستأصلوا المسلمين فقال تعالى سنقذف فى
قلوب الذين كفروا الرعب بضم العين وسكونها اى الخوف والهيبة فلما
رجعوا على ذلك القى الخوف فى قلوبهم فامسكوا بما اشركوا بالله اى بسبب
اشراكهم به ما لم ينزل به اى الهة لم ينزل الله باشراكها سلطانا اى حجة لهم ومأويهم ...النار
اى مصيرهم اليها فى الاخرة وبئس مثوى الظالمين اى مقام المشركين النار
ولقد صدقكم الله وعده نزل حين رجع المسلمون الى المدينة فقال ناس
من المسلمين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فقال تعالى لقد
وعدكم الله النصر بشرط الصبر والتقوى فى قوله ان تصبروا وتتقوا الاية فكان
النصر لكم اذ تحسونهم اى وقت تقتلونهم قتلا ذريعا باذنه اى بامره حتى اذا فشلتم
وتنازعتم اى الى وقت فشلكم وتنازعكم فهو متعلق بقوله صدقكم الله وعده
ومعنى فشلتم جبنتم من القتل وهو الجبن مع الضعف وتركتم مركز الرماة
لطلب الغنيمة واختلفتم فى الامر اى فى امر رسول الله فقلتم انهزم المشركون
فما موقفنا هذا وقال بعضهم لا تخالف امر رسول الله ولا نبرح مكاننا كعبد الله

ابن جبير امير الرماة فی نفر دون العشرة وعصيتم امر النبی بترک المرکز
من بعد ما اراکم ما تحبون ای بترک المرکز وطلب الغنيمة ومنکم من يريد الآخرة
بالثبات علی المرکز وامتثال امر الرسول ثم صرفکم عنهم ای ردکم عن
الکفار بالهزيمة من بعد ان اظفرکم عليهم ليبتليکم ای ليمتحن صبرکم علی المصائب
من القتل والجراح وثباتکم علی الايمان عندهم ولقد عفی الله عنکم لما علم
من ندمکم علی ما فرط منکم من عصيان امر الرسول والله ذو فضل ای ذو
التفضل بالعفو علی المؤمنين ای يتفضل عليهم فی جميع احوالهم لان الابتلاء
رحمة کما ان النصر رحمة قوله اذ تصعدون بضم التاء وکسر العين من اصعد
اذا ابعد فی الارض متعلق بصرفکم او بيبتليکم او باذکروا مضمرا ای اذکروا حين
تعلون فی الهزيمة علی الجبل هاربين من العدو ولا تلوون ای ولا تقيمون
علی احد والرسول يدعوکم يا معشر المسلمين انا رسول الله فی اخراکم
ای خلفکم فلم يلتفت احد منکم اليه حتی صعد تم الجبل قوله فاثابکم عطف
علی صرفکم ای فجازاکم الله غما حين صرفکم عنهم وانهزمتم بغم ای بسبب غم
اذقتموه الرسول عليه السلام حين عصيتموه او غما متصلا بغم ای مضاعفا
علی غم من سماع قتل النبی والجراح والهزيمة وفوت الغنيمة والنصرة
وظفر المشرکين لکيلا تحزنوا متعلق بقوله فاثابکم غما ای غمکم لئلا تحزنوا
بتعداد کم احتمال الشدائد علی ما فاتکم من الفتح والغنيمة ولا ما اصابکم

من المصائب

من المصايب القتل والهزيمة والجراح والله خبير بما تعملون ای عالم باعمالکم
فيجازيکم بها ثم انزل عليکم من بعد الغم امنة ای ازال عنکم الخوف و
انزل عليکم الامن وابدل من امنة نعاسا او مفعول له لان النعاس سبب
حصول الامن تغشی طائفة منکم بالياء لان الضمير فيه للنعاس وبالتاء
للتانيث ردا الی الامنة ای يعلو النعاس فی المصاف من کان اهل الصدق
واليقين وطائفة مبتداء خبره قد اهمتهم ای اقلقتهم انفسهم يعنی ما بهم
الا هم انفسهم دون الرسول واصحابه فلم ينزل عليهم السکينة لانها دوا
روحانی لا يتلوث بهم يظنون بالله غير الحق ای ظنا غير ظن الحق ظن الجاهلية
ای مثل ظن الجاهلية وهو ان محمدا قد قتل او ان الله لا ينصره والجملة فی
محل النصب علی الحال من الضمير فی اهمتهم يقولون للنبی عليه السلام
هل لنا من الامر ای امر النصرة من شیء ومن زايدة فيه وهو مبتداء خبره
من الامر ولنا متبيين والجملة بدل من يظنون بدل الاشتمال لان سوالهم
کان صادرا عن الظن ويجوز ان يکون يقولون استينافا قل ان الامر
کله بالرفع مبتداء خبره لله والجملة خبر ان وبالنصب تاکيد اللاسم ای
جميع الامر لله من النصرة والغلبة ولاوليائه المؤمنين قال تعالی وان جندنا
لهم الغالبون فانکروا ذلک فاخبر الله بقوله يخفون فی انفسهم ما لا يبدون
لک ای ما لا يظهرون من قولهم يقولون لو کان لنا من الامر شیء کما قال

محمد ان الامر كله لله ولاوليائه ما قتلنا ههنا اى لما قتل من المسلمين فى هذه المعركة قل لو كنتم فى بيوتكم اى لو قعدتم فيها وما خرجتم الى الغزو لبرز اى لخرج الذين كتب عليهم القتل فى اللوح المحفوظ فى علمه تعالى الى مضاجعهم اى الى مصارعهم وقتلوا فيها لان معلوم الله لا بد من وجوده كيف ما كان مقدورا وليبتلى الله ليختبر ما فى صدوركم من الاخلاص عطف على علة محذوفة لفعل محذوف اى فعل ذلك لمصالح كثيرة وليبتلى ما فى صدوركم و ليمحص اى يطهر ما فى قلوبكم من وساوس الشيطان والله عليم بذات الصدور اى بما فى القلوب من الخير والشر قوله ان الذين تولوا اى اعرضوا وانهزموا منكم نزل توبيخا لمن خالفوا امر النبى وتركوا المركز فانهزم المسلمون باحد يوم التقى الجمعان من المسلمين والكافرين انما استزلهم الشيطان اى طلب زلتهم بتسويله المخالفة وترك المركز ببعض ما كسبوا اى بسبب بعض ذنوب صدرت منهم قيل لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة ولم يواخذهم الله بجميعها لانه عفو يعفو عن كثير ثم طيب قلوبهم بعد التوبيخ بقوله ولقد عفى الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعجل على العصاة بالعقوبة لانه لا يخاف الفوت ثم قال تحذيرا لهم يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا اى كالمنافقين وقالوا لاخوانهم اى لاجل اخوانهم بزعمهم اذا ضربوا اى حين سافروا فى الارض للتجارة او غيرها

فماتوا

فماتوا فى سفرهم او كانوا غزا جمع غاز اى خرجوا الى الغزو فقتلوا لو كانوا عندنا بالمدينة ما ماتوا فى سفرهم وما قتلوا فى الغزو ليجعل اى ليصير الله ذلك اى قالوا لهم ما قالوا واعتقدوه ليجعل الله ذلك القول والاعتقاد حسرة فى قلوبهم اى فى قلوب المنافقين وندامة فى العاقبة اما فى الدنيا او فى الآخرة فاللام لام العاقبة كما فى قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا والله يحيى ويميت فى السفر والحضر بقضائه وقدره ومشيته فهو رد لقولهم اى الامر بيده والله بما تعملون بصير بالتاء والياء فلا تكونوا مثل هؤلاء المنافقين ولئن قتلتم فى سبيل الله اى فى الغزو لله او متم فيه بكسر الميم من مات يمات وبضمها من مات يموت وانتم مؤمنون لمغفرة من الله لذنوبكم بسببه ورحمة اى ونعيم الجنة مبتدا خبره خير مما يجمعون بالياء و التاء من حطام الدنيا فى اقامتكم والجملة الاسمية سادة مسد جواب القسم المحذوف والشرط والمعنى ان موتكم وقتلكم فى سبيل الله وجهاده مع نيلكم المغفرة والرحمة من الله افضل مما تجمعون من الاموال فى الدنيا الفانية بالتقاعد والجبانة لاجله عن الجهاد فى سبيل الله يا معشر المنافقين ثم اكد ذلك بقوله ولئن متم او قتلتم فى سبيل الله لالى الله تحشرون اى لا الى الرحيم الواسع المغفرة والرحمة تبعثون بعد الموت فيجازيكم بالثواب العظيم لا الى غيره فتطلبون قوله فبما رحمة من الله لنت لهم اظهارا لكثرة شفقة النبى

عليه السلام على امته مع ذكر منته تعالى عليه بتوفيقه اياه للرفق والتلطف بهم
وما زايدة للتوكيد والدلالة على اختصاص لنت لهم برحمة الله تعالى اى فبرحمة
منه تعالى لطفت بهم يا محمد وسهلت اخلاقك حين عصوك وخالفوك
ولو كنت فظا اى كريه الخلق غليظ القلب اى جافيه خشن القول لانفضوا
من حولك اى لتفرقوا من عندك ولكن الله جعلك بارا كريم الخلق رحيم
القلب لينا لطيفا بهم فاعف عنهم اى تجاوز عن فعلهم باحد واستغفر لهم
اى اطلب المغفرة منى لذنوبهم يعنى اشفع لهم حتى اشفعك وشاورهم
فى الامر اى فى امر الحرب وغيره تطيبا لقلوبهم او استظهارا برايهم فيما
لم ينزل عليك وحى فيه قال عليه السلام ما شقى عبد قط بمشورة وما سعد
باستغناء راى فاذا عزمت على فعل بعد المشاورة ووضوح الراى فتوكل
على الله لا على المشورة ولا على اصحابها فى امضاء امرك على الارشد الاصلح
ان الله يحب المتوكلين عليه لا على غيره ثم اخبر ان النصرة كلها منه تعالى بقوله
ان ينصركم الله كما فى يوم بدر فلا غالب لكم من العدو وان يخذلكم كما خذلكم
فى يوم احد فمن ذا الذى ينصركم اى يمنعكم من عدوكم من بعده اى بعد
خذلانه وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون فى النصرة وقيد المؤمنين
لانهم عرفوا انه لا ناصر لهم غيره وهذا تنبيه على ان الامر كله له وعلى وجوب
التوكل عليه قوله وما كان لنبى ان يغل بفتح الياء وضم الغين وفتح

الغين

الغين اى ينسب الى الخيانة نزل حين فقدت قطيفة حمراء يوم بدر
فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وروى انه عليه السلام
بعث طلايع لحقيقة امر العدو فغنمت غنايم فقسمها ولم يقسم للطلايع وسمى
حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر وفيه نهى للنبى
عليه السلام عن الغلول على سبيل المبالغة اى ما صح لنبى ان يخون فيعطى
قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم على السوية اى ما جاز ان يخون فى الغنيمة
فيأخذها لاجله ولا يقسم لهم ومن يغلل اى يخن فى الغنيمة يأت بما غل
اى بالشئ الذى بعينه يحمله على ظهره يوم القيمة قال عليه السلام لا اعرفن
احدكم يوم القيمة يأتى ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وعلى عنقه شاة لها ثغاء
فيقول يا محمد فاقول له لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك ويجوز ان
يكون المعنى يأت بوباله على عنقه كقوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم
ثم توفى كل نفس اى تجازى ما كسبت اى عملت من خير وشر وهم لا يظلمون
اى لا ينقصون من ثواب اعمالهم شيئا ولا يزاد جزاؤهم فوق آثامهم لانه
عادل بينهم فى الجزاء وانما لم يقل ثم يوفى بالتذكير ليرجع الضمير فيه الى من
لانه جاء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث
المعنى وهو ابلغ واثبت فى الزجر عن الغلول ثم قال بهمزة الاستفهام
لانكار التسوية بين الابن الصالح والخاين الفاسق افمن اتبع رضوان

اللّٰهِ واخذ الحلال من الغنيمة كَمَنْ بَاءَ اى رجع واستوجب بِسَخَطٍ مِنَ اللّٰهِ
بسبب الغلول من الغنايم ثم باين مستقر كل منهما فقال وَمَأْوَاهُ اى مقام
من غل من الغنيمة جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ اى الموضع الذى صار اليه النار هُمْ
دَرَجَاتٌ اى الذين اتبعوا رضاء الله ولم يغلوا من الغنايم ذوو طبقات
عِنْدَ اللّٰهِ فى الفضل فبعضهم يكون ارفع من بعض اولهم درجات فى
الجنة وَاللّٰهُ بَصِيرٌ اى عالم بِمَا يَعْمَلُونَ من الغلول وعدم الغلول فيجازيهم
على حسب اعمالهم بالدركات والدرجات لَقَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
اى انعم من آمن مع رسول الله من قومه وخصهم بالذكر لانهم هم المنتفعون
ببعثه إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ اى من جنسهم عربيا ليفهموا عنه كلامه ففيه
منة عليهم لاخذ ما يجب عليهم اخذه عنه لبعد علمهم احواله فى الصدق والامانة
يَتْلُو اى يقرأ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ بالبيان ليعلموا به الحلال والحرام وَيُزَكِّيهِمْ اى يطهرهم
من الشرك والذنوب بالامر بشهادة ان لا اله الا الله وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ اى
القرآن وَالْحِكْمَةَ اى المواعظ للعلم والعمل وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ اى وان
الشأن والحديث كانوا قبل بعثة الرسول لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اى ظاهر
لا شبهة فيه فان فيه هى المخففة واللام هى الفارقة بينها وبين ان النافية قوله
أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ الهمزة فيه للتقرير والتقريع دخلت على الواو العاطفة على
محذوف تقديره افعلتم كذا من الفشل والتنازع ولما اصابتكم باحد مُصِيبَةٌ
بقتل

بقتل سبعين منكم والهزيمة وصفة مصيبة قَدْ أَصَبْتُمْ ببدر مِثْلَيْهَا بقتل
سبعين واسر سبعين منهم قُلْتُمْ تعجبا وهو عامل فى لما بمعنى حين أَنَّى
هٰذَا اى كيف هذا الخذلان لنا ونحن موعودون بالنصرة بسبب ايماننا
قُلْ هُوَ اى الخذلان مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ بسبب اختياركم الخروج من المدينة
والحاحكم فى ذلك نبيكم عليه السلام وترك المركز اولاخذكم الفداء من
اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم لا من عند الله واختياره بلا جرم منكم
إِنَّ اللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ من النصر ومنعه وعلى ان يصيبكم تارة ويصيب منكم
مرة اخرى قوله وَمَا أَصَابَكُمْ مبتداء متضمن معنى الشرط اى الذى اصابكم
من مصيبة كالقتل والهزيمة يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ جمع المسلمين وجمع الكافرين و
خبر المبتداء قوله فَبِإِذْنِ اللّٰهِ اى فهو كاين بتخليته وارادته وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ اى
وهو كاين ليتميزهم من غيرهم باخلاصهم وثباتهم وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا اى وهو
كاين ليظهرهم بنفاقهم وقلة صبرهم قوله وَقِيلَ لَهُمْ عطف على نافقوا
تحقيقا لنفاقهم للمؤمنين اى قيل لابن ابى واصحابه حين قعدوا عن الحرب و
انقطعوا عن احد تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ اعدائه أَوِ ادْفَعُوا عن انفسكم وحرمكم
ان لم تقاتلوا فى سبيل الله ولوجه الله ادفعوا القوم بتكثيركم سواد المسلمين
لان كثرة السواد مما يخوف العدو وتكسر حدته قَالُوا فى الجواب لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا
اى قتالا حقا لَاتَّبَعْنَاكُمْ فيه ولكنه القاء النفس الى التهلكة فليس بقتال حق لخطاء

رائكم فاظهر الله تعالى كذبهم بقوله هم للكفر يومئذ اقرب اى هم لاهل الكفر
اقرب نصرة منهم للايمان اى لاهل الايمان فاللام فى الكفر والايمان متعلق
باقرب وهى على بابها وقيل بمعنى الى يعنى ميلهم الى الكفر يومئذ اقرب من
ميلهم الى الايمان بظهور علامة الكفر فيهم لانخزالهم من عسكر المسلمين المجاهدين
فى سبيل الله يقولون اى القائلين بافواههم بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم فهو
حال من الضمير فى اقرب والله اعلم بما يكتمون من الكفر والنفاق قوله الذين
قالوا خبر مبتداء محذوف اى هم الذين قالوا لاخوانهم اى لاجل اخوانهم
فى سكنى الدار لا فى الدين وهم شهداء احد وقعدوا اى وقد قعدوا عن القتال
فى المدينة والواو للحال لو اطاعونا فى القعود عن الجهاد والانصراف عن محمد
عليه السلام ما قتلوا بالتخفيف والتشديد ثم قال تعالى لنبيه توبيخا و
تعجيزا لهم قل فادرؤا اى ادفعوا عن انفسكم الموت اذا حضركم برايكم وحيلكم
ان كنتم صادقين فى مقالتكم من ان القعود عن القتال سبب النجاة من
الموت لا غيره فانه يجوز ان يكون القتال سببا للنجاة ولو لم يقاتل
لقتل وله اسباب اخر فما يدركم ان سببها القعود وان الحذر ينجى من
القدر قيل لما نزلت هذه الاية مات يومئذ سبعون من المنافقين
ثم نزل فى شهداء بدر واحد وغيرهم ولا تحسبن بالتاء والياء و
الفاعل النبى او غيره اى لا يظنن النبى الذين قتلوا بالتخفيف والتشديد

فى سبيل الله اى فى طاعته امواتا بل هم احياء مقربون عند ربهم وهو
عطف جملة على جملة والغرض الاعلام بحيوتهم ترغيبا فى الجهاد ولو
عطف احياء على امواتا لاختل المعنى لانه يصير التقدير لا تحسبنهم احياء
المعنى انهم يتنعمون كالاحياء عند ربهم يرزقون مثل ما يرزق ساير الاحياء
من الماكل والمشارب وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين اى معجبين بما
اتيهم الله من فضله من التوفيق فى الشهادة والكرامة والفضيلة على
غيرهم ويستبشرون اى وهم يطلبون البشارة بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم
اى باخوانهم الذين لم يقتلوا وبقوا بعدهم ومحل قوله لا خوف عليهم
بدل من الذين اى يستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من
المؤمنين من عدم خوف لهم فيما يستقبلهم من البعث يوم القيمة ولا
هم يحزنون اى ومن عدم حزنهم على ما خلفوا فى الدنيا يعنى يفرحون يومئذ
بسلامة اخوانهم الباقين بعدهم حيث وصلوا اليهم اى آمنين وفى
ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن بعدهم من المؤمنين الباقين
بعث لهم على ازدياد الطاعة والجد فى الجهاد والرغبة فى منازل الشهداء
ثم كرر الاستبشار للتاكيد بقوله يستبشرون بنعمة اى بجنة من الله وفضل
اى بكرامة فيها وان بالفتح اى وبان الله لا يضيع اجر المؤمنين وبالكسر
على الاستيناف اى ثواب اعمالهم الحسنة روى عنه عليه السلام السيوف

مفاتيح الجنة وعنه ايضا عليه السلام الشهيد يشفع فى سبعين من اهله
وعنه ايضا ان ارواح الشهداء فى جوف طير خضر تدور فى الجنة وتاكل من ثمارها
ثم تاوى الى قناديل من ذهب معلقة بالعرش قوله الذين استجابوا لله
مبتداء نزل حين رجع ابو سفيان الى مكة بعد قتال احد باصحابه وندم حيث
لم يستاصل النبى عليه السلام واصحابه فاراد العود مع اصحابه لذلك فسمع النبى
عليه السلام الخبر فاراد ان يخرج له وكره اصحابه الخروج اليهم فقال النبى عليه السلام
والذى نفسى بيده لاخرجن اليهم وان لم يخرج معى احد منكم فمضى رسول الله عليه السلام
فى طلب ابى سفيان ومعه نحو من سبعين رجلا من المسلمين وكان بهم جراحات
حتى بلغ حمراء الاسد على ثمانية اميال من المدينة فجبن ابو سفيان عن العود
اليه فقال تعالى مدحا لمن اطاع النبى عليه السلام فى ذلك الذين اجابوا لله
والرسول من بعد ما اصابهم القرح اى الجراحات يوم احد وجملة قوله
للذين احسنوا بطاعتهم الله ورسوله منهم للبيان واتقوا اى المعاصى فى
محل الرفع خبر مبتداء اجر عظيم اى ثواب كثير والجملة فى محل الرفع خبر الذين
استجابوا ثم قال ابو سفيان لرجل اسمه نعيم بن مسعود كان يخرج الى المدينة للتجارة
اذا اتيت محمدا واصحابه فخوفهم لكيلا يخرجوا بانا قد جمعنا على العود عليهم فلما قدم
الى المدينة اخبرهم بما قال له فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فنزل مدحا لهم
الذين قال لهم الناس اى نعيم بن مسعود من اطلاق الكل وارادة البعض و

قيل

قيل كان ركب معه ان الناس اى ابا سفيان واصحابه قد جمعوا لكم اى اجتمعوا
ليستاصلوكم فاخشوهم اى لاتخرجوا اليهم خوفا فزادهم اى ذلك القول او الضمير
للمقول الذى هو ان الناس قد جمعوا لكم ايمانا اى تصديقا ويقينا وقوة بان اخلصوا
النية على الجهاد وقالوا حسبنا الله اى كافينا ونعم الوكيل اى الموكول اليه
هو فايقنوا ان الله لايخذل محمدا وذهبوا معه الى الموعد روى ان ابا سفيان كان
واعد النبى عليه السلام ان يلقاه ببدر الصغرى وكانت موسما فلما كان العام
القابل جبن ابو سفيان عن الذهاب الى بدر وذهب النبى عليه السلام واصحابه
اليها ومعهم تجارات فكسبوا فى تجاراتهم ولم يلقوا عدوا فانقلبوا اى صرفوا من بدر
بنعمة من الله اى اجر منه وفضل اى وربح من التسوق ببلاسة لم يمسسهم
سوء اى قتال يسوئهم من عدوهم واتبعوا رضوان الله بجراتهم وخروجهم فى سبيله
والله ذو فضل عظيم اى تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفيه تحسير لمن تخلف عنهم
واظهار لخطاء رائهم روى انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب
الغزو ورضى عنهم ثم قال انما ذلكم اى القايل لكم ان الناس قد جمعوا لكم تخويفا
مبتدا خبره الشيطان وهو نعيم بن مسعود يخوف اولياءه وهم القاعدون عن
الخروج مع رسول الله او يخوف باوليائه وهم المشركون فلا تخافوهم اى
الشيطان واوليائه ويجوز ان يعود الضمير الى الناس فى قوله ان الناس قد
جمعوا لكم يعنى لاتخافوهم فقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فى القعود

عن الطاعة ان كنتم مؤمنين اى مصدقين بالله فان الايمان يقتضى تقديم
خوف الله على خوف غيره قوله ولا يحزنك بضم الياء وكسر الزاء من الاحزان وبفتح
الياء وضم الزاء من حزن اى لا يغمك الذين يسارعون فى الكفر نزل فى المنافقين
المتخلفين او المرتدين عن الاسلام يعنى لا تحزن لخوف ان يضروك ويعينوا عليك
انهم لن يضروا الله اى دينه شيئا بكفرهم بل وبال كفرهم راجع عليهم يريد الله
الا يجعل لهم حظا اى نصيبا فى الاخرة اى فى الجنة وفى ذكر الارادة تنبيه على تماديهم
فى الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان واسع الرحمة والمغفرة يريد ان لا يرحمهم
ولا يغفر لهم لتشبيههم بالجنة ولهم بدل الثواب عذاب عظيم فى النار يوم القيامة
ثم قال تاكيدا لذلك ان الذين اشتروا اى اختاروا الكفر بالايمان اى بدله
لن يضروا الله شيئا اى بعض الضرر فى دينه او فى سلطانه وملكه ولهم عذاب
اليم اى وجيع دائم فى الاخرة ولا تحسبن بالتاء خطابا للنبى عليه السلام و
بالياء والفاعل الذين كفروا وان مع ما فى حيزه تنوب مناب مفعولين فى
قوله انما نملى لهم اى نمهلهم ونؤخر العذاب عنهم وما فيه كافة ليزدادوا اثما
اى عقوبة وهذا التعليل كما فى قعدت للجبن او للعجز والواو للحال ولهم عذاب
مهين اى يهانون به فى الاخرة قال عليه السلام خير الناس من طال عمره
وحسن عمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله قوله ما كان الله اى لم يكن
الله ليذر ليترك المؤمنين اى المخلصين على ما انتم عليه ايها المصدقون

بالله من اهل النفاق والاخلاص اى على الحال التى انتم عليها من
اختلاط بعضكم ببعض بحيث لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز الخبيث
اى يتباين المنافق من الطيب اى من المؤمن الخالص بالتكاليف
الشاقة لا يصبر عليها الا المخلصون فيميز المنافق من المخلص يوم احد بتخلفهم
عن الغزو وبذل الروح فى الجهاد والانفاق فى سبيل الله نزل حين
سئل المسلمون من قريش يا رسول الله تزعم ان من خالفك فى النار
ومن وافقك فى الجنة فاخبرنا من يؤمن ومن لا يؤمن منا قوله وما كان
الله ليطلعكم على الغيب نزل تحريضا على الايمان برسول الله والقران
الذى يخبرهم بوحى اى لم يكن الله ليعلمكم بعلم الغيب من المخلصين ومن المنافقين
ولكن الله يجتبى اى يختار من رسله من يشاء فيطلعه على ما يشاء من الغيب
بالوحى حتى يكون ذلك علامة لنبوته اذ غير الانبياء ليسوا من علم الغيب
فى شئ فآمنوا بالله بان تعظموه حق عظمته ورسله بان تصدقوهم فى
مقالاتهم وتعلموا انهم لا يخبرون الا عن الله الذى اطلعهم على الغيوب و
ان تؤمنوا بالله ورسله وتتقوا الشرك والنفاق فلكم اجر عظيم فى الجنة
قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بالتاء خطاب للنبى عليه السلام بتقدير
المضاف اى بخل الذين وهو ضمير فصل وبالياء والفاعل الموصول مع
صلته والمفعول الاول كلمة هو كناية عن البخل والمفعول الثانى خيرا اى لا تحسب

الباخلون بما آتيهم الله من فضله اى من عطائه من العلم بكتمانهم نعت
النبى عليه السلام او من رزقه من المال بترك الانفاق فى سبيل الله ومنع
الزكوة منه هو اى البخل بوضع المرفوع موضع المنصوب خيراً لهم فى الآخرة بل
هو اى البخل شر لهم فيها قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لشر لهم
اى سيطوقون ما بخلوا به كهيئة الطوق فى عنقهم قيل هو طوق من النار وقيل
وبال ذلك فى عنقهم روى عن النبى عليه السلام فى مانع الزكوة يطوق بشجاع
اقرع وروى اسود ولله ميراث السموات والارض اذا هلك اهلها فيبقى
الملك له ولا ينفعهم الا ما انفقوا قبل ان يموتوا فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه
فى سبيله فالميراث مجاز عن البقاء والله بما تعملون بالياء والتاء على طريق
الالتفات خبير اى عالم بعمل الزكوة ومنعها فيجازى كل نفس بما عملت قوله لقد
سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء نزل حين قالت
اليهود عند سماع من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ان الله فقير يستقرض
منا فقال ابو بكر لهم اتقوا الله واسلموا واقرضوا الله قرضا حسنا فقال
فنحاص بن عازوراء ان الله فقير اذن فلطم ابو بكر وجهه فشكاه الى النبى عليه السلام
وانكر قوله ذلك فقال تعالى لقد سمع الله قولهم سنكتب بالنون والياء
سعلوما والفاعل الله والمفعول ما قالوا ونصب وقتلهم الانبياء عطف
عليه وقرئ بالياء مجهولا وما قالوا مرفوعة وقتلهم بالرفع عطف عليه اى نكتب

عليهم الكرام الكاتبون الذى قالوه بالاجتراء ونكتبون قتلهم الانبياء بغير
حق اى بلا جرم وانما قرنه به لانهما اخوان فى العظم ونقول بالنون والياء والفاعل
الله اى يقول بامره تعالى خزنة جهنم لهم ذوقوا عذاب الحريق اى عذاب النار
روى عن النبى عليه السلام لو ان شرارة من نار جهنم وقعت بالمشرق
لغلت منها جماجم قوم بالمغرب ويقال لهم فيها ذلك اى نزول العذاب
بكم بما قدمت ايديكم من عمل الشرك والتكذيب والمعصية جعل كل عمل كا
لواقع بالايدى على سبيل التغليب وعطف على ما قدمت وان اى وبان
الله ليس بظلام للعبيد اى لا يظلم كل واحد منهم وصيغة فعال للتكثير و
عبارة كثيرون فهو يفيد نفى الظلم عن كل احد فيستلزم كون القليل منه انفى
اذ لا نفع فيه للغنى بالذات وفيه اعلام للناس بانه عادل يثيب المحسن ولا يعاقب
سوى المسيئ قوله الذين قالوا مرفوع او منصوب على الذم نزل حين قالت
رؤساء اليهود جوابا لقوله تعالى فامنوا بالله ورسله اى هم الذين قالوا ان
الله عهد الينا اى اوصانا وامرنا فى التورية الا نؤمن لرسول اى لا نصدقه حتى
يأتينا بقربان اى يشرع لنا تقريب قربان تأكله النار اى ان قبل تجئ النار
من السماء فتاكل القربان كما كانت هذه الاية لانبياء بنى اسرائيل فان
جئتنا بها صدقناك فقال تعالى قل يا محمد توبيخا لهم قد جاءكم رسل من قبلى
كيحيى وزكريا وشعيا بالبينات اى بالايات الواضحة وبالذى قلتم اى جاءكم

بالقربان الذي قلتم بوضعه فقتلتموهم **فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** في
قولكم ذلك ثم سلى نبيه عليه السلام ليصبر على اذاهم بالتكذيب بقوله
فَإِنْ كَذَّبُوكَ بما تقول لهم **فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاؤُا** اى الرسل
بِالْبَيِّنَاتِ اى بالحجج الواضحة **وَالزُّبُرِ** بغير باء الجر وقرء بها اى بالصحف
جمع زبور كرسل جمع رسول **وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ** بالباء وبغيرها اى الواضح
بالحلال والحرام كالتورية والانجيل ثم خوفهم بقوله **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**
اى هي تخرج وتنفك من البدن بادنى شئ من الموت فكنى بالذوق
عن القلة يعني كلكم تموتون ولا تبقون في الدنيا ولا توفون اجور
اعمالكم من الطاعة والمعصية عقيب الموت **وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ**
الْقِيَامَةِ اى يوم قيامكم من القبور **فَمَنْ زُحْزِحَ** اى بعد **عَنِ النَّارِ**
بالايمان **وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ** اى ظفر بالنجاة قيل من احب ان يزحزح
عن النار فليأت الى الناس بما يحب ان يؤتى اليه ثم زهدهم عن
الدنيا ورغبهم في الآخرة بقوله **وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** اى
الباطل او الشيطان قيل هذا لمن آثرها على الآخرة واما من طلب
بها الآخرة فهي متاع البلاغ قال عليه السلام لموضع سوط في الجنة
خير من الدنيا وما فيها قيل مثل الدنيا كمثل الزجاج الذي يسرع الكسر
اليه ولا يصلحه الجبر قيل كزاد المسافر يسرع الفناء ولا يدوم ثم اخبر

المسلمين

151

المسلمين بانهم سيلقون شدة في الدنيا واذى من الكفار وادمى بالصبر
عليها لان فيه خيرا لهم بقوله مؤكدا باللام والنون في جواب القسم المحذوف
لَتُبْلَوُنَّ اى لتختبرن **فِي أَمْوَالِكُمْ** بالنقص والذهاب بحوادث **وَأَنْفُسِكُمْ** بالموت
والقتل والامراض والاوجاع ومفارقة الاهل والاحباب **وَلَتَسْمَعُنَّ**
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ اى من اليهود والنصارى بقولهم
ان الله فقير ونحن اغنياء **وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا** من العرب **أَذًى**
كَثِيرًا اى طعنا في دينكم وسبا لكم ولنبيكم **وَإِنْ تَصْبِرُوا** على الشدة و
الاذى **وَتَتَّقُوا** المكافاة والمعاصي **فَإِنَّ ذَٰلِكَ** اى الصبر والتقوى
مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ اى من معزوماتها التي تجب عليكم فعلها وتحملها بالعزم
عليها فانها من اخلاق الانبياء والاولياء **وَإِذْ أَخَذَ** اى اذكر حين
اخذ **اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** بالوحي في كتب انبيائهم **لَتُبَيِّنُنَّهُ**
اى لتظهرن الكتاب او علمه بالبيان **لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ** بالياء غيبة
فيهما حملا على الذين اى ولا يسترونه عند احتياجهم اليه وبالتاء خطابا
فيهما بتقدير القول اى قلنا لهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه **فَنَبَذُوهُ**
اى طرحوا الميثاق **وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ** اى خلفهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه
وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا اى عرضا يسيرا من حطام الدنيا وذلك بكتمان
نعت النبي عليه السلام وبعض احكام الله **فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** اى بئس ما

يختارون الدنيا على الاخرة لانفسهم قيل مرويا عن النبي عليه السلام
من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من النار قال ابن
كعب لا يحل لاحد من العلماء بان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان
يسكت على جهله حتى يسئل قوله لاتحسبن بالتاء خطاب للنبي عليه السلام
ومفعوله الاول الذين يفرحون والثاني محذوف اي ناجين من العذاب بدلالة
قوله بمفازة بعد وبالياء غيبة والفاعل الموصول ومفعولاه محذوفان اي لا
يظن الفارحون بما اتوا اي بما فعلوا فرحهم منجيا لهم من العذاب وهو نزل
حين قعد المنافقون من الغزو بالتخلف عن النبي عليه السلام ثم اعتذروا
اليه عند عوده الى المدينة من الجهاد بانهم راوا المصلحة في التخلف وطلبوا ان
يحمدوا له وقيل نزل حين سئل النبي عليه السلام اليهود عن شيء فكتموا الحق
عنه عليه السلام واخبروه بخلافه وطلبوا ان يحمدهم النبي بما قالوا له في الجواب
وفرحوا بما فعلوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فانهم يقولون نحن على دين
ابراهيم وعمله ولم يكونوا كذلك فلا تحسبنهم بالتاء خطابا للنبي عليه السلام
اي لاتحسبن الفارحين بمفازة اي بنجاة من العذاب وبالياء غيبة وضم الباء
للجمع والفاعل ضمير الفارحين فيه والضمير المنصوب المفعول الاول والثاني
بمفازة اي لا يحسبن انفسهم فائزين ولهم عذاب اليم اي لازم بهم لاينفكون
عنه ابدا ولله ملك السموات والارض اي هو يملك امر اهلهما فيأخذهم

بالعذاب

بالعذاب متى شاء والله على كل شيء قدير يقدر على الثواب والعقاب
قوله ان في خلق السموات والارض نزل حين سئل اهل مكة رسول الله عليه
السلام ان يأتيهم بعلامة لصحة دعواه لانه يدعوهم الى عبادة الله وحده و
ترك عبادة الاصنام فقال تعالى ان في خلق هذه الاجرام العظيمة مع ما
فيهما من الشمس والقمر والنجوم ومن الجبال والبحار والاشجار واختلاف
الليل والنهار بذهاب احدهما ومجيء الاخر لايات اي لدلالات واضحات
على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب اي لذوي العقول
الخالصة الناظرين اليها بنظر الاستدلال والاعتبار لا للغافلين عنها
اليها كالبهايم بمجرد فتح الابصار عن علي رضي الله عنه ان النبي عليه السلام
كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق
السموات والارض الاية روي بانه قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها
قوله الذين يذكرون الله خبر مبتداء محذوف اي هم الذين يذكرون الله
باللسان والقلب قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي قايمين وقاعدين ومضطجعين
يعني يذكرون الله في كل الاحوال من حال القيام والقعود والاضطجاع
لان الانسان يكون في هذه الاحوال غالبا قال عليه السلام من احب
ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله برئ من النفاق وقيل يصلون في
هذه الاحوال على حسب استطاعتهم لقوله عليه السلام لعمر بن الحصين

صلّ قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تؤمى ايماء وهذا
حجة للشافعى على اضجاع المريض على جنبه كما فى اللحد وعند ابى حنيفة يستلقى على
ظهره فاذا وجد خفة قعد قوله ويتفكرون عطف على يذكرون اى يعتبرون
فى خلق السموات والارض وما فيهما من العجايب الدالة على القدرة
العظيمة قيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية وقال عليه السلام
تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق وقال ايضا تفكر ساعة خير من
عبادة سنة قوله ربنا مقول قول مقدر فى موضع الحال وهو يقولون
وتقديره يتفكرون قائلين ربنا ما خلقت هذا اى الخلق بمعنى المخلوق
باطلا اى عبثا بغير حكمة ولكن خلقته لامر هو كاين سبحانك اى تنزيها لك
من ان يكون خلقك باطلا فقنا اى اذا نزهناك وصدقنا رسولك بان
لك جنة ونارا فاحفظنا بتوفيق طاعتك عذاب النار اى منه ربنا انك
من تدخل النار بخذلان معصيتك فقد اخزيته اى افضحته واهنته وما
للظالمين انفسهم بالشرك والمعصية من انصار اى موانع يمنعهم من عذاب
النار النازل بهم ويقولون ايضا ربنا اننا سمعنا مناديا اى محمدا او القرآن
ينادى للايمان وذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيم لشان المنادى
اى يدعوا الناس الى التصديق ان آمنوا اى بان صدقوا بربكم فآمنا ربنا
فاغفر لنا ذنوبنا من الكباير وكفر اى امح عنا سيئاتنا من الصغاير وتوفنا

اى اقبض ارواحنا مع الابرار اى مع ارواح الصالحين ويقولون ايضا
ربنا وآتنا اى اعطنا ما وعدتنا من الفضل والرحمة على رسلك اى
على السنتهم ولا تخزنا اى لا تخذلنا يوم القيمة اى على رؤس الخلايق
انك لا تخلف الميعاد اى الموعود من الخير والثواب للمؤمنين وانما دعوا
الله بانجاز ما وعده ولا يخلف وعده لانه قد يخلفه تخلف اسباب الانجاز
فمعنى دعائهم طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسبابه وتكرير ربنا لاجل المبالغة
فى التضرع الموجب للاجابة قيل مرويا عن الصادق من حزبه امر فقال ربنا
خمس مرات انجاه مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الايات ثم اخبر عن
اجابة دعائهم هذا بقوله فاستجاب لهم اى اجاب ربهم دعائهم وانجز لهم وعدهم
انى اى بانى لا اضيع اى لا اهمل عمل عامل منكم من ذكر او انثى فى طاعتى
قوله بعضكم من بعض فى النصرة والموالاة وذلك بالثواب وقيل المراد
منه وصلة الاسلام اى يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من
اصل الاخر لا من غيره جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما
وعد الله عباده العاملين والاية نزلت حين قالت ام سليم يا نبى الله
ما بال الرجال ذكروا ولم يذكر النساء وقد آمنت به النساء كما آمن به الرجال
ثم قال تعالى فالذين هاجروا من مكة مبتداء واخرجوا من ديارهم اى
مؤمنوا اهل مكة واوذوا فى سبيلى اى عذبوا فى طاعتى وقاتلوا اى غزوا

مع رسول الله على المشركين وقتلوا بالتخفيف والتشديد مجهولا اى قتلهم المشركون
فى طاعة الله وقرئ وقتلوا مجهولا مخففا وقاتلوا والخبر لاكفرن عنهم سيئاتهم اى
ذنوبهم كلها ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا مصدر للتاكيد من
غير لفظ الفعل لان فى معنى التكفير اثابة اى لاثيبنهم ثوابا من عند الله ثم اكدا
اختصاص الثواب به دون غيره بتقديم عنده قوله والله عنده حسن الثواب
اى حسن الجزاء وهو نعيم الجنة الباقى لاكنعيم الدنيا الفانى قوله لايغرنك نزل
خطابا للنبى عليه السلام والمراد غيره حين قال بعض المسلمين يا رسول الله
نحن فى شدة الفقر والجوع واعداء الله فى الرخاء والخير بالتجارة والكسب
اى لايخدعنك تقلب الذين كفروا فى البلاد بالتجارات ووجوه المكاسب
فان تقلبهم بها متاع قليل اى منفعة يسيرة تفنى بادنى مدة ثم ماويهم اى
مستقرهم ومصيرهم جهنم وبئس المهاد اى موضع القرار هى فلا تنفعهم اموالهم
وتجاراتهم ثم اخبر عن ماوى المؤمنين وما اعد لهم فى الاخرة من الثواب والكرامة
بقوله لكن الذين اتقوا عن الشرك والمعصية ربهم لهم جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها اى لايموتون ولايخرجون عنها نزلا من عند الله اى
جزاء وثوابا مصدر مؤكد لقوله لهم جنات بمعنى اثابهم بها ثوابا او نصب على
الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل الظرف وهو ما يعد للنازل
وما عند الله اى الذى هو الكثير الدايم من عند فى الجنة خير للابرار اى

للصالحين المتقين من المتاع القليل الزايل للفجار فى الدنيا ثم اخبر عن حال
مؤمنى اهل الكتاب فى الاخرة كعبد الله بن سلام واصحابه تعريضا لمن لم
يؤمن منهم بقوله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله ودخل لام الابتداء
على اسم ان للفصل الظرف بينهما اى ان منهم لمن يصدق بوحدانيته
الله وما انزل اليكم اى بالقرآن وما انزل اليهم اى بالتورية والانجيل
النازلين على انبيائهم خاشعين لله اى متواضعين له من خوف عذابه
ورجاء ثوابه وهو حال من فاعل يؤمن لان من فى معنى الجمع لايشترون
بايات الله المكتوبة فى التورية والانجيل من نعت النبى عليه السلام ثمنا قليلا
اى عرضا يسيرا من حطام الدنيا كفعل كبار اليهود اولئك اى اهل هذه
الصفة لهم اجرهم عند ربهم وهو الثواب الدايم الموعود لهم بقوله يؤته
كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب يوم القيمة لايحتاج الى وعى صدر
وكتب يد لنفوذ علمه فى كل شيئ يعلم بما يستوجبه كل عامل من الاجر
او المعنى ان الموعود لهم قريب يصل اليهم بلا خلف ثم اكد الصبر على امتثال
الاوامر واجتناب النواهى ومقاسات الاعداء والثبات على التقوى
لنيل الفلاح بقوله يا ايها الذين امنوا اصبروا على طاعة الله والاجتناب
عن معصيته فلاتتركوا الصبر لشدة ولا رخاء قيل ان الشيطان يتعوذ من الصابرين
كما يتعوذ المؤمن من الشيطان والصبر حبس النفس مع الله بنفى الجزع و

سورة النساء

صابروا اى غالبوا على عدوكم بالصبر فلا تكونوا اقل منهم صبرا وثباتا قيل خير
الدنيا والاخرة فى صبر ساعة ورابطوا اى اقيموا فى الثغور رابطين خيولكم مستعدين
للغزو ترهبون به عدوكم قال عليه السلام رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا
وما عليها واتقوا الله فى جميع اموركم لعلكم تفلحون اى تنجون من عذاب
النار وتبلغون مقاعد اهل الصدق فانها محال الفلاح قال عليه السلام
من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله قيل زاد العقل هو التقوى
يعنى زاد اهل العقل الى الاخرة اتقاء القبايح فمن لم يتق القبايح فليس من
العقلاء سورة النساء مدنية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا
اى اعبدوا بالتقوى عن الشرك والمعصية او خافوا ربكم الذى خلقكم اى
فرعكم من نفس واحدة اى من اصل واحد كانه قال من نفس واحدة انشأها
من تراب وخلق منها اى من تلك النفس زوجها حواء لانه خلقها من
ضلعه الايسر وقيل عطف على خلقكم والخطاب للناس المبعوث اليهم رسول
الله والمعنى خلقكم من نفس آدم ابيكم وخلق منها امكم حواء قيل لما خلق آدم
واسكنه الجنة القى عليه النوم فخلقها منه بين النوم واليقظة وسميت حواء لانها
خلقت من حى وبث اى نشر منهما اى من آدم وحواء رجالا كثيرا ولم يؤنث
الوصف لان الرجال بمعنى العدد ونساء ولم يقل كثيرة اكتفاء بذكر كثرة
الرجال لانهم فى مقابلتهن قيل خلق الله منهما الف ذرية من الناس وانما

وصف

وصف لهم بذلك الوصف بعد الامر بالتقوى لكونه مما يدل على قدرة العظيمة ومن
كان قادرا عليه كان قادرا على تعذيبهم فحقه ان يتقوه ويتعبدوه ولا يشركوا به
شيئا ثم امر بتقواه ثانيا تصريحا باسمه عطفا على الاول ليحافظوا عليه
ولا يغفلوا عنه فقال واتقوا الله الذى تساءلون به بالتشديد والتخفيف اى
تقسمون بالله فى حاجاتكم والارحام بالجر اى وبالارحام كقول بعضكم بعضا
اسألك بالله وبالارحام على سبيل الاستعطاف واجاز الكوفى العطف
على الضمير المجرور بلا اعادة الجار ومنعه البصرى لانه كالعطف على بعض الكلمة
لشدة الاتصال بينه وبين الجار واوله بتقدير حرف الجر المحذوف من المجرور
والواو للقسم من الله وجوابه ما بعده وقرئ بالنصب على انه مفعول معطوف
على الله اى اتقوا الله واتقوا الارحام ان تقطعوها روى عن النبى عليه
السلام انه قال ان الله لما خلق الرحم قال لها اصل من وصلك واقطع
من قطعك او على محل الجار والمجرور كمررت بزيد وعمرا قوله ان الله كان
عليكم رقيبا جواب القسم على قراءة الجر فى الارحام ولم يعطف على
ما قبله والمعنى انه قال اقسم بالارحام بعد ما امر بالتقوى ان الله كان عالما
باسراركم اى حفيظا لاعمالكم ناظرا اليها يسألكم عنها ويجازيكم
بها قال عليه السلام ما من عمل حسنة اسرع ثوابا من صلة الرحم
وما من عمل سيئة اسرع عقوبة من البغى وبعد الامر بالتقوى امر

بالعدل وتسليم الحقوق الى اهلها كما يجب فى الشرع بقوله **وَاٰتُوا** اى اعطوا
الْيَتَامٰى وهم الذين مات اباؤهم وانفردوا عنهم واليتم الانفراد واليتيم فعيل
قياسه ان يجمع على يتمى كمريض على مرضى ثم يجمع على يتامى وحقه ان يقع على الصغير
والكبير بمعنى الانفراد فيهما الا انه غلب استعماله فى الصغير لاستغناء الكبير
بنفسه عن الكافل فكانه خرج عن معنى اليتم لقوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم
وهو تعليم شريعة لا لغة يعنى سلموا الى اليتامى **اَمْوَالَهُمْ** وقت استحقاقهم
تسليمها اليهم فالمراد منهم الكبار تسميتهم يتامى على القياس واشارة الى ان لا
يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ثم قال **وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ** اى لا تقبلوا
المال الحرام **بِالطَّيِّبِ** اى بدل الحلال والمراد منه ان يعطوا من اموالهم رديا
وهو حلال لهم ويأخذ واجيدا من اموال اليتامى وهو خبيث فى حقهم ثم قال
تاكيدا لذلك **وَلَا تَاْكُلُوا اَمْوَالَهُمْ اِلٰى اَمْوَالِكُمْ** وهو موضع الحال اى مضمومة
الى اموالكم فى الانفاق لقلة المبالاة بما لا يحل لكم والنهى وارد على فعلهم العادى
اذ كان الاكل بعد ضمها الى الحلال اقبح فنهوا عن ذلك **اِنَّهُ** اى ان ذلك الاكل
كَانَ حُوبًا كَبِيرًا اى اثما عظيما عند الله فاجتنبوه روى ان الاية نزلت فى
رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال
فمنعه عمه فترافعا الى رسول الله فقرأ عليه فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا
الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفعه اليه فلما قبض اليتيم ماله انفقه فى

سبيل الله

سبيل الله فقال عليه السلام ثبت الاجر وبقى الوزر فقالوا يا رسول الله
كيف بقى الوزر وقد انفق فى سبيل الله فقال عليه السلام ثبت الاجر
للغلام وبقى الوزر على والده قوله **وَاِنْ خِفْتُمْ اَلَّا تُقْسِطُوا** نزل حين تحرجوا من
ولاية اليتامى مخافة ان لا يعدلوا بسبب نزول الاية السابقة وكان منهم
من تحته العشر من الازواج والثمانى او الست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن
فقال ان لا تعدلوا فى اموال **الْيَتَامٰى** من اقسط اذا عدل وهو من قسط اذا جار
والهمزة للسلب **فَانْكِحُوا** اى تزوجوا **مَا طَابَ** اى من حل **لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ** فما بمعنى
من ومن للتبعيض يعنى فكما خفتم ترك العدل فى حقوق اليتامى فخافوا ايضا
ترك العدل بين النساء فقللوا عددهن ثم بين المباح من النساء فقال
مَثْنٰى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فى محل النصب على الحال من النساء او بدل من ما
والواو للتخيير وليس للعطف الجامع فى زمان واحد والا لجاز الجمع بين تسع نسوة
وليس بجايز وان اجازه بعض الروافض بظاهر الاية لان التسع من خصايص
النبى عليه السلام ولانه عليه السلام نهى عن تزويج اكثر من اربع والا لجاز
له ان يتزوج بما شاء لانه لا يقتضى حصرهن فى هذا العدد كما قيل فى نحو قولهم
جاء القوم مثنى وثلاث ورباع فانهم جوزوا ان يكون القوم جائين فى
غاية الكثرة فالمعنى فى الاية تزوجوا ان شئتم مثنى وان شئتم ثلاث وان
شئتم رباع اذا عدلتم بينهن فى القسم والخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب

خفتم وعلمتم

كل واحد من الناكحين ما اراد من العدد وانما جاء العطف بالواو دون
او ليدل على تجويز الجمع بين انواع القسمة الذى دلت عليه الواو فان خفتم الا
تعدلوا فيهن فى النفقة والقسم فواحدة اى فاختاروا واحدة منهن او ما
ملكت ايمانكم اى اختاروهن ما ملكتم بالشراء وغيره من السرارى لانها
اخف مؤنة من الحراير فلا عليكم اكثرتم منهن او اقللتم عدلتم بينهن فى القسم او
لم تعدلوا عزلتم عنهن او لم تعزلوا ذلك اى اختيار الواحدة او السرارى ادنى
اى اقرب من الا تعولوا اى لا تجوروا ولا تميلوا فى النفقة والقسم بينهن من
عال الحاكم اذا جار او من عال الميزان اذا مال واتوا النساء اى اعطوهن
صدقاتهن اى مهورهن نحلة اى اعطاء وهبة عن طيب نفس وهى مصدر او
حال عن المخاطبين بمعنى ناحلين او من الصدقات بمعنى منحولة وهذا امر
للازواج ان يعطوا مهور نسائهم لهن قال عليه السلام حق الشروط ان توفوا
بما استحللتم به الفروج او امر للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم ولا
يعطونهن شيئا ثم كان بعض الناس يتأثمون ان يأخذوا مما اعطوا من
نسائهم شيئا فنزل فان طبن اى ان وهبن لكم عن شىء منه اى من المال
الذى هو الصدقة نفسا بان لا يطلبن ما وهبن لكم بعد الهبة فكلوه هنيئا اى
طيبا مريئا اى سايغا لا منغصة ونصبهما صفة مصدر محذوف اى اكلا
هنيئا مريئا او حال من مفعول كلوه والمراد منه المبالغة فى الايجابة من

غير تعبة

157

غير تعبة وفى الاية دليل على وجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب
النفس ولذا قيل يجوز الرجوع بما وهبن ان خدعن من الازواج قوله ولا
تؤتوا السفهاء خطاب للاولياء فى اموال اليتامى اى لا تعطوا المبذرين
من الرجال والنساء والصبيان اموالكم التى جعل اى قدر الله لكم
قياما او قيما كلاهما مصدر قام يعنى جعلها الله لكم سبب قيامكم تقومون
بها فى منافعكم وتتعيشون ولو ضيعتموها الضعتم من حيث الاحتياج لانعدام سبب
معايشكم فكانت الاموال فى نفسها قيامكم ومعاشكم ولذلك قال السلف المال
صلاح المؤمن اى من الفقر الذى يهلك دينه وقيل اكتسبوا المال فانكم
فى زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما يأكل دينه فاحفظوا اموالكم من
السفهاء وارزقوهم اى اجعلوا لهم فيها رزقا ويجوز ان يكون فى بمعنى من
واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا اى وعدا جميلا اذا طلبوا منكم النفقة بان
يقول الولى او الوصى سافعل ذلك او ان ربحت او غنمت اعطيتك وقيل
معناه لا يجعل الرجل ماله فى يدى امرأته واولاده ثم يجعل نفسه محتاجا اليهم
وهو خلاف الظاهر وابتلوا اليتامى اى جربوا عقولهم بان يعطى اليتيم من
المال ما يتصرف فيه قبل البلوغ حتى يستبين حاله فيما يجئ منه وهو معنى الابتلا
عند ابى حنيفة رحمه الله حتى اذا بلغوا النكاح اى صاروا اهلا ان ينكحوا جواب
اذا فان انستم اى ابصرتم منهم رشدا اى هداية الى مصالحهم والى وجوه التصرف

وعند الشافعی الابتلاء ان یتبع احواله وتصرفه فی الاخذ والاعطاء ویتبصر میله
الی الصلاح فی الدین لان الفسق مفسدة للمال فادفعوا ای سلموا الیهم اموالهم
التی معکم عند البلوغ وهو جواب ان الشرطیة قیل ان لم یونس رشده بعد البلوغ
فعند ابی حنیفة ینتظر الی خمس وعشرین سنة وعند غیره لایدفع الیه ابدا وتنکیر
الرشد یدل علی نوع من الرشد ومخیلة من مخایله حتی لاینتظر منه تمام الرشد ثم نهی
الاوصیاء عن اکل مال الیتامی بقوله ولا تاکلوها ای اموالهم اسرافا ای بغیر حق
وبدارا ای اسراعا کلاهما مفعول له ای لاسرافکم ومبادرتکم فی اکله ویجوز ان
یکونا حالین ای مسرفین ومبادرین ان یکبروا ای مخافة ان یبلغوا ویتجاوزوا
عن حد الصغر فیاخذوا اموالهم منکم ثم بین حال الاوصیاء بقوله ومن کان غنیا
من الاوصیاء فلیستعفف ای لیطلب العفة من نفسه یعنی لیمتنع عن اکلها اعتناء
بماله ویقنع به ولا یطمع فی مال الیتیم اشفاقا علیه وابقاء علی ماله ومن
کان فقیرا منهم فلیاکل بالمعروف ای بما عرف فی الشرع وهو یدل علی ان
الموصی حقا فیها لقیامه علیها فیاکل منها علی قدر قیامه علیها بمنزلة الاجر منه و
قیل یاکل علی وجه القرض فیرد علیه اذا اکبر فاذا دفعتم الیهم اموالهم عند بلوغهم
فاشهدوا عند دفعها الیهم علیهم بانهم تسلموها بالقبض منکم وبرئت عنها ذممکم
لیزول التهمة منکم وکفی بالله ای اکتفی الله حسیبا ای کافیا فی الشهادة علیکم
فی الدفع والقبض او محاسبا فعلیکم بالتصادق وایاکم والتکاذب قیل اذا لم

لم یشهد

لم یشهد فادعی علیه صدق مع الیمین عند ابی حنیفة ولا یصدق الا بالبینة عند
الشافعی والمالک فالاشهاد عندهما لرفع الضمان لا للدفع توجه الیمین لزوال
التهمة قوله للرجال ای لذکور اولاد المیت نصیب ای حظ مما ترک الوالدان
والاقربون من ذوی القرابة للمیت وللنساء ای لجماعة الاناث التی ورثن
منهن نصیب مما ترک الوالدان والاقربون مما قل ای من المال الذی
ترکوه قل ذلک المال او کثر نصیبا مفروضا ای حظا مقطوعا یجب تسلیمه
الیهم ونصبه حال من ضمیر قل او کثر نزل حین مات اوس بن ثابت الانصاری
وترک ثلث بنات وامرأة اسمها کحة فقام ابن عمه واخذ ماله کله بالتوارث
لانهم کانوا فی الجاهلیة لا یورثون النساء وانما یورثون الرجال فجائت المرأة
الی النبی علیه السلام فذکرت له القصة فحکم بها ان للرجال نصیبا وللنساء
نصیبا من الترکة مجملا ثم بین مقدار نصیب کل واحد من الرجال والنساء
باٰیة الوصیة قوله واذا حضر القسمة ای قسمة المیراث اولی القربی للمیت ممن
لا یورث منه والیتامی والمساکین فارزقوهم منه ای اعطوهم من المال
الذی ترکه المیت قبل القسمة نزل حثا علی اعطاء ذلک علی سبیل الندب
کما کان المؤمنون یفعلونه قبل نزول الایة یعنی اذا اجتمعت الورثة وهولاء
فلیرضخ الولی لهم بشیء من المال قبل ان یقسمه الورثة ولیس بفرض والا لکان
له حد ومقدار کما لغیره من الحقوق وقولوا لهم قولا معروفا ای وعدا حسنا

لوكان الورثة صغارا معتذرين اليهم بان يقول الولى لهم لوكان لى لاعطيتكم
منه واذا ادرك الصغار امرتهم حتى يعطوكم شيئا ويعرفوا حقكم واذا كانوا كبارا
اعطوهم بانفسهم ما شاؤا منه ثم خص الاولياء على الاشفاق بالايتام بقوله
وليخش اى وليخف على ذرية الميت الضياع بالفقر والاحتياج الى الناس
الاولياء الذين حالهم انهم لو تركوا من خلفهم اى بعد موتهم ذرية ضعافا
اى اولادا صغارا خافوا عليهم الفقر والتكفف فليقدروا ذلك وليصوروه
حتى لا تجتروا على خلاف الشفقة على اليتامى الذين فى حجورهم ويخافوا عليهم
خوفهم على ذريتهم فليتقوا الله فى امرهم من حضر الموت بتفريق ماله وتضييع
رضاه بان يقال اوص بكذا وكذا وتصدق مالك فان الله رزاق اولادك
حتى يوصى بعامة ماله وليقولوا قولا سديدا اى صوابا وهو ان يامروه
بالتصدق بدون الثلث وترك الباقى لاولاده فيفعل الولى بالميت لو (كما يجب ان يفعل به)
كان هو الميت وقيل المراد منهم الذين يجلسون الى المريض فيقولون له قدم
مالك واوص بكذا وكذا وان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فامروا
بان يخشوا ربهم ويخشوا على اولاد المريض كما يخشون على اولادهم ويشفقوا عليهم
شفقتهم على اولادهم لو كانوا ونزل فى شأن آكلى مال اليتيم بغير حق قوله
ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اى ظالمين او على وجه الظلم من اولياء
السوء وقضائه انما يأكلون فى بطونهم من قولهم اكل فى بطنه او فى بعض بطنه

ان املاءه

ان املاءه اى يأكلون ملاء بطونهم نارا الا انهم يأكلون ما يجرهم الى النار
فكانه نار فى الحقيقة او يصير ذلك نارا يوم القيمة روى انه يبعث اكل مال اليتيم
يوم القيمة والدخان يخرج من قبره وانفه وفيه واذنيه وعينيه فيعرف الناس
انه اكل مال اليتيم فى الدنيا وسيصلون مجهولا ومعلوما اى سيدخلون يوم
البعث سعيرا اى نارا مسعرة وقيل مبهمة الوصف من النيران يوصيكم
الله اى يامركم فى اولادكم اى فى شأنهم من الذكور والاناث بما هو الاصلح عنده
وهذا اجمال فى قسمة المواريث وتفصيله قوله للذكر مثل حظ الانثيين اذا
اجتمع مع الاناث كما اذا مات الرجل او المرأة وترك اولادا ذكورا واناثا فلكل
ابن سهمان ولكل بنت سهم وان لم يجتمع معهن فالذكر عصبة منفردا يحرز جميع المال
والواحدة منهن النصف منفردا وانما جعله مثلى حظ الانثى لان من تزوج البنت
قام بها وانما قدم الذكر على الانثى ولم يقل للانثى مثل حظ الذكر تفضيلا له على
الانثى لان فى القول الاول قصدا الى بيان فضل الذكر وفى الثانى قصدا الا
بيان نقص الانثى وما فيه قصد الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد
الى بيان نقص غيره منه قيل لما دل هذا الحكم على ان حكم الانثيين حكم الذكر
وهو الثلثان قال فان كن نساء فوق اثنتين اى ان كانت المتروكات من
الميت جماعة فلهن ثلثا ما ترك الميت وان لم يجر له ذكر لانه تقدم معنى كما اذا
ترك الميت بنات ولم يترك ابنا فللبنات ثلثا الميراث اذا كن اكثر من

اثنتين لا يتجاوزون لذلك لكثرتهن فحكم الجماعة حكم الواجب للبنتين من غير تفاوت
وان كانت واحدة بالنصب اى ان كانت متروكة الميت بنتا واحدة لا قرينة لها
من ابيها الميت فلها النصف من الميراث والباقى للعصبة وقرئ بالرفع على ان
كان تامة والواو فى قوله ولابويه للاستيناف وقوله لكل واحد منهما بدل بتكرير
العامل من لابويه والسدس مبتدا خبره لابويه وفيه اجمال وتفصيل
للتأكيد وتوسط البدل بينهما لاجل البيان لانه لو لم يكن البدل لتوهم اشتراكهما
فى السدس لكن لكل واحد من ابويه السدس مما ترك ان كان له ولد ذكرا او
انثى او ولد الابن كذلك فيكون الاب صاحب فرض ان كان الولد ذكرا او صاحب
فرض وتعصيب ان كان انثى فان لم يكن له ولد اى للميت وورثه ابواه دون
غيرهما فلامه الثلث بضم الهمزة على الاصل وكسرها اتباعا اى الثلث لها من
جميع الميراث فتعين الثلثان للاب والثلث للام مما ترك الا ان يكون مع
الابوين زوج او زوجة فللام ثلث ما يبقى من التركة بعد فرض احد الزوجين
دون ثلث الكل لان الزوج انما استحق الفرض بحق العقد لا بالقرابة فاشبه
الوصية فى قسمة ما وراء فرضه ولانها لو فرض لها ثلث الكل لادى الى حط نصيب
الاب عن نصيبها وهو اقوى فى الارث من الام فان كان له اخوة اى ان كان
للميت اخوة اى اثنان فصاعدا لاتفاق الصحابة على اطلاق اسم الاخوة على
اثنين فصاعدا فلامه السدس الا ان ابن عباس قال لا يحجب الام من الثلث

الى السدس الا بثلاثة اخوة واتفقوا ان الذكور والاناث فيه سواء فيأخذ الام
السدس والباقى للاب قوله من بعد وصية يتعلق بما سبق من قسمة
المواريث كلها الا بما يليه وحده كانه قال قسمة هذه الانصباء من بعد وصية
يوصى بها الميت قرئ مجهولا ومعلوما مخففا او دين اى او بعد قضاء دين
واو فيه للاباحة لا للترتيب لانها وضعت لاحد الامرين ولا ترتيب فى الواحد
نحو اودع زيدا او عمرا والدين مقدم على الوصية والميراث بالاجماع وانما
قدمت الوصية على الدين ههنا لفظا ليدل على وجوب المسارعة الى اخراجها
لان الوصية كالميراث فى الاخذ بغير عوض فيثقل اخراجها على الورثة بخلاف
الدين فانه ليس كالميراث لانه اخذ بعوض مقدم فيسهل اخراجه عليهم قوله
اباؤكم وابناؤكم لا تدرون فيه حث على قضاء الدين وتنفيذ الوصية اى
اباؤكم وابناؤكم الذين تموتون وترثون اموالهم لا تعرفون ايهم اقرب لكم
نفعا تمييز والجملة فى محل النصب بتدرون اى انتم لا تعلمون ايهم من الاب
والابن انفع لكم امن اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة بامضاء وصيته
ام من لم يوصى وترك الوصية ليكثر عليكم عرض الدنيا والله عالم ايهم انفع
لكم فجعل ثواب الاخرة اقرب واحضر لكم بامضاء وصية الموصى من عرض الدنيا الذى
لم يوصيه لاجل نفعكم ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا
قريبا فى الصورة الا انه فان لا بقاء له فيكون البعد فى الحقيقة وثواب الاخرة

وان كان اجلا الا انه باق لا زوال له فيكون اقرب فى الحقيقة فلذلك
شرع الوصية واوجب اخراجها بالسرعة قبل قسمة التركة والجملة من اباؤكم
الى قوله نفعا جملة اعتراضية مؤكدة للوصية واخراجها لا محل لها من الاعراب
قوله فريضة من الله نصب على المصدر للتاكيد اى فرض الله الميراث وقسمه
لا يجوز تغييرها ان الله كان فى الازل عليما بمصالح خلقه حكيما فى كل ما فرض
وقسم من المواريث لاهلها وهو الان ما كان عليه ولكم نصف ما ترك ازواجكم
اذا متن وبقيتم بعدهن ان لم يكن لهن ولد منكم او من غيركم ذكرا وانثى او
ولد ابن فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اى تركت ازواجكم من بعد
وصية يوصين بها او دين او من بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصية ولهن الربع
مما تركتم اى متم وبقيت ازواجكم بعدكم ان لم يكن لكم ولد ذكرا او انثى منهن
او من غيرهن او ولد ابن فان كان لكم ولد او ولد ابن فلهن الثمن مما تركتم
من بعد وصية توصون بها او دين اى بعد اخراج الوصية وقضاء الدين
يعنى الحكم فى طايفة الزوجات ان الزوج ان كان له زوجة واحدة او
اكثر فلها الربع بغير الولد من الزوج والثمن مع الولد منه وان كانت اكثر الى
الاربع شاركن فى الربع والثمن هذا كله اذا لم يكن مانع من الموانع الاربعة كقتل
واختلاف دين ورق واختلاف دار وان كان رجل اى ذكر ميت يورث
اى يورث منه رجل كلالة اى من لا ولد له ولا والد وخبر كان وهى فى الاصل

مصدر

مصدر من الكلال وهو الاعياء فى التكلم ونقصان القوة فيه فاستعيرت
للقرابة من غير جهة الولد والوالد لضعفها بالنسبة الى القرابة من جهتهما او
امراة اى ان كان الميت الانثى التى يورث منها كلالة وله اى وللميت
المورث منه سواء كان رجلا او امراة اخ او اخت كلاهما من الام بالاجماع
لان حكم غيرهما سيبين فى آخر السورة فلكل واحد منهما اى من الاخ و
الاخت من الام السدس من غير مفاضلة الذكر على الانثى عند وجود احدهما
فان كانوا اى اولاد الام اكثر فى الوجود من ذلك اى من واحد فهم شركاء فى
الثلث بالتسوية اى لا يزيد نصيب ذكرهم على اناثهم من بعد وصية
يوصى بها او دين قوله غير مضار نصب على الحال من ضمير يوصى اى يوصى
الميت حال كونه غير مدخل الضرار على الورثة بان يوصى اكثر من الثلث او
بقطع الميراث عنهم قوله وصية من الله مصدر مؤكد لقوله يوصيكم اى يوصيكم
الله وصية لا يجوز تغييرها كما قال عليه السلام من قطع ميراثا فرضه الله قطع
الله ميراثه من الجنة وقيل الضرار ان يوصى بدين ليس عليه ومعناه الاقرار
ثم قال تهديدا والله عليم بمن جار او عدل فى امر الميراث او الوصية
حليم اى ذو حلم عن الجاير لا يعاجله بالعقوبة تلك اى الفروض المذكورة
حدود الله قد بينها الكم لتعملوا بها وسماها حدودا لان الشرايع كالحدود
المضروبة للمكلفين لا يجوز ان يتجاوزوا عنها الى ما ليس لهم فيه حق ومن يطع

الله ورسوله في الاقرار بها ويعمل كما امره الله بها يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك اي هذا الثواب الفوز العظيم
اي النجاة الوافرة يوم القيمة ومن يعص الله ورسوله بجحده ما امره الله
ويتعد حدوده اي يحط فرائضه ويهتك حرماته يدخله نارا خالدا فيها قرئ
بالنون والياء في ندخله جنات وندخله نارا وجمع خالدين وافرد خالدا نظرا الى
معنى من ولفظه وله عذاب مهين يهان فيه قوله واللاتي يأتين الفاحشة اي
الزنا وهي المرأة الثيب من نسائكم مبتداء خبره فاستشهدوا اي اطلبوا الشهادة
عليهن اربعة منكم اي من المسلمين الاحرار العدول فان شهدوا عليهن بالزنا
فامسكوهن اي احبسوهن في البيوت حتى يتوفيهن الموت اي يقبضن ملائكة الموت
فيمتن في السجن او يجعل الله لهن سبيلا اي طريقا يخرجن من الحبس وهو بان تنكح
فانها غنية عن السفاح او بان يظهر الحد بالوحي ثم صار حدهن الرجم بقوله عليه السلام
خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام
والثيب بالثيب جلد مائة والرجم والاكثر على انه لا جلد على المحصن مع الرجم وقالوا
الجلد منسوخ فنسخ الحبس بالحد لانه كان في ابتداء الاسلام اذا زنت المراة حبست
حتى تموت ولم يكن الحد مشروعا ثم ذكر حد البكرين فقال واللذان اي الرجل
والمرأة اللذان لم يحصنا بتخفيف النون وتشديدها يأتيانها اي الفاحشة منكم
اي من المسلمين الاحرار فآذوهما باللسان يعني سبوهما بتفسير ابن عباس رضي الله

عنه ليندما على ما فعلا فان تابا من الفاحشة واصلحا العمل فاعرضوا عنهما
اي لا تؤذوهما بعد التوبة ان الله كان توابا اي قابلا للتوبة متجاوزا عن الذنوب
رحيما لمن اطاع امره ثم نسخ الايذاء بالجلد بقوله الزانية والزاني الاية انما التوبة
اي المتقبلة مبتداء خبره على الله اي واجب قبولها عليه للذين يعملون السوء
اي المعصية بجهالة اي جاهلين حال من الضمير في الظرف قيل اجتمعت الصحابة
ان كل ما عصى الله به فهو جهالة عمدا كان او سهوا وكل من عصى الله فهو جاهل
وقيل الجهالة اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب
اي من زمان قريب يعني قبل مرض موته او قبل معاينة ملك الموت و
من للتبعيض قال عليه السلام ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اي لم
يبلغ الروح الحلقوم فاولئك يتوب الله عليهم تاكيد لقوله انما التوبة اي
يقبل توبتهم البتة وهو عدة من الله بان يفي بها وجب عليه كرما ولطفا وكان
الله عليما حكيما اي عالما باهل التوبة يحكم بقبولها بشرط الاستغفار بالقلب
واللسان قال عليه السلام ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا ابرح اغوي
عبادك ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال تعالى وعزتي وجلالي لا ازال
اغفر لهم ما استغفروني ثم اوضح معنى القرب بقوله وليست التوبة للذين
يعملون السيئات اي الذنوب دون الشرك مصرين على فعلهم حتى اذا حضر
احدهم الموت اي وقع في سكرات الموت سوى علامات الموت فان

التوبة تقبل فيها قال إني تبت الآن من ذنوبي يعني لا يقبل التوبة منه
ثمة لانها حالة اليأس دون الاختيار قوله ولا الذين يموتون عطف على
الذين يعملون السيئات اي ليست التوبة للذين ماتوا وهم كفار اي مصرون
على كفرهم يعم المنافقين والمشركين فسوى بين الذين سوفوا توبتهم الى
حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر تغليظا ولانه حضرهم الموت او احوال
الاخرة فكانهم ماتوا بلا توبة على اليقين اولئك اعتدنا اي هيأنا لهم عذابا
اليما اي وجيعا دايما قوله يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها
نزل نهيا عن ارث نساء ابائهم بعد موتهم في اول الاسلام كما كانوا يرثونهن
في الجاهلية فان شاؤا تزوجوهن وان شاؤا زوجوهن واخذوا اصداقهن
اي لا يباح لكم ارث نساء آبائكم كما يورث المواريث والحال انهن كارهات
لذلك فكرها مصدر في موضع الحال من النساء ونزل حين كان الزوج يضار
زوجته في نكاحه بانواع البلايا والظلم اذا لم تكن من حاجة لتفتدي منه ولا
تعضلوهن عطف على ان ترثوا اي ولا يحل لكم ان تمنعوهن عما يحل لهن من
النكاح من العضل وهو الحبس والتضييق ويجوز ان يكون الجزم فيه للنهي
بالاستيناف اي تمنعوهن من النكاح لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من
الصداق وغيره الا ان ياتين بفاحشة استثناء متصل من المفعول له
اي لا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان يفعلن الزنا والنشوز فحينئذ يحل لكم

ما اخذتم

163

ما اخذتم منها قوله مبينة صفة فاحشة قرئ بفتح الياء اي بينتها
غيرها وبكسر الياء اي تبين بنفسها قيل كان الرجل اذا اتت المرأة بفاحشة
اخذ منها ما ساق اليها ويطلقها فنسخ ذلك بالحدود والمعنى انها اذا نشزت
او زنت حل للرجل ان يسألها الخلع وتعطيه ما سألها بطيبة نفسها قوله
وعاشروهن اي صاحبوهن بالمعروف اي بالقول الجميل والمبيت والنفقة
نزل حين كان يسيئون عشرة النساء ثم قال فان كرهتموهن اي كرهتم
صحبتهن فعسى ان تكرهوا شيئا اي فاصبروا عليهن ولا تفارقوهن
لكراهة النفس وحدها فعسى الى آخره جزاء الشرط من حيث المعنى الذي هو معللة
وذلك الصبر معهن يعني فاصبروا معهن فلعل كراهتكم لهن مع الصبر عليهن
اولى لكم واصلح ويجعل الله فيه اي في الصبر معهن خيرا كثيرا اي ولدا صالحا او
الفة ومحبة وصلاحا في الدين قوله وان اردتم استبدال زوج مكان
زوج نزل فيمن كان اذا رأى امرأة فاعجبته واراد ان يتزوجها طلق امرأته
التي تحته ليستبدلها بها فقال تعالى اذا اردتم ذلك وآتيتم احداهن قنطارا
اي مالا عظيما من المهر القنطار سبعون الف دينار او ثمانون الفا من ورق
فلا تاخذوا منه اي من القنطار شيئا اذا لم يكن النشوز من قبلها ثم قال
تبشيعا للاخذ اتاخذونه اي شيئا منه واثما مبينا اي للذنب الظاهر
او اثمين عيانا ثم استفهم على سبيل الانكار والتعجب بقوله وكيف تاخذونه

ای کیف تستحلون اخذه **وقد افضی** ای خلا **بعضکم الی بعض** ای مع بعض
فی لحاف واحد والواو للحال وهو کنایة عن الجماع قبل الافضاء ان یخلوا الرجل
والمرأة ان جامعها فقد وجب کمال المهر والعدة **واخذن منکم میثاقا غلیظا** ای عهدا
شدیدا بالافضاء او المیثاق قول الولی زوجتکها علی ما اخذ الله للنساء علی الرجال
عهدا وثیقا بقوله فامساک بمعروف او تسریح باحسان فصار ذلک میثاقا غلیظا
من النساء قوله **ولا تنکحوا ما نکح اباؤکم من النساء** نزل نهیا عن نکاح نساء الاباء
وما بمعنی من الموصولة ومن النساء بیان لها ای لا تتزوجوا ما تزوج اباؤکم من النساء
ثم طلقها او مات عنها **الا ما قد سلف** استثناء متصل ای الا بالنکاح الذی عقده
اباؤکم بعینه من قبلکم فانکحوا ان امکنکم ان تنکحوه وذلک غیر ممکن والغرض المبالغة
فی تحریمه لانه من باب تعلیق المحال فی التأبید او استثناء منقطع والا بمعنی
لکن ویکون الجملة مستأنفة ای لا تفعلوا ذلک لکن ما مضی من فعلکم کذلک
معفو عنه واتفقوا علی ان زوجة الاب تحرم علی الابن بمجرد العقد لظاهر الایة و
اختلفوا فی المرأة التی وطئها الاب علی وجه الزنا منهم من حرمته ومنهم من جوزه **انه**
ای نکاحهن نکح اباؤکم **کان فاحشة** ای معصیة شدیدة **ومقتا** ای بغضا من
الله **وساء سبیلا** ای بئس الطریق فی الدین ثم بین ما لا یحل للرجال من النساء
بقوله **حرمت علیکم امهاتکم** ای حرم نکاحهن والمراد الامهات والجدات
وبناتکم جمع بنت والتاء عوض عن المحذوف اللام ولیست بتاء التانیث

لسکون ما قبلها ویکسر تاء بنات حالة النصب تشبیها بالمسلمات والمراد
البنات الصلبیة وبنات الاولاد ان سفلن **واخواتکم** ای حرم نکاحها جمع اخت
وتاؤها کتاء بنت وردت اللام فی الجمع حملا لها علی جمع المذکر وهو الاخوة فحرام
علی الرجل اخواته من قبل الام والاب ومن قبل احدهما ویدخل فیهن بنات
الاخوة وبنات الاخوات **وعماتکم** ای حرم نکاحها جمع عمة وهی اخت الاب
ویدخل فیهن اخوات الاباء والاجداد **وبنات الاخ وبنات الاخت** من کل
جهة هؤلاء کلها هی المحرمات من جهة النسب ثم ذکر المحرمات من جهة السبب
فقال **وامهاتکم اللاتی ارضعنکم واخواتکم من الرضاعة** ای حرم نکاح الامهات
والاخوات کلتاهما من الرضاعة کما حرمت من النسب کقوله علیه السلام یحرم
من الرضاع ما یحرم من النسب والرضاع لا یحرم الا قبل استکمال الحولین
لقوله تعالی حولین کاملین لمن اراد ان یتم الرضاعة وعند ابی حنیفة مدة الرضاع
ثلثون شهرا یعنی حولین ونصف حول وعنده کثیر الرضاع وقلیله محرم و
عند الشافعی عدد الرضاع المحرم خمس رضعات متفرقات یعنی یکتفی الصغیر
بکل واحدة منها **وامهات نسائکم** ای حرم نکاحها بمجرد عقد نکاح بناتها
یعنی یحرم علی الرجل نکاح ام زوجته سواء دخل بالزوجة او لم یدخل بها
وربائبکم اللاتی فی حجورکم ای حرم نکاح الربائب جمع ربیبة وهی بنت
المرأة لان زوج الام یربها غالبا وهی التی یربها فی حجره والمراد من الحجور

البيوت لانها بمنزلة الولد فى التربية غالبا فى بيته فالوصف يفيد التعليل
للتحريم يعنى لكونهن فى تربيتكم بمنزلة اولادكم فالعقد على بنات نسائكم بمنزلة
العقد على بناتكم فى التحريم وقيل ذكر الحجر مبنى على العرف قوله مِن نِسَائِكُم
فى محل النصب على الحال من ربائبكم اى كائنة من ازواجكم اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ
اى جامعتموهن والباء للتعدية فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فى نكاح بناتهن اذا فارقتموهن او متن وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ
اى حرم عليكم ازواج ابنائكم الذين ولدوا من ظهوركم جمع حليلة تزوج
امرأة زيد وكان قد تبناه فعير المشركون بذلك فنزل ما كان محمد ابا احد
من رجالكم الاية قوله وَأَن تَجْمَعُوا فى محل الرفع عطف على امهاتكم اى حرم عليكم
الجمع بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ بالنكاح فى حالة واحدة إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ متصل ومنقطع
بمعنى لكن ما مضى من فعلكم فى الجاهلية مغفور بدليل قوله إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا
لمن فعل ذلك فى الجاهلية رَّحِيمًا لمن تاب من ذنوبه واطاع لامر ربه
فى الاسلام قوله وَالْمُحْصَنَاتُ عطف على امهاتكم نزل فى مسلمات هاجرن
من مكة ولهن ازواج فيها فتزوجهن بعض المسلمين نهيا عن ذلك اى حرم
الحراير المزوجات التى قد احصنهن ازواجهن مِنَ النِّسَاءِ لان البينونة لم تقع
لهن بتباين الدارين وهذا حجة للشافعى لان سبب البينونة عنده السبى فقط
وعند ابى حنيفة لو هاجرن مسلمات او ذميات وقعت البينونة لهن بلا عدة

لتباين

لتباين الدارين إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ من سبايا فانها حلال لكم فالاستثناء
متصل اى حرم عليكم ذوات الازواج الذين هم فى دار الحرب الا مسبيات
منهن فهى حلت لكم بمجرد السبى عند الشافعى وعند غيره بالاحراز عن دار الحرب
الى دار الاسلام بدون الزوج روى ان المسلمين اصابوا يوم اوطاس سبايا
لهن ازواج من المشركين فى دار الحرب فتاثم المسلمون منهن وقالوا لهن ازواج
فانزل الله الاية فيهن فحل للرجل سبيته اذا استبراء رحمها بحيضة وقيل معنى
الاية حرم المحصنات من النساء وهى كل امرأة ليست تحتكم الا ما زوجتم من النساء
مثنى وثلث ورباع ثم قال كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وهو مصدر مؤكد اى كتب الله
ما حرم الله عليكم كتابا فلا تغيروه ثم قال وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ معطوف معطوفا
على المضمر العامل فى كتاب الله اى كتب ذلك واحل لكم من سوى المحرمات
المذكورة ومجهولا معطوفا على حرمت فالله تعالى بين المحرمات من قوله ولا
تنكحوا ما نكح اباؤكم الى قوله والمحصنات وهن اربع عشرة سبع بالنسب وسبع
بالسبب ثم بين المحللات بقوله واحل لكم ما وراء ذلكم فظاهر الاية يدل على
جواز ما سوى المحرمات بالنكاح لكن رسول الله عليه السلام قال يحرم من الرضاع
ما يحرم من النسب اى يحرم النكاح بين الرجل والمرأة بالرضاع كما يحرم بينهما
بالنسب وهو نص مطلق يتناول الام والاخت والبنت وغيرهن من
الرضاع وقال لا تنكح المرأة عن عمتها ولا على خالتها ولا تنكح الامة على الحرة

فوجب اتباعه لقوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
قوله ان تبتغوا فى محل النصب بمفعول له ومفعوله محذوف اى احل لكم ما وراء
ذلكم ان تطلبوا النساء باموالكم حال كونكم محصنين اى متزوجين واصل الاحصان
الحفظ والمراد هنا العفة عن الوقوع فى الحرام بدليل قوله غير مسافحين اى غير
زانين من قولك سفحت الماء اذا صببته وهو المنى والمعنى لا تضيعوا
اموالكم فى الزنا لئلا يذهب دينكم ودنيا ولكن تزوجوا بالنساء فهو خير لكم فما
استمتعتم به منهن اى فالذى انتفعتم به من النساء بالنكاح الصحيح من الجماع
او خلوة صحيحة او غير ذلك فاتوهن اى اعطوهن اجورهن اى ما شرطتم لهن
من المال عليه اى على الاستمتاع فحذف عليه للعلم به فريضة نصب على
الحال من الاجور اى حال كونها مفروضة لهن عليكم والمراد مهورهن لان
المهر جزاء البضع فلا بد من ايتائه بالاستمتاع بهن وقيل نزل هذا فى ترخيص
نكاح المتعة فى بعض المغازى ثم نسخ بقوله عليه السلام يا ايها الناس كنت اذنت لكم
فى الاستمتاع من النساء وان الله حرم ذلك الى يوم القيمة ولا جناح اى لا اثم
عليكم فيما تراضيتم به اى فى ان تراضيا بعد النكاح على زيادة المهر من
جانب الزوج او على الحط من المهر من جانب الزوجة او ان تهب لزوجها
جميع مهرها من بعد الفريضة اى بعد المفروضة للزوجية وقيل المراد المتعة
قبل النسخ يعنى لا جناح على الزوجين ان يتراضيا على زيادة الاجل والمال

ان الله

ان الله كان عليما فيما رخص لكم من جانب الاجانب حكيما فيما حرم عليكم
من المحرمات ومن شرط فى ومن لم يستطع منكم طولا اى غنا وفضلا و
قوله ان ينكح بدل من طولا يعنى من لم يجد منكم سعة من المال لا ينكح
المحصنات المؤمنات بفتح الصاد اى التى احصنهن غيرهن من زوج او
ولى وبالكسر هنا وفى جميع القران الا فى قوله والمحصنات من النساء قبل اى
احصن انفسهن بالحرية وجزائه فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات
اى فليتزوج امته مؤمنة اذا لم يكن تحته امرأة حرة ولا له قدرة من المال
ان يتزوج حرة وانما كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة لما فيه من اتباع
الولد الام فى الرق ولانها ممتهنة بالخدمة دخولا وخروجا وثبوت حق المولى
عليها والعزة من صفات المؤمنين وذلك كله مهانة لهم قوله والله اعلم
بايمانكم فيه تطييب لقلوبهم بنكاح الاماء اى لا تستنكفوا عن نكاح الاماء
فان الله اعلم بايمانكم فربما كانت الامة افضل بايمانها من الزوج الحر
فلا يفاخر بالحرية والحسب بعضكم من بعض فى الايمان اى بينكم تواصل و
تناسب فى الدين وانكم جميعا من آدم فلا يفضل حر عبدا الا برجحان فى
الدين فلا اعتبار بالمال والحسب المعنى انهن مثلكم فانكحوهن باذن اهلهن
اى مواليهن وآتوهن اى اعطوهن اجورهن بالمعروف اى مهورهن من
غير مطل فان تسليمها اليهن تسليم الى مواليهن لانهن وما فى ايديهن مال

الموالي والتقدير فاتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات اي حال كونهن عفايف
غير مسافحات اي غير زانيات جهرا ولا متخذات اخدان اي اخلاء في السر
للزنا والحذن الصديق سرا فنهى الله تعالى عن نكاح الفريقين جميعا فاذا احصن
مجهولا اي زوجن ومعلوما اي اسلمن او حفظن فروجهن لازواجهن فان
اتين بفاحشة اي بزنا فعليهن اي فالواجب عليهن نصف ما على المحصنات
اي الحراير الابكار من العذاب اي الحد لقوله ويدرؤ عنها العذاب ولا رجم
عليهن لانه لا تنصف فحد الامة دون حد العبد قياسا على الامة والجامع بينهما الرق
واختلفوا في الرقيق الذي لم يتزوج اذا زنى اكثرهم اوجب الحد عليه ولم يجعل
التزويج شرطا لوجوب الحد لان الله تعالى لم يذكره في الاية لذلك بل للتنبيه
على ان الرقيق وان كان محصنا انتفى عنه الرجم اذا زنى واقلهم لم يوجب
الحد على الرقيق الغير المتزوج لانه جعل التزويج شرطا للحد بالاية ذلك اي
نكاح الامة لمن خشي العنت اي الزنا منكم والعنت في اللغة الضيق والشدة
فعند الشافعي لا يجوز نكاح الامة للحر الا ان يكون عاجزا عن طول الحرة وان
يخاف الوقوع في الزنا ولا نكاح الامة الكتابية احتجاجا بظاهر الاية وعند
ابي حنيفة الغنا والفقر سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الاية على تقدير ان النكاح
بمعنى الوطي بان من لم يملك فراش الحر فلا ان يتزوج امة ويجعل من
فتياتكم المؤمنات على الفضيلة لا على كون الايمان في الامة شرطا فيجوز

167

عنده نكاح الامة اليهودية والنصرانية ولكن الافضل ان لا ينكح وان تصبروا
في محل الرفع مبتداء اي صبركم عن نكاح الاماء والخبر خير لكم من تزوجهن لئلا
يخلق الولد رقيقا روى عن النبي عليه السلام الحراير صلاح البيت والاماء
هلاك البيت وقيل معنى الاية صبركم على نكاح الامة خير لكم من ان تقعوا في
الفجور والله غفور لما فعلتم قبل تحليله رحيم حيث رخص في نكاح الامة
يريد الله ليبين لكم ابدا الى وجه التحليل والتحريم اي يريد الله بما شرع من
التحليل والتحريم ليفهم لكم شرايع الاسلام ويهديكم اي ويعلمكم سنن الذين
من قبلكم اي شرايعهم من الانبياء والصالحين في التحليل والتحريم لتقتدوا بهم
ويتوب عليكم اي يتجاوز عنكم بالتوبة وقبولها ان تبتم والله عليم بمن تاب حكيم
بقبول التوبة ثم قال والله يريد ان يتوب عليكم بالتكرير اظهارا لرحمته وكمال
شفقته على عباده المؤمنين اي الله يريد ان يتجاوز عن ذنوبكم وخطاياكم بتوفيق
التوبة لكم لانه لولا ارائة لكم التوبة لكنتم بمعزل عن التوبة فلذلك شرع لكم ما شرع من
الحلال والحرام ويريد الذين يتبعون الشهوات وهم اهل الكتاب والزناة من
اليهود والنصارى والمجوس ان تميلوا ميلا عظيما اي تعدلوا عن الحق الى
الباطل فتكونوا مثلهم في كفرهم وزناهم قيل نزل ذلك حين قال المجوس
انكم تحلون بنت العمة والخالة والعمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ
وبنات الاخت وكانوا يستحلون نكاحهن بالباطل يريد الله ان يخفف عنكم

اى يهون عليكم امركم ويرفع عنكم اثقال العبودية باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص
واتباع الشريعة السمحة السهلة لعلمه بجهلكم وضعفكم وخلق الانسان ضعيفا نصب
على الحال وخلق ضعيف العقل والرأى اى لا يصبر عن النكاح واتباع الشهوات
ولا على مشاق الطاعات الا من ايده الله بنور اليقين فانه يصبر به لا بنفسه ثم قال
تاكيدا لاتباع الشريعة ونهيا عن اتباع الهوى يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل اى بما لا يبيحه الشرع كالظلم واليمين الكاذبة والسرقة والخيانة والقمار
والربوا وغير ذلك الا ان تكون تجارة بالرفع فكان تامة اى الا ان تقع تجارة
بينكم كالمضاربة او الشركة او البيع والشراء بالسفر والحضر وبالنصب فكان ناقصة
والاسم ضمير الاموال اى الا ان تكون الاموال اموال تجارة بتقدير المضاف عن
تراض منكم صفة تجارة اى تجارة صادرة عن تراض المتبايعين والتراض
الافتراق عن مجلس البيع بتمامه متراضيين عند الشافعى ورضاء المتعاقدين بما
تعاقدا عليه وقت الايجاب والقبول عند ابى حنيفة وخص التجارة بالذكر لكونها
اغلب اسباب المكاسب ولا تقتلوا انفسكم اى لا يقتل بعضكم بعضا من
جنسكم من المؤمنين او لا تهلكوها باكل الاموال بالباطل واتباع هوى النفس
والحرص على الدنيا او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض من الجهلة ان الله كان
بكم رحيما النهيه عما يضركم من القتل الحرام واخذ المال بغير حق ومن
يفعل ذلك اى ما حرم عليكم قبل عدوانا اى تجاوزا الحد وهو مصدر فى موضع

الحال

الحال اى مستحلا ما ليس بحلال فى الشرع وظلما اى وجورا يعنى لا خطاء ولا قصدا
فسوف نصليه اى ندخله فى الاخرة نارا اى فى نار جهنم ليحرق كرة بعد كرة وكان
ذلك اى عذابه على الله يسيرا اى هينا لا يعجز عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه اى تمتنعوا عن عمل الكبائر التى نهيتم عنها وهى سبع الشرك بالله وقتل
المؤمن عمدا والزنا واكل مال اليتيم والفرار من الزحف واكل الربا وقذف
المحصنة وعقوق الوالدين وزاد بعضهم شهادة الزور والسحر وقيل الكبيرة ما
نزل فيه الحد وقال ابن عباس هى الى سبعمائة اقرب الا انه لا كبيرة مع الاستغفار
ولا صغيرة مع الاصرار فان شرط وجوابه نكفر اى نمح عنكم سيئاتكم اى ما دون الكبائر
وندخلكم بنون التكلم فى نكفر وندخل مدخلا كريما اى فى الجنة بفتح الميم
اسم مكان او مصدر وبضمها كذلك قال عليه السلام الصلوات الخمس والجمعة
الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات بينهن اذا اجتنبت الكبائر فلا تتمنوا
نزل نهيا عن الحسد اى لا يتمن احد منكم ما فضل الله اى رجح به بعضكم على بعض
بالانعام عليه من المال وغيره من زهرة الدنيا يعنى لا يتمن رجل مال اخيه
ولا امراته او دابته او جاهه فان تفضيل الله صادر عن حكمة ومصلحة فمن تمنى
ما قدر له فقد اساء الظن بالله ثم قال فى ترك الحسد وطلب الفضل من الله للرجال
نصيب مما اكتسبوا اى حظهم مما عملوا فى الدنيا من الخير والشر وللنساء نصيب
مما اكتسبن اى ولهن حظ مما عملن ايضا فلا يجازى احد الا بعمله ولا يعاقب الا به

وقيل الاية نزلت في ام سلمة حيث قالت ليت الجهاد كتب على النساء
وقيل ان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا فجعل لنا
سهمين ولهن سهما ونرجوا ان يكون لنا اجران في الاخرة فنزلت ثم قال
واسئلوا الله اي شيئا بتحقيق الهمزة من فضله اي من رزقه يعني لا تحاسدوا
بل اطلبوا ان يتفضل الله عليكم بشيء من خيري الدنيا والاخرة وقرئ وسلوا
بحذف الهمزة والقاء حركتها على السين تخفيفا ان الله كان بكل شيء عليما
فيما يصلح لكل واحد من الرجال والنساء ولكل بتنوين العوض من المحذوف
اي ولكل مال بعد موت صاحبه جعلنا موالي جمع مولى اي وراثا ليرثوا مما
ترك الوالدان والاقربون ومن لبيان لكل مال والموالي هم اصحاب
الفروض والعصبات وغيرهما من الوراث ويجوز ان يكون المعنى و
لكل احد جعلنا موالي اي وراثا مما ترك فمن يتعلق بموالي وضمير ترك يرجع
الى كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون على تقدير هم ثم قبله
قوله والذين عاقدت ايمانكم وقرئ عقدت بالتخفيف نزل تاكيدا
لعقد الموالات الثابت في الجاهلية فانهم كانوا يتحالفون فيها فيكون للحليف
السدس اي الذين عاهدت ايديكم نسب العقد الى اليمين لان الرجل كان
يمسح يده بيد معاهده عند المعاهدة والموصول مبتداء خبره فآتوهم نصيبهم
اي حظهم من الميراث ثم نسخ الميراث بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض

وبقيت

وبقيت النصرة والهبة والنصيحة ان الله كان على كل شيء شهيدا
اي شاهدا على اعطائكم اياهم نصيبهم وعلى عدم الاعطاء فيه ترغيب على
الاعطاء وترهيب على عدم الاعطاء قوله الرجال قوامون على النساء
نزل حين لطم سعد بن الربيع امرأته فجائت الى النبي عليه السلام فامر بالقصاص
فرفع الله القصاص من ساعته وقال عليه السلام ما اراد الله خير مما اردنا
اي الرجال مسلطون بالقيام على تاديب النساء بما فضل الله اي بتفضيل
الله بعضهم اي الرجال على بعض اي على النساء بالعقل والعلم والدين
والتدبير والقوة في النفس والطبع وبما انفقوا من اموالهم اي بانفاقهم
عليهن من مالهم من المهر والنفقة فجعل لهم حق القيام عليهن بذلك فالصالحات
اي المحصنات بالدين قانتات اي مطيعات لازواجهن بما عليهن لهم
من الحقوق حافظات للغيب اي لغيب ازواجهن من الفروج والاموال
بما حفظ الله اي بحفظهن الله حيث اوصى عليهن في كتابه الازواج بقوله وان
اردتم استبدال زوج مكان زوج الاية وغيرها وقيل وعد الله لهن الثواب
العظيم على حفظ الغيب وابكارهن بالعذاب الشديد على خيانتهن لازواجهن
فما مصدرية واللاتي تخافون اي تعلمون نشوزهن اي عصيانهن لازواجهن
فعظوهن اي انصحوهن وخوفوهن الله واهجروهن اي باعدوهن ان لم
يرجعن عن النشوز في المضاجع اي المراقد يعني لا تدخلوهن تحت اللحاف

او هو كناية عن عدم الجماع بهن والمراد الاعتزال عن فراشها الى فراش اخر
واضربوهن ان لم ينفع الوعظ فيهن مع الهجران ضربا غير شديد ويجتنب الضرب
الوجه وكسر العظم فان اطعنكم فلا تبغوا اى لا تطلبوا عليهن سبيلا اى طريقا
علة الى ضربهن ظلما وتوبوا عليهن ولا تنظروا الى ما وقع منهن من الاباء والنشوز
فاعطف لهن ان الله كان عليا اى اعلى عليكم قدرة منكم عليهن كبيرا اى
اعظم حكما عليكم منكم عليهن فاحذروه واعفوا عنهن اذا رجعن لانكم تعصون
على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو
عمن جنى عليكم اذا رجع روى عن النبى عليه السلام انه رأى ابا مسعود
وقد رفع سوطا على غلام له ليضربه فصاح النبى به ابا مسعود لله اقدر عليك
منك عليه فرمى السوط واعتق الغلام وان خفتم شقاق بينهما امر للحكام والاضافة
كاضافة مكر الليل اتساعا اصله شقاقا بينهما اى ان علمتم خلافا بين الزوجين
ولا تدرون من قبل ايهما يقع النشوز فابعثوا حكما من اهله اى اهل الزوج
وحكما من اهلها اى الزوجة والحكم رجل عدل له عقل وتميز يصلح للانصاف
وخص الحكم بالاهل لان الاقارب اعرف ببواطن احوالهم واطلب للصلاح بينهم
وانصح لهم واسكن لنفوسهم لان نفوس الزوجين تسكن اليهما وتبرز اليهم ما فى
ضمائرهما من حب احدهما الاخر وبغضه ان يريدا اى الزوج والزوجة
اصلاحا لما لهما وقيل ان يرد الحكمان اصلاحا لحال الزوجين يوفق الله بينهما

اى بين

اى بين الزوجين بالصلاح وتبدل الوفاق بالشقاق والحب بالبغض
او بين الحكمين فيظهر لهما مصلحة الزوجين فان رأيا الجمع بالتفتيش على حال
الزوجين جمعا بينهما وان رأيا التفريق فرقا ان الله كان عليما خبيرا بالتأليف
بين رضا الزوجين وان يطلق حكم الزوج بغير اذنه ويختلع حكم الزوجة بغير اذنها
مرويا عن مالك ويجوز ولا يجوز البعث بغير رضاهما ولا الطلاق بغير اذن الزوج
ولا الاختلاع بغير اذن الزوجة مرويا عن ابى حنيفة واصحابه ثم خاطب الناس
جميعا من المؤمنين والمنافقين والكفار بقوله واعبدوا الله اى اطيعوه
فيما امركم به واثبتوا فى عبادته بالاخلاص ولا تشركوا به شيئا اى وحدوه
ظاهرا وباطنا وبالوالدين احسانا اى احسنوا بهما برا بالانفس والاموال
من غير منة عليهما وفيه بيان حرمة الوالدين حيث قرن الاحسان بهما
بعبادة نفسه قال عليه السلام ما من مولود نظر الى والديه نظر رحمة الا
كانت بها حجة وعمرة وبذى القربى اى واحسنوا بالذى بينكم وبينه
قرابة سوى الولادة كالاخ والعم وغيرهما واليتامى اى واحسنوا اليهم بالصدقة
واطعام الطعام والجار ذى القربى جواره فى المنزل والجار الجنب اى احسنوا
الى الجار البعيد من المنزل والصاحب بالجنب اى احسنوا بالرفيق
فى السفر او بمن يصحبكم طالبا للنفع منكم وقيل هى المرأة التى تصاحب جنبها جنب
زوجها وابن السبيل اى وبالمسافر المنقطع عن السفر بفقره او الضيف فحقه

ثلثة ايام وما زاد على ذلك فهو صدقة ولا يحل له ان يقيم عنده حتى يحرجه
وما ملكت ايمانكم من المماليك والخدم يعنى احسنوا الى جميع هؤلاء
تثابوا وتغفروا ان الله لا يحب من كان مختالا اى تياها يتكبر فى مشيته
عن اكرام اقاربه ومماليكه ولا يلتفت اليهم فخورا بنعم الله لا يشكره ويتكبر
على الناس قوله الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بفتح الباء والخاء
وبضم الباء وسكون الخاء مبتداء خبره محذوف اى يعذبون بالعذاب
المهين او هم الذين او بدل من من كان جمع نظرا الى المعنى نزل فيمن كان
عادتهم الاخذ والمنع والامر للغير بعملهم لان من يعصى لربه يأمر بفعله غيره كيلا
يظهر عيبه كحيى بن احطب واصحابه قوله ويكتمون ما اتيهم الله من فضله نزل فيمن
يكتم نعمة الله وما اتيهم من فضل الغنا ويتفاقر الى الناس كي لا يخرج احق الله
الذى امرهم به وقيل فيمن كتم العلم او صفة النبى عليه السلام كرؤس اليهود و
اعتدنا للكافرين عذابا مهينا اى شديدا يهاون به قوله والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون نزل فى المنافقين والمنفقين
على عداوة الرسول يوم بدر من المشركين واليهود اى الذين يتصدقون جهرا مراءاة
بين الناس فرياء الناس مصدر فى موضع الحال او مفعول له قوله ولا
يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر فى السر فقرينهم الشيطان الذى حملهم على ذلك
العمل يقرن بهم فى النار ومن يكن الشيطان له قرينا فى النار بالسلسلة

فساء

فساء قرينا اى بئس صاحبا الشيطان ثم استفهم للتوبيخ والتجهيل بقوله وماذا
عليهم اى اى وبال يكون عليهم فى الايمان والانفاق لو آمنوا بالله واليوم الاخر
مكان الشرك والنفاق وانفقوا مما رزقهم الله من الاموال مكان البخل
فى غير رياء يعنى لا يضرهم ذلك بل ينفعهم فى الدنيا والاخرة ثم يهددهم
بقوله وكان الله بهم عليما بانهم لا يؤمنون بالله فلا يثيبهم بما ينفقونه
من الاموال رياء الناس ان الله لا يظلم احدا مثقال ذرة اى وزن نملة
صغيرة او قدر ما يظهر من اجزاء الهباء فى شعاع الشمس فى الكوة وهو انفى للظلم
اذ لا وزن له يعنى لا ينقص من ثواب اعمالهم شيئا لو عملوها بالاخلاص
لاستحالته عليه فى الحكمة لا لاستحالته فى القدرة وان تك حسنة بحذف النون
تخفيفا لكثرة الاستعمال وبرفع حسنة على ان كان تامة وبنصبها على انها
ناقصة وانث مثقال باضافته الى ذرة اى ان تكن مثقال ذرة حسنة يضا
عفها اى يزدها الله اضعافا كثيرة ويؤت اى يعط من لدنه اى من
عنده من غير استحقاق اجرا عظيما اى عطاء كثيرا لا يقدر قدره غير الله
وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقيل هو الجنة قال عليه السلام
ان الله يعطى لعبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قوله فكيف اذا
جئنا من كل امة بشهيد نزل توبيخا الكفار على ترك الايمان والعمل
بالسيئات اى كيف يصنع الكفار وقت مجيئنا من كل امة من امم الانبياء

بشهيد يشهد عليهم بعملهم وهو نبيهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء اى على امتك
الذين كذبوك شهيدا تشهد بعملهم القبيح وقيل معنى الاية ان الرسل يشهدون
يوم القيمة على امهم بتبليغ الرسالة اليهم من ربهم حين يقال لهم الله بلغكم الرسل
فيقول الامم ما بلغونا رسالة ربنا فيقول الرسل قد بلغنا ولنا شهود فيقول الله
من شهودكم فقالوا امة محمد فاتى بامة محمد فيشهدون انهم قد بلغوا الرسالة اليهم
فيقول الامم ان شراقا وفساقا لاتقبل شهادتهم فيجاء النبى عليه السلام على
هؤلاء يعنى على امته شهيدا بالتصديق لهم ويزكيهم فيقول الكافرون والله ما كنا
مشركين فيختم على افواههم وتشهد ايديهم وارجلهم بما كانوا يكسبون فقال تعالى
مخبرا عن حالهم يومئذ اى يوم يقوم الناس من قبورهم ويردون شدة الامر عليهم
يود اى يتمنى الذين كفروا بالله وعصوا الرسول اى لم يقروا برسالته لو تسوى
اى ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى او انهم يودون ان يكونوا كالارض
سواء او ان يصيروا ترابا اذا راوا البهايم قد صارت ترابا بقوله كونى المعنى انهم
يتمنون يوم القيمة ان يكونوا معدومين لهوله ولا يكتمون الله حديثا اى والحال
انهم لايسترون من الله حديثا بالكذب فى قولهم والله ربنا ما كنا مشركين او نعت
محمد عليه السلام لانهم كتموا فى الدنيا وندموا فى الاخرة ولا ينفعهم الندم فيها قوله
يا ايها الذين امنوا لاتقربوا الصلوة وانتم سكارى بضم السين جمع سكران والاية
للحال نزل حين صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما وجمع عليه جماعة من الصحابة

فاكلوا وشربوا الخمر قبل التحريم ثم اخذت منهم العقل فقدموا واحدا منهم اماما
قيل هو على فصلى بهم المغرب فقراء قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون
بحذف لا الى اخر السورة فنهى الله عن الصلوة بحال السكر وقيل معناه لاتقربوا مواضع
الصلوة وهى المساجد بتلك الحالة والسكر اسم حالة تعرض بين الشخص وعقله
حتى تعلموا ما تقولون اى حتى تصيروا بحالة تعلمون ما تقولون فتعرفون الحرمة
قوله ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اى ولاتقربوا الصلوة فى حال
الجنابة قبل الاغتسال الا عابرى سبيل اى الا مجتازى سبيل بحال السفر
فتعذرون بها فتصلون فيها بالتيمم ومن فسر الصلوة بالمسجد قال معناه
الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء وجوز بعضهم ان يكون الا بمعنى
الغير ويكون صفة لجنبا اى غير عابرى سبيل لان رجالا من الانصار
كانت ابوابهم فى المسجد ولا يجدون ممرا الا فى المسجد فرخص لهم فالمعنى انكم
لاتقربوها غير مغتسلين حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى اى مرضى يضره مس الماء
كالجراحة او الجدرى تخاف من مسه التلف او يزيد المه من مسه او على سفر
طويلا كان او قصيرا او جاء احد منكم من الغايط وهو المكان المطمئن من
الارض فى الاصل فكنى به عن قضاء الحاجة او لامستم النساء وقرئ لمستم اى
جامعتموهن وقيل هو اللمس باليد فعند الشافعى ينتقض الوضوء بمس النساء و
فى مس المحارم قولان وعند ابى حنيفة لاينتقض يعنى اذا اصابكم المرض او

السفر او الحدث او الجنابة فلم تجدوا ماء لبعد الاسباب او العجز عن الوصول
اليه وجواب الشرط متعلق بالمرضى والمسافرين والمحدثين واهل الجنابة قوله فتيمموا
اى فاقصدوا صعيدا طيبا اى ترابا طاهرا قيل الشافعى لا يتيمم الا بتراب له غبار
يتعلق بالوجه واليدين وابو حنيفة يتيمم بكل ما صعد على وجه الارض كالزرنيخ فلو
ضرب على صخرة لا تراب عليها فمسح وجهه ويديه اجزائه لان الصعيد عنده وجه الارض
ترابا كان او غيره فامسحوا بوجوهكم وايديكم والباء زائدة وفى الكلام حذف اى و
ايديكم منه ومن فيه للتبعيض لا لابتداء الغاية نحو قولهم فلان مسح برأسه من الدهن
فانه لا يفهم منه الا البعض من لابتداء الغاية عند من جوز التيمم بالصخر الذى لا تراب
عليه ان الله كان عفوا بالترخيص غفورا للتقصير قوله الم تر الم ينته علمك ونظرك
الى الذين اوتوا اى اعطوا نصيبا من الكتاب اى حظا من علم التورية وهم
احبار اليهود يشترون الضلالة اى يستبدلون الكفر والبقاء على اليهودية بالهدى
ففى الكلام حذف ويريدون ان تضلوا السبيل اى سبيل الحق كما ضلوا
عنه بعد وضوح الايات لهم على صحة نبوتك نزل نهيا عن الموالات بهم واستشارهم
فى الامور والله اعلم باعدائكم ايها المؤمنون الذين امنوا منكم فاحذروهم ولا
تستشيروهم فى اموركم ولا تقبلوا نصيحتهم وكفى بالله وليا محبا فثقوا بولايته و
كفى بالله نصيرا اى معينا لكم ويكفيكم مكرهم والمنصوب فيهما تمييز قوله من
الذين هادوا خبر مبتداء محذوف اى هم من الذين مالوا عن سبيله الحق او

بيان

173
بيان للذين اوتوا الاحتماله اليهود والنصارى ومحل يحرفون الكلم عن مواضعه
حال من الضمير فى هادوا او صفة لموصوف محذوف تقديره من الذين
هادوا قوم يحرفون الكلم عن مواضعه اى يغيرونها عن مواضعه التى وضعه
الله فى التورية كتغييرهم صفة محمد عليه السلام وتغييرهم الرجم وجعلهم الحد
بدله وذكر الضمير فى مواضعه لان الكلم اسم جمع وليس بجمع على الاصح و
يقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اى غير مقبول منك وهو
نصب على الحال وراعنا اى يقولون هذه الكلمة لاظهار التوقير والاكرام
ومعناها ارقبنا نكلمك وهى يحتمل الشتمة والاهانة باللسان العبرى
والسريانى لانهم كانوا يتسابون بها او كان غرضهم ذلك لاوين السنتهم
استهزاء وطعنا فى الدين اى قدحا فيه ولو انهم قالوا اى ولو ثبت قولهم
بدل سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا وبدل اسمع غير مسمع واسمع كلامنا
وبدل وراعنا وانظرنا الينا رحمة لنا لكان ذلك القول خيرا لهم للتحقيق
الايمان واقوم اى اسد واصوب من الطعن والتخويف ولكن لعنهم
الله بكفرهم اى ولكن الله خذلهم وابعدهم عن الايمان بكفر قلوبهم فلا يؤمنون
الا قليلا اى ايمانا ضعيفا وهو ايمانهم بموسى وكفرهم بمحمد عليه السلام
ويجوز ان يكون ضعف ايمانهم لكونهم بمجرد السنتهم لا فائدة فيه مع عدم التوافق
ويجوز ان يراد بقليلا عبد الله بن سلام واصحابه من مؤمنى اهل الكتاب ثم

اوعدهم بالعقوبة الشديدة لعدم ايمانهم بالاخلاص بقوله يا ايها الذين
اوتوا الكتاب اى اعطوه من التورية آمنوا بما نزلنا اى بالقرآن مصدقا
لما معكم من الكتاب من قبل ان نطمس اى نمحو ونحول وجوها اى وجوه
قوم فنجعلها كخف البعير بلا انف ولا عين ولا حاجب كالاقفية قبل
يوم القيمة وهذا معنى قوله فنردها على ادبارها او المراد من الطمس تسويد
القلوب وزيغها ومن الرد ردها عن بصر الهداية على ادبارها فى الضلالة
والفاء للتعقيب يعنى من قبل ان يعاقبوا بعقابين احدهما عقيب الاخر او
نلعنهم اى نطردهم من الرحمة بالمسخ كما لعنا اصحاب السبت اى كما
مسخناهم القردة وكان امر الله اى عذابه مفعولا اى كائنا لا محالة وهذا
وعيد شديد لهم ليعتبروا ويرجعوا عن كفرهم الى الايمان بالتوبة والاستغفار
قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به مع عدم التوبة لعظم الشرك نزل حين اراد
وحشى التوبة بعد قتله حمزة يوم احد وندامته عند الرجوع الى مكة ويغفر ما دون
ذلك اى دون الشرك مع عدم التوبة لمن يشاء اى لبعض عباده رحمة منه
لهم ثم قال وحشى لعلى ان اكون ممن لم يشاء الله فنزل يا عبادى الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية فلما سمعها وجدها اوسع مما كان
قبلها دخل هو واصحابه فى الاسلام وفيها رد على من يقول من مات
على كبيرة يخلد فى النار ومن يشرك بالله فقد افترى اى اختلق على الله اثما

عظيما

عظيما اى كذبا كبيرا وهو الكفر قال عليه السلام من مات ولم يشرك بالله شيئا
دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار وقال ما من عبد قال
لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قوله الم تر الى الذين يزكون انفسهم
نزل خطابا للنبى عليه السلام على وجه التعجب اى الم تنظر الى الذين يطهرون
نفوسهم عن الذنوب بالسنتهم ولم يزكوها حقيقة بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه
وبقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وبقولهم نحن كالاولاد الصغار
فهل عليه ذنب فانكر الله ذلك عليهم بصيغة الاضراب فقال بل الله يزكى
من يشاء اى يطهره ويبرءه باكرام الهداية ونور الاسلام يهدى الله
لنوره من يشاء لانه هو العالم بمن هو اهل التزكية ولا يظلمون فتيلا اى لا
ينقص الذين يثابون على زكوتهم من الثواب قدر فتيل النواة وهى القشرة
الرقيقة حولها والضمير فى لا يظلمون يرجع الى معنى من يشاء ثم امر نبيه بالنظر فى
حالهم تعجبا فقال انظر كيف يفترون على الله الكذب بزعمهم انهم عند
الله ازكياء وكفى به اى بالافتراء اثما مبينا اى ظاهرا من بين آثامهم قوله
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى اعطوه حظا من التورية نزل
حين خرج حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف من رؤساء اليهود الى مكة بعد
قتال احد مع جماعة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله فقال قريش انتم
اهل كتاب وانتم الى محمد اقرب منا اليه فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا

حتى تطمئن قلوبنا فسجد والاصنامهم ثم سئلوا عنهم نحن اهدى ام محمد واصحابه
قالوا بل انتم اهدى سبيلا منهم فقال تعالى تعبيرا لهم يؤمنون بالجبت والطاغوت
وهما اسمان لصنمين لهم اى يصدقون بغير الله ورسوله ويقولون اهل الكتاب للذين
كفروا بالكتاب هؤلاء يعنون اباسفيان واصحابه من المشركين اهدى من الذين
آمنوا يعنون محمدا عليه السلام واصحابه سبيلا اى ارشد دينا منهم اولئك
الذين لعنهم الله اى طردهم من رحمته ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا اى مانعا
من عذابه تعالى ام لهم نصيب اى حظ من الملك اى ملك الله وام بمعنى بل و
الهمزة لانكار ان يكون لليهود حكم فى ملك الله مع الاشارة الى بخلهم وحسدهم
للنبى عليه السلام اى ليس لهم نصيب من الملك اذ لو كان لهم ذلك فاذا
لا يؤتون الناس اى لا يعطون احدا منهم نقيرا لبخلهم والنقير النقطة فى ظهر
النواة وهو مثل فى القلة ولم يعمل اذن فى لا يؤتون لاجل فاء العطف والنون
فيها اصل وليس بتنوين ولذا تكتب بصورة النون قوله ام يحسدون الناس
ام فيه كام فى ام لهم يعنى بمعنى بل والهمزة لانكار الحسد واستقباحه اى يحسد
اليهود العرب النبى على ما آتيهم الله من فضله اى على النبوة والاسلام
والتقدم عليهم وازدياد النصرة والعزة كل يوم وكثرة التزوج فقد آتينا آل
ابراهيم اى داود وسليمان الكتاب المنزل عليهما من السماء والحكمة
اى النبوة والعلم وآتيناهم ملكا عظيما فكان ليوسف مصر ولداود ملكا عظيما

وتحته

وتحته مائة امرأة ولسليمان بن داود ملكا عظيما وتحته ثلثمائة مهيرة بالنكاح
الشرعى وسبعمائة سرية ولم يكن لمحمد عليه السلام الا تسع نسوة فكما لم يمنع
آل ابراهيم النبوة عن كثرة التزوج بالنساء لم يمنع محمدا عليه السلام
كثرة التزوج ايضا مع انه فيه قوة اربعين نبيا وهذا الزام لهم بما عرفوه
قيل ان من كان اتقى شهوته اشد وقيل ايضا كل شهوة تقسى القلب
الا الجماع الحلال فانه يصفى القلب ولذا فعل الانبياء كثرة التزوج والجماع
فمنهم من آمن به اى بابراهيم ومنهم من صد عنه اى اعرض عن
ابراهيم او من اليهود من صدق بحديث ابراهيم ومنهم من جحد
بحديثه او من آمن من اليهود بمحمد عليه السلام كابن سلام واصحابه ومنهم
من كفر به ككعب بن الاشرف ومن تابعه ثم هدد المعرضين بقوله وكفى
بجهنم سعيرا اى وقودا مسعرة لمن كفر به ثم بين مستقر الكفار يوم القيمة
فقال ان الذين كفروا بآياتنا اى بمحمد والقرآن سوف نصليهم اى
ندخلهم نارا فى الآخرة كلما نضجت اى احترقت جلودهم بدلناهم اى
جددناهم جلودا غيرها بان غيرناهم من شكل الى شكل والعذاب
للجملة الحساسة العاصية لا للجلد قيل انهم اذا احترقوا خبت عنهم النار
ساعة فبدلوا خلقا جديدا ثم عادت النار تحرقهم هكذا دأبهم فيها ففيه
ايذان بدوام العذاب عليهم يدل عليه قوله ليذوقوا العذاب بلا

انقطاع ان الله كان عزيزا اى شديدا النقمة حكيما فى تعذيبه ورحمته
يعنى لا يعذب احدا ولا يرحمه الا بحكمة ثم بين مستقر المؤمنين
بقوله والذين امنوا بمحمد والقران وعملوا الصالحات اى الاعمال الصالحة
التى امرهم اليه بها سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا اى مقيمين فيها لا يخرجون عنها ولا يموتون حال من مفعول
ندخلهم لهم فيها ازواج مطهرة من العيوب الظاهرة والباطنة وندخلهم
ظلا ظليلا اى فى نهاية الستر واللذة وفى وصف الظل بالظليل الذى هو
مشتق منه تاكيد لمعناه ومبالغة كقولهم ليل اليل اذا كان شديد الظلمة
وقيل معناه فى مكان له ظل فوق ظل بكثرة الاغصان بحيث لا فرج
فيه لالتقاء الاشجار وازدحام الاوراق وقيل ذلك يكون من ظلال الاشجار
وظلال القصور فى الجنة ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها نزل
بعد فتح رسول الله مكة حين اخذ على مفتاح الكعبة من سدنتها عثمان
بن طلحة الحجبى فطلب النبى عليه السلام عمه العباس بان يدفع اليه مفتاح الكعبة الشيبي ط
فنزل جبرئيل فاخبر النبى يا محمد ان السدانة فى اولاد عثمان ابدا يامرك
الله ان ترد امانته الى اهلها فرده الى عثمان فاسلم ثم صار هذا عاما فى جميع الناس
وفى كل ما يؤتمن عليه من حقوق الله تعالى وحقوق الادميين ثم قال لجميع
الحكام من الولاة والقضاة واذا حكمتم اى ويامركم اذا قضيتم بين الناس
ان تحكموا

ان تحكموا بالعدل اى بالحق او بالبينة على المدعى واليمين على من انكر فاذا
معمول فعل محذوف وان تحكموا مفعوله ان الله نعما يعظكم به اى نعم شيئا
ينصحكم به تادية الامانة والحكم بالعدل فما نكرة بمعنى شيء ويعظكم به صفته
والمخصوص بالمدح محذوف ان الله كان سميعا بمقالة دفع المفتاح الى
العباس بصيرا اى عالما برد المفتاح الى اهله ولما امر الحكام بالعدل امر المؤمنين
بطاعتهم بقوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله فى فرائضه واطيعوا الرسول
فى سننه واولى الامر منكم اى واطيعوا الولاة اذا امروا بطاعة الله قال عليه السلام
من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعنى
ومن يعصى الامير فقد عصانى قيل كان الخلفاء يقولون اطيعونى ما عدلت
فيكم فان خالفت فلا طاعة لى عليكم لقوله عليه السلام اذا امر المسلم بمعصية فلا
سمع ولا طاعة وقيل المراد من اولى الامر العلماء المتقون الذين يعلمون الناس
معالم دينهم الى شرائعه من الحل والحرمة ثم قال فان تنازعتم اى اختلفتم انتم و
امراء العدل فى شيء من الشرائع فردوه الى الله اى الى كتابه والرسول اى الى
نفسه مدة حيوته فان مات فالى سننه وقيل معناه اذا اشكل عليكم شيء
فقولوا الله ورسوله اعلم ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر اى بالبعث
بعد الموت ذلك اى الرد الى كتاب الله والى سنة الرسول خير
من التنازع واحسن تاويلا اى اجمل من تاويلكم واجمل عاقبة ومرجعا

قوله الم تر الى الذين يزعمون اى يدعون انهم آمنوا بما انزل اليك
اى بالقرآن وما انزل من قبلك اى بالتورية وغيرها من الكتب المنزلة
نزل حين وقع بين بشر المنافق ويهودى خصومة فقال اليهودى انطلق بنا
الى محمد حتى يحكم بيننا وقال المنافق بل نأتى كعب بن الاشرف حتى
يحكم بيننا اذ سمع عمر بن الخطاب فقال ما شأنكما فاخبراه بالقصة وقتله
فقال ان يتحاكموا الى الطاغوت وهو كعب بن الاشرف او حقيقة الشيطان
ان يضلهم عن الهدى ضلالا بعيدا اى لا غاية له فلا يهتدون اذا قيل لهم
تعالوا بفتح اللام اصله تعاليوا امر لهم اى جيئوا الى ما انزل الله اى
الامره فى كتابه والى الرسول اى والى امره رسوله رأيت المنافقين يصدون
اى يعرضون عنك صدودا اى اعراضا عن الحق ثم اخبر عن عاقبتهم و
حالهم بقوله فكيف اى كيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة وهى قتل عمر
المنافق بما قدمت ايديهم اى بسبب عملهم القبيح وهو التحاكم الى غيرك
ثم جاؤك اى يجيئونك يعنى اولياء المنافق لطلب دية المقتول ويعتذرون
اليك يحلفون بالله ان اردنا اى ما قصدنا بالتحاكم الى غيرك الا احسانا
اى طلبا للحق وتوفيقا بين الخصمين لا اساءة ومخالفة لك ثم اشار الى كذبهم
بقوله اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق فاعرض عنهم يعنى
لا تعاقبهم على ما فعلوا وعظهم بلسانك بين الناس ليتوبوا وقل لهم فى انفسهم

اى خاليا

اى خاليا بهم ليس معهم غيرهم لان الوعظ فى السر انفع وادخل فى الانجاح
مقوله فى انفسهم متعلق بقوله لهم لا بقوله قولا بليغا اى كلاما يؤثر فيهم ويغتمون
به لان الصفة التى موصوفها معها لا تعمل فيما قبلها وفيه نظر لان ذلك اذا
لم يكن معمولها ظرفا فاما ههنا ففى الظرف يجوز اعمالها فيما قبلها نص عليه صاحب الكشاف
يعنى خوفهم وتوعدهم بالقول بانكم ان فعلتم مرة اخرى كذلك ولم تطيعوا
امرى عاقبتكم بالقتل وغيره ونسخ بآية القتال ثم قال وما ارسلنا من رسول
فى امة من الامم الا ليطاع متعلق بارسلنا اى لكن يطاع باذن الله اى
بامره اى بسبب ان امر الله المبعوث اليهم ان يطيعوه لان طاعته طاعة
الله ومعصيته معصية الله وقيل معناه بتيسير الله او بتوفيقه فى طاعته
وبطاعته يطاع الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك
معتذرين اليك تائبين الى الله فاستغفروا الله بالاخلاص من فعلهم
ونفاقهم واستغفر لهم الرسول من الله لوجدوا الله اى لعلموه توابا
اى يقبل توبة التائبين رحيما يرحم المطيعين بالتجاوز عن عقوبتهم و
فى ايراد الرسول التفات من الخطاب الى الغيبة تعظيما للنبى عليه
السلام وتنبيها على انه مستجاب الدعوة قوله فلا وربك لا يؤمنون
اظهارا لكذبهم فى ايمانهم ولا فى فلا زايدة لتوكيد القسم او لتوكيد النفى
فى لا يؤمنون والواو فى وربك واو القسم وجوابه لا يؤمنون وهذا كقولهم

والله لا يؤمنون حتى يحكموك اى يجعلوك حكما ويرضوا بحكمك يا محمد فيما شجر
اى اختلف بينهم واصل التشاجر الاختلاط والتنازع ثم لا يجدوا فى
انفسهم اى فى قلوبهم حرجا اى شكا وضيقا مما قضيت فى انه الحق ويسلموا
تسليما اى ينقادوا لامر الله ولامرك انقيادا بالخلوص والرضا وقيل
نزلت الاية فى الزبير وحاطب ابن بلتعة حين اختصما الى النبى عليه السلام
فى مسيل الماء من الحرة فقال عليه السلام يا زبير اسق به نخلك ثم ارسل
الماء الى جارك فغضب حاطب ثم قال الله تعالى توبيخا على نفورهم
من حكمه عليه السلام ولو انا كتبنا اوجبنا وفرضنا عليهم ان اقتلوا
انفسكم او اخرجوا من دياركم كما اوجبنا على بنى اسرائيل حين طلبوا
التوبة من ذنوبهم ما فعلوه اى المكتوب عليهم الا قليل منهم برفع قليل
بدل من ضمير فعلوا ونصبه استثناء والظرف صفة لقليل والقليل جماعة
من الصحابة كعمر وبيار وعمار بن ياسر وثابت بن قيس وعبد الله بن مسعود
رضى الله عنهم فانهم قالوا والله لو امرنا محمد بذلك لفعلنا فقال عليه السلام
ان من امتى رجالا الايمان فى قلوبهم اثبت من الجبال الرواسى ثم زاد
توبيخهم بقوله ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من الطاعة والرضا بحكم الرسول
لكان خيرا لهم فى عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا اى لكان اقوى تحقيقا
لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه واذن جواب سوال مقدر كانه قيل ماذا يكون

لهم بعد التثبيت فقيل ولو ثبتوا اذن لاتيناهم اى اعطيناهم من لدنا اجرا
عظيما وهو الجنة فى الاخرة ولهديناهم اى وفقناهم لازدياد الخيرات
فى الدنيا صراطا مستقيما وهو الاسلام قوله ومن يطع الله والرسول نزل
فى جماعة من الصحابة قالوا يا رسول الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات
النبوة فلا نراك وقيل نزل فى شان ثوبان مولى رسول الله عليه
السلام وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه حتى اتاه يوما تغير لونه ونحل
جسمه فقال له رسول الله ما غير لونك فقال ما بى مرض ولكنى اخشى
ان لا اراك يوم القيمة لعلو منزلتك فقال تعالى ومن يطع امر الله
وامر رسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين و
الصديقين اى المبالغين فى الصدق والشهداء كشهداء احد وبدر
وغيرهم ممن قتلوا فى سبيل الله والصالحين من المسلمين بالاخلاص
اى لا يفوت المحبون مجالستهم فى الجنة وحسن اولئك اى الموصوف بهذه
الصفة رفيقا اى رفقاء فى الجنة نصبه تميز او حال وفيه معنى التعجب اى ما احسن
اولئك رفيقا وهو مفرد بمعنى الجمع كالطفل بمعنى الاطفال ثم اشار الى
انهم نالوا ذلك بفضل الله لا بغيره بقوله تعالى ذلك اى المن والعطية مبتداء
خبره الفضل من الله وكفى بالله عليما اى كفى الله عالما بثواب من اطاعه
فى الاخرة فانه يعطيهم ما علمه لهم من الثواب قوله يا ايها الذين امنوا خذوا

حذركم اى احترازكم بالسلاح لعدوكم انما كنتم امرلهم بالتيقظ
لاعدائهم فاذا نفرتم الى جهاد العدو فانفروا اى اخرجوا ثبات
نصب على الحال اى متفرقين جمع ثبة وهى الجماعة المتفرقة اى سرية بعد
سرية او انفروا اى اخرجوا جميعا اى مع النبى عليه السلام باجمعكم وهو ايضا
حال بمعنى مجتمعين قوله وان منكم لمن ليبطئن خطاب لعسكر الرسول
عليه السلام واللام فى لمن للابتداء وفى الفعل جواب القسم ومن بمعنى
الذين والقسم وجوابه صلة الذين والضمير الراجع اليه ما استكن فى ليبطئن
من بطأ لازم بمعنى تأخر والمعنى وان منكم يا اصحاب محمد للذى اقسم بالله
ليتأخرن عن الغزو تثاقلا ويجوز ان يكون متعديا اى ليثقلن غيره عن
الغزو من بطؤ عن الشئ اذا ثقل وهو ابن ابى واصحابه فان اصابتكم يا
معشر المسلمين مصيبة اى بلية وهزيمة من العدو قال اى ذلك المنافق
المتخلف عن الغزو بالفرح والشكر لله قد انعم الله على بالقعود والتخلف
عن القتال اذ لم اكن معهم شهيدا اى حاضرا فى ذلك الغزو ولئن
اصابكم فضل اى فتح وغنيمة من الله ليقولن متمنيا وقوله
كان لم تكن بالياء والتاء بينكم وبينهم مودة اى معرفة اعتراض
وقع حالا بين قوله ليقولن ومفعوله للتهكم باثبات المودة لهم وهم اعدى
عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم والمقول يا ليتنى كنت معهم فى

تلك الغزوة فافوز بالنصب جواب التمنى فوزا عظيما اى آخذ حظا
وافرا من الغنيمة والمنادى فيه محذوف اى يا قوم ليتنى وقيل ليس بمحذوف
لانه دخل على ليت لزيادة التمنى لا للنداء قوله فليقاتل فى سبيل الله اى
للمنافقين بالقتال لوجه الله اى ليقاتل فى طاعة الله الذين يشرون الحيوة
الدنيا اى يشترونها بالاخرة اى بدل الاخرة وفيه توبيخ لهم ويجوز ان
يكون امر المؤمنين ويكون المعنى الذين يبيعون الحيوة الدنيا ويأخذون
الاخرة بدلها ومن يقاتل فى سبيل الله اى فى طاعته فيقتل اى استشهد
او يغلب اى يظفر بعدوه فسوف نؤتيه اى نعطيه اجرا عظيما فى الجنة يعنى
اذا غلب او غلب يستوجب الثواب لا محالة ثم قال موبخا على ترك
الغزو بالاستفهام وحاثا على فعله وما لكم اى اى شئ حصل لكم
من العلل لا تقاتلون فى سبيل الله محل الجملة نصب على الحال و
العامل فيها الحصول فى لكم ثم عطف على اسم الله والمستضعفين
اى وفى سبيل الذين استضعفهم الكفار بالتعذيب والاسر من الرجال
والنساء والولدان الذين بمكة فان المشركين منعوهم من الهجرة و
آذوهم وانما خصهم بالذكر لان سبيل الله عام فى كل خير ولكن خلاصهم
من ايدى الكفار من اعظم الخيرات واخصها ووصفهم مدحا بقوله الذين
يقولون داعين ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها اى التى ظلم اهلها

بكفرهم وصدهم عن الهجرة وهي مكة والظالم وصف القرية الا انه مسند
الى اهلها وذكر لاسناده الى المذكور ولو قيل الظالمة اهلها لجاز ايضا
لا لتأنيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث واجعل لنا من
لدنك اي من عندك وليا اي مصلحا لامورنا واجعل لنا من لدنك
نصيرا اي ينصرنا على اعدائنا ففتحت مكة وولي النبي عليه السلام عتاب
بن اسيد وكان ينصف المظلومين من الظالمين لدعائهم فصاروا اعز
من بها من الظلمة قبل فتح ذلك ثم مدح المقاتلين في سبيل الله وذم المقاتلين
في سبيل الطاغوت فقال الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله اي في
طاعته واعزاز الدين والذين كفروا في سبيل الطاغوت اي طاعة الشيطان
ثم حث المؤمنين على القتال بقوله فقاتلوا ايها المؤمنون اولياء الشيطان
اي جنده وهم المشركون ان كيد الشيطان اي مكره كان ضعيفا اي
واهنا لا يثبت للحق وهذا كما يقال للحق دولة وللباطل جولة قوله الم تر الى
الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي امنعوا عن القتال ايديكم نزل حين فرض
عليهم القتال في المدينة ثم امتنعوا عنه للجبانة وخوف القتل لا للشك
في الدين قيل ان اصحاب الرسول عليه السلام حين كانوا بمكة
استأذنوا في قتل كفار مكة سرا لتاذيهم منهم وقال الرسول عليه السلام
كفوا عن قتالهم فاني لم اومر بقتالهم فلما هاجر رسول الله الى المدينة

فرض

فرض عليهم القتال فكرهه بعضهم فقال تعالى الم تر الى الذين قيل لهم
بمكة امتنعوا عن القتل واقيموا الصلوة اي اتموها واتوا الزكوة اي
اعطوها اذا وجبت عليكم فلما كتب اي فرض عليهم القتال بالمدينة اذا
فريق منهم اذا ظرف مكان للمفاجات اي ففي تلك الحضرة فريق من
الذين قيل لهم كفوا ايديكم يخشون الناس اي يخافون عذابهم كخشية الله
اي كخوفهم من عذاب الله ومحل النصب على الحال من الضمير في يخشون
قوله او اشد خشية نصب عطف على محل الكاف في كخشية الله اي
مشبهين باهل خشية الله بل اشد خشية من اهل خشية الله فاو بمعنى بل
وقيل بمعنى الواو ويجوز ان يكون فتحة جرا عطفا على مجرور الكاف تقديره
كخشية الله او كاشد خشية اي كخشية اشد خشية منها وقالوا عطف على
قيل لهم اي والذين قالوا ربنا لم كتبت اي فرضت علينا القتال مع
الكفار لولا اي هلا اخرتنا الى اجل قريب حتى نموت باجالنا قيل هم المنافقون
وقيل هم قوم لم يكن الايمان راسخا في قلوبهم قل يا محمد لهم مبينا لفناء
الدنيا متاع الدنيا قليل اي منفعتها قليلة لا تدوم والاخرة خير اي ثوابها
افضل لمن اتقى الشرك والمعصية ولا تظلمون فتيلا بالتاء والياء اي لا
ينقصون من ثواب اعمالكم مقدار ما يفتل بين الاصبعين من الوسخ او
مقدار ما يكون في شق النواة فلا ترغبوا في الدنيا وارغبوا في الاخرة بالجهاد

في سبيل الله وغيره من الخيرات ولا تخافوا من الموت فانه غاية كل ساع ثم
اخبر تعالى ان الحذر لا ينجي من القدر بقوله اينما تكونوا يدرككم الموت اي
المقدر بالاجل او العذاب ولو كنتم في بروج مشيدة اي وان كنتم في
قصور عالية الى السماء محكمة بالشيد وهو الجص لا يصعد عليها بنو آدم نزل
حين تثاقلوا عن الخروج الى الجهاد مخافة القتل ثم اخبر عن حال المنافقين
بقوله وان تصبهم اي المنافقين ومن جرى مجراهم حسنة اي خصب وغنيمة
وظفر كيوم بدر يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة اي جدب
وهزيمة كيوم احد يقولوا هذه من عندك اي من شومك يا محمد كما حكي عن
قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه قل كل اي كل شيء
من الرخاء والشدة من عند الله لا قدرة لاحد غيره في ايجاده وقضائه ثم
قال تعجبا من جهل هؤلاء القائلين بغير علم فما لهؤلاء القوم اي للمنافقين
وامثالهم لا يكادون اي لا يقربون يفقهون حديثا اي ما يحدثهم ربهم من القرآن
ليعلموا ان القابض والباسط هو الله لا غير وكل يصدر عنه عن حكمة وصواب وفيه
دليل على وجوب الاجتهاد والقياس ثم خاطب النبي عليه السلام واراد
غيره فقال ما اصابك اي الذي يصيبك من حسنة اي فتح وغنيمة فمن
الله اي من فضله واحسانه وما اصابك من سيئة اي ضيق وهزيمة
من العدو فمن نفسك اي بذنبك وكسب يديك وقضاء الله اياه عليك به

عن عائشة

عن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها
العبد وحتى انقطع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر ثم اشار الى اعراض
عنهم بقوله وارسلناك للناس رسولا مصدر بمعنى ارسالا او حال موكدة
اي ذا رسالة يعني ليس عليكم الا تبليغ الرسالة اليهم ليتبعوك ويطيعوك
فلا تنظر الى مقالتهم وفعلهم وكفى بالله شهيدا اي شاهدا يشهد على اعمالهم
قوله من يطع الرسول فيما امره فقد اطاع الله لانه يدعوهم بامره نزل حين
قال عليه السلام من اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد احب الله
فقال بعض اليهود ان محمدا لا يريد الا ان نتخذه ربا ثم قال ومن تولى اي اعرض
عن طاعته فقد خرج عن طاعة الله فما ارسلناك عليهم حفيظا اي حافظا
تحفظ احوالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم فنكل امورهم الى الله تعالى قيل
هذا منسوخ باية القتال ويقولون طاعة بيان لامر المنافقين مع النبي
عليه السلام اي المنافقون يقولون بحضرتك عند تبليغ الرسالة امرنا
وشاننا ان نطيعك ونتبعك فاذا برزوا اي اذا خرجوا من عندك بيت
اي دبر ليلا وزور طائفة منهم قولا غير الذي تقول اي خلاف ما تامر به في
مجلسك من التبييت وهو تسوية الشيء وتدبيره ليلا للمكر وقرئ بادغام التاء
في الطاء ايضا والله يكتب اي يحفظ عليهم بكتابة الحفظة ما يبيتون اي ما يزورون
ليلا فاعرض عنهم ولا تعاتبهم او ولا تخبرهم وتوكل على الله اي ثق به في شانهم

فهو كافيك شرهم وكفى بالله وكيلا اى حافظا وثقة لك ثم نسخ باية السيف
افلا يتدبرون اى افلا يتاملون بالنظر الصحيح القرآن اى معانيه ومواعظه
ليعتبروا بها وليعلموا انه من عند الله لعدم تناقضه بوجه ما ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اى تناقضا وتفاوتا فى مواضع كثيرة نظما ومعنى وبلاغة
فكان بعضه معجزا وبعضه قاصرا عن حد الاعجاز يمكن معارضته واما نحو قوله فيومئذ
لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقوله لنسألنهم اجمعين فليس باختلاف اذ السؤال
يكون فى مكان دون مكان واذا جاءهم اى المنافقين امر اى خبر من الامن
اى من امن السرية الغازية من العدو بالفتح والغنيمة سكتوا عن افشائه او
خبر من الخوف ببلاء وهزيمة نزلت بهم اذاعوا به اى افشوه فى الناس
ليضعفوا قلوب المؤمنين ولو ردوه اى الخبر الى الرسول والى اولى الامر
منهم اى اصحاب الرأى كابى بكر وغيره من الخلفاء الراشدين او كالذين
امّروا عليهم من المؤمنين قبل افشائه للناس لعلمه الذين يستنبطونه اى
لعلم الخبر الذين يستخرجون تدبيره منهم اى من الرسول واولى الامر
بفكرتهم الصحيحة ومعرفتهم بامور الحرب بالفطنة والتجارب فيعتقدون
ما ينبغى ويكتمون ما يكتم ولولا فضل الله عليكم بالاسلام ورحمته بالقران
لاتبعتم الشيطان اى لضللتم وكفرتم باتباعه الا قليلا منكم وهم الذين
اهتدوا قبل بعثة النبى عليه السلام كزيد بن عمرو وابن نفيل وقيس بن ساعدة

فانهم

فانهم ما تبعوا الشيطان وما كفروا فالاستثناء على هذا من فاعل
لاتبعتم وقيل يجوز ان يكون الاستثناء من فاعل اذاعوا به اى
اذاعوا الا قليلا لم يذعه وهم المؤمنون قوله فقاتل فى سبيل الله عطف
على قوله وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله نزل حين اراد الرسول ان يخرج
الى بدر الصغرى لحرب ابى سفيان فكره ذلك بعض المسلمين فامر الله نبيه
بان يخرج وان كان وحده وقال لا تكلف الا نفسك اى لا تكلف شيئا
الا تقدم نفسك الى الجهاد فان الله ناصرك لا الجنود فكما ينصرك وحولك
الالوف وحرض المؤمنين على الجهاد وعسى الله ان يكف اى يمنع
بأس الذين كفروا اى شدتهم وحربهم والله اشد بأسا اى قوة من
قريش واشد تنكيلا اى عقوبة فى الاخرة من عقوبة الكفار فى الدنيا
فخرج النبى عليه السلام بسبعين راكبا ولو لم يخرجوا معه لخرج وحده ممتثلا
لامر الله فكف الله بأسهم بتخلف ابى سفيان عن الخروج الى بدر الصغرى
تلك السنة لانه تعالى قذف فى قلبه الخوف من حرب النبى عليه السلام
ثم قال من يشفع شفاعة حسنة لدفع شر فى الاسلام او لطلب منفعة
مع جوازها شرعا ويبتغى بها وجه الله وقيل هى الاصلاح بين
الناس والسعى للتجاوز عن ذنب التائب فيما ليس بحد من حدود
الله يكن له نصيب اى حظ منها اى من اجل الشفاعة الحسنة فى

الاخرة قال عليه السلام اشفعوا الى توجروا وقيل الشفاعة تجرى اجرها لصاحبها ما جرت منفعتها ومن يشفع شفاعة سيئة اى قبيحة فى الاسلام كظلم للغير باخذ حق ومنع حق من حقوق الله او من حقوق الناس بلا رضى منهم واخذ رشوة فى ذلك وغيره مما لا يجوز شرعا يكن له كفل اى شدة منها اى لاجل الشفاعة السيئة فى الاخرة واشتقاق الكفل من الكفل المشقة الركوب عليه ثم استعير للحمل على كل شدة وهى معناه النصيب كقوله يؤتكم كفلين من رحمته وقيل الشفاعة الحسنة هى الدعوة بالخير للمسلم لانها فى معنى الشفاعة الى الله والشفاعة السيئة هى الدعاء بالشر عليه قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وكان الله على كل شيء مقيتا اى حافظا له بقوته واقتداره لا يغفل عنه ولا يغيب واذا حييتم بتحية اى اذا اهدى اليكم بهدية فحيوا باحسن منها اى فاهدوا الى صاحبها بافضل منها او ردوها اى كافئوها بمثلها وهى المعنى المروى عن ابى حنيفة واكثر المفسرين قالوا معناه اذا سلم عليكم بتحية اى بقول السلام عليكم فسلموا باحسن منها اى بقول عليكم السلام ورحمة الله واذا قال المسلم السلام عليكم ورحمة الله فقولوا عليكم السلام ورحمة الله وبركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فردوا مثلها اى فقولوا وعليكم فانه مثلها قال ابن عباس انتهى السلام الى البركة ففى قوله ردوها

حذف

حذف مضاف اى ردوا مثلها واو فيه للتخيير بين الزيادة والرد والسلام سنة على الكفاية وجوابه الرد فرض على الكفاية اذا قال البعض سقط عن كل قبيل اذا قال رجل السلام عليك بالافراد فقل عليكم السلام بالجمع لان المؤمن لا يكون وحده ولكن معه الملائكة واذا سلم رجل على الخطيب او على قارى القران جهرا او على معلم العلم الشرعى او على الشارع فى الاذان والاقامة لا يرد سلامه قال عليه السلام لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ولا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم ولا سلام على امرأة اجنبية ولا الى اهل بدعة وكفر ولعبة ويبدأ الاعلى بالسلام على الادنى كالراكب والماشى على خلافهما ويسلم الصغير على الكبير والاقل على الكثير واذا سلم الذمى فقل عليك بلا واو او عليك مثله ولا تبادره بالسلام الا لضرورة او لحاجة لك عنده ان الله كان على كل شيء حسيبا اى محاسبا يحاسبكم على السلام وغيره وفيه تهديد عظيم قوله الله لا اله الا هو مبتدأ خبره القسم وجوابه تقديره الله والله ليجمعنكم اى ليحشرنكم واللام فى ليجمعنكم جواب القسم الى يوم القيمة اى فى قبوركم الى قيام الساعة للحساب والعذاب لمن كفر والثواب لمن آمن نزل للذين شكوا فى البعث لدفع الشك عنهم بقوله لا ريب فيه

اى لاشك فى ذلك اليوم عند المؤمن او لاينبغى ان يشك فيه عند كل
عاقل ومن اصدق من الله حديثا اى قرئ بالصاد الخالصة وبالزاء
المشممة اى لا احد اصدق من الله كلاما لانه منزه عن الكذب لقبحه وهو
اخبار عن الشئ بخلاف ما هو عليه وهو لا يليق بذاته تعالى فآمنوا بما قال
ووعد قوله فما لكم فى المنافقين نزل فى قوم هاجروا من مكة الى المدينة
مسلمين ثم رجعوا الى مكة وكتبوا الى رسول الله انا على دينك ولكنا اشتقنا
الى بلدنا ولم نحتمل هواء المدينة فاختلف المسلمون فى امرهم من الاسلام و
الكفر فبين الله لهم نفاقهم فقال ما لكم صرتم فى شان المنافقين فئتين
اى فرقتين ولم تقطعوا بكفرهم والله اركسهم اى ردهم الى حالهم الاول وهو
الكفر بما كسبوا اى بسبب عملهم وهو ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين ثم قال
بالاستفهام للتوبيخ على الذين طلبوا اهدائهم على الضلال اتريدون
ان تهدوا اى ترشدوا من اضل الله عن الهدى ومن يضلل الله عن
الهدى فلن تجد له سبيلا اى طريقا الى الحق وهو دين الاسلام ودوا اى هم
احبوا لو تكفرون اى ان ترجعوا الى الكفر كما كفروا اى كما رجعوا اليه فتكونون
سواء اى مستوين انتم وهم فى الكفر فلا تتخذوا منهم اى من المرتدين
اولياء فى الدين والنصرة وان يظهروا الايمان لكم حتى يهاجروا فى سبيل الله
هجرة صحيحة لا يريدون بها الا الله تعالى فان تولوا اى ان اعرضوا عن الهجرة

والايمان

والايمان فخذوهم اى اسروهم ومنه قولهم للاسير اخيذ واقتلوهم اى
ان لم ينتهوا عن الكفر حيث وجدتموهم اى اين التقيتموهم من الحل والحرام و
لا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اى اجتنبوهم مجانبة كلية فى الدين والعون
ثم استثنى من ضمير المفعول فى واقتلوهم لا من الضمير فى ولا تتخذوا منهم لفساد
المعنى وان كان اقرب لان اتخاذ الولى منهم حرام مطلقا بقوله الا الذين يصلون
اى يتصلون وينتسبون بالحلف الى قوم بينكم وبينهم ميثاق اى عهد وموثق
وهم قوم هلال بن عويمر الاسلمى كان قد صالحهم النبى عليه قبل خروجه الى مكة
على ان كل من اتاهم من المسلمين فهو آمن ومن جاء منهم الى الرسول فهو
امن وفى الاية دليل على ثبوت المصالحة بين اهل الحرب واهل الاسلام
اذا كانت مصلحة فى المصالحة للمسلمين قوله او جاؤكم عطف على صفة
قوم او على صفة الذين وهو الاظهر اى الذين يصلون الى المعاهدين ال
لكم او جاؤكم حصرت صدورهم اى ضاقت قلوبهم وانقبضت ان
يقاتلوكم اى عن قتالكم من جهة العهد فاتركوهم والجملة حال بتقدير قد
اى والحال قد حصرت صدورهم عن المحاربة او يقاتلوا قومهم اى او حصرت
صدورهم عن قتال قومهم الذين معكم من جهة القرابة وهم بنو مدلج جاؤا
رسول الله غير مقاتلين ولو شاء الله لسلطهم عليكم بحكمة يعلمها من الابتلاء
وغيره فلقاتلوكم لكنه منعهم عن قتالكم وهذا اظهار منة العظيمة على المؤمنين

ثم قال فان اعتزلوكم اى تباعدوا عن قتالكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم
السلم اى الصلح والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا اى طريقا بالاخذ و
القتل يعنى انهم لو ثبتوا على صلحهم فما اذن الله لكم فى قتلهم واسرهم قوله
ستجدون آخرين نزل فى شأن غطفان واسد ومن جرى مجراهم كانوا
اذا جاؤا الى النبى عليه السلام يقولون امنا بك واذا رجعوا الى قومهم قالوا
آمنا بالعقرب والخنفساء استهزاء للنبى عليه السلام فكفروا بذلك فقال
تعالى ستجدون قوما آخرين يريدون ان يأمنوكم بقولهم لكم امنا ويأمنوا
قومهم بكفرهم عند عودهم اليهم كلما ردوا الى الفتنة اى كلما دعوا الى
الشرك والى قتالكم اركسوا اى وقعوا فيها اشد وقوع والركس قلب الشئ
على رأسه فان لم يعتزلوكم اى ان تعرضوا لقتالكم ويلقوا اليكم السلم اى ولم
يصالحوكم ويكفوا ايديهم اى ولم يكفوا ايديهم عن الحرب معكم فخذوهم اى
اسروهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى اين وجدتموهم وادركتموهم واولئكم
اى اهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا اى حجة واضحة لقتالهم
وهى انكشاف حالهم فى الكفر وعداوة اهل الاسلام فاذنا لكم بذلك فى
قتلهم قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا نزل فى شأن عباس بن ابى
ربيعة حين قتل حارث ابن زيد معتقدا انه كافر فاذا هو مسلم اى ليس لمؤمن
ان يقتل مؤمنا لعلة من العلل الباطلة الا خطأ اى الا للخطاء فنصبه بمفعول

له ويجوز ان ينتصب حالا اى لا يقتله فى حال من الاحوال الا فى حال
الخطاء وهو ما ليس للانسان فيه قصد وذلك اما ان يظن كافرا فاذا هو
مسلم او يرى شيئا فيصيب آخر فاتلفه ثم بين حكم القتل الخطاء بقوله
ومن قتل مؤمنا خطأ اى قتلا غير قصد فتحرير اى فالواجب على القاتل
عتق رقبة مؤمنة وقيد الايمان لانه لم يجز اعتاق رقبة كافرة بالاجماع
وسره انه لما اخرج نفسا مؤمنة عن الحيوة وجب ان يحيى نفسا مثلها بالتحرير
لانه كالاحياء والرقيق كالميت لامتناع تصرفه وعدم حكمه فى نفسه كما
لاحرار ودية مسلمة اى وعليه دية مؤداة الى اهله اى الى ورثة القتيل
يقسمونها كالميراث للتركة سوى القاتل الوارث والدية مائة من الابل
على عاقلته وهم عصبته وان لم يكن عاقلة فمن بيت المال والرقبة فى
مال القاتل وان لم يكن له ورثة فالدية لبيت المال قوله الا ان يصدقوا
محله نصب على الظرف بتقدير الزمان ويتعلق بمسلمة اى تسلم الدية اليهم
الا حين التصدق عليه بها يعنى الا ان يعفوا عنه ورثة القتيل ولا يأخذوا
منه شيئا واصله ان يتصدقوا فادغم التاء فى الصاد والاستثناء متصل
كما ذكرنا ويجوز ان يكون منقطعا بمعنى لكن التصدق يمنع من تسليمها ثم قال
فان كان اى المقتول من قوم عدو لكم اى من اهل حرب للمسلمين لا عهد
بينكم وبينهم وهو مؤمن اى المقتول مسلم بينهم لم يفارقهم فتحرير اى فعلى قاتله

عتق رقبة مؤمنة ولا دية عليه لتسلم الى اهله لانهم كفار محاربون وان كان
المقتول من قوم بينكم وبينهم ميثاق اى حلف وعهد يعنى ان كان ذميا
فدية اى فعلى قاتله دية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة لان حكمه حكم المسلم
واختلف العلماء فى دية الذمى قال اصحاب ابى حنيفة هى كدية المسلم سواء و
قال الشافعى ثلث دية المسلم ونزلت الاية فى ستا مئنين دخلا على رسول
الله فكساهما وحملهما فلما خرجا من عنده لقيهما عمرو ابن امية فقتلهما ولم يعلم
انهما مستا مئنين فقضيهما فوداهما رسول الله بدية حرين مسلمين ثم قال فمن
لم يجد اى رقبة مؤمنة اما لعدمها فى ملكه او لعدم قدرته على تحصيلها فصيام
اى فعليه صيام
شهرين متتابعين قوله توبة من الله اى شرع ذلك لتوبة حاصلة من الله
مفعول له او مصدر فعل محذوف يعنى تاب الله عليه توبة وكان الله عليما
بمن قتل ومن قتل حكيما فيما حكم من الكفارة على القاتل خطاء قوله ومن يقتل
مؤمنا متعمدا نزل فى شأن رجل قتل مؤمنا متعمدا ثم ارتد عن الاسلام وهو
مقيس بن ضبابة قتل رجلا من بنى فهر وكان رسول الله بعثه مع مقيس
الى بنى النجار الذى قتل فيهم اخو مقيس وامره بان يقول لهم اطلبوا قاتل اخى
مقيس فان وجدوه قتلوه وان لم يجدوه حلفوا خمسين يمينا وغرموا الدية
فلما اتاهم ذلك الرسول ومقيس اليهم قالوا ما نعرف قاتله فحلفوا وغرموا الدية
لمقيس فلما رجع مقيس مع مائة من الابل قال فى نفسه لحمية الجاهلية اقتل هذا الفهرى

سكان

سكان اخى ويكون الدية فضلة لى فقتله وتوجه الى مكة فقال تعالى ومن يقتل
مؤمنا قاصدا قتله مع علمه بايمانه فجزاؤه جهنم خالدا فيها اى لابثا زمانا
طويلا يعذب فيها ما يشاء الله تعذيبه وقيل ابدا ان استحل قتله لانه يكفر باستحلاله
ثم اختلفوا فى توبة القاتل عمدا الاكثر على انها يقبل لقوله تعالى بعد ذكر الشرك
والقتل والزنا الا من تاب وآمن الى قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات وغضب الله عليه بان يقتل به قصاصا فى الدنيا ولعنه اى
طرده من رحمته فى الاخرة واعد له عذابا عظيما سوى خلوده فى النار حكى
عن سفيان الثورى انه قال كان اهل العلم اذا سئلوا عن قاتل العمد قالوا
لا توبة له وذلك محمول على التغليظ والتشديد اقتداء برسول الله فيه والا فكل
ذنب محو بالتوبة قال عليه السلام لزوال الدنيا اهون على الله من قتل
امرء مسلم وقال ايضا ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه
وقال ايضا من اعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب
بين عينيه آيس من رحمة الله قوله يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم اى سافرتم
فى سبيل الله اى فى الجهاد فتبينوا من البيان الذى اطلبوا بيان من
تقتلونه فى الحرب قبل القتل يعنى قفوا حتى تعرفوا حاله امسلم او كافر وقرئ
فتثبتوا من الثبات اى لا تعجلوا فى امره حتى يظهر لكم الكافر من المسلم نزل
فى اسامة بن زيد حين بعث فى سرية للغزو فسمع رجلا يقال له مرداس

يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم انى مؤمن فقتله اسامة
وساق غنمه ورجع الى النبى عليه السلام فاخبره حاله فوجد عليه السلام وجدا
شديدا فقال اقتلت رجلا يقول لا اله الا الله فقال اسامة قاله بلسانه
دون قلبه فقال عليه السلام اشققت قلبه فقال استغفر لى يا رسول الله
فقال فكيف بلا اله الا الله مرارا فقال اسامة فوددت انى لم اكن اسلمت
الا يومئذ فقال ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ بالالف بمعنى التحية وبغير الالف اى
الانقياد بقول لا اله الا الله محمد رسول الله ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ انما تقول
ذلك لحفظ مالك ونفسك المعنى اذا رأيتم امارة ظاهرة على اسلام
شخص فلا تقتلوه ولا تقول له لست بمسلم ﴿تَبْتَغُونَ﴾ اى تطلبون ﴿عَرَضَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ من الغنيمة والجملة فى محل النصب على الحال من فاعل لا تقولوا
﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ لا تحصى من الاجر والفضل ثم ذكرهم انعامه عليهم قبل
الهجرة بقوله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ اى كهذا الرجل ﴿كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ اى قبل هجرتكم يعنى اول
ما دخلتم فى الاسلام سمعت منكم كلمة الشهادة فحصنت نفوسكم
واموالكم بسببها من غير انتظار اطلاع على ما فى قلوبكم ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾
بالاستقامة واظهار الاسلام والتقدم به فصرتم اعلاما فى الدين
فافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل بكم ثم كرر قوله ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ اى
تعرفوا حال خصمكم مخافة ان تقتلوا مؤمنا خطاء للتاكيد والزجر عن

الاقدام على القتل من غير تحقيق ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ اى عالما فلا
تقدموا على القتل فى الجهاد الا بعد التحقيق قال زيد بن ثابت نزل
قوله ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ عن الجهاد فى بدر واحد او فى تبوك حين كنت
الى جنب رسول الله عليه السلام فغشيته السكينة من الوحى فوقعت
فخذه على فخذى حتى خشيت ان ترضها اى تكسرها ثم سرى عنه فقال
اكتب فكتبت فى كتف لا يستوى القاعدون ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حال من
القاعدين فسمع ذلك ابن مكتوم وكان اعمى وقال يا رسول الله لو استطعت
الجهاد لجاهدت فنزل ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ اى اصحاب المرض وكل عاهة من
عمى وزمن وغيرهما بنصب غير استثناء من القاعدين او حالا منهم
وبرفعه صفة للقاعدين وهو من قبيل الاكتفاء لان تقدير الاية لا يستوى
القاعدون اولو الضرر وغير اولى الضرر صريحا قوله ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾
جملة مستانفة توضح نفى التساوى بين القاعدين مطلقا اى بعذر او بغير
عذر والمجاهدين كانه جواب سوال مقدر وهو ما لهم لا يستوون فقيل
بالتفصيل بعد الاجمال فضل الله المجاهدين بالاموال والانفس ﴿عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾
بعذر ﴿دَرَجَةً﴾ مصدر اى تفضيلا واحدا او حال اى ذوى درجة فى الاخرة ثم
اشار الى منة على الفريقين بقوله ﴿وَكُلًّا﴾ اى وكل فريق من القاعدين والمجاهدين
﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ اى المثوبة الفضلى وهى الجنة وان كان المجاهدون

والمجاهدون فى سبيل الله [illegible] باموالهم وانفسهم [illegible]
[illegible]

مفضلين على القاعدين درجة فقوله كلا اول المفعولين لوعد وثانيهما الحسنى
وفضل الله المجاهدين على القاعدين بغير عذر اجرا عظيما مصدر لان فضل
بمعنى اجر اى اجرهم اجرا كبيرا فى الجنة والقاعدون بغير عذر هم الذين
آذن لهم النبى عليه السلام بالقعود اكتفاء لان الجهاد فرض كفاية قوله درجات
منه بدل من اجرا عظيما ويجوز ان ينتصب درجات كنصب درجة اى
فضلهم تفضيلات وينتصب اجرا عظيما على انه حال عن النكرة التى هى درجات
مقدمة عليها قوله ومغفرة ورحمة عطف على درجات او نصب بفعل محذوف
تقديره وغفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة وهذا الكلام من قوله لا يستوى الى قوله
ورحمة من باب الجمع والتقسيم وكان الله غفورا لمن جاهد فى سبيله من
ذنوبه رحيما يدخله الجنة برحمته او رحيما لمن له العذر بتسويته فى الفضل
قوله ان الذين توفيهم اى قبضتهم الملائكة قيل يجوز ان يكون ماضيا و
يجوز ان يكون مستقبلا اى تتوفا ان يمكنهم الله من انفسهم استيفاء فيستوفونها
ظالمى انفسهم نصب على الحال اى فى حال ظلمهم انفسهم بالكفر وترك الهجرة
بعد الاسلام والمقام فى دار الشرك بعد وجوب الهجرة نزل فى شان الذين اسلموا
بمكة وتخلفوا عن الهجرة وخرجوا مع المشركين الى بدر فلما راوا قلة المؤمنين وكثرة
الكافرين شكوا وكفروا وقتل بعضهم فاخبر تعالى عن حالهم بقوله حكاية عن الملائكة
عند قبض ارواحهم قالوا ان يقول لهم الملائكة توبيخا بانهم لم يكونوا فى شيء

من الدين حيث قدروا على الهجرة ولم يهاجروا فيم كنتم اى فى اى شئ كنتم
من امر دينكم فتركتم الهجرة قالوا اى قال المتوفون معتذرين كنا
مستضعفين اى عاجزين عن الهجرة فى الارض اى فى ارض مكة فثم قالوا
اى الملائكة لهم توبيخا بالاستفهام الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها وقد كنتم قادرين على الخروج عنها فلم تخرجوا الى بعض البلاد وهو
المدينة فاولئك ماويهم جهنم اى منزلهم النار وساءت مصيرا اى بئست
مرجعا رجعوا اليها جهنم وفيه دليل على ان من لم يستقم استقامة دينية
فى موضع تجب الهجرة عليه الى ما يتمكن فيه ذلك قال النبى عليه السلام من فر
بدينه من موضع الى موضع وان كان شبرا من الارض استوجب له الجنة
وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام قوله الا المستضعفين استثناء من قوله
ماويهم جهنم اى الا المقهورين من الرجال والنساء والولدان وانما قرن بهم
الولدان مع انهم عاجزون لا يتوجه عليهم الوعيد لبيان ان الرجال والنساء
صاروا فى انتفاء الذنب عنهم بمنزلة الولدان بترك الهجرة للعجز قوله لا يستطيعون
حيلة يجوز ان يكون استينافا ويجوز ان يكون صفة للمستضعفين بحكم زيادة
حرف التعريف اى لا يجدون سعة الخروج الى المدينة لفقرهم وعدم قوتهم
ولا يهتدون سبيلا اى لا يعرفون طريقا الى المدينة وغيرها فاولئك عسى
الله ان يعفو عنهم اى يتجاوز عن ذنوبهم وعسى من الله للوجوب وكان الله

عفوا عنهم غفورا الذنوبهم فلا يعاقبهم روى عن ابن عباس ان النبى عليه السلام
قال يوم الفتح انه لا هجرة بعد اليوم ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا اى اذا
استنفركم الامام فاخرجوا ثم قال تحريضا للهجرة لله تعالى ومن يهاجر فى سبيل الله
اى فى دينه يجد فى الارض مراغما اى مهاجرا وملجأ على رغم انف قومه وقيل متحولا
من الكفر الى الايمان لغيظ قومه الكفرة والرغم الذلة والهوان واصله لصوق الانف
بالتراب وهو الرغام اى سعا يغيظهم كثيرا وسعة اى فى الرزق قوله ومن يخرج من
بيته مهاجرا الى الله ورسوله نزل لما خرج جندب بن ضمرة من مكة حين قال والله
لا ابيت الليلة بمكة فانى لست من المستضعفين وانى لاهتدى الطريق وكان
مريضا فحمله بنوه على سريره متوجها الى المدينة فمات بالتنعيم فقال المشركون
استهزاء ما ادرك هذا ما طلب به فقال بعض المسلمين لو وصل الى المدينة لكان
اتم اجرا فقال تعالى ومن يخرج من بيته وكان خروجه لله والرسول ثم يدركه الموت
فى الطريق يعنى قبل الوصول الى ما هاجر اليه فقد وقع اى وجب اجره على
الله بايجابه تعالى على نفسه وهو الجنة وكان الله غفورا لما كان فيه من المشركين
قبل الخروج رحيما له بقبول توبته بنيته الخالصة فى الخروج ثم قال بيانا لاحكام
السفر فى سبيل الله واذا ضربتم اى سافرتم فى الارض سفرا يبلغ مسيرة ليلتين
متوسطتين بمشى الاقدام وسير الابل عند الشافعى او مسيرة ثلثة ايام بلياليهن
عند ابى حنيفة فليس عليكم جناح اى اثم ان تقصروا من الصلوة اى بان تردوا

من اربع الى اثنين ولا يعتبر الاسراع ولا البطوء فى جواز القصر فلو سافر
مسيرة ثلثة ايام قصر وان سافر مسيرة يوم فى ثلثة ايام لم يقصر وجعل بعض
فى يوم
العلماء الخوف شرطا لجواز القصر بقوله ان خفتم ان يفتنكم اى يقتلكم او يغيركم
بما تكرهون الذين كفروا والصحيح انه ليس بشرط لما ثبت ان النبى عليه السلام
سافر بين المدينة ومكة لا يخاف الا الله وكان يصلى ركعتين فالشافعى
يقصر ويتم لان ظاهر الاية تخيير ورخصة لقوله ليس عليكم جناح لكن القصر افضل
لان عائشة رضى الله عنها قالت اول ما فرضت الصلوة ركعتين فاقرت
فى السفر وزيدت فى الحضر وعند ابى حنيفة عزيمة لا يجوز غير القصر فى السفر لانه
عزيمة لقول الرسول عليه السلام لعمر حين سأله عن ذلك صدقة تصدق
الله لكم فاقبلوا صدقته الا انه تعالى نفى الجناح فى الاية ونفى الجناح
انما يكون فى الرخصة لا فى العزيمة لما انهم الفوا بالاتمام فكانهم
خطر ببالهم ان عليهم نقصانا انما بسبب القصر فنفى الجناح تطييبا
لقلوبهم واطمئنانا اليه والقصر ثبت بنص الكتاب فى حالة الخوف و
اما فى حالة الامن فبالسنة كما مر ثم حذرهم عن الاعداء بقوله ان الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا اى ظاهر العداوة لا تغفلوا عنهم اينما كنتم ثم
بين لهم صلوة الخوف بالخطاب للنبى عليه السلام فقال فاذا كنت
فيهم اى اذا كنت حاضرا فى الخايفين من اصحابك بحضرة العدو وحضرة

الصلوة عليكم فاقمت لهم الصلوة اى للمؤمنين فلتقم طائفة منهم معك فى
الصلوة وطائفة تجاه العدو وليأخذوا اى غير المصلين معك اسلحتهم
بازاء العدو اى ما شاؤا من السلاح او المراد المصلون مع النبى فيأخذون
من السلاح ما لا يشغل عن الصلوة كالخنجر والسيف والسلاح كل ما يقاتل
ويمتنع فاذا سجدوا اى صلوا معك ركعة واحدة واتموا الثانية بنفسهم فليكونوا
اى المصلون من ورائكم حراسا لكم بعد الصلوة بازاء العدو ولتأت اى وليجئ
طائفة اخرى اى الذين لم يصلوا معك بسبب العدو فليصلوا معك
ركعة اخرى وتتوقف حتى يتموا الثانية ثم تسلم بهم وليأخذوا اى الاتون او
المصلون حذرهم اى تحرزهم عن العدو واسلحتهم حاضرة بازا العدو
وانما جمع الحذر مع الاسلحة مبالغة فى التحرز عن العدو فان التيقظ للعدو
يشبه بالة يستعملها الغازى فى كل موطن فيه خوف للتحفظ عن شرهم ولم يذكر
فى الاية لكل طائفة الا ركعة واحدة لكن فى الخبر ان النبى عليه السلام صلى فى
صلوة الخوف بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما ذكرنا وهو الاختيار
للشافعى وقيل صلى النبى عليه السلام بطائفة اولا ركعة ثم ذهبت بازاء العدو
وجائت الطائفة التى كانت بازاء العدو فصلى معهم ركعة اخرى وسلم هولاء
وجائت الطائفة الاولى وذهبت هذه الطائفة الاخرى الى ازاء العدو حتى
ادت الطائفة الاولى الركعة الاخرى بغير قراءة وسلموا لانهم كانوا فى صلوة الامام

حكما

حكما ولو كانوا فى وجه العدو ثم ذهبت تحرس وجائت الطائفة الاخرى
وادت الركعة الثانية بالقراءة لان الامام اتم صلوته فلا بد لهم من القراءة
فى الركعة الثانية التى هى الاولى لانتفاء الاقتداء فيها بالامام وسلموا حتى
صار لكل طائفة ركعتان وهذا اختيار ابى حنيفة فى صلوة الخوف
ثم اومى تعالى الى زيادة التحذير بقوله ود الذين كفروا لو تغفلون اى ان تغفلوا
عن اسلحتكم وامتعتكم التى للحرب فيميلون عليكم اى فيقصدونكم بالسوء ويحملوا
عليكم ميلة واحدة اى حملة واحدة فى الحرب فكونوا بالحذر عنهم ثم رخص
لهم فى ترك السلاح لعذر كالمرض والمطر فيثقل حمل السلاح عليهم بسبب ذلك
بقوله ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى من السقم فى
المزاج او من الجراحة فى البدن فى ان تضعوا اى تزيلوا عنكم اسلحتكم و
خذوا حذركم وان لم تحملوا السلاح لئلا يهجم العدو عليكم ولما كان الامر بالحذر
من العدو يوهم توقع غلبته نفى عنهم ذلك بقوله ان الله اعد للكافرين بدين
الحق عذابا مهينا يهانون فيه بنصرته لكم عليهم او بعقوبتهم بالنار فى الاخرة
فالامر بالحذر تعبد من الله لا لغلبة العدو ثم قال فاذا قضيتم الصلوة اى فرغتم
من صلوة الخوف فاذكروا الله بالتسبيح والتهليل قياما وقعودا وعلى جنوبكم
ونصب الكل على الحال اى قائمين وقاعدين ومضطجعين وقيل معناه
صلوا لله فى الامن صلوة الصحيح قياما وصلوة المريض قعودا وصلوة المرض

المعجز على جنوبكم وقيل معناه اذا شرعتم في الصلوة في حالة الخوف فصلوا لله مجاز بين
بالسيف في الصلوة بالقيام وجاثمين على الركب للرمي بالقعود ومثخنين
بالجراح على جنوبكم فالشافعي اوجب الصلوة على الخايف بكل حال وابو حنيفة
يبطلها بحالة القتال فاذا امن قضاها ثم قال فاذا اطمأننتم اي امنتم من الخوف
واقمتم فاقيموا الصلوة اي اتموها اربعا ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
اي فرضا مقدرا في وقتها فلا تؤخر عنه وفيه دليل للشافعي على انها واجب في
كل حال فللمسافر ركعتان وللمقيم اربع واذا تأخرت عن وقتها بعذر الخوف او
غيره ثم زال عنه فعليه القضا قوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم اي لا تضعفوا في طلب
الكفار نزل حين اصابت المسلمين جراحات يوم احد وكانوا يضعفون عن
الخروج الى الجهاد فامرهم الله بان يظهروا القوة والجد من انفسهم وهذا الخطاب
يعم لهم ولجميع الغزاة الى يوم القيمة ثم شجعهم على ذلك بقوله ان تكونوا تألمون اي تجدون
الم الجراحة فانهم اي الكفار يألمون اي يجدون الالم كما تألمون اي ذلك الالم
مشترك بينهم وبينكم ولكم زيادة ليست للكافرين لقوله وترجون من الله ما لا يرجون
اي الكفار من الثواب في الاخرة لانهم لا يؤمنون بالبعث فما لكم لا تصبرون
مثل صبرهم مع انكم اولى بالصبر منهم وكان الله عليما بما صدر منكم ومنهم
حكيما يحكم لكم بالثواب ولهم بالعقاب قوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق
اي القران بالعدل في الاحكام والحدود لتحكم بين الناس بما اراك الله

بما علمك

بما علمك بالالهام او بالوحي ولا تكن للخائنين في الامانة اي لاجلهم
خصيما اي مخاصما معينا لهم نزل حين سرق طعمة بن ابيرق وكان
منافقا شاعرا يهجو اصحاب النبي عليه السلام درعا من قتادة وكان
جارا له من بني ظفر وتركها عند زيد اليهودي ثم حلف انه ما سرق شيئا
فجاء قومه وكانوا اهل لسان وبيان فقالوا ان قتادة وابن اخيه عمدوا
الى البيت منا يتهمونهم بالسرقة فوقع قولهم عند النبي عليه السلام موقعا
ثم ظهرت الدرع عند اليهودي فاراد النبي عليه السلام ان يقطع يد
اليهودي فبين الله خيانتهم بقوله ولا تكن للخائنين خصيما وهو طعمة وكل
خاين واستغفر الله عند جدالك عن طعمة او مما هممت من عقاب اليهودي
ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب اليه واستغفره ولا تجادل اي لا تخاصم
عن الذين يختانون انفسهم اي يضرون نفوسهم بالسرقة وهم طعمة وقومه
الذين شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء في الاثم قيل هذا
خطاب للنبي عليه السلام والمراد غيره ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما
اي خائنا بالسرقة فاجرا برميه على غيره وانما ذكره بصيغة المبالغة لانه بالغ
في الخيانة باليمين الكاذبة والسرقة والتهمة للغير قيل ان الله لا يؤاخذ
عبده في اول مرة يستخفون اي يستترون حياء من الناس لانهم جعلوا الدرع
تحت التراب في حفرة اولا خوفا من ضررهم ولا يستخفون اي لا يستحيون

من الله وهو معهم بالعلم والقدرة اذ يبيتون اى يدبرون فى انفسهم
ويقولون ليلا ما لا يرضى الله من القول ولا يحبه وهو تدبير طعمة فى نفسه ان يرمى
بالدرع فى دار زيد اليهودى ليسرقه ويحلف ببرائته وانما سمى التدبير قولا و
هو فى معنى فى النفس على المجاز لانه حدث بذلك نفسه فكانه قال به او المراد بالقول
الحلف الكاذب الذى حلف به وكان الله بما يعملون محيطا اى عالما بحا
بخيانتهم وتدبيرهم ثم خاطب قوم طعمة الذين خاصموا عن طعمة السارق
بقوله ها انتم يا هؤلاء بحذف حرف النداء من هولاء ويجوز ان يكون انتم مبتدا
وخبره هولاء و ما بعده بيان له او هولاء اسم موصول بمعنى الذى صلته جادلتم
اى خاصمتم عنهم فى الحيوة الدنيا اى الخائنين فى الدنيا فمن يجادل الله استفهام
على سبيل الانكار اى من يخاصمه عنهم اى عن الخائنين اذا عذبوا يوم القيمة
ام اى بل من يكون عليهم وكيلا اى حفيظا ومحاسبا من بأس الله والوكيل
من يفوض اليه الامر ثم استعير الى الحفيظ لكون الحفظ لازما للوكيل قوله ومن يعمل
سوءا اى سرقة او معصية او شركا او يظلم نفسه باليمين الكاذبة وبرميه اليهودى
البرئ من السرقة او بذنب آخر ثم يستغفر الله اى يتب عن الذنب يجد الله
غفورا رحيما نزل فى شأن طعمة وقومه روى عن ابى بكر الصديق ما من عبد
يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلى ركعتين ويستغفر الله الا غفر الله له وتلا هذه الآية
ومن يكسب اثما اى ذنبا او شركا بالله فانما يكسبه على نفسه اى يضر بنفسه لا

يتعداه

192

يتعدا ضرره الى غيره فليضر نفسه من كسب السوء وكان الله عليما حكيما اى عن
كسب الاثم وبما حكم عليه من الجزاء ومن يكسب خطيئة اى صغيرة او اثما اى
كبيرة وقيل الخطيئة سرقة الدرع والاثم اليمين الكاذبة للسارق ثم يرم به
اى بالاثم بريئا اى اتهم به من هو برئ من الاثم كما رمى طعمة زيد اليهودى بالسرقة
فقد احتمل اى تحمل بهتانا اى ما يتهم به الانسان من الكذب واثما مبينا اى
ذنبا ظاهرا لا يغفر عنه ولولا فضل الله عليك يا محمد بعصمة النبوة ورحمته اى
وحيه اليك لاطلاعك على اسرارهم لهمت اى لقصدت طائفة منهم اى من
المنافقين ان يضلوك عن الحق ويخطئوك فى الحكم وهم قوم طعمة وما يضلون
عن الحق الا انفسهم لان وبال ذلك الاضلال راجع اليهم وما يضرونك
من شئ لان الله يعصمك من الناس وانما يضرون بانفسهم وانزل الله
عليك الكتاب اى القران والحكمة اى الموعظة والقضاء بالوحى وعلمك
ما لم تكن تعلم من الغيب والاحكام قبل الوحى وكان فضل الله عليك
عظيما بالنبوة والتعليم والعصمة من الناس لا خير فى كثير من نجواهم
اى تناجيهم وتدبيرهم بينهم وهو صفة لكثير والمراد تناجى قوم طعمة او تناجى
جميع الناس فيما بينهم من الاحاديث الردية الا من محله جر بدل من
نجواهم بتقدير المضاف اى الا نجوى من امر بصدقة بان كان له مال او
غيره بان يتصدق ان لم يكن له مال او معروف اى بكل فعل جميل فى

الشرع كالقرض للفقير واعانة الملهوف او الصدقة الفرض والمعروف التطوع
او القول بالمعروف والنهى عن المنكر او اصلاح بين الناس لدفع العداوة
والبغضاء من بينهم قال عليه السلام الا اخبركم بافضل من درجة
الصايم والقايم قيل بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات بين و
افساد ذات بين هى الحالقة التى تحلق الدين لا الشعر وقال ايضا كلام
ابن آدم كله عليه لا له الا من امر بمعروف او نهى عن المنكر او ذكر الله وفى
الاية ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله ثم ذكر الفاعل ووعد بالاجر ليدل به على
انهما من زمرة الخيرين المستحقين به فقال تعالى ومن يفعل ذلك اى الذى
ذكر من الاشياء الثلاثة ابتغاء مرضات الله اى لطلب رضاه لا لسبب
آخر لان العمل لغيره لا يقبل عنده فسوف نؤتيه بالنون وياء الغيبة اى
نعطيه فى الاخرة اجرا عظيما اى ثوابا كبيرا فى الجنة قوله ومن يشاقق الرسول
نزل حين قدم نفر من قريش المدينة واسلموا ثم رجعوا الى مكة مرتدين اى
من يخالف النبى من بعد ما تبين له الهدى اى التوحيد بعد وضوح
الدليل ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو الكفر لان سبيل المؤمنين هو التوحيد
والاسلام نوله ما تولى اى نجعله واليا متصرفا لما تولاه اى لما مال اليه
واحبه من الكفر والضلالة فى الدنيا بان نخذله ونخلى بينه وبين ما اختاره
الى يوم القيمة ونصله جهنم اى ندخله فى الاخرة نار جهنم وساءت مصيرا اى

مرجعا هى فيه دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفته كما لا يجوز مخالفة الكتاب
والسنة لانه جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين فى الشرط
والجزاء قرئ نوله ونصله بجزم الهاء وكسرها قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
اى الاشراك بالله ويغفر ما دون ذلك من المعاصى لمن يشاء نزل فى
شان الوحشى كما ذكر من قبل وقيل نزل فى شان شيخ اعرابى
جاء الى رسول الله فقال يا رسول الله انى شيخ منهمك فى الذنوب والخطايا
الا انى لم اشرك بالله شيئا مذ عرفته وآمنت به وانى لنادم مستغفر فما
حالى عند الله فقرء الاية ثم قال ومن يشرك بالله شيئا فقد ضل عن الهدى
والحق ضلالا بعيدا اى بعدت غايته عن كل خير فلا يرجى له الفلاح قوله ان
يدعون من دونه الا اناثا جمع الانثى نزل فى شان كفار مكة واظهار جهلهم
اى هم ما يعبدون من دون الله الا اصناما مسماة باسماء الاناث
كاللات والعزى والمنات وان يدعون اى وما يعبدون بعبادة الاصنام
الا شيطانا مريدا اى خارجا عن طاعة الله او المراد ابليس لعنه الله
اى طرده من رحمته حيث لم يسجد لآدم قيل كان فى كل صنم لهم شيطان
يكلم خدامهم فكانهم عبدوا الشيطان بعبادة الاصنام وقيل ابليس
زين لهم عبادة الاصنام فكانهم عبدوه وقال اى الشيطان
حين لعنه الله لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا اى طايفة مقطوعا

يقينهم يطيعوني لا لك قيل كل ما اطيع فيه ابليس فهو من مفروضه وقال الحسن
من كل الف واحد في الجنة وسايرهم في النار وهو النصيب المفروض للشيطان
وقال ايضا ولأضلنهم عن الهدى بالتزيين والوسوسة ولأمنينهم اي القي
في قلوبهم ما يتمنون من الاهواء الباطلة كطول العمر وبلوغ الامل ووصول
رحمة الله للمذنبين بغير توبة والخروج من النار بالشفاعة وغيرها او بلا جنة ولا نار
ولآمرنهم فليبتكن اي يقطعن آذان الانعام لانهم كانوا يشقون اذن الناقة
اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا ويحرمون الانتفاع بها وهي البحيرة
وقال ايضا ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اي ليبدلن ما خلقه الله لحكمة كالخصاء
في البهائم والآدميين لرغبة الخلق فيهم قيل جوز بعض العلماء في البهائم
لان فيه غرضا صحيحا وحرمه في الآدميين حتى كره شرى الخصيان واتخاذهم
لمنع الرغبة في خصائهم وقيل هو الوشم وغيره قال عليه السلام لعن الله الواشمات
هن اللاتي ينقشن على اعضائهن والنامصات هن اللاتي ينتفن الشعور من
وجوههن فقال تعالى ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله اي من يعبد
الشيطان ويطيعه ويترك امر الله وطاعته فقد خسر خسرانا مبينا اي غبنا
بينا بترك الحق النافع واختيار الباطل الضار يعدهم اي يخوفهم الشيطان
بالفقر حتى لا ينفقوا في خير ولا يصلوا رحما ويمنيهم اي يخبرهم بالباطل بان لا
ثواب لهم في عمل الخير وما يعدهم الشيطان الا غرورا اي باطلا وهو ما يوسوسهم

به

به من طول العمر ونيل الدنيا وغير ذلك اولئك مأويهم جهنم اي تلك الطائفة
مستقرهم في الآخرة نار جهنم ولا يجدون عنها محيصا اي مخلصا ومهربا ثم اخبر
عن حال المؤمنين في الآخرة والذين آمنوا وعملوا الصالحات باداء الفرائض
والانتهاء عن المحارم سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار نهر من ماء
غير آسن ونهر من لبن ونهر من خمر ونهر من عسل مصفى خالدين فيها ابدا
اي لا ينتهي عمرهم فيها ولا يتغير حالهم الحسنة من التنعم بالمستلذات باطمئنان
القلوب وعد الله حقا مصدر مؤكد لنفسه ومصدر مؤكد لغيره وقيل يجوز ان
يكون حقا حالا من وعد الله اي وعدهم الله هذا كله وعدا صدقا وكاينا
منجزا لا خلف فيه وفايدة هذه التاكيدات معارضة مواعيد الشيطان
الكاذبة لاقرانه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد في ايثار ما
يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون في عاقبة غصص اخلاف الشيطان
مواعيده لكذبها ثم قال بالاستفهام لنفي الاصدق من سوى الله تعالى
ومن اصدق من الله قيلا اي قولا ووعدا فيه مبالغة في التوكيد ليتركوا مواعيد
الشيطان ويرغبوا مواعيد الرحمن قوله ليس بامانيكم اي ليس ما قدرتم
في انفسكم من استحقاق الثواب الذي وعده الله لعباده بشهواتكم الباطلة
ولا اماني اهل الكتاب اي ولا ما قدروا في انفسهم من سبقهم على المؤمنين
لسبق كتابهم ونبيهم بشهواتهم الباطلة نزل حين قال اهل الكتاب

للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن اولى بالله منكم و
قال المومنون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي على الكتب
بالصدق وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن اولى بالله منكم فقال تعالى
ردا على الفريقين ليس ما ادعيتم من قولكم نحن اولى بالله منكم اوليس ما وعد
الله بتمنيكم ولا بتمني اهل الكتاب بل ذلك بالعمل الصالح وترك المعصية
يوضحه قوله من يعمل سوءا يجز به اى يعاقب به ولا ينفعه تمنيه وهو عام في
حق غير التائب وقيل عام في حق الكل لما روي انه لما نزل ذلك شق
على المسلمين فقال ابو بكر كيف الفلاح بعد هذه الاية يا رسول الله فقال
عليه السلام الست تمرض الست تحزن الست يصيبك اللاوى اى الشدة
فذلك كله جزائه وقيل المراد من السوء الكفر ولا يجد من دون الله اى لا يجد
الكافر لنفسه من غير الله وليا اى قريبا ومحبا ينفعه في الاخرة بالشفاعة
ولا نصيرا اى مانعا يمنعه من عذاب الله ثم قال ومن يعمل من الصالحات
اى بعض الصالحات من ذكر او انثى بيان لمن لما فيه ابهام وهو
مؤمن حال من الضمير في يعمل اى والحال انه مصدق بالثواب والعقاب
يوم البعث فاولئك يدخلون الجنة قرئ معلوما ومجهولا ولا يظلمون
نقيرا اى لا ينقصون من ثواب اعمالهم قدر النقير وهو النقرة في ظهر
النواة وذكر انتفاء الظلم في حق الصالحين فقط تفضيلا لهم او هو من

قبيل

قبيل الاكتفاء ثم قال تفضيلا لدين الاسلام على غيره من الاديان و
من احسن دينا ممن اسلم اى اخلص وجهه اى دينه وانقاد بجملته
ظاهرا وباطنا لله وهو محسن اى موحد عامل الحسنات وتارك للسيئات
واتبع ملة ابراهيم حنيفا حال من ضمير اتبع او من ابراهيم اى حال كونه
مائلا عن الاديان كلها الى دين الاسلام واتخذ الله ابراهيم خليلا
اى صفيا وهو من ليس في مودته خلل والجملة اعتراض يفيد تاكيد
وجوب اتباع ملته والواو للحال لا للعطف المعنى ان الاحسن في الدين
من يمتثل امر الله ويوافق رضاه كموافقة الخليل خليله روى
جابر عن رسول الله عليه السلام انه قال اتخذ الله ابراهيم خليلا
لاطعامه الطعام وافشائه السلام وصلوته بالليل والناس نيام
ثم قال تاكيدا لامتثال امر الله ولله ما في السموات وما في الارض
اى الله مالك اهلها فطاعته واجبة عليهم لكونهم عبيده وحكمه نافذ
فيهم وكان الله بكل شيء محيطا اى احاط علمه بكل شيء من الصلاح
والفساد وغيرهما فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما يصلح لهم قوله ويستفتونك
في النساء نزل في شان الذين يمنعون ميراث النساء وهي بنات
ام كحة ويمتنعون نكاح اليتامى من النساء لدمامتهن ويكرهون
تزويجهن الغير لاجل مالهن اى يسألونك عن ميراث النساء قل الله

يفتيكم فيهن اى يبين لكم مالهن من الميراث وعطف وما يتلى عليكم على
ضمير الفاعل فى يفتيكم او على الله اى الله يفتيكم والمتلو عليكم يفتيكم
فى الكتاب اى فى كتاب الله وهو اللوح المحفوظ والقران ذكره تعظيما للمتلو عليهم
لان العدل فى حقوق اليتامى من عظام الامور المرفوعة الدرجات عند الله
والاخلال بها ظلم يتهاون به ما عظمه الله ويتعلق قوله فى يتامى النساء
بيتلى والاضافة فيه بمعنى من كقولك خاتم حديد اى يتلى فى ميراث اليتامى
منهن اللاتى لا تؤتونهن اى لا تعطونهن ما كتب اى ما فرض لهن من الميراث
والصداق وترغبون اى تزهدون وتعرضون ان تنكحوهن اى عن نكاحهن
لدمامتهن عن عمر رضى الله عنه انه كان يقول لولى اليتيمة اذا كانت جميلة
غنية زوجها غيرك وان كانت قبيحة فقيرة تزوجها انت قوله والمستضعفين
من الولدان جر عطف على يتامى النساء اى ويفتيكم الله والمتلو عليكم
فى المستضعفين من الصبيان قيل كان اهل الجاهلية يورثون الرجال
ولا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يغزون فرض الله لهم الميراث
وامر لليتيم بالعدل بقوله وان تقوموا وهو جر عطف على يتامى النساء اى
ويفتيكم الله المتلو عليكم فى القيام لليتامى بالقسط اى بالعدل والانصاف
قيل يجوز ان يكون الخطاب للاوصياء وان يكون للحكام بان يستوفوا
لهم حقوقهم وان ينظروا اليهم بنظر الرحمة ثم قال وما تفعلوا من خير فان الله كان

به عليما يجازيكم به قيل فى الاية دليل على ان ما سوى الاب والجد اذا
زوج اليتيمة جاز وانه اذا زوجها من نفسه جاز اذا كانت غير ذى رحم
محرم منه قوله وان امرأة خافت اى توقعت وعلمت من بعلها نشوزا
اى ايذاء وجفاء او ترك مضاجعة بغضا لها او اعراضا عنها بوجه
او نفقة وقلة الالتفات اليها مجالسة ومحادثة فلا جناح عليهما ان يصلحا
يصلحا من اصلح وان يصالحا بالالف وتشديد الصاد والاصل ان يتصالحا
اى يصطلحا بينهما صلحا نزل فى شأن بنت محمد بن مسلمة وفى زوجها سعد
بن الزبير تزوجها وهى شابة فلما كبرت تزوج عليها شابة اخرى واثرها
عليها وجفاها بنت محمد بن مسلمة فاتت رسول الله فشكت اليه فامر بالاصلاح بينهم
وهو بان يتوافقا على ما يطيب به انفسهما بان يترك احدهما شيئا مما
يستحقه على صاحبه طلبا للصحبة ثم قال والصلح خير اى افضل من
الفرقة والنشوز والاعراض واحضرت الانفس الشح اى الزمت البخل
النفوس فى الجبلة لا تفارقها ابدا فهى حاضرته والغرض من ذلك بيان ان
العدل بين الانفس امر صعب على حد يوهم انه غير مستطاع اذ رعاية
التسوية فى القسمة والنفقة والنظر والاقبال والممالحة والمناكحة والمؤانسة
وغيرها كالخارج عن حد الاقتدار هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال
القلب مع بعضهن فالامر بينهن الصلح والصبر او الترك والاستراحة

ثم قال وان تحسنوا العشرة مع نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن
وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا اى الفرقة والجور والاذى فان
الله كان بما تعملون خبيرا من الاحسان والنشوز فيجازيكم به ثم قال ولن
تستطيعوا اى لن تقدروا ان تعدلوا بين النساء اى ان تسووا بينهن
فى ميل القلب وحبه والنفقة والقسم ولو حرصتم اى جهدتم بصرف كل الوسع
على العدل بينهن بعد ان وجب عليكم التسوية فى القسمة والنفقة وغير ذلك
مما يستحقنه فلا تميلوا كل الميل اى التى تحبونها فى النفقة والقسمة ولا تجوروا
على المرغوب عنها كل الجور فيمنعوها قسمتها ونفقتها من غير رضى منها فتذروها
كالمعلقة نصب جواب النهى او جزم بالعطف على ان تميلوا المعنى فتتركوها بغير
قسمة لا ايما ولا ذات بعل كالمسجونة قال عليه السلام من كان له امرأتان و
قال الى احديهما جاء يوم القيمة وشقه مايل وروى ساقط فقيل كان النبى
عليه السلام يعدل بين نسائه فى القسمة ثم يقول اللهم هذا قسمى فيما املك فلا تلمنى
فيما تملك ولا املك يعنى الحب والجماع ثم قال تعالى وان تصلحوا بينهن
بالتسوية والعدل والتوبة عما مضى من ميلكم عن التى كرهتموها والرجوع اليها
وتتقوا الجور فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما حيث تجاوز عن ذنوبكم
ورخص لكم فى الاصلاح وان يتفرقا اى الزوج والزوجة يغن الله كلا اى كل واحد
منهما من سعته اى من رزقه بان تتزوج المرأة غيره ويتزوج الزوج غيرها وكان

الله

الله واسعا اى واسع الرزق والفضل حكيما يحكم بالتسوية والتفرقة
لحكمة يعلمها ولله ما فى السموات وما فى الارض اى حكمه نافذ على اهلهما يجب
عليهما طاعته فيجب على الزوج التسوية بين نسائه فى القسم والنفقة وعليه
قضاء القسمة المطلوبة والشرط فى القسمة البيتوتة لا الجماع لانه مبنى
على النشاط وليس ذلك اليه ثم قال تاكيدا لذلك ولقد وصينا اى امرنا
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اى اهل التورية والانجيل واياكم يا امة محمد فى
القران ان اتقوا الله فيما وصيناكم به من التوحيد والعمل بالشرايع
وان تكفروا عطف على اتقوا اى وقلنا لكم ولهم ان تجحدوا بما وصيناكم به فان
لله ما فى السموات وما فى الارض من الملائكة وغيرهم فهم اطوع منكم وهو
غنى عنكم وعن طاعتكم وكان الله غنيا عن جميع خلقه حميدا اى محمودا فى
فعله وقوله ولله ما فى السموات وما فى الارض اى كله ملكه ومخلوقه مفتقرون
اليه لانه رازقهم ومدبر امورهم دينا ودنيا كرره تقريرا لما يوجب التقوى
منه فيجب ان يتقى وكفى بالله وكيلا اى ربا حفيظا فيجب ان تتكلوا
عليه لا على غيره ثم هدد المشركين العاصين بقوله ان يشأ يذهبكم ايها
الناس اى يعدمكم فى الدنيا اذا عصيتم امره ويأت بآخرين اى
يوجد قوما اطوع منكم فيما يأمركم وكان الله على ذلك اى على الاعدام
والايجاد كما يريد قديرا اى بليغ القدرة عليه قيل فى هذه الاية تخويف

وتنبيه لكل من كانت له ولاية وحكم على الغير من النواب والامراء والقضاة
الذين لم يعدلوا بين الناس ومنهم العالمون الذين لم يعملوا بعلمهم
ولم ينصحوا الناس ليهتدوا في الدين ثم قال من كان يريد ثواب الدنيا اي من يقصد
بعمله الذي يعمل من اعمال الاخرة حطام الدنيا ولذاتها كالمجاهدين يريد
بجهاده الغنيمة والقاري يريد بقرائته الاجر دون ثواب الاخرة فعند الله
ثواب الدنيا والاخرة اي فعنده ثوابان الاعلى والادنى فلا يطلب شيئا
الادنى والمعنى فماله يطلب احدهما دون الاخر والذي يطلب اخسهما وهو
كلا شيء في جنب الاعلى وهو ثواب الاخرة فليعمل لآخرته روي عن النبي
عليه السلام ان في جهنم واديا اعد للفقراء المرائين والمراد منهم العلماء والحفاظ
الذين يفتخرون بما فيهم ويأكلون به وقال عليه السلام ان شر الناس من
قرء كتاب الله وتفقه في دين الله ثم بذل الفقه لفاجر اذا تفكه بقرائته وتحاشيته
فيطبع الله على قلب القاري والمستمع وكان الله سميعا باقوالهم بصيرا
اي بليغا في العلم باعمالهم ونياتهم فيجازيهم بها ثم امر الناس بالعدل
ونهاهم عن الجور بقوله يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط اي مجتهدين
في العدل حتى لا تجوروا شهداء لله نصب على الحال اي حال كونكم
مقيمين شهاداتكم لوجه الله تعالى كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم اي ولو
اذا كانت عندكم شهادة ولو شهدتم على انفسكم وذلك بان تقروا عليها

فيكون

فيكون اقراركم شهادة على انفسكم والمعنى ولو كان ضررها على انفسكم وذلك
بان يشهد الرجل على من يتوقع ضرره من سلطان او ظالم او الوالدين والاقربين
اي ولو كانت الشهادة على هؤلاء ايضا ولا تكتموها ان يكن المشهود عليه
غنيا او فقيرا يعني لا تميلوا الى الغني لغناه ولا تكتموا الشهادة على الفقير
لاجل فقره ترحما عليه فالله اولى بهما اي احرى بالاغنياء والفقراء بالنظر
الى حالهما وارادة مصالحهما منكم فكلوا امرهما الى الله والمراد من الغني والفقير
جنساهما ولذا رد الضمير بالتثنية اليهما بقوله بهما وحقه ان يوحد لان قوله ان يكن
غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين ولا تتبعوا الهوى اي لا تشهدوا
بهواكم ولكن اشهدوا على ما علمتم وشهدتم عليه ان تعدلوا اي ارادة
ان تميلوا عن الحق للقرابة والمودة وغيرهما من العدول او كراهة ان تعدلوا
بين الناس بالحق من العدل وان تلووا اي ان تحرفوا الشهادة عما هو الحق
لتبطلوه قرئ بواوين اولاهما مضمومة من لوى اذا حرف وبواو قبلها لام
مضمومة من ولي اذا قرب او تسلط بالحكم اي ان قربتم من اقامة الشهادة
او تعرضوا عن الشهادة فتكتموها ويجوز ان يكون خطابا للحكام اي ان
تحرفوا الحكم الحق او تعرضوا عن احد الخصمين وتميلوا الى الاخر في الحكم
فان الله كان بما تعملون خبيرا اي عالما بالتحريف في الشهادة والحكم فيجازيكم
به قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقم شهادته على

من كانت ومن كانت يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يجد لحق هو عليه ولبؤده
ولا يلجئه الى السلطان والخصومة ثم خاطب اهل الكتاب بالايمان بمحمد
واتباع شرايعه بقوله يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى آمنوا بالله ورسوله
اى محمد عليه السلام والكتاب الذي نزل على رسوله اى بالقرآن بالتشديد
لانه نزله نجوما فى عشرين سنة والكتاب الذي انزل من قبل اى وبكل كتاب
انزل قبل القرآن قرئ معلوما ومجهولا من الانزال لان الكتب لم ينزل كالقرآن
نجوما فالكتاب المراد منه الجنس ليتناول التورية والانجيل وغيرهما من
الكتب السماوية لانهم كانوا مؤمنين بالكتابين فحسب فامروا ان يؤمنوا بالجنس
كله ويجوز ان يكون الخطاب للمسلمين فيكون معنى امنوا اثبتوا على الايمان والمراد
برسوله الجنس اى جنس الرسل ويجوز ان يكون الخطاب للمنافقين فمعنى الذين
امنوا الذين صدقوا باللسان نفاقا امنوا بالقلب اخلاصا ثم هدد الجميع بقوله ومن
يكفر بالله اى بتوحيده وملائكته اى بانهم عبيده وكتبه المنزلة من السماء و
رسوله المبعوثين اليهم واليوم الاخر اى بالبعث بعد الموت فقد ضل ضلالا
بعيدا عن الهدى ولا يرجى فلاحه ثم هدد الذين ترددوا فى الايمان و
ارتدوا عن الاسلام بعد وضوح الدليل بقوله ان الذين امنوا بموسى
والتورية ثم كفروا بعد موسى ثم امنوا بعيسى والانجيل ثم كفروا بعد عيسى
ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه السلام والقران قيل يجوز ان يكون المراد منه المرتدين

عن دين

عن دين محمد كابي عامر الراهب ومحارب وغيرهما فانهم امنوا بالنبي عليه
السلام ثم كفروا به ثم امنوا ثم كفروا ثم ماتوا على كفرهم فقال تعالى لم يكن الله
ليغفر لهم اذا ماتوا على كفرهم ولا ليهديهم سبيلا اى طريقا الى الحق يعني لا يقبل
توبتهم ان تابوا قبل الموت اضطرارا وخوفا على انفسهم واموالهم قالوا اذا
اسلم الكافر اول مرة وداوم على اسلامه يغفر له كفره السابق فان اسلم ثم
كفر ثم اسلم ثم كفر لا يغفر كفره السابق الذي غفر له لو دام على الاسلام ويطالب
بجميع ما فعل فى كفره الاول قوله بشر المنافقين اى اخبرهم يا محمد وضع
فيه بشر مكان اخبر تهكما بهم ان لهم عذابا اليما ثم وصفهم بقوله الذين يتخذون
الكافرين اى اليهود والنصارى اولياء اى اصدقاء فى العزة والنصرة
من دون المؤمنين ثم قال باستفهام الانكار توبيخا ايبتغون عندهم
العزة اى ايطلبون عنهم المعونة والظهور على محمد عليه السلام فان العزة لله
جميعا اى القوة والغلبة لاولياء الله كلهم لا للكافرين فنصب جميعا على
الحال من الجار والمجرور بتقدير المضاف وقد نزل مجهولا من التنزيل والواو
للحال عليكم ايها المنافقون فى الكتاب يعني فى سورة الانعام ومفعول المجهول
ان المخففة من المثقلة مع ما بعده واسمه ضمير الشان اى انه اذا سمعتم ايات الله
اى القرآن يكفر بها ويستهزئ بها فكان اليهود يستهزؤن بالقرآن وهم يسمعون
ذلك فلا تقعدوا جواب اذا اى لا تجالسوا معهم اى مع الكافرين بالقرآن

والمستهزئين به حتى يخوضوا في حديث غيره اى شرعوا فى كلام اخر انكم اذا اى اذا
قعدتم معهم وسمعتم استهزاءهم ورضيتم به مثلهم فى الكفر لان ترك انكار الكفر
مع القدرة عليه رضى به والرضاء بالكفر كفر قال ابن عباس دخل فى
هذه الاية كل محدث فى الدين ومبتدع الى يوم القيمة وفيه دليل ان
من جلس فى مجلس المعصية ولم يقدر الانكار على اهله يجب ان يقوم عنهم حتى
لايكون معهم فى الوزر سواء ثم هدد الخائضين والمستهزئين بالنفاق بقوله
ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا اى ماتوا على كفرهم ونفاقهم
وقدم المنافقين هنا لانهم اشد من الكفار ثم اخبر عن المنافقين بقوله
الذين يتربصون بكم الدواير وهى عبارة عن تغير الحال بالسوء عليكم قيل
محل الموصول جر صفة المنافقين او نصب بدل من الذين يتخذون او على الذم
او رفع بانه خبر مبتداء محذوف اى هم الذين ينتظرون بكم المصايب او العاقبة
لكم ام لعدوكم فان كان لكم فتح اى ظفر من الله قالوا الم نكن معكم فى الجهاد
على عدوكم فاعطونا نصيبا من الغنيمة وان كان للكافرين نصيب اى
ظفر وغلبة على المؤمنين وسمى ظفر المؤمنين فتحا لانهم يثابون به ويفتح له
ابواب السماء للقبول وظفر الكافرين نصيبا لانه حقير يزول ويعاقبون
عليه وجزاء الشرط قالوا اى المنافقون للكفار الم نستحوذ اى الم نغلب عليكم بالاثبات
لكم من الاستحواذ وهو الاستيلاء على الشيء اى الم نطلعكم على سرهم ونخبركم عن

حالهم بالارسال اليكم اخبارهم واستعددتم لهم برحمة منا لكم ونمنعكم من المؤمنين
اى الم نخبرهم عنكم بان خذلناهم عنكم فغلبتم عليهم فقال تعالى فالله يحكم بينكم
ايها المؤمنون والمنافقون يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا
اى حجة او طريقا بالغلبة لا فى الدنيا ولا فى الاخرة واما الغلبة للكفار فى بعض
الاوقات فهى لحظة فى الدنيا يصيبونها لا الاستيصال او ليس لهم عليهم
سبيل بالشيء وبهذا احتج بعض العلماء على ان الكافر لا يملك العبد المسلم بين
حال المنافقين فى الدنيا فقال ان المنافقين يخادعون الله اى يعاملونه
معاملة المخادعين باظهارهم الايمان بالسنتهم وكتمانهم فى صدورهم وهو
هو خادعهم اى والحال ان الله يجازيهم جزاء خداعهم او يعطون نورا يوم القيمة
كالمؤمنين فيمشون على الصراط مع المؤمنين فيمضى المؤمنون بنورهم ويطفأ نور
المنافقين فيبقون فى ظلمة لا غاية لها ثم قال واذا قاموا الى الصلوة قاموا
كسالى اى متثاقلين لا عن طيبة نفس ورغبة فيها يراؤن الناس بفعلهم الخير
لا يريدون به وجه الله ومعنى المراءة ان يرى الناس عمله وهم يرون استحسانه
ولا يذكرون الله الا قليلا اى الا ذكرا قليلا نادرا وهو ما يجاهرون به
سمعة للناس او لا يصلون الا قليلا وهو ما يصلون عند الناس لا فى
الغيبة عن عيونهم والمراد بالقلة العدم اى لا يذكرونه اصلا لانهم يشتغلون
بذكر الدنيا وحطامها ويستغرقون اوقاتهم بحديثها وحديث الناس واللغو

قوله مذبذبين نصب على الحال من ضمير يذكرون اى مرددين يرددهم الشيطان
بين ذلك اى بين الكفر والايمان او بين المؤمنين والكافرين لا الى هؤلاء
ولا الى هؤلاء اى ليسوا مع المؤمنين فى التصديق ولا مع الكافرين فى ظاهر الكفر
وهو ايضا حال بمعنى متلونين ومن يضلل الله عن الهدى فلن تجد له سبيلا
اى طريقا الى الهدى لانه خذله الله عنه ثم نهى الله المؤمنين عن موالات الكفار
ظاهرا وباطنا فقال يا ايها الذين آمنوا بالاخلاص لا تتخذوا الكافرين
اولياء من دون المؤمنين ثم اكد النهى بقوله اتريدون ان تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا اى حجة ظاهرة على النفاق لتعذيبكم فى الاخرة لان موالاة
الكفار تشهد على النفاق فيكون حجة بينة على التعذيب ثم بين مستقر
المنافقين فى الاخرة بقوله ان المنافقين فى الدرك الاسفل بفتح الدال والسكون
اى فى اخفض مكان من النار وهو قعر جهنم وسمى هاوية ولن تجد لهم نصيرا اى
مانعا يمنعهم من العذاب قيل هم فى توابيت من حديد مقفلة فى النار و
عذاب المنافقين اشد من عذاب غيره من الكفرة لنفاقه واستهزائه بالدين
ثم استثنى التائبين من النفاق بقوله الا الذين تابوا اى رجعوا من النفاق
واصلحوا الفاسد من اعمالهم واعتصموا اى تمسكوا بالله اى بتوحيده
واخلصوا دينهم بقلوبهم لله لان النفاق كفر القلب واظهار الايمان باللسان
فى الشريعة واما تسمية الفساق باسم النفاق فمجاز تغليظ ليمتنع عن فسقه

كما قال عليه السلام ثلث من كن فيه كان منافقا وان صام وصلى
وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا ائتمن خان
ثم قال تعالى فى جزاء التائبين من النفاق فاولئك مع المؤمنين
فى الجنة او معهم فيما لهم وما عليهم فى الدنيا وسوف يؤت بحذف
ياء يؤتى خطا اتباعا للفظ لانه حذف لالتقاء الساكنين اى يعطى الله
المؤمنين اجرا عظيما فى الاخرة اى ليشاركونهم ويساهمونهم ثم قال
باستفهام التقرير اى تقريرا انه لا يعذب المؤمن الشاكر تطييبا
لنفوس المؤمنين ما يفعل الله بعذابكم اى اى شيء يفعل بعذابكم ان
شكرتم الله وآمنتم به اى وحدتموه يعنى لا حاجة الى تعذيبكم لو امنتم
بربكم خالقكم ورازقكم وشكرتم له على نعمته التى انعمها عليكم ايتشفى به من
الغيظ ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما يفعل السلاطين على رعاياهم
بعذابهم وهو الغنى الذى يستحيل عليه شيء من ذلك فان اقمتم بشكر نعمته
وآمنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب ويجوز ان يكون
ما نافية اى لا يعذبكم ان شكرتموه وكان الله شاكرا عليما اى مثيبا
موفيا اجوركم عالما بحق شكركم وايمانكم وتقديم الشكر على الايمان
هنا مع ان الامر بالعكس ايذان بان اصل التكليف الشكر المبهم لان
العاقل اذا نظر الى ما انعم عليه تصور منعما فيشكر شكرا مبهما فادى ذلك

الی تجدید النظر لمعرفة المنعم القدیم فآمن به فیشکر شکرا مفصلا فقدم الشکر
علی الایمان من هذا الوجه لا یحب الله الجهر ای ان یجهروا بین الناس بذکر
رجل بین الناس منهم بالسوء من القول کالشتم والخبث وغیر ذلک من الالفاظ
القبیحة الا من ظلم نصب علی الاستثناء بتقدیر المضاف ای الا جهر من ظلم
شخص فیدعو علیه بقوله اللهم اعنی علیه او خذ حقی منه او بدئ بالشتم فرد مثله
نزل فی شان ابی بکر الصدیق شتمه رجل فسکت ابو بکر مرارا ثم رد علیه مثله
وقیل نزل فی الضیف الذی ینزل بالقوم فلم یحسنوا الیه فله ان یذکر ما فعلوا
به وسب مثل ما سبوه ما لم یکن کلاما فیه حد والسکوت افضل وکان الله
سمیعا لاقوالکم ودعائکم علیما باحوالکم وعقابکم ان ظلمتم ثم حث علی التجاوز وترک
الانتصار لقوله ان تبدوا ای تظهروا خیرا ای حسنة او تخفوه ای الخیر او تعفوا عن
سوء ای عن مظلمة ولا تجهروا بالسوء عن الظالم فان الله کان عفوا قدیرا یعفو
عن الجانین مع القدرة علی الانتقام فعلیکم ان تقتدوا بسنة الله وسنة رسوله
ان الذین یکفرون بالله ورسله نزل اخبارا عن اهل الکتاب انهم یؤمنون
بموسی وعیسی ویکفرون بغیرهما من الانبیاء ویریدون ان یفرقوا بین الله
ورسله ولا یعلمون ان الکافر برسول من رسله کافر بالله ویقولون نؤمن
ببعض کموسی وعزیر ونکفر ببعض کعیسی ومحمد ویریدون ان یتخذوا بین
ذلک ای بین الکفر والایمان سبیلا ای دینا وسطا بین الکفر والاسلام ولفظ

ذلک یستعمل بمعنی المفرد وهو الاغلب وقد یقع بمعنی المثنی والجمیع وههنا بمعنی
المثنی ثم بین الله ان ما فعلوا کفر یقینا بقوله اولئک هم الکافرون حقا
مصدر مؤکد ای ثابتا کفرا کاملا لا شک فیه واعتدنا للکافرین بجمیع الرسل
او ببعضهم وبما انزل الیهم عذابا مهینا یهانون فیه ابدا ثم بین ثواب
المقرین بجمیعهم بقوله والذین آمنوا بالله ورسله ولم یفرقوا بین احد منهم بالایمان
ببعض والکفر ببعض وادخل بین فی احد وهو یقتضی المتعدد لان احدا بمعنی
الجمع هنا لانه لفظ یعبر به عن المفرد والمثنی والجمع والمذکر والمؤنث ای
آمنوا بجمیع رسل الله بلا تفرقة بینهم اولئک سوف نؤتیهم بالیاء والنون ای
نعطیهم اجورهم ای ثوابهم فی الجنة وکان الله غفورا لمن تاب منهم رحیما
بهم لطاعتهم ربهم قوله یسئلک اهل الکتاب ان تنزل علیهم کتابا من السماء
نزل حین قال علماء الیهود ککعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء و
اصحابهما ان کنت نبیا یا محمد فأتنا بکتاب من السماء جملة واحدة لا
بالدفعات کما جاء به موسی تجهیلا لهم وتسلیة للنبی علیه السلام فقال
تعالی ان استکبرت ما سألوه منک فقد سألوا ای سأل آباؤهم وهم
بمنزلتهم وعلی مذهبهم فی الرضا بسؤالهم موسی اکبر من ذلک ای مما سألوه
منک فقالوا ارنا الله جهرة ای عیانا وهم الذین ساروا مع موسی الی
طور سیناء للاعتذار من ذنوبهم فاخذتهم الصاعقة ای احرقتهم النار

النازلة من السماء بظلمهم اى بسوالهم للرؤية وهم عيانا ثم اتخذوا العجل الها مع ذلك السوال وعبدوه فى حال غيبة موسى من بعد ما جاءتهم البينات اى العلامات بموسى على نبوته فعفونا عن ذلك كله بتوبتهم ولم نستأصلهم ظيتوبوا بولاء فنغفر عنهم كما عفونا عن ابائهم وآتينا موسى سلطانا مبينا اى حجة ظاهرة عليهم وهى اليد والعصا ليطيعوه حين امرهم بالتوبة بقتل انفسهم حتى يتاب عليهم فاطاعوه وانقادوا لامر القتل والسيوف ساقط عليهم فتابوا الينا فتبنا عليهم برفع السيوف والخناجر عنهم ثم اخبر عن حالهم الاخرى بقوله ورفعنا فوقهم الطور اى قلعنا الجبل فوقهم كانه ظلة بميثاقهم اى بسبب ميثاقهم ليخافوا ولا ينقضوه حين قروا بما فى التورية ثم ابوا ان يقبلوا شرايعها وقلنا لهم ادخلوا الباب اى باب اريحا سجدا حال اى منحنين اصلابهم وقلنا لهم لا تعدوا اى لا تجاوزوا ما حرم عليكم الى الاستحلال فى السبت اى من اخذ السمك فى يوم السبت يعنى لا تستحلوا ذلك بعد ما حرم فيه قرئ لا تعدّوا بالتشديد مع فتح العين وباختلاس حركتها مع التشديد اصله لا تعتدوا وبالتخفيف من عدا يعدو ثم قال تعالى واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عهدا شديدا فى التورية ليفوا عليه ثم تركوا عهدنا فى هذه الاشياء ونقضوا الميثاق فبما نقضهم الباء متعلقة بمحذوف وما زايدة للتاكيد ومعناه تحقيق ان العقاب لم يكن

الا بنقض العهد اى فبنقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله اى وبجحدهم ما فى التورية ايضا وقتلهم الانبياء وباهلاك انبيائهم بغير حق اى بلا جرم وقولهم قلوبنا غلف اى وبقولهم لك قلوبنا ذات غلاف فلا نفقه حديثك وقرائتك فعلنا بهم ما فعلنا وهو اللعنة والخذلان فحذف المسبب بدلالة ذكر السبب عليه تفخيما للشأن قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فيتعلق به على وجه الاعتراض اى خذل الله قلوبهم بسبب كفرهم ومنعها الالطاف فصارت كالمطبوع عليها لا انها مغلوفة بالخلقة لا تقبل الذكر والايمان فلا يؤمنون الا قليلا اى ايمانا قليلا كالعدم وهو الايمان ببعض دون بعض او القليل منهم عبد الله بن سلام واصحابه ثم عطف قوله وبكفرهم وقولهم على قوله فبما نقضهم وفايدة العطوف المتعاقبة قبل الجواب تبيين انهم استحقوا العذاب بمجموع هذه الاشياء الشنيعة اى لعناهم ايضا وخذلناهم بسبب كفرهم بعيسى وبسبب قولهم فى حقه بالافتخار انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله بالنصب فى عيسى ورسول الله عطف بيان للمسيح وسموه برسول الله استهزاء به وقيل هو قول الله لا قول اليهود وذلك ان اليهود اجتمعوا على قتل عيسى فهرب منهم ودخل فى بيت وامر ملكهم رجلا اسمه يهوذا بان يدخل عليه فجاء جبرئيل ورفع عيسى الى السماء

فلما دخل الرجل البيت لم يجده فالقى الله شبه عيسى عليه فلما خرج من البيت
ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه وقال تعالى فى شأنه عليه السلام وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم المقتول بعيسى فاختلفوا فيه فقالوا ان كان هذا
عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى ويجوز ان يسند شبه
الى لهم بمعنى وقع التشبيه لهم بعيسى ثم قال تعالى وان الذين اختلفوا فيه اى فى
عيسى لفى شك منه لان بعض اليهود قالوا نحن قتلناه وكذا قال بعض النصارى
وقال البعض من الفريقين ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله الى السماء
ما لهم به اى بقتله من علم اى يقين بعيسى لم يكن عندهم علم يقين انه قتل
او لم يقتل الا اتباع الظن استثناء منقطع اى لكنهم اتبعوا ظنهم فى قتل
عيسى لما لاحت لهم امارة ذلك ثم اكد كذبهم بقوله وما قتلوه اى عيسى
يقينا نصب على الحال اى متيقنين او مصدر اى قتلا يقينا بل رفعه الله اليه
اى الى حفظه فى السماء فى شهر رمضان ليلة القدر وقيل فى يوم عاشوراء
بين الصلوتين وكان الله عزيزا اى منيعا حيث منع عيسى من القتل
حكيما اى صانعا بحكمة حيث رفعه الى السماء وشبه صاحبهم بعيسى قوله
وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اخبار من الله لنبيه عليه السلام
قبل موته للوعيد وتعجيل الايمان به فى وقت الانتفاع به بانه ما احد من
اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا والله ليؤمنن بعيسى بعد نزوله من السماء

على صخرة بيت المقدس ويقتل الدجال ويكسر الصليب ويهدم
البيع والكنائس حتى يكون الملة واحدة وهى دين الاسلام قبل موت
عيسى قيل يبقى عيسى بعد نزوله من السماء فى الارض اربعين سنة نبيا
اماما مهديا على دين محمد عليه السلام ويقع الامنة فى زمانه حتى ترتع
الاسود مع الابل والنمر مع البقر والذئاب مع الغنم والصبيان مع
الحيات والعقارب ثم يموت ويصلى عليه هذه الامة وقيل فى موته الها
للكتابى والمعنى ان كل كتابى قبل موته يؤمن بعيسى حين لا ينفع الايمان
سواء احترقوا او غرقوا او قتلوا بالسيف لا بد ان يؤمنوا والضمير فى به
او لمحمد ويوم القيمة يكون ايمانهم او عيسى عليهم شهيدا بانه قد بلغهم الرسالة
فيشهد على اليهود انهم كذبوه وقذفوه وامه وعلى النصارى انهم ادعوا
فيه الالهية قوله فبظلم يتعلق بقوله حرمنا بعده اى فبشرك من الذين هادوا
اى من اليهود حرمنا عليهم طيبات احلت لهم من المطاعم وغيرها او فبكل
ما صدر منهم من الصغير والكبير حرم عليهم بعض الطيبات وهى التى حرمت
عليهم فى سورة الانعام وبصدهم اى بصرفهم عن سبيل الله اى عن دينه
كثيرا من الناس واخذهم الربوا عطف على بصدهم وقد نهوا عنه اى والحال
انهم نهوا عن اخذهم الربوا فى التورية واكلهم اى وباخذهم واكلهم اموال
الناس بالباطل اى بالرشوة فى الحكم وتحريف الكتاب واعتدنا للكافرين

بالقران وبمحمد عليه السلام منهم اى من اليهود عذابا اليما اى وجيعا دايما قوله
لكن الراسخون استدراك عن كفر اليهود وقولهم هذه الاشياء كانت حراما
فى الاصل ولم يكن حرمت نظلمنا فقال تعالى لكن المبالغون فى العلم اى فى
علم الدين حقيقة وهم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه منهم
اى من اليهود والمؤمنون اى المصدقون بك وبالقران من الانصار والمهاجرين
يؤمنون بما انزل اليك اى بالقران وما انزل من قبلك اى بجميع الكتب و
المقيمين الصلوة نصب على المدح لبيان فضل الصلوة على ساير الطاعات
لقوله عليه السلام الصلوة وجه دينكم فلا تكدروه وقوله الصلوة خير موضوع
ومثل هذا كثير جدا فى كلام العرب ومنه النصب على الاختصاص فمن زعم
انه لحن فى خط المصحف لا يلتفت اليه لانه ثابت بالتواتر وقيل والمقيمين
جر عطف على ما انزل اليك اى ويؤمنون بما انزل اليك والمقيمين الصلوة
وهم الانبياء عليهم السلام والاول اوجه قوله والمؤتون الزكوة عطف على
الراسخون او على ضمير الفاعل فى يؤمنون اى الذين يعطون الصدقة المفروضة
والمؤمنون بالله واليوم الاخر اى المصدقون بتوحيد الله وبالبعث بعد الموت
اولئك سنؤتيهم بالياء والنون اى سنعطيهم فى الاخرة اجرا عظيما اى
ثوابا كبيرا وهو الجنة قوله انا اوحينا اليك كما اوحينا نزل جوابا لليهود حيث
قالوا للنبى عليه السلام ان كنت نبيا حقا فاتنا بكتاب من السماء كموسى

فاخبر تعالى اعلاما لهم بانه فى شان الوحى كمن تقدمه من الانبياء فقال
انا اوحينا اليك القران مثل الذى اوحيناه الى نوح والنبيين من بعده اى
بعد نوح وانما بدء بنوح لانه اول المنذرين لانه لم يكن شريك قبله وانما ظهر فى
زمانه اى الموحى اليك منا كالموحى الى جميع الانبياء من التوحيد والايمان
يعنى اوحى اليك لان تثبت على التوحيد وتامر الناس بالايمان بالتوحيد كما
اوحى اليهم بان يثبتوا على التوحيد ويدعوا الناس الى الايمان بالتوحيد ورفع
الشرك واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق وهما ابنا ابراهيم و
يعقوب وهو ابن اسحق والاسباط وهم اولاد يعقوب وكانوا اثنى عشر
سبطا فامرنا انبيائهم بالوحى بان يثبتوا على التوحيد ويدعوا الناس
اليه وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان اى اوحيناهم كذلك
واتينا داود زبورا بضم الزاء جمع زبر مصدر بمعنى مزبور اى اعطيناه صحفا
مزبورة اى مكتوبة وبفتح الزاء اسم لكتاب داود وكان فيه التوحيد والتمجيد
والثناء على الله تعالى وكان لداود حسن الصوت فيخرج الى البرية فيقوم العلماء
خلفه ويجتمع الانس والجن والدواب والطيور لحسن صوته فلما اذنب الذنب
المعروف لم ير ذلك فحزن فقال الله له ذلك حلاوة الطاعة وهذا وحشة
المعصية ورسلا نصب بفعل يفسره ما بعده او تقديره واوحينا او ارسلنا
انبياء قد قصصناهم عليك من قبل اى سميناهم لك بمكة ورسلا لم نقصصهم

عليك باسمائهم فكما ارسلناهم الى الناس لدعوتهم الى التوحيد ارسلناك لدعوة
المشركين الى الايمان به ورفع الشرك روى عن كعب الاحبار انه قال كان
الانبياء الفى الف ومائتى الف وروى عن ابى ذر انه قال قلت يا رسول الله
كم كانت الانبياء وكم كانت المرسلون قال كانت الانبياء مائة الف
نبى وكان المرسلون ثلثمائة وثلثة عشر رسلا ولما لم يذكر موسى فيهم قالت اليهود
اربعة وعشرين الف نبى صح
للنبى عليه السلام الكلم الله موسى ام لا فنزل وكلم الله موسى تكليما نصب مصدر
موكد وانما خص موسى بالتكليم مع ان الله كلم غيره لانه كلمه واوحى اليه من غير واسطة
وقيل كلمه بكلام لم يبلغه الى قومه ولا امره بتبليغه قوله رسلا نصب على التكرير او
نصب على المدح مبشرين ومنذرين حالان اى ارسلنا رسلا مبشرين بالجنة
ومنذرين بالنار ثم علل الارسال بقوله لئلا يكون للناس على الله حجة يوم القيمة
بعد ارسال الرسل اليهم فيقولوا ما ارسلت الينا رسولا فكيف تعذبنا قيل لو
لم يرسل اليهم رسولا كان ذلك عدلا منه لموهبة العقل الذى به يعرف التوحيد
لهم ولكنه ارسل الرسول فضلا منه ليكون تنبيها على النظر مع تبليغ ما حملوه من
التكليف الدينى وتعليم الشرايع وازاحة للعلة وزيادة فى الحجة عليهم وكان الله
عزيزا بالنقمة لمن كفر به حكيما برسل الرسول لحكمة منه قوله لكن الله يشهد بما انزل
اليك نزل حين قال مشركوا مكة انا سئلنا عنك اليهود فلم يعرفوك فقال
عليه السلام لليهود والله انكم عالمون انى فى الحق فقالوا ما نعلم ذلك فقال تعالى

لا يشهد اليهود لكن الله يشهد بانك نبى وبما انزل اليك من القران بان
جعله معجزا على مرور الازمان يشهد انك على الحق فانه اعظم شهادة وفيه
اختصار لاقتضاء لكنه الاستدراك عن نفى شئ قبلها لايجاب ذلك الشئ
بعدها وقوله انزله بعلمه تفسير للمنزل ومحل بعلمه حال اى انزله ملابسا بعلمه
الخاص الذى لا يعلمه غيره وهو ما فيه من نظم واسلوب من البلاغة يعجز عنه
كل بليغ وهو المراد بكونه شاهدا عليه او انزله بما يعلم من مصالح العباد
والملائكة يشهدون اى انهم يشهدون ايضا على صدقك كالذى شهدت
عليه لان شهادتهم تقع بشهادتى وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد احد من خلقه
اذ لا احد افضل شهادة من الله لك ولغيرك باظهار المعجزات الدالة على
صحة شهادتى على يدى من اشاء من عبادى ثم قال ان الذين كفروا بالقران
وبمحمد عليه السلام وصدوا اى صرفوا الناس عن سبيل الله اى عن طريق الهدى
بكتم نعت محمد عليه السلام قد ضلوا عن الحق ضلالا بعيدا لا يدرك غوره ان
الذين كفروا بالله وظلموا بكتم نعت النبى انفسهم وجحدهم نبوته لم يكن الله
ليغفر لهم ما داموا على كفرهم وظلمهم بذلك ولا ليهديهم اى ولا يرشدهم
طريقا من الطرق الا طريق جهنم وهو دين الكفر او العمل الذى يجرهم الى جهنم او طريقا
يوم القيمة ينتهى بهم اليها قيل يرفع لاهل الايمان فى الموقف طريق ياخذهم
الى الجنة ويرفع لاهل الكفر طريق ينتهى بهم الى النار خالدين فيها ابدا اى

لا يخرجون عنها معذبين بها وكان ذلك اى خلودهم فيها وعذابهم فى
النار على الله يسيرا اى هينا عليه لا يعجز عنه قيل هذا لمن سبق علمه فيهم انهم لا يؤمنون
قوله يا ايها الناس خطاب لاهل مكة تحريضا على الايمان وترك الشرك
قد جاءكم اى ظهر فيكم الرسول وهو محمد عليه السلام بالحق اى ملابسا بالصدق
او بالشرع او بكلمة لا اله الا الله وهو التوحيد من ربكم الذى خلقكم وصوركم
فآمنوا اى صدقوا به وبما جاء به من التوحيد ونفى الشرك خيرا لكم نصبه بمفعول
به اى اقصدوا خيرا لكم مما انتم فيه او صفة مصدر محذوف اى ايمانا خيرا او خبر
كان المحذوفة اى يكن الايمان خيرا لكم ثم قال تهديدا لهم باظهار غناه عنهم وعن
ايمانهم وان تكفروا بمحمد وما جاء به من الحق فان لله ما فى السموات والارض
اى كله له عبيدا واماء فهو غنى عنكم وكان الله عليما بخلقه من يؤمن به ومن يكفر
حكيما بامره بالثواب والعقاب ثم خاطب النصارى بقوله يا اهل الكتاب
اى الانجيل لا تغلوا اى لا تجاوزوا الحد فى دينكم بان تشركوا الله عيسى هو عبده
فى الالوهية ولا تقولوا على الله الا الحق نصب على انه مفعول تقولون بمعنى تذكروا
وتعتقدوا اى لا تذكروا على الله الا القول الحق وهو التنزيه عن الشرك والولد
وغلوهم فى عيسى هو ان بعضهم قال ثالث ثلثة الهة الله عيسى مريم وبعضهم قال
هو الله وبعضهم قال انه ولده وقالت اليهود هو ولد زنا والله تعالى كذبهم
كلهم بقوله انما المسيح عيسى بن مريم مبتدأ وعطف بيان خبره رسول الله

وكلمته

وكلمته لانه وجد بقوله لعيسى كن فكان من غير اب ومحل القاها الى مريم حال وقد
معه مقدرة اى والحال ان الله اخبرها بالكلمة من غير اب ولا بنطفة قيل اتى جبريل
فنفخ فى جيب درع مريم فدخلت تلك النفخة بطنها فتحرك عيسى فى بطنها قوله
وروح منه عطف على رسول وسمى روحا لانه وجد بمجرد النفخ من غير جزء
من ذى جسد حى كالنطفة المنفصلة من الاب واضيف الى الله بقوله منه تشريفا
له ثم قال فآمنوا بالله ورسله اى وبما جاءكم رسله منه انه واحد فى الالوهية
لا شريك له ولا ولد له ولا نسبة بينه وبين عيسى فانه جزء من مريم لا من الله
خلق من غير اب ومركب مثلها ولا تقولوا ثلثة اى الالهة ثلثة او الله ثالث ثلثة
انتهوا عن التثليث يكن الانتهاء عنه خيرا لكم من القول به يعنى توبوا الى الله بالتوحيد
ولا تصروا على الكفر انما الله اله واحد وتاكيده قوله سبحانه ان يكون له ولد اى نزه
نفسه عن ذلك تنزيها ثم بين تنزيهه بقوله له ما فى السموات وما فى الارض من
الخلق يعنى كل ما فيهما ملكه فكيف يصح ان يكون بعض ملكه جزءا له على ان الجزء انما
يكون بالتركيب والجسم وهو منزه عن صفات الاعراض والاجسام وكفى
بالله وكيلا اى شاهدا الشهيد على انه واحد وان لم يشهد غيره او كفى وكيلا
يتكل الخلق اليه امورهم لافتقارهم اليه وهو الغنى عنهم قوله لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله نزل حين قال وفد نجران للنبى عليه السلام عند
المناظرة به فى امر عيسى انك تسب عيسى بقولك انه عبد الله فقال تعالى

لايأنف المسيح عيسى ان يكون عبد الله يعنى انه يفتخر بعبوديته له تعالى تقال
نكف واستنكف اذا انف واصله تنحية الدمع من الخد ولا الملائكة المقربون
عطف على المسيح وهو الظاهر فى اداء الغرض من الكلام بخلاف عطفه على
اسم ان يكون اى ولاحملة العرش يأنفون ان يكونوا عبيد الله فانهم اقرب
اليه من عيسى فكيف يأنف عيسى وهو عبد من عباده ويدل على عبيد هو المحذوف
قوله عبد الله ولو لم يقدر الحذف فيه لم يصح العطف لان الملائكة جمع وعبد الله
مفرد وقيل يجوز ان يكون المراد من الملائكة كل واحد منهم فحينئذ يصح العطف
قيل فى الكلام ارتقاء من الادنى الى الاعلى وهو يدل على ان الملائكة مفضلون
على البشر واجيب عنه بان سوق الكلام رد على الذين يقولون الملائكة الهة
كما رد على النصارى ان عيسى اله او ولد الله لا لتفضيل الملائكة على البشر ومن
يستنكف اى يأنف عن عبادته اى عن العبودية لله ويستكبر اى و
يتعظم عن طاعته فسيحشرهم اليه اى الى الله جميعا فيأمر بهم الى النار
ثم قال فى شأن الموحدين فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
اى الطاعات التى بينهم وبين ربهم فيوفيهم اجورهم اى يتم ثواب اعمالهم
ويزيدهم من فضله اى من رزقه فى الجنة ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال تاكيدا فى شان المستنكفين عن عبادته
واما الذين استنكفوا اى انفوا واستكبروا عن عبادته تعالى فيعذبهم

عذابا اليما اى وجيعا دايما ولا يجدون لهم من دون الله وليا اى قريبا
يعينهم ولا نصيرا اى مانعا يمنعهم من عذابه قيل التفصيل هنا غير مطابق
للمفصل لانه غير مشتمل على الفريقين والمفصل ينبغى ان يشملهما معا واجيب
بانه قد انطوى ذكر احدهما كما هو طريق الاكتفاء لدلالة التفصيل عليه او هو
من قبيل الاكتفاء بدلالة قوله لن يستنكف المسيح الاية عليه ثم قال
تعالى خطابا لاهل مكة ترغيبا فى الايمان يا ايها الذين امنوا قد جاءكم
برهان من ربكم اى حجة واضحة عليكم وهو محمد عليه السلام بالمعجزات
التى يعجز عنها البشر وانزلنا اليكم نورا مبينا وهو القران الذى يصيدقه
بالبيان الشافى فى الحلال والحرام والهدى والضلال فاما الذين
امنوا بالله اى بدين الحق واعتصموا به اى تمسكوا بتوحيده فسيدخلهم فى
رحمة منه اى فى ثواب يستحق منه وفضل اى وفى تفضل عليه فى الاخرة
ويهديهم اى ويرشدهم اليه الى دينه الموصل الى حقيقة معرفته فى الدنيا حال كونه
صراطا مستقيما وهو دين الاسلام الذى لا عوج فيه علما وعملا قوله
يستفتونك قل الله يفتيكم نزل حين جاء النبى عليه السلام الى عيادة
جابر ابن عبد الله فى مرض موته فسأله فقال ان لى كلالة من الورثة لمن
الميراث منها فقال تعالى قل الله يفتيكم فى الكلالة وهى من لا ولد له ولا والد
له ان امرؤ ان شرطا وامرؤ مرفوع بفعل يفسره هلك ومحل ليس له ولد رفع

صفة امرأ والمراد بالولد الابن يدل عليه قوله وله اخت من ابيه او من الاب
والام لان الابن يسقط الاخت والبنت لا تسقطها اى ان مات رجل ليس
له ابن وله اخت فلها نصف ما ترك من المال ثم بيّن ميراث الاخ من اختها
بقوله وهو يرثها بجعله عصبة لها اى ان مات الاخت ولها اخ فللاخ وارثها
ان لم يكن لها ولد اى ابن لان البنت لا تسقط الاخ ويسقطه الابن ولم يذكر
الوالد لان ذكر الولد يدل عليه اذ الاب نظير الابن فى الاسقاط فاذا ورث
الاخ عند انتفاء الولد وهو اقرب فاولى ان يرثها عند انتفاء الوالد وهو
ابعد او وكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله الحقوا الفرائض باهلها
فما بقى فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ ثم لو كان لاحدهما من الاخ
والاخت ولد فمات احدهما فالحكم فيه ثم بيّن على لسان رسوله لا فى
الاية لانه قال اذا مات الاخ وترك ابنة واختا فللابنة النصف وما بقى للاخت
ولو ماتت الاخت وتركت ابنة واخا فللابنة النصف وما بقى للاخ وهذا
اجماعى وفى الاول اختلاف لابن عباس قال لا ترث الاخت مع البنت
شيئا وخالفه جميع الصحابة وجعلوا الاخوات مع البنات عصبة بالحديث ولم
فان كانتا اى الاختان اصله فان كان الوارث فثنى لتثنية الخبر وانث
لتانيثه وهو اثنتين فصاعدا فلهما الثلثان مما ترك الميت والمراد من
ذكر اثنتين بيان مجرد العدد بالتاكيد لان كونهما اثنتين معلوم من

كانتا وقيل انما جئ باثنتين تاكيدا العلم ان الصغيرة ترث كما ترث الكبرى
وان كانوا اى الورثة اخوة رجالا ونساء اى ذكورا واناثا اصله وان كان
الوارث فجمع لجمع الخبر المشتمل على الذكور والاناث واطلق عليه الاخوة تغليبا
للذكورة على الانوثة فللذكر مثل حظ الانثيين منهم اى يكون لكل اخ سهمان
ولكل اخت سهم هذا اذا كان الكل من الاب او من الاب والام فاما اذا كانوا
مع الام خاصة فهم شركاء فى الثلث على السوية وقد ذكر فى اول هذه السورة
يبين الله لكم اى الحق او قسمة المواريث ان تضلوا بالاجماع اى مخافة ان تخطئوا
فى قسمتها فمحل ان تضلوا نصب مفعول له والله بكل شئ عليم من قسمة المواريث
وغيرها فاتبعوا ما انزله عليكم بعلمه من الكتاب روى ان قوله يستفتونك
الى اخره نزل فى طريق حجة الوداع فى الصيف ولذلك سمى آية الصيف
سورة المائدة مدنية الا قوله اليوم اكملت لكم الآية نزل بعرفة بسم الله — سورة المائدة
الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود قال المفسرون لما بدأ الله
فى سورة النساء بالامر بتقواه للناس ليوحدوه ويطيعوه مع بيان انه خلقهم
وكثرهم من نفس واحدة رجالا ونساء ووصاهم بقسمة المواريث بينهم على
المقادير التى فرضها الله فى الوصية وبيان الحدود والاحكام والعدل
والظلم ثم ختم السورة بقسمة المواريث التى لم يذكرها فى الوصية على المقادير
المفروضة فيما بين الاخت والاخوات اكد حفظ ذلك كله فى هذه السورة

بالامر بالوفاء بعهده المؤكد فى دين الله من تحليل حلاله وتحريم حرامه
وبالعدل بين عباده فى القسم وغيره بقوله اوفوا بالعقود جمع العقد
وهو العهد الموثق وهو يشمل كل واجب ذكر فى القران من الامر والنهى
والنذور والايمان التى بين الله وبين عباده او فيما بينهم وحفظ الامانة
من المال والسر وتمييز الحلال والحرام وهو امر مجمل ثم عقب بالتفصيل
بقوله أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ اى احل الله لكم ذبحها واكلها والبهيمة كل حى
لا يميز وانما سمى بها لانه ابهم عن التمييز او لعدم النطق والانعام
هى البقر والابل والغنم واختلف فى اجنتها فى البطن اباحها الشافعى
اذا ذبحت امهاتها وحرمها ابو حنيفة واضافة البهيمة الى الانعام
اضافة تبيين كاضافة ثوب خز اى بهيمة من الانعام قوله إِلَّا مَا يُتْلَىٰ
عَلَيْكُمْ نصب استثناء من بهيمة الانعام اى احلت لكم هذه الاشياء
الا ما يذكر لكم تحريمه منها بعد غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ نصب على الحال من
الضمير فى لكم من احلت لكم او من الضمير فى عليكم لكونه من تتمة الكلام الاول
والعامل احلت على الوجهين اى احلت لكم غير مستحلين الصيد وَأَنتُمْ
حُرُمٌ اى والحال انكم فى الاحرام والحرم جمع حرام وهو المحرم والجملة حال
من محلى الصيد اى احللنا لكم بعض الانعام فى حال امتناعكم من الصيد
وانتم محرمون لئلا يضيق عليكم إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بين عباده مَا يُرِيدُ من

التحليل

التحليل والتحريم لا اعتراض عليه قوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ
نزل نهيا عن تحليل ما حرم الله والشعائر جمع شعيرة وهى العلامة اى
علامات طاعة الله والمراد مناسك الحج كالوقوف والرمى والطواف
والسعى بين الصفا والمروة وغير ذلك ومعنى احلال الشعائر ان يتهاون
بحرمتها وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ اى لا تحلوا
القتال فى اشهر الحج وَلَا الْهَدْيَ اى ولا تحلوا اكل ما يهدى الى البيت
جمع هدية وقيل مصدر اسماله وَلَا الْقَلَائِدَ اى ولا تحلوا الهدايا ذوات
القلائد جمع قلادة وهى ما يعلق فى عنق راحلة الحاج من شعر ووبر او لحاء شجر
او غير ذلك ليائمن فى الطريق وكانوا فى الجاهلية اذا خرجوا من مكة قلدوا
هداياهم فامنوا به لانه يعرف به انهم كانوا حجاجا فامرهم الله بحفظ ذلك وان
لا يستحلوها فنهوا عن التعرض لهم وعطفت على الهدى وان كانت منها
تفضيلا لها كعطف جبرائيل على الملائكة وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ اى ولا
تحلوا قتال قاصدين المسجد الحرام سواء كانوا من المؤمنين اى الحجاج او
العمار او كانوا من المشركين الذين يأتونه لقصد الثواب بزعمهم ويأتون بالنعم
الكثيرة توسعة لمعاش الحجاج ثم نسخ بقوله اقتلوا المشركين قوله يَبْتَغُونَ نصب
على الحال من آمين اى يطلبون فَضْلًا اى رزقا بالتجارة وثوابا بالحج مِّن
رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا اى رضى الله بان يغفر للمؤمنين ويصلح معايش المشركين

ولا يعجل لهم بالعقوبة ثم اباح لهم الصيد فقال واذا حللتم فاصطادوا
اى اذا خرجتم من احرامكم ومن حرم الله وامنه الى حله حل لكم الاصطياد ولا يجرمنكم
بفتح الياء من جرم بمعنى كسب وفاعله شنآن قوم بفتح النون وسكونها اى
بغضهم يعنى لا يحملنكم عداوة قوم وهم كفار مكة ان صدوكم بفتح الهمزة اى لاجل
صدهم اياكم عن المسجد الحرام عام الحديبية وبكسرها شرطا مستقبلا اى ان
صدوكم فى المستقبل مثل ما مضى منهم فى عام الحديبية ان تعتدوا اى على ان
تجاوزوا الحد عليهم فى المكافاة بالقتل واخذ الاموال وهو مفعول لا يجرمنكم
وتعاونوا على البر اى على اتباع امر الله والعمل به والتقوى اى وعلى
اجتناب ما نهى الله عنه ولا تعاونوا على الاثم اى الكفر والانتقام والتشفى
والعدوان اى الظلم وجاء فى الحديث البر حسن الخلق والعدوان ما حاك
فى صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس واتقوا الله اى اخشوه فيما امركم
به واطيعوه ان الله شديد العقاب حين عاقب قوله حرمت عليكم الميتة
نزل فى تحريم ما كانوا يحلونه والميتة كل ما مات حتف انفه بغير ذكوة شرعية
اى حرم عليكم اكلها والدم اى شربه وهو الدم المسفوح لان الذى بقى بعد الانهار
وهو المباح كالكبد والطحال ولحم الخنزير والمراد كله من الشحم واللحم وغيرهما مما
يلتحم به فانه حرام بالاجماع وما اهل لغير الله اى حرم عليكم ما ذبح بغير ذكره تعالى
يعنى بذكر اسم الصنم كقول الجاهلية عند الذبح باسم اللات والعزى

واصل الاهلال رفع الصوت وسمى الذبح باسم الاهلال لرفعهم الصوت
عند الذبح بذكر الهتهم والمنخنقة اى وحرم اكل المنخنقة وهى الشاة
التى تخنق بحبل او تختنق فتموت فان بعض الكفار يستحلونها ويأكلونها
والموقوذة اى وحرم عليكم المضروبة بالخشب وغيره حتى يموت والمتردية
وهى الشاة التى تسقط من الجبل الى منخفض او فى بئر فتموت والنطيحة وهى الشاة
المنطوحة التى تنطح بقرن صاحبتها فتموت وما اكل السبع اى وحرم
اكل ما بقى مما اكله السبع الا ما ذكيتم اى الا ما ادركتم ذكاته فذكيتموه
قبل ان يموت فلا باس باكله وهو استثناء مما يمكن ذكاته من المنخنقة
الى ما اكل السبع يعنى كل واحدة من هذه اذا ادركت وبها حيوة فذبحت
حلت نص عليه ابو حنيفة او قبل ان تصير الى حركة المذبوح فذبحت
حلت نص عليه الشافعى وما ذبح على النصب عطف على قوله الميتة
اى وحرم عليكم اكل ما ذبح على النصب جمع نصاب وهو الحجارة المنصوبة
حول البيت يعبدونها ويذبحون عندها ويشرحون اللحم عليها تعظيما لها
وتقربا الى الله بذلك وان تستقسموا بالازلام عطف على الميتة و
الاستقسام طلب معرفة ما قسم له مما يقسم اى وحرم عليكم طلبكم القسمة
والحكم بالازلام جمع زلم بفتح الزاء وضمها وهو قدح صغير لا ريش له
ولا نصل قيل كان اهل الجاهلية يجمعون عشرة انفس ويشترون جزورا

ويجعلون لحمه على تسعة اجزاء واعطى كل واحد منهم سهما من سهامه اى
قدحا من قدحه رجلا فيحفظ السهام كلها عنده ثم يخرج هذا الرجل واحدا واحدا
من السهام وكل من خرج سهمه يأخذ جزأ من اجزاء ذلك اللحم فاذا خرج
تسعة من السهام لا يبقى شيء من اللحم فيبقى الرجل الذى خرج سهمه اخرا بلا
جزء من اللحم وكان ثمن الجزور كله عليه فحكمهم هذا نوع من لعابهم فنهى الله تعالى
عن ذلك بقوله ذلكم اى هذا العمل يعنى الاستقسام فسق اى معصية لانه
دخول فى علم الغيب الذى لا يعلمه غير الله ويكفر مستحله فاله تاكيد التحريم
قال عليه السلام من تكهن او استقسم او تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات
العلى من الجنة يوم القيمة اليوم اى فى هذا الزمان الحاضر وما يتصل به من
الازمنة الاتية يئس الذين كفروا من دينكم اى قطعوا رجائهم من ان يطلبوا
دينكم الحق وبرجوعكم الى دينهم الباطل نزل بعد تكميل شرايع الاسلام بالسنن و
الاحكام ووافق يوم عرفة فى يوم جمعة وكان عيدا لليهود والنصارى
والمجوس ولم يجتمع اعياد اهل الملك فى يوم قبله ولا بعده وقيل
نزل حين فتح مكة لثمان بقين من رمضان سنة تسع من الهجرة ودخلها و
نادى منادى رسول الله الا من قال لا اله الا الله فهو آمن ومن وضع السلاح
فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن فانقادت قريش لامر الله ورفعوا ايديهم و
اسلموا فقال تعالى فلا تخشوهم اى لا تخافوا صولة الكفار بعد اظهار الدين

فانا

فانا معكم وناصركم واخشون فى ترك امرى ولا تخشوا غيرى اليوم اكملت
لكم دينكم اى امر دينكم من الحلال والحرام وشرايع الاسلام او ظهور دينكم
ونصرته واتممت عليكم نعمتى باكمال دينكم الاسلام وبدخول مكة امنين ظاهرين
ومنع المشركين من دخول الحرم بعد العام فلا نعمة اتم من نعمة الاسلام
وهدم مناسك الجاهلية ومنازلها ورضيت لكم الاسلام دينا اى اخترت
لكم دين الاسلام من بين الاديان وهو المرضى وحده عندى ومن يتبع
دينا غيره فلن يقبل منه ونصب دينا على الحال من الاسلام قال عليه
السلام حاكيا عن الله تعالى هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء
وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه قيل عاش النبى عليه السلام بعد نزول
هذه الاية احدى وثمانين ليلة وتوفى فى يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس لليلتين
خلتا من ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة قوله فمن اضطر شرط
يتعلق بما تقدم من المحرمات اى فمن احتاج بالضرورة الى اكل ما حرم من
المحرمات فى مخمصة اى فى مجاعة غير متجانف لاثم نصب على الحال اى
حال كونه غير مائل الى المعصية وهى اكله فوق الشبع او حال كونه غير معتمد
للمعصية فى مقصده فياكل منه مقدار ما يأمن المؤمن الموت وهذا قول الائمة
من الشافعى وابى حنيفة وغيرهما والاول قول اهل المدينة وجواب الشرط فان
الله غفور رحيم فيما اكل ورخص له فى الاكل عند الاضطرار قوله يسئلونك

ماذا احل لهم نزل حين سأل عدى بن حاتم الطائى واصحابه وقالوا
يا رسول الله انا قوم نتصيد من بالكلاب والبزاة فما يحل لنا من
المطاعم والصيود وذلك السوال عند نزول اية تحريم المحرمات فقال
تعالى يا محمد قل احل لكم الطيبات اى الزبايح على اسم الله تعالى او
كل ما ير د فيه نص من كتاب او سنة للتحريم وما علمتم من الجوارح اى احل
لكم صيد الذى علمتم من الجوارح بحذف المضاف اى الكواسب من الكلاب
والطيور مكلبين نصب على الحال وفايدة الحلال بعد ما قال علمتم ان يكون
معلم الجوارح نحريرا فى علمه مؤدبا به اى حال كونكم مرسلين الكلاب على الطيور
من التكليب وهو التعليم تاديب الكلاب للاصطياد وخصت الكلاب
بالذكر لكثرتها او المراد من الكلب جميع السباع لان العرب سمى كل السباع
كلبا تعلمونهن وهو ايضا حال من المكلبين اى تؤدبون الكلاب فى طلب
الصيد مما علمكم الله على لسان رسوله فلا بأس بصيد الكلب اذا
كان معلما فكلوا مما امسكن عليكم اى حبسنه لكم ولم ياكلن قيل المعلمة
هى التى اذا اشليت استشلت واذا زجرت انزجرت واذا اخذت الصيد
لم تاكله فاذا وجد ذلك مرات ثلث فهى معلمة قال عليه السلام اذا ارسلت
كلبك المعلم وذكرت اسم الله فامسك فكل وان اكل فلا تاكل فانما
امسك على نفسه وقال ايضا وما صدت بقوسك وذكرت اسم

الله فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكوته فكل واذكروا
اسم الله عليه اى سموا على المذبوح عند الذبح باسم الله او على
الذى ارسل على الصيد من الكلب والبازى عند الارسال
والضمير فى عليه يجوز ان يرجع الى ما امسكن ويجوز ان يرجع الى ما علمتم من
الجوارح وهو المرسل على الصيد واتقوا الله من اكل الميتة او من
ترك التسمية على المذبوح او المرسل ان الله سريع الحساب اى المجازات
اليوم احل لكم الطيبات اى المذبوحات يعنى فى هذا الزمان بين حلها
لكم بالقران ثم قال فى ترخيص ذبايح اهل الكتاب وان كانوا كافرين
وطعام الذين اوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم
كبنى تغلب حل اى اكله حلال لكم وطعامكم حل لهم اى يحل لكم ان تطعموهم
من طعامكم فرخص اكله لهم وان كانوا على غير ملتهم وانما اولناه بذلك لان
الحلال والحرام انما يعقدان على اهل الايمان قوله والمحصنات من
المؤمنات مبتدا خبره محذوف اى الحراير العفايف من المومنات
حل لكم تزويجهن وفيه تحريض للمومنين على التخير لنطفهم وكذلك قوله والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اى العفايف منهم حل لكم نكاحهن اذا اتيتموهن
اجورهن اى مهورهن محصنين نصب على الحال من فاعل اتيتموهن اى
اعفاء غير مسافحين صفة محصنين اى غير معلنين بالزنا يعنى كونوا بنكاحهن

متعففين عن الاعلان بالزنا ولا متخذي اخدان عطف على غير مسافحين
جمع خدن وهو الصديق يشمل الذكر والانثى اى ولا تكونوا زانين سرا نزل
هذه الاية لرد فعل الجاهلية كانوا يعيرون من زنى فى العلانية دون من زنى
فى السر فحرم الله بها العلانية والسر فقال ومن يكفر بالايمان ومن يجحد بشرائع
الايمان من الحلال والحرام فقد حبط عمله اى ثوابه وهو فى الاخرة من الخاسرين
اى المغبونين فى العقوبة قيل ان الرجل اذا صلى او صام او حج ثم ارتد
ثم اسلم وجب عليه اعادة ذلك العمل لانه قد بطل بافعله قبل ارتداده و
قيل لا يجب اعادته سوى الحج اذا وجد غنيا وقت اسلامه وعليه
الفتوى قوله يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة خطاب خاص
للمحدثين بالوجوب اى اذا اردتم القيام الى الصلوة وانتم محدثون
وانما عبر عن ارادة الفعل بالفعل لكونها يوجد مع القدرة على ايجاده
وقصده وسيله ويجوز ان يكون للندب ولا يجوز ان يشتمل الايجاب
والندب معا للفريقين لئلا يلزم الالغاء والتعمية لتناول الكلمة على
المعنيين المختلفين لقوله عليه السلام من توضأ على طهر كتب الله له
عشر حسنات وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض
ثم نسخ لما روى انه عليه السلام كان يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم
الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوة الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت

شيئا

شيئا لم تكن تصنعه يا رسول الله فقال عمدا صنعته يا عمر يعنى
بيانا للجواز وقيل اذا قمتم من نومكم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم
الى المرافق اى مع المرافق فيدخل المرافق فى الغسل لورود السنة بذلك
وامسحوا برؤسكم والباء فيه زايدة وقيل تبعيض فمالك يوجب مسح جميع
الراس كالوجه فى التيمم وابى حنيفة كاحمد ربعه والشافعى يوجب ما يطلق
عليه المسح كشعرة واحدة بخلاف حلق الراس فى الحج فانه لا يجزى عنده اقل
من ثلث شعرات لان الامر هنا مطلق المسح والامر هناك حلق الشعور
الراس واقل الجمع ثلثة عنده قوله وارجلكم نصب عطف على ايديكم
وبالجر عطف على رؤسكم على سبيل التبعية والجوار كما فى قوله حور عين
بالجر واوجب بعض الناس المسح عليها لظاهر العطف ومنع بان المسح لم
تضرب له غاية فى الشرع وهنا جاء بالى وهى غاية فحمل المسح على الغسل
الخفيف وقيل وفايدة هذا العطف وان كانت غير ممسوحة هى الحث
على الاقتصار فى صب الماء على الرجلين لانها مظنة الاسراف فى صب
الماء الى الكعبين اى يجب غسل الرجلين مع الكعبين كاليدين مع المرفقين
والشعبى ومحمد بن جرير لا يوجبان غسل المرفقين والكعبين مع اليدين و
الرجلين نظرا الى كلمة الى قيل انما جمع المرافق ليقابل جمع المخاطبين فيلزم
منه انقسام الاحاد بالاحاد وان تثنية الكعبين لنفى توهم ان فى كل رجل

من الرجلين كعبين لو قال الى الكعاب وانما فى كل رجل كعب واحد له طرفان
من جانبى الرجل فيكون التفسير على هذا ان كل مكلف يجب عليه غسل رجليه
الى الكعبين منهما بخلاف المرافق فانه لا توهم فيه وان كنتم جنبا فاطهروا
وان كنتم ملابسين بالجنابة فاغتسلوا والجنب لفظ مفرد يستعمل
للواحد وغيره كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير واصل اطهروا تطهروا وادغمت
التاء فى الطاء وزيد الف الوصل للابتداء بالسكون وان كنتم مرضى او على
سفر او جاء احد منكم من الغائط اى من قضاء الحاجة او لامستم النساء اى
جامعتموهن فلم تجدوا ماء للتوضاء والاغتسال فتيمموا صعيدا طيبا اى
ترابا نظيفا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من الصعيد ما يريد اى
لا يقصد الله لكم الرخصة والتكليف بالتيمم ليجعل عليكم من حرج اى ضيقا
فى دينكم ولكن يريد ليطهركم به من الاحداث والجنابة والذنوب وليتم نعمته
عليكم اى نعمة الاسلام بالترخيص لكم لعلكم تشكرون الله ونعمه
فيثيبكم واذكروا نعمة الله وهى نعمة الاسلام التى انعمها عليكم وازال
عنكم الكفر بارسال محمد اليكم واذكروا ميثاقه الذى واثقكم به اى عهده
الذى عهده اليكم وهو بيعة الرضوان على السمع والطاعة فى حالة
اليسر والعسر اذ قلتم للنبى عليه السلام مبايعين سمعنا واطعنا
فاحفظوا منة الله عليكم بذلك واتقوا الله فى نقض الميثاق المعهود

ان الله

ان الله عليم بذات الصدور اى بسراير قلوبكم ثم قال ايماء
لنفى الظلم عنهم يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط
اى مجتهدين فى اقامة العدل شهداء لله على من كانت ولا
يجرمنكم اى لا يحملنكم شنئان قوم اى بغض المشركين على ان
لا تعدلوا اى على ترك العدل فتعتدوا عليهم اعدلوا قولوا
الحق فى اوليائكم واعدائكم هو اى قول الحق والعدل اقرب
للتقوى اى لطاعة الله والبعد من عصيانه واتقوا الله اى اخشوه
فيما يامركم به وينهاكم عنه ان الله خبير بما تعملون من الطاعة و
المعصية ثم بين ثواب المطيعين وعقاب العاصين فقال وعد
الله الذين امنوا بالله وبمحمد نبيه وعملوا الصالحات اى الخيرات
بعد الايمان لهم مغفرة من ذنوبهم فى شركهم واجر عظيم لاعمالهم فى ايمانهم
فى الاخرة وهذه الجملة فى محل النصب على انها المفعول الثانى لوعد
والاول الذين امنوا والذين كفروا بالله وكذبوا باياتنا اى بمحمد والقران
وماتوا بلا توبة اولئك اصحاب الجحيم اى ملازمون بها لا ينفكون عنها
قوله يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم نزل حين راى المشركون
فى غزوة ذى انمار اسم موضع النبى واصحابه قاموا الى الصلوة يصلون
معا وهى صلوة الظهر وارادوا الفتك بهم فلم يمكن الله تعالى منه للرعب

الذی قذف فی قلوبهم وهم بنوا النضیر فبلغ الخبر الی النبی علیه السلام
فحاصرهم وفتح حصونهم واجلاهم الی الشام فقال تعالی اذکروا نعمة الله
علیکم ورحمته بکم واشکروه علیها اذ هم قوم ای قصدوا ان یبسطوا
ای یمدوا الیکم ایدیهم بالقتل فکف ای فمنع الله ایدیهم عنکم
ای عن قتالکم واتقوا الله ای اخشوه فی کل حال بالوفاء علی ما امرکم
به وتوکلوا علیه وعلی الله فلیتوکل المؤمنون ای لینصرهم قوله ولقد اخذ
الله میثاق بنی اسرائیل نزل اخبارا للنبی علیه السلام وامته عن
بنی اسرائیل ومیثاقهم بموسی علی ان یطیعوه فیما امرهم ونقضهم اياه
بعد ذلک فلعنهم الله تعالی عقوبة به روی انه تعالی امر موسی وقومه
بالخروج من مصر حین استقروا فیها بعد هلاک فرعون الی اریحا من
ارض الشام للجهاد وکان یسکنها الجبارون عوج واصحابه وقال هی دار
قرارکم وامر موسی ان یأخذ من کل سبط نقیبا یکون کفیلا علی قومه
بالوفاء بما امروا به توثقة علیهم فاتخذ موسی من قومه اثنی عشر رجلا فعاهدهم
ان یکفلوا بقومهم ولا یحدثوهم بما یرون من الجبارین فاخبر الله تعالی عنه
بقوله وبعثنا منهم اثنی عشر نقیبا ای کفیلا ینقب عن الاحوال ویتعرفها
وقال الله فی التوریة انی معکم ای معینکم وناصرکم علی عدوکم فلما دنی موسی
من ارض الجبارین بعث النقباء یتجسسون منهم فرأوا اجراما عظاما وقوة

وشکوها فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم ما رأوا من الجبارین فنقضوا العهد الا
کالوب بن یوفنا ویوشع بن نون فانهما امرا قومهما بالقتال فقال تعالی
لئن اقمتم الصلوة ای والله لئن اتممتم الصلوة واتیتم الزکات لاهلها وامنتم
برسلی وعزرتموهم ای نصرتموهم او وقرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا
ای احسنتم الی الناس بطیبة نفس وانفقتم فی سبیل الله لاکفرن جواب
القسم المحذوف وجواب الشرط المذکور معا ای لامحون عنکم سیاتکم
ای ذنوبکم ولادخلنکم جنات تجری من تحتها الانهار یعنی لانصرنکم فی
الدنیا ولاثیبنکم فی الاخرة فمن کفر بعد ذلک بنقض العهد والمیثاق منکم
فقد ضل سواء السبیل ای اخطأ طریق الحق وتمادا عنه وزاد
قبحه من الضلال الاول لان الضلال بعد نعمة الله قبیح عظیم
فکفرانها اعظم واظهر ثم اخبر تعالی بقوله فبما نقضهم میثاقهم ای بسبب
نقض عهدهم بعد ذلک العهد لعناهم ای طردناهم عن رحمتنا او
عذبناهم بالمسخ او ضربنا علیهم الجزیة وجعلنا قلوبهم قاسیة بالالف
والتخفیف ای شدیدة یابسة او خالیة عن حلاوة الایمان وقرئ
قسیة بطرح الالف وتشدید الیاء ای ردیة مغشوشة یحرفون الکلم
بیان لقسوة قلوبهم لان من قسی قلبه یعصی ربه ای یبدلون کلمات
الله فی کتابه وهو تغییر نعت محمد علیه السلام وبعض الاحکام عن

مواضعه التي وضع عليها من الصحة بعد ما وافق القران ونسوا حظا مما ذكروا
به اي تركوا نصيبا مما امروا به كتابهم ولا تزال تطلع اي تقف يا محمد
على خائنة اي على خيانة منهم وهي نقض العهد وموالاة الكفار لحربك
يعني ذلك عادتهم لان اباءهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك
وينقضون عهدك ويظاهرون المشركين على حربك الا قليلا منهم
وهم الذين آمنوا منهم ولم ينقضوا العهد فاعف عنهم اي تجاوز
عن عقوبتهم واصفح اي اعرض عنهم ان الله يحب المحسنين اي الذين
يعفون عن الناس ونسخ باية السيف وبعد ذكر اليهود نزل في النصارى
لبيان قبح عملهم كاليهود ومن الذين قالوا انا نصارى جمع نصران
من النصرة اي قالوا ادعاء بنصرة الله نحن انصار الله اخذنا ميثاقهم
اي عهدهم الموثق على التوحيد والايمان بالانبياء وفعل الخيرات
كما اخذناه على اليهود فنسوا حظا اي تركوا نصيبا مما ذكروا به اي مما
امروا به في الانجيل يعني نقضوا العهد كما نقض اليهود واغرينا بينهم اي
الزمنا بين فرق النصارى المختلفة العداوة والبغضاء الى يوم القيمة
فكل فرقة تكفر الفرقة الاخرى فيقع القتال بينهم بالاهواء المختلفة كالنسطورية
القائلين بان عيسى ابن الله واليعقوبية القائلين بان عيسى هو الله والملكائية
القائلين بان عيسى عبد الله ورسوله وكلهم من النصارى وسوف ينبئهم

الله

الله في الاخرة بما كانوا يصنعون من العمل الباطل والحق قيل
انما نشاهد الاختلاف بينهم بسبب رجل اسمه بولس ولم يكن منهم وكان
يقاتل معهم وقتل منهم خلقا كثيرا فغاب عنهم زمانا طويلا ثم جاءهم وجعل
نفسه اعور ليحتال بحيلة يلقي بينهم العداوة والقتال ليقتل بعضهم
بعضا فقال لهم اتعرفوني قالوا انت الذي قتلت منا وفعلت ما فعلت
فقال نعم قد فعلت ذلك كله ولكني الآن تائب عنه لاني رأيت عيسى ابن مريم
في المنام نزل من السماء فلطم وجهي وفقأ عيني فقال لي اي شيء تريد منا
قال اريد منكم ان اكون معكم واعلمكم شرايع دينكم كما علمني عيسى في المنام فاتخذوا
له غرفة ودخل فيها وفتح كوة الى الناس وكان يتعبد في الغرفة وربما كانوا
يجتمعون ويسئلونه من تلك الكوة فيجيبهم بما يعجبهم فانقادوا كلهم وكانوا
يقبلون بما يأمرهم به فقال يوما اليس الله خلق لكم ما في الارض جميعا فقالوا
نعم فقال لم تحرمون الخمر والخنزير والميسر فانها منفعة لبني آدم فاخذوا
بقوله ثم قال بعد مدة من اي ناحية تطلع الشمس والقمر والنجوم قالوا من قبل
المشرق فقال ان الله من قبل المشرق فصلوا اليه فاخذوا بقوله
ثم دعا طائفة منهم الى داخل الكوة فقال جائني عيسى الليلة وقال رضيت
عنك لاجل عملك فمسح يده على عيني فبرأت فاعلموا اني اريد ان
اجعل نفسي قربانا الليلة لاجل عيسى فاخبركم بشيء تحفظون عني وتدعوا

الناس اليه ثم قال لهم هل يستطيع احد ان يحيى الموتى ويبرء الاكمه والابرص
الا الله فقالوا لا الا ان عيسى فعل هذه كلها فاعلموا انه هو الله فخرجوا من
عنده ثم دعا بثانية واخبرهم بمثل ذلك وقال انه ابن الله ثم دعا بثالثة
واخبرهم بانه ثالث ثلثة فقال للكل انى اريد ان اجعل نفسى قربانا
لعيسى الليلة ثم خرج فى بعض الليل وغاب عنهم فاصبحوا فجعل كل فريق
منهم يقول علمنى انه كذا والاخر يقول انت تكذب بل علمنى كذا فوقع بينهم
قتال عظيم وبقيت العداوة بينهم الى يوم القيمة قوله يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا نزل فى كتم اليهود والنصارى باية الرجم وتحريم
الخمر واكل الربوا ونعت النبى عليه السلام اى يا اهل التورية والانجيل
قد جاء الرسول هنا محمد يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون اى تخفونه كنعت
محمد عليه السلام وغيره من الكتاب فى محل النصب على الحال من ضمير
المفعول المحذوف فى تخفون اى كائنا من التورية والانجيل ويعفوا عن
كثير منه فلا يواخذكم على اخفائكم اياه قيل جاء رجل من احبار اليهود
فقال يا محمد ما الذى عفوت عنا فاعرض عنه رسول الله ولم يبين له
وغرضه ان يناقض كلامه بسواله فلما لم يبين ما سأله قام من عنده وذهب
وقال لاهله من اليهود ارى ان محمدا صادق فيما يقول لانه قد كان وجد
فى كتابه ان محمدا لا يبين له ما سأله ثم قال تعالى قد جاءكم من الله نور

اى الاسلام او محمد عليه السلام وكتاب مبين اى القران الذى يظهر ما
كان خافيا او انه ظاهر فى الايجاز يهدى به الله اى يرشد بالقران
او بمحمد عليه السلام من اتبع رضوانه اى طلب الحق الذى فى رضاه بالاخلاص
فمن مفعول اول لقوله يهدى وقوله سبل السلام مفعوله الثانى اى طريق
السلامة والخير وهو التوحيد ويخرجهم من الظلمات الى النور اى من
ظلمات الكفر التى فى قلوبهم من الشرك والشك والجهل الى نور الايمان
الذى هو قسط من نور الله الذى هو حق اليقين فيصير المؤمن به قايما بالحق
مع الحق للحق باذنه اى بارادته تعالى ومشيته ويهديهم الى صراط مستقيم
اى يوفقهم الى دين الاسلام الذى هو طريق الجنة ثم قال لقد كفر
الذين قالوا وهم اليعقوبية من النصارى ان الله هو المسيح ابن مريم
يعنى عيسى فقال تعالى لمحمد عليه السلام قل فمن يملك من الله شيئا
اى من يقدر ان يمنع شيئا من عذاب الله ان اراد الله ان يهلك
المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا اى لا يقدر عيسى على دفع
الهلاك عن نفسه ولا على رد الهلاك عن غيره فكيف يكون الها فيكون
عبدا مخلوقا كساير عباده ثم قال ولله ملك السموات والارض وما بينهما
من الملائكة والجن والانس من الذكور والاناث اى جميع الخلق عبيده
وآماءه حكمه نافذ فيهم وعيسى منهم بشر من جنس آدم فقال نصارى من

اهل نجران لو كان عيسى بشرا من جنس آدم لكان له اب فاخبر الله تعالى انه يخلق
ما يشاء من ذكر وانثى من غير اب وام كادم وحواء ومن ام بلا اب كعيسى
ومن اب وام كساير الخلق لا اعتراض عليه والله على كل شيء قدير يقدر
على ما يشاء كما يشاء ويختار لانه القادر الفاعل بالاختيار ثم قال تعالى و
قالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله اي ابناء رسله واحباؤه اي
محبوبه فامر الله نبيه بقوله قل منكرا عليهم فلم يعذبكم بذنوبكم اي لسببها
وانتم معترفون بذلك لقولكم الا ايا ما معدودات وهي اربعون يوما فان
الحبيب لا يعذب حبيبه والوالد لا يعذب ولده فكيف تكونون ابناءه واحباءه
فلما عجزوا عن الجواب قال تعالى اضرابا عن مجادلتهم وردا عليهم بل انتم بشر ممن
خلق اي انتم كساير الخلق لستم بابناء الله ولا باحبائه يغفر لمن يشاء و
يعذب من يشاء اي يعفو عن البعض فيرشده الى دينه ويعاقب البعض
بذنبه فيخذله ويدخله النار ولله ملك السموات والارض وما بينهما من
الخلق كلهم في حكمه وتصرفه في الدنيا واليه المصير اي الى الله رجوعهم
فيجازيهم باعمالهم من الخير والشر في الاخرة قوله يا اهل الكتاب خطاب
لليهود والنصارى على وجه التعيير باضافتهم الى الكتاب اي يا اهل التورية
والانجيل لم لا تعملون بكتابكم الذي تنسبون نفوسكم اليه قد جاءكم رسولنا
اي محمد يبين لكم الدين الحق على فترة من الرسل اي على انقطاع ال

الوحي

الوحي وفتور الدين من رسل الله وكانت الفترة بين عيسى ومحمد
عليهما السلام ستمائة سنة وقيل خمسمائة واربعون وقيل ستون
سنة وكان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف نبي تترى
من موسى الى عيسى عليهما السلام المعنى ان محمدا رسولنا جاءكم بعد عيسى
مثبتا للحجة عليكم ان تقولوا اي مخافة قولكم معتذرين ما جاءنا من بشير ولا
نذير بعد ما درس الدين ليبشرنا بالجنة وينذرنا بالنار قوله فقد جاءكم بشير
بالجنة ونذير بالنار متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم الرسول
والله على كل شيء قدير من ارسال الرسل على عباده ومن المغفرة والعذاب
ثم قال مخبرا عما قال موسى لقومه من الموعظة والتذكير ليشكروا نعمة الله
عليهم ولا يكفروا بها واذ قال اي اذكر يا محمد حين قال موسى لقومه
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم اي في بني اسرائيل انبياء
فكان فيهم اربعة الاف نبي وجعلكم ملوكا بعد ان كنتم مملوكا في
ايدي القبط وفرعون قيل جعلهم الله اصحاب خدم وحشم ولم يكن لبني
اسرائيل قبل موسى لاحد خدم قال ابن عباس الرجل اذا لم يدخل في
بيته احد الا باذنه فهو ملك وآتاكم من المن والسلوى وتظليل الغمام
في التيه وفلق البحر وغير ذلك من النعم ما لم يؤت احدا من العالمين
اي على عالمي زمانكم فامر موسى بان يجاهدوا في سبيل الله بعد تذكيرهم

نعمة الله عليهم بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة اى المطهرة وهى المكان
الذى يتطهر الانسان فيه من الذنوب يعنى اسكنوا الارض الطاهرة
التى كتب الله لكم فى اللوح المحفوظ قبل خلقكم انكم تقتسمونها وتسكنونها
بعد هلاك اعدائكم بالجهاد ولا ترتدوا اى لا ترجعوا على ادباركم منهزمين
من خوف العدو فتنقلبوا بالجزم عطف على ترتدوا او بالنصب جواب
النهى اى فتصيروا بالعقوبة او بالخيبة عن ثواب الدنيا والاخرة خاسرين
اى مغبونين فى سعيكم فبعث موسى اثنى عشر رجلا من كل سبط رجلا
يأتونهم بخبر الجبارين فلما اتوهم لقيهم بعض من اهل المدينة وهو عوج
بن عنق فاخذهم وحملهم فى ثوبه وجاء بهم الى ملك المدينة وطرحهم بين
يديه فنظر اليهم الملك وقال هؤلاء قصدوا ان يأخذوا مدينتنا فامر
بقتلهم فقالت امرأته ما تصنع بقتل هؤلاء الضعفاء انعم عليهم بعنقود من العنب
حتى يذهبوا ويخبروا اخبركم بموسى وقومه فاعطاهم الملك عنقودا من العنب
فحملوه على عمودين فرجعوا الى موسى وقومه فاخبر النقباء سوى الاثنين
منهم بنى اسرائيل احوال الجبابرة وما هم عليه من القوة وعظم الاجساد
فلما سمعوا ذلك جبنوا عن قتالهم ودخول ارضهم وقالوا يا موسى ان
فيها اى فى المدينة قوما جبارين اى عاتين والعاتى هو الذى يجبر
الناس على ما يريد قيل طول كل منهم ثمانون ذراعا يعنى لا طاقة لنا بهم

فى القتال وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها اى من تلك المدينة واسمها
ايليا من ارض الشام وقيل هى اريحا فان يخرجوا منها فانا داخلون فيها
قال رجلان اى يوشع وكالوب من الذين يخافون الله صفة لرجال
وكذا انعم الله عليهما بالاسلام والتقوى او كانا من الجبارين فامنا
بموسى واتبعاه وشجعا بنى اسرائيل بقولهما ادخلوا عليهم الباب اى باب
المدينة عليهم فاذا دخلتموه فانكم غالبون بكثرتكم لان العمالقة اجسام لا قلوب
لهم فلا تخافوهم وارجعوا اليهم قالا ذلك من جهة غلبة الظن او من جهة اخبار
موسى بذلك وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اى مصدقين بوعد
الله لموسى بان يفتح عليه هذه البلدة وقال لهم موسى ادخلوها ولا تخافوهم
قالوا يا موسى تاكيد لنفى الدخول فى المستقبل انا لن ندخلها ابدا وابدل
منه قوله ما داموا فيها كالبيان يعنى لا ندخلها وهم فيها متمكنون انصدق
الاثنين ونكذب العشرة فاذهب انت وربك فقاتلا اى قاتل انت
وليقاتل معك ربك لينصرك عليهم انا ههنا قاعدون فانا لا نستطيع قتال
الجبابرة فغضب عليهم موسى من قولهم الصادر عن جهل وقساوة قلب
وتمرد واستخفاف به وبربه قال متبريا من فعلهم وداعيا عليهم رب انى
لا املك الا نفسى واخى لان اخاه كان مطيعا له فهو يملك طاعته فافرق اى
فافصل بيننا وبين القوم الفاسقين اى العاصين يعنى افصل

بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق وعليهم بما يستحقون وهو فى معنى
الدعاء عليهم ولم يذكر الرجلين المؤمنين لانه لم يكن معتمدا عليهما كالاعتماد على
اخيه هرون وتكرير انى هنا تاكيد لان الاصل عدم تكرره قال الله تعالى
اذا لم يطيعوا امرنا فى الجهاد بالدخول فى الارض المقدسة فانها محرمة
عليهم اى حرم دخولها تحريم منع لا تحريم تعبد وكانت مكتوبة لهم بشرط الجهاد
والاطاعة ويجوز ان يكون التحريم موقتا فاذا مضى الوقت كان ما كتب
ونصب اربعين سنة يتيهون فى الارض اى يترددون فيها متحيرين
ظرفا للتحريم ليكون التيه مجهولا والتحريم معلوما ولو نصبت بيتيهون كان
التيه معلوما والتحريم مجهولا والتيه المفازة التى يتاه فيها فعم عليه السبيل نهارا
وسيرهم ليلا يسيرون فى التيه ليلتهم ويصبحون حيث امسوا وكان التيه
بين ايلة وفلسطين ستة فراسخ فى اثنى عشر فرسخا فمكثوا فيها اربعين
سنة لا يجدون فيها سبيلا وكان الغمام يظللهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود
من نور بالليل يضيئ لهم وينزل عليهم المن والسلوى رحمة وشفقة عليهم
ومثل ذلك كمثل الوالد المشفق يضرب ولده العاق ليتأدب وهو لا ينقطع
عنه احسانه قيل اوحى الله تعالى موسى بى حلفت لاحرمن عليهم دخول
الارض المقدسة غير عبدى يوشع وكالوب ولاتيهنهم فى هذه البرية اربعين
سنة مكان كل يوم تجسسوا عن الجبابرة فيه سنة ولالقين جيفهم فى

اخوان

فى هذا القفار واما بنوهم فيدخلونها فلما بقوا فى التيه حزن وندم موسى
على دعائه فاوحى الله اليه انهم احقاء بذلك لفسقهم فلا تأس اى لا تحزن
يا موسى على القوم الفاسقين اى العاصين بامرنا روى ان موسى وهرون
ماتا فى التيه وهلكت تلك العصابة وبقى منهم يوشع وكالوب وذرياتهم
فخرجوا الى تلك المدينة وفتحوها عند غروب الشمس قيل دعا الله يوشع
بان يرد الشمس بعد غروبها فردت قدر ثلث ساعات حتى فتحوا البلد
فاختلطت النجوم عن مجاريها من ذلك اليوم فخفى على المنجمين امرها وروى
ان هرون مات قبل موسى بسنة وان يوشع فتح المدينة بعد موت
موسى بثلثة اشهر ومات النقباء فى التيه بغتة الا كالوب ويوشع ولم
يكن التيه لهما عقوبة بل كان راحة ورحمة كابراهيم حين القى فى النار
وقيل لم يمت موسى وسار بالعسكر يقدمهم يوشع نحو القرية فلما وصلوا
اليها نفخوا فى القرون وضجوا ضجة واحدة فسقط سورها فدخلوها وقتلوا
الجبابرة وقتل موسى عوج بن عنق ولم يدخل القرية احد من الذين
قالوا انا لن ندخلها ابدا ومكث موسى بعد ذلك سنة ثم قبضه الله تعالى
قوله واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق نزل تقبيحا للحسد لاهل الكتاب والمشركين
حيث جحدوا رسالة النبى عليه السلام وكتموا نعته واصروا على كفرهم
ولم يؤمنوا به حسدا من عند انفسهم فامر تعالى محمدا عليه السلام ان يقص عليهم

ماجری بسبب الحسد لیتذکروه ویؤمنوا به بقوله واتل ای اقرأ علیهم خبر ابنی ادم
ملتبسا بالصدق والصحة والتوافق لما فی کتب الاولین اذ قربا ای وضعا
للتقرب عند الجبل قربانا ای قربانین والقربان ما یتقرب به الی الله
من نسیکة او صدقة ولم یثنه لانه مصدر فی الاصل فتقبل القربان
من الاخر وهو هابیل فازداد قابیل حقدا وغیظا علی هابیل وهدده بان قال
لاقتلنک فقال هابیل لم تقتلنی فقال قابیل لان الله قبل قربانک ولم
یقبل قربانی قال له هابیل اذا لا ذنب لی قال انما یتقبل الله العمل الحسن
من المتقین ای الخائفین منه وانت غیر متق لسوء نیتک وخیانتک روی ان
حواء کانت تحمل فی بطن واحد غلاما وجاریة وولدت کذلک فی عشرین بطنا
فامر تعالی ادم ان تزوج انثی هذه البطن بغیر ذکره فقال آدم لقابیل امرنی الله
ان ازوج اختک اقلیمیا لهابیل وکانت جمیلة وازوجک اخته لبوذا فقبل
هابیل امر الله واباه قابیل وقال ان الله لم یأمرک بهذا ولکنک تمیل الی هابیل
لکونها جمیلة فامرهما بان یقربا قربانا فایهما یقبل قربانه کان احق باقلیمیا فقربا
قربانین فتقبل من هابیل ولم یتقبل من قابیل فاضمر فی قلبه ان یقتله
وکان هابیل اقوی من قابیل والبطش ولکن کان فی شریعتهم ان الرجل اذا اراد
ان یقتل رجلا لا یمتنع علیه وقیل انما ذ حذرا عن قتال المسلم کفعل عثمان
فلذلک قال هابیل لقابیل لئن بسطت الی یدک ای مددت یدک الی

لتقتلنی

لتقتلنی ما انا بباسط ای بماد یدی الیک لاقتلک انی اخاف الله رب العالمین
ای عقابه وانما جاء الجزاء بلفظ اسم الفاعل فالشرط بلفظ الفعل لیفید انه
لا یتصف بالوصف الشنیع فیقال انه باسط الید الی اخیه بالقتل ولما عزم
قابیل علی قتل اخیه ومخالفة امر الله وابیه قال له هابیل انی ارید ان تبوء ای
ترجع باثمی ای باثم قتلی اذا قتلتنی علی حذف المضاف الیه واثمک ای وبال اثمک
الذی هو عصیان امر الله وابیک والمراد بالاثم وبال القتل وعقابه فتکون من
اصحاب النار بالاثمین وذلک جزاء الظالمین ای الکافرین بامر الله وامر ابیه
علیه السلام وانما جاز ان یرید شقاوة اخیه وتعذیبه بالنار لانه کان ظالما وجاز
ان یرید العبد جزاء الظالم کما اراد الله الا تری الی قوله وذلک جزاء الظالمین
فطوعت له نفسه ای انقادت وتابعت له نفسه قتل اخیه ای علی ان یقتل اخاه
فجاءه اغتیالا فقتله بحجر بارض هند وقیل عند عقبة حراء والمقتول ابن
عشرین سنة فاصبح ای صار قابیل بقتل اخیه من الخاسرین ای المغبونین
بالعقوبة فی الاخرة مع کونه هو ابن نبی صفی الله روی انه لما قتله حمله علی عاتقه
سبعة ایام لا یدری ما یصنع به فبعث الله غرابا ای غرابین فقتل الاخر
فجعل الغراب القاتل یبحث التراب فی الارض حفیرة وقابیل ینظر الیه فواری
فیها الغراب المقتول قوله لیریه متعلق بیبحث ای لیعلمه الله بفعل الغراب
کیف یواری ای یستر سوءة اخیه ای جیفته او عورته لانه کان سلبه ثیابه

وكيف حال من فاعل يواري والجملة في محل النصب بيرى على المفعولية فثم قال
قابيل يا ويلتى اعجزت اى ضعفت في الحيلة ان اكون مثل هذا الغراب
فاوارى بالنصب عطفا على ان اكون لا جوابا للاستفهام اذ ليس المعنى
لو عجزت لواريت لان ذلك يفيد معنى الشرط والجزاء كما قيل في معنى ايت بيتك
فازورك بالنصب لو عرفت لزرت وليس مرادا اى فاغطى سوأة اخى اى
عورته فاصبح اى فصار من النادمين على حمله حيث لم يدفنه حين قتله قيل
لو كانت ندامته على قتله لكانت الندامة توبة قال ابن عباس لما قتل ولد
آدم عليه السلام وهو بمكة اشتاك الشجر وحمضت الفواكه وقال قد حدث
في الارض حدث وكان قتل ابنه روى ان آدم لما سمع ان قابيل قتل اخاه
دعا عليه فانخسف به الارض وزوج شيث اقليميا قوله من اجل ذلك و
من لابتداء الغاية يتعلق بقوله كتبنا اى بسبب ذلك القتل فرضنا على
بني اسرائيل في التورية انه اى الشان من قتل نفسا بغير نفس اى بغير ان
قتل نفسا يعني ظلما او فساد اى بغير فساد في الارض والفساد فيها الشرك بالله
وقيل هو قطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا وشبه قتل نفس واحدة بقتل
الجميع تعظيما للنفس وترهيبا للقلوب عن الجسارة على قتلها وترغيبا في
المحامات على حرمتها وكذلك قوله ومن احياها اى من تورع عن قتلها وامتنع
او عفى عنه فخلاه فكانما احيا الناس جميعا في الاجر شبه احياء الواحد

احياء

احياء الجميع لانه في حيوة نفس واحدة يكون منفعة لجميع الناس بدعاء الخير لهم
فاذا علم ان حكمه باحياء الواحد حكمه باحيا جميع الناس رغب في احيائها كما اذا علم
ان حكمه في قتل الواحد حكمه في قتل الجميع رغب عن الاقدام عليه ثم قال ولقد
جائتهم رسلنا بالبينات اى بالحجج الواضحة في بيان الحلال والحرام والظلم و
العدل ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك البيان او المكتوب عليهم في الارض
لمسرفون اى التاركون الامر والنهي بالقتل وتهتك المحارم قوله انما جزاء مبتدأ
اى عقاب الذين يحاربون الله اى بترك امره ورسوله اى بمخالفة حكمه وسنته
او يحاربون اولياء الله واولياء رسوله من المؤمنين لان محاربة المؤمنين كمحاربة
الله ورسوله حكما ويسعون في الارض فسادا علة للسعي اى للفساد او حال بمعنى مفسدين
فيها بالقتل واخذ المال ان يقتلوا مع ما بعده من المعطوفات خبر المبتداء يعني
جزائهم ان يقتلهم الامام او يصلبوا الحكم والصلب عند الشافعي ان يقتل ثم يصلب
وعند ابي حنيفة ان يصلب حيا ثم يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف
اى يقطع يد قاطع الطريق اليمنى ورجله اليسرى او ينفوا من الارض اى يطرد عليه
قاطع الطريق من بلد الى بلد هاربا فزعا حتى لا يجد قرارا في موضع من الارض
فحيث ادرك اقيم الحد عند الشافعي والنفي عند ابي حنيفة الحبس لان المحبوس نفي
من سعة الدنيا الى ضيقها فصار كانه نفي عن الارض نزلت الاية في شأن قوم هلال
بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله عهد فنقض العهد بقطع الطريق في العرنيين الذي

اسلموا ثم ارتدوا بعد ان خرجوا من المدينة وقتلوا الراعي واستاقوا الابل واكثر
العلماء ان هذه الاية في حق قطاع الطريق من المسلمين لقوله تعالى الا الذين تابوا من
قبل ان تقدروا عليهم وقيل هذا حكم كل قطاع طريق مسلما او كافرا ثم الامام
مخير في المجازاة بين القتل والصلب والقطع والنفي فاو فيه للتخيير وقيل الاية
مرتبة على ترتيب الجزاء فمن جمع بين القتل واخذ المال في قطع الطريق قتل
وصلب ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال و
رجله لاخافة السبيل ومن افرد الاخافة نفي من الارض ذلك اي القطع والقتل
وغيرهما لهم خزي اي ذل وفضيحة في الدنيا ولا يكون ذلك كفارة لذنوبهم
ولهم في الاخرة عذاب عظيم اي اشد مما كان في الدنيا وهو عذاب النار ثم
استثنى من عوقبوا بقطع الطريق بقوله الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم اي رجعوا عما فعلوا قبل ان يوخذوا في صنيعهم قبلت توبتهم فهم لا يعاقبون
في الدنيا ولا في الاخرة بقطع الطريق لكن القتل والجراح واخذ المال يتعلق
حكمها الى الاولياء ان شاؤا عفوا وان شاؤا استوفوا ثم قال تاكيدا فاعلموا
ان الله غفور لذنوبهم بالتوبة رحيم بهم بقبول توبتهم ثم حذرهم عن ارتكاب
المعاصي وحثهم في العمل الصالح فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا
اي اطلبوا اليه الوسيلة وهي مراعات سبيل الله بالعلم والطاعة و
كسب الحلال لتصلوا الفضيلة والقربة الى الله وجاهدوا العدو بالغزو

في سبيله

في سبيله اي دينه الاسلام لعلكم تفلحون اي لتنجوا من العذاب وتنالوا
الثواب ثم قال تهديدا للكفار ليؤمنوا ان الذين كفروا بالله واياته لو ان لو
شرط فعله محذوف وان مع ما بعدها في محل الرفع فاعله اي لو ثبت ان يكون
لهم ما في الارض جميعا ومثله عطف على اسم ان وهو ما في الارض اي وثبت
ان لهم مثل ما في الارض جميعا معه ليفتدوا به اي بكل واحد منهما يعني ليجعلوه فدية
لانفسهم او على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك من عذاب
يوم القيمة فلو مع ما بعده في محل الرفع خبر ان بالكسر ما تقبل منهم اي لم تقبل
منهم ذلك الفداء ولهم عذاب اليم اي وجيع دايم يريدون ان يخرجوا
من النار اي من ابوابها لشدة العذاب بهم وما هم بخارجين منها لان
الملائكة يردونهم اليها بمقامع من حديد ولهم عذاب مقيم اي لازم بهم لا
يزول عنهم ابدا ثم بين حكم السرقة بقوله والسارق والسارقة وانما بدأ
بالذكر لان السرقة في الرجال اكثر وهو مبتداء اي الذي سرق والتي
سرقت من المال خبره فاقطعوا والفاء فيه لتضمن الكلام معنى الشرط الذي
يدل على ان الاول سبب للثاني اي اقطعوا بسبب السرقة ايديهما اي يديهما
والمراد بها اليمين بالاتفاق ولم يثن لئلا يجمع في كلمة واحدة بين تثنيتين لانه
قليل في كلامهم والحكم في الشرع انه اذا سرق من حرز نصابا بلا شبهة له فيه
قطع اليمين من الكوع لا من المنكب خلافا للخوارج ولا قطع ذوي النصاب

عند الجمهور وهو عشرة دراهم عند ابی حنیفة وربع دینار او قیمته عند الشافعی
فان سرق مرة قطعت یده الیمنی وحسمت بالنار فان عاد قطعت رجله الیسری
من مفصل الکعب ولا یقطع فی الثالثة والرابعة بل یحبس حتی یظهر توبته عند ابی
حنیفة ویقطع عند الشافعی یده الیسری فی الثالثة ورجله فی الرابعة فان عاد عزر
وحبس کذلک **جزاء** مفعول له ای الجزاء **بما کسبا** من السرقة فی الدنیا **نکالا من**
الله مثله فی النصب ای لعقوبة منه **والله عزیز** ای غالب بالنقمة علی من عصی
امره **حکیم** ای حاکم بحکمه علی السارق بقطع یده **فمن تاب** ای رجع عن سرقته
من بعد ظلمه ای بعد ارتکاب السرقة **واصلح** امره بفعل الخیر **فان الله**
یتوب علیه ای یقبل توبته ویسقط عنه عقاب الاخرة **ان الله غفور** لما
سلف من ذنبه بالتوبة **رحیم** به اذا اطاع امره واصلح عمله روی عن الشافعی
انه اذا تاب ورد المال لم یقطع یده فی احد قولیه وعند ابی حنیفة التوبة لا تسقط
القطع وقیل تسقط عن الحربی اذا سرق وتاب لیکون ادعی له الی الاسلام
ولا تسقط عن المسلم لان فیه صلاح المسلمین ثم قال **الم تعلم ان الله له ملک السموات و**
الارض یحکم فی اهلها ما یشاء لا اعتراض علیه لاحد **یعذب من یشاء** اذا اصر
علی الذنوب **ویغفر لمن یشاء** اذا تاب عن الکبایر ولم یصر علی الصغایر قیل قدم
التعذیب هنا علی المغفرة لتقدم السرقة علی التوبة وقیل لتهویل شان السرقة
وتغلیظها **والله علی کل شیء قدیر** من المغفرة والتعذیب ولما کان کید

المنافقین بموالات الکفار کالسرقة قال تسلیة للنبی علیه السلام واظهارا
لکذبهم فی الایمان **یا ایها الرسول لا یحزنک الذین یسارعون فی الکفر** نزل فی
شان ابی لبابة حین حاصر النبی علیه السلام بنی قریظة فاشار الیهم ابو لبابة
وکان حلیفا لهم انکم ان نزلتم عن حصونکم قتلکم فلا تنزلوا فقال تعالی لا تهتم و
لا تبال یا محمد بمسارعة المنافقین الذین یبادرون سریعا فی الکفر بموالات
المشرکین فانی ناصرکم علیهم ومحل **من الذین قالوا امنا بافواههم** ای بالسنتهم **ولم تؤمن قلوبهم** فی السر نصب علی الحال من ضمیر یسارعون
لبیان انهم منافقون قوله **ومن الذین هادوا** فی محل الرفع خبر مبتدأ
هو **سماعون للکذب** ای ومن الیهود قائلون لما یفتریه احبارهم
من الکذب علی الله ورسوله بتحریف الکتاب وتبدیل نعت محمد علیه السلام
من قولهم سمع لک ومنه سمع الله لمن حمده ای اذا قبل حمده او المعنی
من الیهود سماعون منک لیکذبوا علیک بالزیادة فیما یسمعون منک
لانهم اذا جالسوک صدقوا فی ذلک وهم اهل خیبر قوله **سماعون** خبر مبتدأ
محذوف ای هم سماعون من رسول الله **لقوم اخرین** ای لاجل
قوم آخرین من الیهود وجهوهم الیه جواسیس لیبلغوا هم ما سمعوا منه وقیل
سماعون الثانی قریظة والقوم الاخرون یهود خیبر وقوله **لم یاتوک** فی
محل الجر صفة قوم ای سماعون لطایفة اخری منهم لم یجیبوک لافراطهم

في شدة البغضاء والعداوة بك روي انه قد زني يهودي بيهودية وكانا
محصنين شريفين عند اهل خيبر وكان حدهما الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما
فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسئلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حدهما
عنده وقالوا ان امركم محمد بالجلد فاقبلوه وان امركم بالرجم فلا تقبلوا
فارسلوا الزانيين معهم فامرهم النبي عليه السلام بالرجم فلم يقبلوا فقال له جبرائيل
اجعل بينك وبينهم ابن صوريا حكما فدعاه النبي عليه السلام وجاء فجعله
حكما فقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو هل تجد في كتابكم الرجم على من احصن
قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبت ان تنزل علينا
العذاب ثم سئل رسول الله عن اشياء كان يعرفها من علامات نبوته
اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به
المرسلون فحكم النبي عليه السلام بالرجم فرجما عند باب مسجده وقال اللهم اني
اول من احيا امرك اذ اماتوه قوله يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ خبر مبتداء محذوف
اي هم يميلونه ويزيلونه مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ اي عن مواضعه التي وضع عليها
من الصحة في بيان الحلال والحرام فيحلون حرامه ويحرمون حلاله ويجوز ان
يكون حالا من ضمير سماعون وكذلك قوله يَقُولُونَ اي هم يقولون إِنْ أُوتِيتُمْ
هَذَا اي ان امرتم بالجلد في التورية فَخُذُوهُ اي فاقبلوه وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ ويامركم
محمد بالرجم فَاحْذَرُوا من حكمه ولا تقبلوه وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ اي اضلاله

وعذابه

وعذابه فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا اي لن تقدر على دفعه عنه لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ بالقتل والسبي والجزية مجازاة لكفرهم وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ (عظيم) اي اشد مما كان في الدنيا قوله سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ نزل في شأن
كعب بن الاشرف وفيمن كان مثله من علماء الاسلام الذين يقبلون
شهادة الزور ويحكمون بغير الحق ويرتشون في حكمهم أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ بضم
الحاء وسكونها اي الحرام الذي يلزم صاحبه العار او الاستيصال في العاقبة
قيل يا رسول الله ما السحت قال الرشوة في الحكم ثم قال لعن الله الراشي
والمرتشي قيل ان ترشو لتدفع عن دينك ودمك ومالك فليس بحرام عليك
قال ابن مسعود انما الاثم على القابض دون الدافع فَإِنْ جَاءُوكَ اي ان
جاءك اهل الكتاب وحكموا اليك اذا خصموا بينهم فانت بالخيار ان شئت
فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ وان شئت لا تحكم بينهم وهو معنى قوله أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ
تُعْرِضْ عَنْهُمْ اي عن الحكم بينهم فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا مصدر اي ضررا بالاعراض
عنهم وان شق ذلك عليهم لانهم لم يتحاكمون الا لطلب الايسر والاسهل كالجلد
مكان الرجم فاذا اعرضت عنهم وابيت الى الحكومة لهم شق ذلك
ويكرهوا اعراضك عنهم فعادوك ولكن الله يعصمك منهم وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ
بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ اي بالعدل والاحتياط في الحكم إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
اي العادلين في الحكم قيل اختلف العلماء في الحكم في اهل الكتاب اذا تحاكموا

اليناقال اكثرهم هو بالخيار استدلالا بهذه الاية وقيل يرد الى اهل دينهم
الآن بأتوا راغبين فى حكم الله وهو قول ابى حنيفة وقيل يجب الحكم بينهم ويجعل
الاية منسوخة بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله كما يجئ اما اذا تحاكموا الينا مسلم
وذمى فيجب الحكم اجماعا لانه لا يجوز انقياد المسلم لحكم الكافر وكيف يحكمونك
وعندهم التورية تعجب من تحكيمهم للنبى الذى لا يؤمنون بكتابه وهذا الحكم الذى
هو مطلوبهم منصوص فى التورية كتابهم الذى يدعون الايمان به وكيف فى
محل النصب حال من ضمير يحكمونك والواو فى وعندهم للحال اى كيف يرضون بان
يجعلوك حكما لهم لتحكم بينهم ومعهم التورية فيها حكم الله الجملة حال من التورية
والعامل فيها ما فى عندهم من معنى الفعل قوله ثم يتولون عطف على قوله
يحكمونك اى ثم يعرضون من بعد ذلك الحكم الذى وافق حكم كتابهم وما
اولئك بالمؤمنين اى بالمصدقين لك فى الحكم او بما عندهم من الكتاب
وهم يدعون الايمان به فهم كاذبون فيه انا انزلنا التورية فيها هدى من
الضلالة ونور اى بيان للشرايع والاحكام كنعت النبى والرجم وغيرهما
والجملة الاسمية حال من التورية يحكم اى يقضى بها النبيون الذين
اسلموا اى دخلوا فى ملة الاسلام واخلصوا العمل والحكم بالتورية من
لدن موسى الى عيسى وهم اربعة الاف نبى او اكثر وهذا الوصف للمدح والتعريض
باليهود الذين يعدلون عن ملة الاسلام التى هى دين الانبياء

كلهم القديم والحديث وانهم بمعزل عنها قوله الذين هادوا يتعلق بيحكم وفيه
اضمار اى يحكمون بما فى التورية لهم وعليهم ولذلك حكم رسول الله عليهم بالرجم
بحكم التورية قوله والربانيون عطف على النبيون اى ويحكم الزهاد العالمون
بربهم والاحبار اى العلماء بالشرايع والاحكام من ولد هارون الذين التزموا
طريقة الانبياء فى الاسلام وجانبوا دين اليهودية وغيره بما استحفظوا
اى بالسبب الذى طلبهم الانبياء حفظه من التبديل والتغيير من كتاب
الله واستودعوه لهم بعد ان تعلموا منهم احكامه وكلفوهم العمل بها وكانوا اى
العلماء به عليه اى على ما فيه من الاحكام كالرجم وغيره شهداء اى
رقباء لئلا يبدل كلام الله ثم قال للحكام بكتاب الله فلا تخشوا الناس اى اليهود
من المدينة وخيبر فى اظهار نعت محمد واخبار آية الرجم والحكم بالحق خوف
الظلمة واخشون فى كتمان نعت محمد وترك الحكم بالحق ولا تشتروا باياتى
اى لا تستبدلوا باحكامى ثمنا قليلا اى عرضا يسيرا من حطام الدنيا
بالرشوة ومداراة الظلمة عن ابن مسعود من شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع
بها ظلما فاهدى له فقبل فهو سحت ثم قيل له ما ترى فى الاخذ على الحكم كفر
لقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قال ابن
مسعود هو عام فى اليهود وغيرهم ردا للرواية عن ابن عباس انه فى حق
اهل الكتاب قوله وكتبنا عليهم اى فرضنا على بنى اسرائيل فيها

اى فى التورية حكاية ما خوطب به اليهود من الاحكام التى فرض عليهم ليكون
ذلك فرضا على المسلمين ويعملوا به يعنى اوجبنا عليهم **اَنَّ النَّفْسَ** مأخوذة
بِالنَّفْسِ اذا قتلها بغير حق **وَالْعَيْنَ** مفقوءة **بِالْعَيْنِ** كذلك **وَالْاَنْفَ** مجدوع
بِالْاَنْفِ وَالْاُذُنَ مصلوبة **بِالْاُذُنِ وَالسِّنَّ** مقلوعة **بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ**
قِصَاصٌ اى الجراحات ذات قصاص وهو المقاصة فى الحكم اذا امكن فيه
المساواة وان لم يمكن فلا قصاص بل فيه حكومة عدلٍ قيل من قرأ بنصب
الاسماء الخمسة اى المعطوفات جعل خبر انّ قصاص ومن قرأ بنصب الاسماء
الاربعة ورفع الجروح جعل قصاص خبر المبتداء وخبر انّ قرين كل اسم منها
من الجار والمجرور بتأويله وقرئ المعطوفات بالرفع عطفا على محل اسم
انّ بتاويل كتبنا بمعنى قلنا لانه انما يعطف على محل اسم ان المكسورة
دون المفتوحة فلذلك احتيج الى هذا التاويل قيل قوله والجروح قصاص
رد لقول اليهود وهم بنوا النضير حيث قالوا الجراحات على النصف اذا
كانت لانفسهم لشرفهم على بنى قريظة منهم فجعل الله الدم والجراحة بين بنى
النضير وغيرهم سواء فقال كعب بن الاشرف واصحابه للنبى عليه السلام
لا نرضى بحكمك فقال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
فصارت الاية عامة فى جميع الناس لاجل القصاص فى الدم والجراحة
فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ اى بالقصاص وعفى عن مظلمته فى الدنيا **فَهُوَ** اى التصدق

بكفارة

به **كَفَّارَةٌ لَهُ** اى للمتصدق بان يكفر الله عنه من سيئاته قال عليه السلام من
اصيب بشيئ فى جسده فتركه لله تعالى كان كفارة له **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ**
فَاُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ انفسهم لتعريضها للعقوبة لان الظلم وضع الشيئ
فى غير موضعه ثم قال **وَقَفَّيْنَا عَلٰى اٰثَارِهِمْ** اى اتبعناهم على اثار النبيين المذكورين
فالمفعول الاول من قفينا محذوف وقام مقامه على اثارهم والمفعول
الثانى بزيادة الباء فى قوله **بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرٰيةِ**
اى مقررا للتورية بالصدق فهو حال من عيسى **وَاٰتَيْنَاهُ الْاِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى**
من الضلالة **وَنُورٌ** اى بيان لاحكام الله تعالى **وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ**
التَّوْرٰيةِ اى موافقا للتورية فى التوحيد وبعض الشرايع قوله **هُدًى وَمَوْعِظَةً**
منصوبان على انهما مفعول لهما الفعل مقدر اى واتيناه الانجيل للهدى و
الموعظة وللحكم بما انزل الله فيه من الاحكام **لِلْمُتَّقِينَ** اى الذين يخشون الله
تعالى من المعاصى قوله **وَلْيَحْكُمْ** بسكون اللام ونصب الميم لام كى اى واتيناه
الانجيل لكى يحكم عيسى قيل انّ عيسى كان متعبدا باحكام التورية لان الانجيل
مواعظ والاحكام فيه قليلة **ومن لم يحكم بما انزل الله** فى الانجيل وكان
حكمهم العفو عن الجانى **فَاُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** اى العاصون امر الله ثم قال
خطابا لمحمد عليه السلام **وَاَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الْكِتَابَ** واللام فيه للعهد اى القران
بِالْحَقِّ اى ملابسا ببيان الحق **مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ** اى لما قبله **مِنَ الْكِتَابِ**

واللام فيه للجنس اى من الكتب المنزلة من الله ومهيمنا عليه اى رقيبا وشاهدا
على الكتاب المنزل يعنى يشهد له بالصحة ويحفظه من التبديل والتغيير فاحكم
يا محمد بينهم اى بين اهل الكتاب اذا تحاكموا اليك بما انزل الله اى بالقران
ولا تتبع اهواءهم اى لا تعمل بهواهم عادلا عما جاءك من الحق والمعنى ولا
تعرض عما جاءك من الحق متبعا اهوائهم ومرادهم وان كان ذلك شرعا
بشريعتهم لكل اى لكل نبى من الانبياء جعلنا منكم ايها الناس شرعة
اى شريعة ودينا ومنهاجا اى طريقا واضحا وفيه دليل انه لا يجب على احد
التعبد بشريعة غيره ولو شاء الله لجعلكم بالقسر امة واحدة اى على ملة واحدة
بشريعة واحدة اشارة الى قدرته وحكمته ولكن جعلكم امما مختلفة ليبلوكم
فيما اتاكم من الكتب والشرايع المختلفة يعنى ليظهر لكم الطايع والعاصى منكم
فيما امره ونهاه فاستبقوا الخيرات اى تقدموا وعجلوا بالاعمال الصالحة
والى الصف المقدم فى الجهاد والى التكبيرة الاولى مع ذلك فى الصلوة
الى الله مرجعكم اى اليه ترجعون جميعا فاعملوا بالفرايض والسنن ولا
تتبعوا الاهواء والبدع فينبئكم اى يخبركم بما كنتم فيه تختلفون من الدين
والسنن يوم القيمة فهذا وعيد لهم ليستبقوا الخيرات ويتركوا السيئات
وان احكم بينهم بما انزل الله فى محل النصب عطف على الكتاب اى
وانزلنا اليك الكتاب والحكم بينهم ويجوز ان يكون تقديره وبالحكم عطفا

على بالحق اى انزلناه بان احكم بينهم ولا تتبع اهواءهم فى الحكم واحذرهم مخافة
ان يفتنوك اى يصرفوك عن بعض ما انزل الله اليك نزل حين قال
الاحبار من يهود بنى النضير فيما بينهم اذهبوا بنا الى محمد نفتنه عن دينه فانه
بشر فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم
وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فقض لنا عليهم ونحن نؤمن
بك فابى ذلك رسول الله فاعرضوا عنه فقال تعالى فان تولوا اى ان
يعرضوا عنك وعن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد
الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اى بان يعجل لهم العقوبة فى الدنيا ببعض
عملهم وان كثيرا من الناس لفاسقون اى لخارجون عن حكم الله وطاعته
قوله افحكم الجاهلية تبغون بالتاء والياء نزل انكارا على من يطلب حكما غير حكم
الاسلام اى يطلبون منك شيئا لم ينزل الله اليك ومن احسن استفهام
بمعنى النفى مبتداء وخبر اى لا احد احسن من الله حكما نصبه تمييز اى قضاء
لقوم يوقنون اى يعلمون باليقين ان الله هو الحاكم بالقران او الحاكم بالعدل
واللام للبيان او بمعنى عند قوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء نزل نهيا عن موالاة اعداء الدين وذلك حين كانت وقعة احد فان
بعض الناس من المسلمين فيما خاف ان يظهر عليهم الكفار فاراد ان يعاشرهم ويواليهم
ليأمن منهم فقال تعالى لا تتخذوهم اولياء فى العون والنصرة كالمؤمنين بعضهم

اولياء بعض في النصرة لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر ومن يتولهم اى من يتخذ
اولياء منكم فانه منهم اى على دينهم ومعهم في النار لنفاقهم ان الله لا يهدي القوم
الظالمين اى لا يرشد الذين ظلموا انفسهم بموالاة اعداء الله ثم شرع في بيان
المنافقين بقوله فترى الذين في قلوبهم مرض اى شك ونفاق من رؤية العين
قوله يسارعون اى يبادرون فيهم اى في معاونة الكفار في محل النصب على
الحال وان كانت الرؤية بالقلب فالجملة مفعول ثان لترى يعني تراهم يوالون
بهم ويعتذرون بانهم لا يأمنون منهم يقولون حال من ضمير الجمع نخشى اى
نخاف ان تصيبنا دائرة اى حادثة تدور من دوائر الزمان لغلبة المشركين
وجدب وشدة ولا يتم امر محمد فاحتجنا اليهم فنزل توبيخا لهم بالاشارة
الى تتميم امر محمد فعسى الله ان يأتي بالفتح اى بنصر محمد واظهار دينه وان يأتي
في محل النصب خبر عسى او محل الرفع بدل من الله او امر من عنده اى بان يؤمر
النبي عليه السلام من عند الله ليظهر اسرار المنافقين وقتلهم او ليقطع قوة
اليهود وجلائهم من بلادهم فيصبحوا عطف على ان يأتي اى فان يصيروا على ما
اسروا في انفسهم من النفاق وموالاة الاعداء نادمين فانهم لما رأوا امر
بني قريظة والنضير ندموا على ما قالوا قوله ويقول بالرفع مع الواو للاستئناف
او لعطف الجملة على جملة وعدمها بالنصب عطف على ان يأتي وهو بيان
حال المؤمنين وقولهم في ما بينهم اى يقول الذين امنوا بعضهم لبعض تعجبا من

حال المنافقين بعد ان وفقهم الله في الاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا
بالله جهد ايمانهم اى اغلظ احلافهم انهم لمعكم اى اولياؤكم في
المعاضدة على الكافر بالايمان ثم قال المؤمنون تعجبا من صنع
المنافقين وسوء حالهم ودعاء عليهم حبطت اعمالهم اى بطلت خيراتهم
بالحلف الكذب يعني بما احبط اعمالهم فاصبحوا خاسرين اى صاروا
مغبونين في الدنيا والاخرة بفضاحتهم بين الناس بالنفاق في الدنيا وعدم
ثوابهم في الاخرة وقيل يجوز ان يكون هذا من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم
ثم قال تهديدا للمؤمنين يا ايها الذين امنوا من يرتدد بالفك وبالادغام اى
من يرجع منكم عن دينه كافرا بعد وفات النبي عليه السلام نزل في الذين
ارتدوا على عهد ابي بكر الصديق حين قالوا نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله ولا نعطي الزكوة من اموالنا بعد رسول الله شيئا ثم خرج
مسيلمة الكذاب فغلب على اليمامة واتبعوا فشاور ابو بكر اصحاب النبي
عليه السلام في قتالهم فاتفقوا على قوله وجمعوا العسكر فذهبوا على مسيلمة
الكذاب مع اهل اليمامة واجتمع الاعراب معهم وكان بينهم قتال شديد
فنصر الله المؤمنين على اعدائهم وقتل مسيلمة الكذاب واصحابه وتاب اهل
الردة فذلك قوله فسوف يأتي الله بقوم مكانهم يحبهم اى الله ويحبونه اى
يعني يرضى الله بفعلهم ويثيبهم احسن الثواب ويرضوا بربوبيته ويطيعونه ولا يعصونه

فالمراد بقوم الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي الزكوة وهم ابو بكر واصحابه روی انه
قيل بعد نزوله يا رسول الله من هؤلاء قال قوم هذا واشار الى ابي موسى الاشعري
اذلة على المؤمنين صفة قوم وهي جمع ذليل بمعنى عطوف ولين ولذا عدي بعلى
والاصل اللام اعزة اي اشداء غلاظ على الكافرين المعنى انهم مع
المؤمنين كالوالد مع ولده وعلى الكافرين كالسبع على صيده يجاهدون في
سبيل الله ولا يخافون لومة لائم اي ملامة الناس فيما يعملونه من الطاعات
كالمنافقين يخافون الكفار ذلك اي ما وصف به القوم للمدح من الهدى فضل
الله يؤتيه من يشاء بتوفيقه ولطفه به والله واسع اي كثير الفضل عليم بمن يصلح
به ثم قال بعد نهيه عن موالاة الكفار حثا على موالاة المؤمنين انما وليكم الله اي
ناصركم بالمحبة والاصالة الله ورسوله والذين امنوا بالمحبة والتبعية لله روی ان
عبد الله بن سلام قال للنبي عليه السلام ان اخواننا بني قريظة والنضير من اليهود
قد اظهروا لنا العداوة واقسموا ان لا يخالطونا في شيء فنزلت الاية قال
ابن سلام رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين اولياء قوله الذين يقيمون الصلوة
رفع على انه صفة الذين او بدل منهم او هم الذين يعملونها اي يتمونها ويؤتون الزكوة
اي المفروضة او الصدقة وهم راكعون اي يفعلون الخيرات في حال ركوعهم
لان عليا تصدق بخاتمه وهو في الصلوة فنزلت الاية في شانه وانما جمع ترغيبا
لغيره في مثل حاله ومن يتول الله اي احبه فاستنصره ورسوله والذين امنوا

فان

فان حزب الله اي انصاره واتباع دينه هم الغالبون اي القاهرون على
اعدائه والعاقبة لهم والاصل فانهم هم الغالبون فوضع حزب الله موضع المضمر
تنبيها على فضل مرتبتهم عند الله قوله يا ايها الذين امنوا خطاب للمؤمنين
باللسان دون القلب لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم اي الكفار هزوا ولعبا اي
سخريا وباطلا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي اليهود والنصارى و
الكفار بالجر بتقدير من وبالنصب عطفا على الذين اتخذوا اي مشركي العرب
اولياء في العون والنصرة ويجوز ان يكون خطابا للمخلصين نهيا عن موالاة الاعداء
في الدين واتقوا الله عن ولاية الكفار ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان الحق
قطعكم عنه فلم يبق بينكم وبينهم الا البغضاء والشنآن قوله واذا ناديتم اي اذا نادى
المؤذن منكم الى الصلوة بيان لاتخاذ الكفار دين الاسلام باطلا اظهارا
لعداوتهم للمسلمين لانهم اذا اذن المؤذن وسمعوه اتخذوها اي المناداة الى الصلوة
هزوا ولعبا لانهم كانوا اذا سمعوا الاذان اورأوا المسلمين في الركوع والسجود
ضحكوا واستهزؤا قيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام
وغيره روی ان النبي عليه السلام سأل جبرائيل من اتخذه مؤذنا فقال عليك
بالعبد الاسود يعني بلالا فانه جهير الصوت ومشهور في الملائكة واحب المؤذنين
الى الله تعالى ودعاه رسول الله وعلمه الاذان وامره ان يصعد سطح المسجد و
يؤذن فلما اذن سخر منه اهل النفاق واهل الشرك فنزلت الاية قيل كان رجل

من النصارى بالمدينة لما سمع المؤذن يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله قال حرق الله الكاذب فدخلت خادمته ليلة بنار وهم نيام
فسقطت شرارة في البيت فاحرقته واهله فاستجيب دعاؤه على نفسه ذلك
اي الاستهزاء منهم بانهم اي بسبب انهم قوم لا يعقلون اي لا يفهمون من الله
شيئا لجهلهم وسفاهتهم فكانه لا عقل لهم اصلا قل يا محمد يا اهل الكتاب هل
تنقمون اي ما تنكرون وتعيبون منا الا ان امنا بالله اي سوى ايماننا به و
ما انزل الينا اي بالقران المنزل الينا وما انزل من قبل اي قبل القران من
التورية والانجيل وان اي وبان اكثركم فاسقون اي خارجون عن الايمان
بعصيانكم المعنى انكم لا تنكرون منا الا مخالفتنا اياكم بانا داخلون في الاسلام
وانتم خارجون منه ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع يعني لا تنقمون منا الا ايماننا مع
كونكم فاسقين مقيمين على الباطل بعد العلم به قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك
اي من المنقوم من اهل الايمان نزل حين قال اليهود للمؤمنين ما نعلم احدا من
الاديان اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم فقال تعالى قل يا محمد هل اخبركم بشر من
اهل الايمان على زعمكم مثوبة اي جزاء وعقوبة عند الله ونصبه تمييز ووضعه
موضع العقوبة وهو من الاحسان في الاصل توسع او استهزاء لهم قوله
من لعنه الله رفع بالخبرية لمبتداء محذوف اي هو من طرده الله من رحمته
وغضب عليه بقطع لطفه عليه وجعل منهم القردة والخنازير في الدنيا و

عبد الطاغوت عطف على صلة من اي ومن عبد الشيطان فعل ماض من العبادة
وقرئ عبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء اضافة ونصبه بجعل لانه معطوف
على القردة وهو اسم جمع وليس بجمع كعضد والمراد من عبادة الشيطان
تسويله المعصية والطاعة له فيها المعنى من لعنه الله شر عقوبة من غيره في الاخرة
اولئك شر مكانا اي منزلة عند الله واضل عن سواء السبيل اي عن وسط
طريق الحق في الدنيا ثم اخبر عن حال منافقي اهل الكتاب واذا جاؤكم قالوا
امنا اي صدقنا بك لانا وجدنا نعتك في كتابنا وارادوا به ان يمدحهم المسلمون
ويحبوهم فقال تعالى وقد دخلوا بالكفر اي متلبسين به وهم قد خرجوا به اي
متلبسين به الجملتان في محل النصب على الحال اي هم دخلوا كافرين و
خرجوا كافرين حقيقة بنفاقهم ولا ينفعهم قولهم امنا والله اعلم بما كانوا يكتمون
اي يسترون في قلوبهم من النفاق فيجازيهم وهذا تهديد لهم وترى كثيرا منهم اي
من المنافقين يسارعون في الاثم اي في الكفر والمعاصي والعدوان اي التعدي
للغير وهو الظلم واكلهم السحت اي الرشوة في الاحكام لبئس ما كانوا يعملون
تزودهم السحت في الدنيا للاخرة ثم نزل تخويفا للعلماء بترك الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر لولا اي هلا ينهاهم اي اهل الظلم والاثم الربانيون اي علماؤهم
الزاهدون والاحبار اي العلماء بالشرايع والاحكام عن قولهم الاثم اي
المنكر واكلهم السحت يعني لو لم ينهوا سفهاءهم عن حكمهم الباطل واكلهم

الحرام ورضوا بفعلهم السوء ولم ينكروا عليهم لبئس ما كانوا يصنعون اي تمكنون
من ترك الانكار على سفهائهم تمكن الصانع من صنعته قوله وقالت اليهود
يد الله مغلولة نزل حين بسط الله عليهم الرزق حتى كانوا من اكثر الناس مالا
فلما عصوه في محمد عليه السلام وكذبوه قتر عليهم الرزق فقال فنحاص بن
عازوراء وغيره من اليهود عند ذلك يد الله محبوسة عن بسط الرزق علينا
وكنوا به عن البخل فقال تعالى غلت ايديهم اي امسكت عن فعل الخير فهم
البخلاء لا يعطون الناس شيئا مما اعطاهم الله تعالى وانا الجواد او غلت
ايديهم في نار جهنم بالاغلال ولعنوا بما قالوا اي ابعدوا عن الرحمة
وعذبوا بسبب قولهم ذلك ثم اضرب الله عنهم برد قولهم مبينا انه في غاية
الكرم وليس بخيل بقوله بل يداه مبسوطتان اي رزقه واسع على عباده خلقه بانزال
المطر من السماء واخراج النبات من الارض وقيل نعمة الدنيا ونعمة الاخرة
واسعتان عليهم ينفق كيف يشاء على مقتضى الحكمة من التوسيع والتضييق
لا اعتراض عليه والجملة تاكيد للوصف بالسخاء ونفي البخل عنه في المعنى ولهذا
ثنى اليد بعد الافراد فيما قبله وهو رد لقولهم على وجه ابلغ لان غاية سخاوة السخي
ان يعطي ماله بيديه جميعا ثم بين حالهم بقوله وليزيدن كثيرا منهم اي اليهود و
فاعل يزيدن ما انزل اليك من ربك اي يزيدهم القران طغيانا وهو
التمادي بالمعصية وكفرا اي جحودا بالقران لانه كلما نزل شيء منه كفروا

به فيزيد جحودهم لحسدهم بنبوة محمد عليه السلام والقينا بينهم اي بين اليهود
العداوة والبغضاء اي جعلناهم مختلفين في دينهم متباغضين فلا يقع
اتفاق بينهم ولا تعاضد لان قلوبهم شتى وان كانوا متحدين في الكلمة او
المراد هو العداوة بين اليهود والنصارى الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا
للحرب اي لحرب النبي عليه السلام بافساد امره او المكر به واصحابه اطفاها
الله اي امات الله نار مكرهم وسكنها بقهرهم ونصر نبيه فغلبوا ويسعون في
الارض فسادا بكفرهم والعمل بالمعاصي ودعوة الناس الى غير عبادة الله
تعالى والله لا يحب المفسدين اي لا يرضى بعملهم الفساد فيجازيهم به ولو ان
اهل الكتاب امنوا اي صدقوا بمحمد والقران واتقوا اي وقرنوا ايمانهم بعمل التقوى
الذي هو طريق السعداء لكفرنا عنهم سيئاتهم اي لمحونا عنهم ذنوبهم ولادخلناهم
جنات النعيم في الاخرة ولو انهم اقاموا التورية والانجيل او عملوا بما فيهما من
الاحكام وما انزل اليهم من ربهم اي بالقران وجميع الكتب لاكلوا رزقا
من فوقهم ومن تحت ارجلهم يعني لو عملوا بما امرناهم في كتابنا لوسعنا عليهم
الرزق بافاضة بركات السماء وبركات الارض من الزروع المغلة و
الاشجار المثمرة ثم فضل بعضهم على بعض بقوله منهم امة مقتصدة اي جماعة
عادلة بالايمان والعمل الصالح غير المقصرة في الدين كعبد الله بن سلام واصحابه
والاقتصاد هو الاعتدال في الشيء وكثير منهم كلكعب بن الاشرف واصحابه

ساء ما يعملون اى بئس شيئا عملهم قوله يا ايها الرسول بلغ نزل فى حث
المسلمين على الجهاد والدعوة الى الايمان اى بلغ يا محمد ما انزل اليك من ربك
اى جميع المنزل اليك من القران ولا تخف من احد منهم الا الله وان لم تفعل اى ان
لم تبلغ جميعه فما بلغت رسالته قرئ مفردا وجمعا يعنى اذا تركت البعض من المنزل
اليك صرت كالتارك للكل ثم شجع النبى عليه السلام على الجهاد بهم بقوله والله
يعصمك من الناس اى يحفظك من كيد جميع الكافرين فلا يصلون اليك
بقتل ولا بغيره قيل نزلت بعد ما شج وجهه وكسرت رباعيته فى وقعة احد وقيل
يعصمه من القتل ثم قال تاكيدا لذلك ان الله لا يهدى القوم الكافرين اى
لا يرشدهم الى دينه بل يقهرهم ويخذلهم روى انه عليه السلام كان يحرس بالناس
ليلا ويلبس الدرع ثم ترك بعد نزول هذه الاية فقال لا تحرسونى فان الله
قد عصمنى من الناس ثم قال تعالى تعليما لنبيه كيف يبلغ رسالته الى اليهود والنصارى
وان زعموا انهم على ملة ابراهيم ودينه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء من الدين
لضلالتكم عن دين الحق فلا ثواب لاعمالكم حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل
اليكم من ربكم اى حتى تعلموا بما فيهما وبما فى القران مع الايمان به ثم اكد ضلالتهم
بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك وهو القران لحسدهم بنبوتك
طغيانا وكفرا اى تماديا فى المعصية وجحودا بالقران فعليك التبليغ وان لم
ينفعهم ذلك فلا تأس اى لا تحزن على القوم الكافرين اى على المكذبين بك

وبالقران

وبالقران ففى المؤمنين كفاية عنهم ففيه تسلية للنبى عليه السلام ان الذين
امنوا باللسان والذين هادوا اى دخلوا فى اليهودية والصابئون رفع
على الابتداء وخبره محذوف وبنية التاخير عما فى حيز ان من اسمها وخبرها وهو
كذلك كانه قال ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن منهم اى
من الكفار شرط مبتداء وخبر اى من صدق مخلصا بالله واليوم الاخر وعمل
عملا صالحا وجواب الشرط فلا خوف عليهم فى الدنيا ولا هم يحزنون فى
الاخرة والشرط مع جوابه فى محل الرفع خبر ان والصابئون كذلك وهم العا
العادلون من دين الى دين وانما قدرنا خبر المبتداء بعده كذلك فرارا
من لزوم العطف على محل اسم ان قبل ان مضى الخبر لئلا يلزم توجه العاملين
على معمول واحد وهو ممتنع عندهم والجملة اعنى والصابئون كذلك عطف
على الجملة قبلها وهى ان الذين آمنوا الى قوله يحزنون ولا محل لها من الاعراب
كما لا محل للجملة المعطوف عليها من الاعراب ووجه تقديم الصابئين على خبر
ان قبل ذكر تمام المعطوف عليه هو التنبيه على ان الصابئون يتاب عليهم
ان صح منهم الايمان والعمل الصالح مع كثرة ذنوبهم فما الظن بغيرهم ثم بين حال
اليهود بقوله لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل اى عهدهم فى التورية وارسلنا
اليهم رسلا اصفتهم كلما جاءهم رسول منهم بما لا تهوى انفسهم اى لا يوافق
هواهم وجواب كلما محذوف اى كذبوه بقرينة قوله فريقا كذبوا كمحمد وعيسى

وفريقا يقتلون كيحيى وزكريا ولم يقل قتلوا كما قال كذبوا ليكون على حكاية الحال
الماضية استعظاما للقتل واستحضارا لتلك الحالة الشنيعة للتعجب منها
وحسبوا الا تكون فتنة اي ظنوا انهم لا يبتلون ببلاء بتكذيبهم الرسل وقتلهم
الانبياء قرئ بنصب يكون على ان حسب بمعنى شك وبرفعه على ان المخففة
من الثقيلة فحسب بمعنى علم اي انه لا يكون فتنة وهو ساد مسد مفعولي حسب
والمعنى حسب بنو اسرائيل انه لا يصيبهم البلاء في الدنيا والعذاب في الاخرة
فعموا عن الحق بعبادة العجل فلم يبصرون وصموا عنه فلم يسمعوه بعد موسى
ثم تاب الله عليهم اي تجاوز عن ذنوبهم بعد توبتهم عن عبادة العجل و
رفع عنهم البلاء ببعث عيسى والايمان به واتباعه فيما امرهم ونهاهم ثم عموا
وصموا بكفرهم بمحمد المبعوث اليهم رسولا كثير منهم رفع بدل من الضمير في
الفعلين او خبر مبتداء محذوف اي العمي والصم كثير منهم والله بصير بما يعملون
بتكذيبهم الرسل وبقتلهم الانبياء فيجازيهم بما عملوا ثم بين حال النصارى
بقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم مع زعمهم انهم يؤمنون
بعيسى لكذبهم في مقالتهم بالايمان به لانه دعاهم الى التوحيد بالرسالة وهم
اشركوا بالله نفسه وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله اي وحدوه و
اطيعوه ربي وربكم اي خالقي وخالقكم فلا تشركوا به شيئا انه من يشرك
بالله ويموت عليه فقد حرم الله عليه الجنة اي دخولها لانها دار الموحدين و

ماواه

ماواه النار اي مقره ومصيره نار جهنم وما للظالمين من انصار اي ليس
للمشركين مانع يمنعهم من العذاب وهو تعيير لهم فيما يعتقد وندان لهم النصارا
بالايمان بعيسى وقولهم انه هو الله قيل ان هذه الجملة يجوز ان يكون من
كلام الله على معنى انهم كذبوا وعدلوا عن سبيل الحق فيما يقولوا على عيسى
وخالف قولهم قوله لهم فيعذبون في الاخرة وان يكون من كلام عيسى على
معنى ان ما قالوا بعيد عن العقول فلا ينصرهم احد على ما يقولون يوم القيمة
ثم بين حال الفريق الاخر من النصارى بقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله
ثالث ثلثة اي ثلثة الهة يعنون الله وعيسى ومريم فرد عليهم بقوله وما من اله
الا اله واحد وهو الله ومن فيه لاستغراق الجنس لتاكيد النفي ثم هددهم
بقوله وان لم ينتهوا عما يقولون اي ان لم يتوبوا عن مقالتهم الباطلة ليمسن
الذين كفروا منهم عذاب اليم اي وجيع دايم ان اقاموا على كفرهم واللام فيه
لام القسم المحذوف قبله ولم يقل ليمسنهم ليكون المستحيل عليهم بالكفر بتكرير
الشهادة به وانما قال منهم لان بعضهم لم يكفر ثم دعاهم الى التوبة من ذلك
القول بقوله توبيخا بالاستفهام افلا يتوبون الى الله من النصرانية ويستغفرونه
عن كفرهم وقولهم الاثم والله غفور رحيم بهم ان تابوا اليه واستغفروه عما قالوه
ما المسيح ابن مريم الا رسول كسائر الرسل من البشر قد خلت اي مضت
من قبله الرسل بالموت فهو يموت ويمضي كما مضوا ولو كان الهالكان

باقيا ولم يفن ثم اكد لقوله وامه صديقة اى امرءة مبالغة فى التصديق تشبه
النبيين حين صدقت جبرائيل وما قال لها من انا رسول ربك ثم زاد
التاكيد فى ثبوت البشرية لهما بقوله كانا ياكلان الطعام اى يعيشان بالغذاء
كالادميين فكيف يجوز ان يكون من يحتاج الى الغذاء الها لكونه من امارات
الحدوث المنافى للقديم ثم قال تعجبا من كفرهم مع قيام الحجة الواضحة على بشريتهما
انظر كيف نبين لهم الايات اى الدلالات على ذلك فى عيسى ومريم فلو كانا
الهين لما اكلا الطعام ثم زاد فى التعجب من تركهم الايمان مع وضوح البرهان
بقوله ثم انظر انى يؤفكون اى يصرفون عن الحق ويكذبون بانكارهم وحدانيتى
ثم قال تعييرا لهم بقلة عقلهم وشدة جهلهم قل يا محمد اتعبدون من دون الله
اى من غيره ما لا يملك لكم اى الذى لا يقدر لاجلكم ضرا ولا نفعا فى الدنيا
والاخرة يعنى عيسى وكل معبود سوى الله وتركتم عبادة الله وحده والله
هو السميع بقولكم العليم بحالكم وعقوبتكم ثم نهاهم عن الغلو الباطل لان
الغلو فى الدين نوعان غلو حق وهو التفتيش عن ابعد معانى الحق و
التفحص والاجتهاد عن حقايقه فى تحصيل البراهين ليظهر الحق كما يفعله اهل الحق
وغلو باطل وهو ان يتجاوزون عن الحق بالاعراض عن الحجة الواضحة الدالة
على الحق لاتباع الشبه والاغراض كما يفعله اهل الاهواء بقوله قل يا اهل الكتاب
لا تغلوا فى دينكم غلوا غير الحق وهو الغلو الباطل اى لا تجاوزوا الحجة وتركوا

الحق

236

الحق ولا تتبعوا اهواء قوم وهم رؤساءهم من اليهود والنصارى قد ضلوا
من قبل مرة ثانية حين بعث النبى عليه السلام واضلوا كثيرا عن سواء السبيل
اى عن طريق الهدى بتكذيبه حسدا لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل اى
اليهود وهم اهل ايلة على لسان داود النبى لما اعتدوا فى السبت واصطادوا
السمك فيه بعد النهى عنه فقال داود اللهم العنهم واجعلهم اية فمسخوا
قردة وعيسى ابن مريم اى ولعنوا على لسانه حيث دعا عليهم بسبب كفرهم
بعد اكل المائدة فمسخوا خنازير ذلك اللعن بما عصوا اى بعصيانهم امر
الله وكانوا يعتدون اى بكونهم معتدين اى متجاوزين الحد ظلما فى دينهم
ثم فسر العصيان والاعتداد بقوله كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اى لم
يمتنعوا عن فعله بل تعودوه ورضوا به فكان الاخلال بالتناهى عن المنكر معصية واعتداء
ثم قال تعجيبا من سوء فعلهم وتوبيخا لهم لبئس ما كانوا يفعلون من عدم
انتهائهم عنه واللام فى جواب القسم للتاكيد ثم قال فى منافقى اهل الكتاب بعد
الايمان ترى كثيرا منهم اى من اليهود يتولون الذين كفروا اى
من مشركى العرب او من اليهود يعنى يتوادونهم ويستمدونهم على حرب
النبى عليه السلام لبئس ما قدمت لهم انفسهم من العمل لمعادهم ان
سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم يعنى لبئس زادهم الى الاخرة سخط الله
عليهم وفى العذاب هم خالدون اى لازمون فيه ثم قال توبيخا لهم

على اتخاذ غير المؤمنين اولياء ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي اى بمحمد وموسى
عليهما السلام حقيقة وما انزل اليه من القرآن ما اتخذوهم اى اعداء الدين
يعني المشركين او اليهود اولياء في العون والنصرة ولكن كثيرا منهم اى من يؤمنى
اهل الكتاب فاسقون اى ناقضون العهد وخارجون عن الاسلام ثم اخبر
عن صعوبة اجابة اليهود الى الحق وعن سهولة ميل النصارى الى الاسلام
بقوله لتجدن اشد الناس عداوة تميز والعامل فيه اشد اى بغضا
للذين آمنوا اليهود نصبه مفعول ثان لتجدن والاول اشد وهم بنو قريظة
والنضير واصحابهم قوله والذين اشركوا نصب عطف على اليهود يعني مشركى
العرب كاليهود في شدة العداوة للنبي والمؤمنين ولتجدن اقربهم اى اقرب
الناس مودة تميز يتعلق به قوله للذين آمنوا والمفعول الثاني لقوله لتجدن
الذين قالوا انا نصارى وهم الذين كانوا في عهد النبي عليه السلام ثم علل
سهولة ميلهم وقرب مودتهم للمؤمنين بقوله ذلك مبتداء خبره بان منهم اى
قرب مودتهم لسبب ان منهم قسيسين اى علماء خايفين ورهبانا اى عبادا
زاهدين وفيه دليل على ان العلم والزهد انفع شيء واهداه لصاحبهما ولو كان
كافرا قوله وانهم لا يستكبرون محله جر عطف على ان اى وبانهم لا يتعظمون عن
الايمان بالحق واذا سمعوا ما انزل الى الرسول من القران ترى اعينهم تفيض
اى تسيل بالامتلاء من الدمع مما عرفوا من الحق اى لاجل الذى عرفوه من الصدق

فيه فمن الاولى لابتداء الغاية والثانية للعلة والثالثة للبيان لانهم عرفوا
ان محمدا كما هو نعته في كتابهم والمراد وفد النجاشي الذين جاء والى النبي عليه السلام
منهم
وكانوا سبعين رجلا فلما سمعوا القران الذى قرأه النبي عليه السلام
عليهم وهو سورة يس رقت عليهم قلوبهم وافاضت اعينهم بالدمع يقولون
ربنا آمنا والجملة حال من ضمير عرفوا اى قائلين صدقنا بمحمد وبالقران فاكتبنا
مع الشاهدين اى المقرين بنبوة محمد وكتابه وهم المهاجرون والانصار ثم عيرهم
اليهود بالايمان فقالوا منكرين عليهم وما لنا لا نؤمن بالله وحده وكانوا
مثلثين قبله وما جاءنا من الحق اى بالذى نزل بنا من القران ونطمع
ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين اى الموحدين المطيعين في الجنة
فاثابهم الله اى فجزاهم بما قالوا من التوحيد بالاخلاص جنات تجرى من
تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين اى ثواب الموحدين المطيعين
ثم باين عقوبة من لم يؤمن منهم واصر على كفره بقوله والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا وماتوا على ذلك اولئك اصحاب الجحيم اى النار الشديدة الوقود
قوله يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم نزل نهيا لجماعة
من الصحابة اجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون فتواثقوا وعاهدوا ان يترهبوا
برفض الدنيا ولبس المسوح ويقوموا الليل ويصوموا النهار ويخصوا انفسهم
لئلا يقربوا النساء والفرش وحلفوا ان لا ياكلوا اللحم والدسم وذلك

حين وصف لهم رسول الله القيمة واهوالها واشبع الكلام في الانذار فبلغ
ذلك رسول الله فقال لهم ادم بذلك فنهاهم الله تعالى وقال يا ايها المؤمنون
بالله ورسوله لا تحرموا على انفسكم ما طاب ولذ مما احل الله لكم **ولا
تعتدوا** اى لا تتجاوزوا الحلال الى الحرام **ان الله لا يحب المعتدين** من الحلال
الى الحرام وعكسه **وكلوا مما رزقكم الله** حال لكونه **حلالا طيبا** من الطعام والشراب
واتيان النساء مستنين بسنن نبيكم فانه اكل الدجاج والفالوذج والعسل و
الدهن واللحم وكان ياتى النساء واكد ذلك بقوله **واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون**
اى مصدقون باوامره ونواهيه فاحلوا احلاله وحرموا حرامه ثم امرهم بتكفير ايمانهم
لانهم لما حرموا الحلال على انفسهم صار ذلك يمينا له ففيه دليل على ان الرجل اذا
حلف على شيء والحنث خير له ينبغي ان يحنث ويكفر عن يمينه وفيه دليل على ان
الكفارة بعد الحنث لانه تعالى امرهم بالحنث اى بان ياكلوا ثم امرهم بالكفارة
بقوله **لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم** محله نصب على الحال اى كائنا فيها
واللغو ان يحلف الرجل على شيء وهو يرى انه كذلك وليس كما يرى في الواقع
هذا عند ابى حنيفة وقال الشافعي اللغو ما لا يعقد الرجل قلبه عليه كقول الرجل
لا والله وبلى والله في كل شيء ولم يعقد قلبه على اليمين باللفظ والعزم عليها
فلا يؤاخذكم الله بتركه **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان** مخففا ومشددا وبالالف
قبل القاف اى حلفتم على شيء من فعل او ترك اذا حنثتم فيها يعني ان الرجل اذا

حلف على شيء يفعله ولم يفعله او لا يفعله ففعله يؤاخذ به وسمى عقد اليمين وهو
توثيقها باللفظ مع العزم عليها **فكفارته** اى ستر الحنث الفاء في جواب اذا حنثتم
المحذوف بدلالة الكفارة عليه **اطعام عشرة مساكين** لكل مسكين عند ابى حنيفة
نصف صاع من بر او صاع من غيره او يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي لكل مسكين
مد من غالب قوة البلد وهو رطل وثلث رطل بالعراقي وجاز صرف الكل
الى مسكين واحد مسلما كان او ذميا حرا كان او عبدا في عشرة ايام عند ابى حنيفة
ولم يجزه الشافعي الا الى حر مسلم في عشرة ايام ومنعا صرف الزكوة الى اهل الذمة
ولما كان في الناس من يسرف في النفقة على اهله قال **من اوسط** اى اعدل **ما تطعمون
اهليكم او كسوتهم** عطف على اطعام فيعطى لكل مسكين ثوب واحد وهو سراويل
او قميص او وقاية **او تحرير رقبة** عطف على اطعام اى عتق رقبة عبدا او امة مؤمنة
او كافرة خلافا للشافعي فانه يشترط الايمان في عتق الرقبة قياسا على كفارة القتل
فالحانث مخير بين الاطعام والكسوة والتحرير ان وجد ما يفضل عن قوته وقوت
عياله فالتخيير وايجاب احدى الكفارات الثلث على الاطلاق **فمن لم يجد** ذلك
فصيام اى فعليه صوم **ثلاثة ايام** متتابعات عند ابى حنيفة والتتابع افضل
عند الشافعي لا الواجب ولا يجب التكفير الا بعد الحنث عند ابى حنيفة وجوزه الشافعي
قبل الحنث الا كفارة الصوم لانه بدني **ذلك** اى المذكور **كفارة ايمانكم اذا
حلفتم** وحنثتم والعامل في اذا كفارة اذ التكفير انما يكون وقت الحلف والحنث

واحفظوا ايمانكم عن النكث فيما يكون الحنث فيه معصية للحانث كذلك اي مثل
ذلك البيان يبين الله لكم اياته اي احكام شرعه وعلامه من الامر والنهي
لعلكم تشكرون رب هذه النعمة العظيمة حيث جعل لكم مخرجا من ايمانكم بالكفارة
ولما كان الاقدام على الايمان ونكثها ومخالفة الشريعة بتسويل الشيطان و
وسوسته بين طرقه ليحترز المؤمنون عن الشروع فيها فقال يا ايها الذين امنوا
انما الخمر اي تناولها والميسر والانصاب جمع نصب بفتح النون والصاد و
هي حجارة تصب عليها الدماء او جمع نصب بضم النون وفتحها وسكون الصاد
وهي الاوثان التي نصبوها للعبادة والازلام هي السهام المستقيم بها رجس
اي خبث قذر من عمل الشيطان اي من تزيينه فاجتنبوه اي امتنعوا المذكور
او الرجس لعلكم تفلحون في الاخرة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في تناول الخمر والميسر ويصدكم اي يصرفكم عن ذكر الله اي عن طاعته
وعن الصلوة خصوصا فانها وجه دينكم وانتم نهيتم عن اقامتها اذا كنتم سكارى
لزوال عقلكم عن ادائها المعنى ان الشيطان يريد ان يهلككم ويخرجكم عن دينكم
بالخمر والميسر فهل انتم منتهون عن تناولها والاستفهام بمعنى الامر هنا
يعني انتهوا عن شرب الخمر ولعب الميسر وانما جمعهما مع الانصاب والازلام
اولا ثم افردهما اخرا لان الخطاب للمؤمنين بالنهي عما يستعملونها من شرب
الخمر ولعب الميسر وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر والميسر عليهم لقوله

عليه السلام

عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن فيوذن بذلك ان الكل من اعمال
الجاهلية فوجب الاجتناب عن الكل ثم خصصهما بالذكر ليوذن به ان المقصود
هنا تحريمهما لاهل الايمان والزجر عن استعمالها بابلغ النهي قال عليه السلام
في شان الخمر اقسم الله بعزة جلاله لا من انتهكها في الدنيا لاعطشنه يوم
القيمة ومن تركها بعد ما حرمتها لاسقينها اياه في خظيرة القدس قيل ما خظيرة
القدس قال عليه السلام الله هو القدس والخظيرة الجنة ثم اكد تحريمها وتحريم
غيرها من المحرمات بقوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امركم ونهاكم من
اقامة الصلوة وشرب الخمر ولعب القمار واحذروا عن عقابه بترك الامر
والنهي فان توليتم اي اعرضتم عن طاعة الله وطاعة الرسول فاعلموا انما
على رسولنا البلاغ المبين ليس عليه غيره فهذا تهديد لمن شرب الخمر ولعب
الميسر بعد التحريم قال عليه السلام كل مسكر خمر ان حتما على الله ان لا يشربه عبد
في الدنيا الا سقاه الله من طينة الخبال يوم القيمة هل تدرون ما طينة الخبال
قال عرق اهل النار ثم قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذي ماتوا
وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فنزل قوله ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات
جناح اي اثم فيما طعموا اي اكلوا من مال الميسر وشربوا الخمر قبل التحريم اذا ما اتقوا
الكفر وامنوا اي صدقوا وثبتوا على الايمان وعملوا الصالحات ثم اتقوا تناول
الخمر والميسر بعد التحريم وامنوا اي ازدادوا ايمانا ثم اتقوا محارم الله كلها واحسنوا

العمل بطاعة الله مع الامتناع عن المحارم واحسنوا الى الناس والله يحب
المحسنين في افعالهم قوله يا ايها الذين امنوا بالله ورسوله ليبلونكم نزل في
تحريم الصيد ما داموا في الاحرام عام الحديبية وكان يكثر الصيد عندهم بحيث
يتمكنون الاخذ بايديهم والطعن برماحهم اي ليختبرنكم الله بتحريم الصيد وهو اظهار
ما علم من العباد بشيء قليل من الصيد حالة الاحرام والوصف بالقلة ايذان بان
من لم يثبت عند القليل لم يثبت فيما هو اشد منه ومن في من الصيد للتبعيض
اذ لا يحرم كل صيد للمحرم بل صيد البر والصيد بمعنى المصيد وان كان
مصدرا في الاصل يعني ليبتلون بصيد تناله اي تأخذه وتصله ايديكم من صغاره
وبيضه بغير سلاح ورماحكم من كباره بالسلاح وعلل الابتلاء بقوله ليعلم الله
علم الظهور والتميز من يخافه بالغيب اي من يخاف عقابه وهو غائب منتظر في
الاخرة فيجتنب الصيد ويتباين فضيلة الخائف من الله على غير الخائف منه فمن
استفهامية في من يخافه وشرطية في فمن اعتدى اي ظلم واخذ الصيد بعد
ذلك اي بعد التحريم فله عذاب اليم في الدنيا بالتعزير والكفارة وفي الاخرة بالتعذيب
في نار جهنم ان مات بلا توبة قال ابن عباس يسلب ثيابه ويوسع بطنه وظهره جلدا
قوله يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي والحال انكم محرمون والحرم
جمع حرام اي المحرم نزل في شأن ابي اليسر حين قتل حمارا وحشيا وهو في الاحرام
ومن قتله منكم شرط متعمدا نصبه حال من فاعل قتله والمراد من التعمد عند البعض ان

يكون

يكون الصائد ذاكرا القتل ناسيا الاحرام فلو قتل ذاكرا لهما فلا كفارة لعظم
ذنبه من الكفارة والاكثر على ان التعمد ان يقتله وهو ذاكرا لاحرامه او يعلم ان ما يقتله مما يحرم
عليه قتله وفيه الكفارة وحكم الخطاء كذلك وهو ان يقتل الصيد ناسيا لاحرامه
او ظانا بانه ليس بصيد او يرمي شيئا فاصاب صيدا وتخصيص التعمد بالذكر
مع ان حكم الخطاء كذلك لانه الاصل والخطاء تابع له ولان الاية نزلت في
المتعمد مع العلم بتحريم الصيد للمحرم وسعيد بن جبير لا يوجب الكفارة بقتل
الخطاء نظرا لظاهر الاية قوله فجزاء جواب الشرط وهو بالرفع والتنوين مبتداء
مثل رفع غير منون صفة جزاء ما قتل في محل الجر مضاف اليه للمثل وفي المعنى مفعول
اذ اصله فجزاء يماثل ما قتل وخبر المبتداء محذوف اي فعليه جزاء يماثل المقتول من
الصيد وقرئ جزاء بالرفع بلا تنوين وجر مثل اضافة فمثل مقحم بينه وبين ما قتل
لانه لا يجب جزاء مثل المقتول قوله من النعم في محل النصب حال من مفعول قتل اي جزاء
كائنا من النعم اي الابل والبقر والغنم يماثل الصيد المقتول من حيث الخلقة
لا من حيث القيمة وهو قول الشافعي ومحمد فان لم يوجد مثله اي نظيره من النعم
عدل الى قول ابي حنيفة وهو ان يقوم الصيد حيث صيد ثم هو مخير بين ان
يشتري بقيمته طعاما فيعطي لكل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره
وبين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد ان بلغت ثمن الهدي وان شاء
صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما

او تصدق به فاعتبر ابو حنيفة قيمة الصيد حيث صيد لا قيمة المثل يحكم به اي
بالجزاء الذي هو مثل ما قتل من النعم ذوا عدل منكم اي عدلان من المسلمين
فينظران الى اشبه الاشياء الى المقتول من النعم فيحكمان به عند الشافعي ومحمد او
ينظران الى قيمة المقتول ان بلغت ثمن الهدي يحكمان عليه ان يشتري به الهدي قوله
هديا بالغ الكعبة نصبه حال بما بعده صفة في تقدير الانفصال اي هديا بالغا الكعبة
قبل يبلغ بالهدي الحرم فيجزيه فالشافعي قال يتصدق به في الحرم على مساكينه وابو حنيفة
قال يتصدق حيث شاء قوله او كفارة طعام مسكين عطف على جزاء اي او عليه
كفارة قرئ برفع كفارة بالتنوين ورفع طعام بيان لكفارة وبغير تنوين لاضافتها
الى طعام بالجر اي قاتل الصيد في الاحرام ان شاء يشتري بقيمة الصيد طعاما
ويتصدق به على المسلمين او عليه عدل ذلك الطعام صياما نصب على التميز
من العدل وهو بمعنى المثل اي وان شاء قاتل الصيد في الاحرام يصوم مثل
طعام كل مسكين يوما يعني في مقابلته قيل الخيار في ذلك الى الجاني عند الشافعي
وابي حنيفة والى الحكمين عند محمد رحمهم الله ليذوق وبال امره اي استقر على
الجاني الجزاء ليذوق جزاء معصيته كي يمتنع عن قتل الصيد في الاحرام عفا اي
تجاوز الله عما سلف اي عما مضى قبل التحريم او في الجاهلية ومن عاد بعد التحريم
الى ما نهي عنه فينتقم الله منه اي فهو ينتقم من العايد الى المنهي عنه في الاخرة وانما
قدرنا المبتدا بعد الفاء لان الفاء الجزائية لا تدخل على المضارع قيل لا يحكم على

العايد المحرم لما نهي عنه بالكفارة بل يملأ صدره وظهره ضربا وجيعا ويقال له اذهب
فينتقم الله منك عملا بظاهر الاية وهو المروي عن ابن عباس والفقهاء يحكمون
عليه بالكفارة لانه قاتل في المرة الثانية كما هو قاتل في المرة الاولى والله عزيز
ذو انتقام من العاصي بامره والمستخف لدينه ثم اخبر عما ابيح للمحرم بقوله احل
لكم صيد البحر في الاحرام وغير الاحرام والمراد من البحر جميع المياه ومن صيده
جميع ما صيد منه وطعامه اي طعام البحر والمراد الماكول منه وقيل صيد
البحر طريه وطعامه مالحه وقيل صيده ما صيد منه وطعامه ما رمي منه قوله
متاعا لكم مفعول له اي تمتيعا لكم بان تاكلوه طريا وللسيارة اي للمسافرين بان
يتزودوه لاسفارهم والمراد السمكة المالحة المعنى من هذه الاية انه ابيح لكم اخذ
حيوان البحر كله فبعضه للانتفاع وبعض للاطعام وحرم عليكم صيد البر ما دمتم
حرما اي محرمين فلا تاخذوا الصيد منه واتقوا الله فيما نهيتم عنه الذي اليه
تحشرون فيجازيكم باعمالكم قال الشافعي المحرم على المحرم كل حيوان يجوز اكله سواء
صاده او صيد لاجله بامره وغير امره لانه لا يجب الجزاء فيما لا يوكل الا واحدا وهو
المتولد من الاهلي والوحشي وابو حنيفة يوجب الجزاء فيما لا يوكل الا الحية والعقرب
والحدأة والفارة والكلب العقور والذئب ويجوز عنده اكل ما صاده الحلال
ان صاده لاجله اذا لم يدل عليه ولم يشر وكذا ما ذبحه قبل احرامه ثم قال جعل
الله الكعبة اي صيرته المرتفع والمنفرد عن البيوت البيت الحرام بدل من

الكعبة لا صفة لان البيت الحرام علم للمسجد المخصوص وهو لا يوصف به ويجوز ان
يكون عطف بيان ولا يشترط فيه ان يكون الثاني من الاسمين اوضح قياما
للناس بالالف وغيرها مصدر بمعنى النهوض لمصالح الناس دينا ودنيا ونصبه
مفعول ثان لجعل اى جعل الله الكعبة سببا لقيام الامن بين الناس لان
العرب لا يتعرضون الى من قصد البيت تعظيما له ويجوز ان يكون المفعول الثاني
محذوفا وقياما حالا والتقدير جعل قصدها فرضا حال كونه نهوضا الى اغراضهم من
المعاش والمعاد ولا يجوز ان يكون مفعولا له لعدم شرط نصبه قوله والشهر
الحرام عطف على الكعبة اى وجعل الله الشهر الحرام هو شهر ذى الحجة لقيام الحج
فيه قياما للناس وجعل ايضا الهدى والقلائد قياما للناس وابنا لهم لصلاح
دينهم ومعاشهم لانهم كانوا يأمنون بسوق الهدى وتقليده ذلك مبتداء
وخبره محذوف اى جعل الكعبة قياما للناس وما ذكر من تحريم الصيد في الاحرام
شرعناه لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض اى يعلم صلاح اهلها
معاشا ومعادا وتعلموا ايضا ان الله بكل شيء عليم اى عالم باحوال الخلق
واعمالهم سرا وعلانية فيجازيهم بها فينبغي ان تتقوه ولا تعصوه اعلموا ان الله شديد
العقاب اى شديد عقوبته لمن اعصاه وان الله غفور رحيم لمن اتقاه واطاعه
ما على الرسول الا البلاغ اى تبليغ الرسالة للعباد وليس عليه غيره ففيه ايذان ان
الرسول قد فرغ من تبليغ الرسالة ~~وما وجب عليه~~ وتهديد بقيام الحجة عليهم

وما وجب عليه صح

ولزوم الطاعة بهم فلم يبق لهم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون اى تظهرون
من الاعمال والاقوال وما تكتمون اى تسترون من السرائر والاحوال فليس على
الرسول طلب سرائركم ودرك نياتكم ولم يؤمر به لان الله يعلم ذلك كله قوله
قل لا يستوى الخبيث والطيب نزل في حجاج اليمامة المشركين حين اراد المسلمون
ان يأخذوا اموالهم ويوقعوا بهم فنهى الله عن ذلك وان كانوا اهل الشرك منهم شريح
بن ضبيعة وكان كثير المال فقال تعالى لا يستوى المال الحرام والمال الحلال
فان ماله حرام لا تؤثروه ولو اعجبك كثرة الخبيث وهو مال شريح فان الفضل
المتوهم في الخبيث الكثير لا يوازى فضل الطيب القليل فلا تستحلوا ما حرم الله عليكم
فاتقوا الله يا اولى الالباب اى اهل العقول المميزين بين الحلال والحرام لعلكم تفلحون
اى لكى تأمنوا من عذابه قيل صدقة من الحرام لا يصعد الى الله ولا توضع في خزانته وصدقة
من الحلال تقع في الرحمن يعنى يقبلها بالرضاء وقيل مثقال حبة من صدقة الحلال
ارجح عند الله من جبال الدنيا من الحرام والحكم في الاية عام في حلال المال وحرامه وفي
صالح العمل وطالحه ونافع العلم وضاره وفي صحيح المذهب وفاسده وفي جيد
الناس ورديهم قوله يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء لا ينصرف كحمراء
جمع شيء ووزنه فعلاء واصله شيئاء بهمزتين بينهما الف عند سيبويه ثم نقلت الاولى
قبل الفاء فصارت اشياء على وزن لفعاء وعند الاخفش اصله اشياء افعلاء جمع شيء
ثم خفف وجمع فوزنه افعاء بحذف لام الكلمة عنده نزل حين اكثر المسلمون السؤال على النبي

فغضب فقال لاتسألونى عن شيئ الا اخبركم فقام رجل فقال يا رسول الله من ابى
فقال حذافة يعنى رجلا غير ابيه فقال عمر ابن الخطاب يا رسول الله رضينا بالله ربا
وبك نبيا فقال تعالى تاديبا لهم لاتسألوا نبيكم عن اشياء ان تبد اى تظهر بالجواب
لكم هذه الاشياء التى تسألونها تسؤكم اى تضركم وتحزنكم وتندموا على السوال عنها قيل
سئل عكاشة يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه حتى اعاد سواله ثلث
مرات فقال عليه السلام ويحك لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم
لكفرتم فاتركونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة السوال واختلافهم على
انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوه واذا نهيتكم عن شيئ فاجتنبوه وان تسئلوا
عنها اى عن التكاليف الصعبة حين ينزل القران اى فى زمان الوحى وبينكم اظهركم
تبد اى تظهر لكم تلك التكاليف التى تسؤكم فتؤمروا بتحملها فتعجزوا عن القيام بها
فتعرضون لانفسكم بغضب الله بالتفريط فيها ومحل ان تبد لكم الى تبد لكم اعنى
الجملتين الشرطيتين جر صفة اشياء والمعنى انكم اسكتوا عن السوال حتى تومروا
عفى الله عنها اى عن مسئلتكم السالفة فلا تعودوا الى مثلها والله غفور
حليم اى يتجاوز عن ذنوبكم لم يعجل عليكم بالعقوبة لسوء فعلكم ثم هددهم وحذرهم
بما مضى على من قبلهم فقال قد سألها ولم يقل سأل عنها لان الضمير لم يرجع الى
الاشياء حتى يجب تعديته بعن بل يرجع الى مسئلة اى قد سأل هذه المسئلة
انبياءهم قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها اى صاروا بسببها او باحكامها كافرين

فان بنى اسرائيل تسألوا انبياءهم كموسى وعيسى عن اشياء فامروا بها ثم تركوها
ولم يعملوا بها فهلكوا بسخط الله تعالى قوله ما جعل الله من بحيرة من زائدة لتاكيد
النفى نزل فى بيان ان المحلل والمحرم بالشريعة هو الله وليس لغيره ان يسن شريعة
(اخو ابى لكعب صح)
بها يحلل ويحرم كعمرو بن لحى بغير شريعة اسمعيل عليه السلام فقال ان الله
امرنى بها افتراء على الله الكذب اى لم يجعل الله حراما من بحيرة وهى ناقة ولدت
خمسة ابطن اخرها ذكر فبحرت اى شق اذنها واعلامها بالبحر وحرم ركوبها و
تركت لترعى فى المرعى فاذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء ولا سائبة اى
ولم يجعل فى الحيوانات حراما من سائبة وهى من الانعام التى خامس ولدها انثى
فبحروا اذنها او تركت مع امها وحرمت منافعها على الرجال والنساء فاذا
ماتت اشتركوا بها او السائبة منها ما نذروا لتسييبها لالهتهم اذا برؤا من مرضهم
او جاؤا من سفرهم وتسلموا الى خدام بيت الهتهم وكان صوفها واولادها
للرجال دون النساء ولا وصيلة ولا حام اى ولم يجعل من الحيوانات حراما
وصيلة بان يقال انثى وصل اخاه اذا ولد ذكر مع انثى فحرما جميعا فيكون ذلك
الاصنام فى زعمهم فاذا مات تشارك الرجال والنساء فيها ولم يجعل
ايضا من الحيوانات حاميا وهو الفحل الذى اذا ركب ولد ولده او نتج منه
عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فيهمل ولا يحمل ولا يركب ولا يمنع من الماء و
المرعى واذا مات اكله الرجال والنساء وكانوا يقولون كل ذلك من احكام

الله فقال تعالی ردا علیهم ما حرم الله هذا الاشیاء ولکن الذین کفروا بالله
وانبیائه یفترون علی الله الکذب واکثرهم لا یعقلون ان الله هو المحلل والمحرم
لینسبوا التحلیل والتحریم الیه لفرط جهلهم کالبهایم ثم اخبر عن عدم عقلهم واتباعهم
بهواهم بقوله واذا قیل لهم تعالوا الی ما انزل الله ای الی کتابه والی الرسول
ای الی سنة رسوله قالوا حسبنا ای کافینا ما وجدنا علیه اباءنا ای دینهم
وسنتهم فقال تعالی اولو کان ای احسبهم ذلک ولو کان اباؤهم لا یعلمون شیئا
من الهدی بالحجة ولا یهتدون طریق الحق ففیه نهی علی التقلید بالجاهل وامر
بالاقتداء بالعلم بالمهتدی الذی یعرف اهتدائه بالحجة قوله یا ایها الذین
امنوا علیکم انفسکم بالنصب مفعول علیکم وهو اسم فعل بمعنی الزموا اصلاح
انفسکم نزل فی ترک الامر بالمعروف والنهی عن المنکر ما قبل منکم فان رد
علیکم فعلیکم انفسکم لا یضرکم من ضل ای ضلالة الضال اذا اهتدیتم ای اذا
ثبتم علی الحق الذی هو الهدی الی الله مرجعکم ای الیه مصیرکم جمیعا یوم
القیمة فینبئکم بما کنتم تعملون ای یخبرکم بما عملتم فی الدنیا فیجازیکم
علیه وقیل نزلت الایة فی رجال ذاقوا حلاوة الاسلام وکانت لهم قرابة
من المشرکین او من النصاری والیهود فارادوا ان یذیقوهم حلاوة الاسلام
فلم یقبلوا منهم وتاسفوا علی ذلک فمنعهم الله تعالی عن التاسف بهم والزمهم
باصلاح انفسهم بالمشی بها بطریق الاهتداء فلیس المراد ترک الامر والنهی

علی الاطلاق لان من ترکهما مع القدرة علیهما فلیس بمهتد قوله یا ایها الذین
امنوا شهادة بینکم روی فی سبب نزوله ان رجلا من المهاجرین اسمه
بدیل بن ابی مریم مولی عمرو بن العاص سافر مع النصرانیین الی الشام ومعه اناء
من فضة فی خرج یساوی ثلثمائة مثقال فلما ثقل فی مرضه دفع الیهما الخرج لیوصلاه
الی موالیه وکتب کتابا بتسمیة امتعته والقاه فی الخراج ففتشاه واخذا منه
الاناء فلما اوصلا الودیعة فتش اصحابها الخرج وقری الکتاب ففقدوا الاناء
فطالبوهما له فقالا ما رائینا شیئا واختصموا الی رسول الله علیه السلام وکان
اسم النصرانیین تمیم ابن اوس الداری وعدی ابن یزید فنزلت الایة قال
الفراء شهادة مبتداء مضاف الی بینکم اتساعا لانه ظرف جعل اسما واضیف
الیه المصدر وقیل اصله ما بینکم ثم حذف ما منه ای شهادتکم فیما بینکم اذا حضر
احدکم الموت ظرف للشهادة حین الوصیة بدل من اذا او خبر المبتداء
اثنان ای شهادة الاثنین بتقدیر المضاف صفة اثنان ذوا عدل ای
صاحبا امانة ودین منکم صفة اخری لاثنان ای من المسلمین او من اقارب
المیت لانهم اعرف باحوال المیت وانصح له فی السفر والحضر او اخران عطف
علی اثنان ای وشهادة رجلین اخرین من غیرکم ای من غیر ملتکم قیل شهادة اهل
الذمة نسخت لقوله تعالی فاشهدوا ذوی عدل منکم وجازت فی اول الاسلام
لقلة المسلمین وقال شریح یجوز شهادة اهل الذمة فی الوصیة اذا کان الرجل

فى السفر وتعذر الشهود من المسلمين عند مشارفة الموت ثم اعترض بين اخران
وصفته قوله ان انتم ضربتم اى سافرتم فى الارض فاصابتكم مصيبة الموت اى
اسبابه وشدايده والفاء فيه لعطف الجملة على ما قبلها وجواب الشرط محذوف
تقديره فاشهدوا اثنين اخرين وصفة اخران تحبسونهما اى اخران محبوسان
او استيناف بمعنى كيف تعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما من بعد الصلوة
وهى صلوة العصر وخصت بالذكر لان عادتهم ان يحلفوا بعدها لشرف ذلك الوقت
لانه وقت الغروب واهل الاديان يعظمونه ويذكرون الله فيه ويحترزون عن الحلف
الكاذب وقول الزور فيعذبنا الله تعالى الى استحلافهم فى هذا الوقت الذى هم يعظمونه
ويجتنبون فيه الاكاذيب ويعطف على تحبسونهما فيقسمان بالله ان ارتبتم اى ان
شككتم فى قول الاخرين الذين من غير اهل دينكم بان غلب فى ظنكم خيانتهما فحلفوهما
وهو جواب الشرط والشرط مع جوابه اعتراض بين يقسمان وجوابه وهو لا نشترى
به اى بالله او بالقسم او تحريف الشهادة ثمنا اى شيئا ذا ثمن من حطام الدنيا
ولو كان المشهود له ذا قربى اى صاحب قرابة يعنى لا نستبدل بعهد الله ثمنا بان
نبيعه بعرض الدنيا ولو كان ذا قربى وخص بالذكر لان الحق لميل الناس الى قراباتهم
وعطف على لا نشترى ولا نكتم شهادة الله ان سئلنا عنها بالاضافة اليه تعالى
لامره باقامتها والنهى عن كتمانها انا اذا لمن الاثمين اى انا اذا كتمنا الشهادة
لله لكنا من الفاجرين او حلفنا كاذبين فاستحلفهما النبى عليه السلام على

المنبر

على المنبر بعد صلوة العصر بالذى لا اله الا هو انهما لم يخونا شيئا مما دفع اليهما فحلفا
فخلى سبيلهما ثم ظهر انهما باعا الاناء فى السوق وقالا انا كنا اشترينا منه فاختصموا
الى رسول الله فنزل فان عثر اى اطلع على انهما اى الوصيين النصرانيين
استحقا اثما اى خيانة بسرقة الاناء وكذبهما فى الحلف فاخران اى فالشاهدان
الاخران من اولياء الميت يقومان مقامهما اى مقام الوصيين الخائنين
من الذين استحق بصيغة المجهول والفاعل فيه الضمير الراجع الى الاثم وهو
صفة اخران اى اخران كائنان من القوم الذى استحق جنى عليهم الاثم وهو
الخيانة من النصرانيين وهم ورثة الميت وانما اضيف اليهم الاثم لان اهل الميت
صاروا اسبابا لاستحقاق الوصيين الاثم فاسند اليهم ليكون بيانا لكونهم
مجنيا عليهم باثم الوصيين قوله الاوليان بدل من الضمير فى يقومان او خبر
مبتداء محذوف اى هما الاحقان بالشهادة عليه لقرابتهما ومعرفتهما بحال الميت
او القايم مقام الفاعل الاوليان او بتقدير اثم الاوليين وقرئ بصيغة المعلوم والفاعل
الاوليان والمفعول محذوف من بينهم اى من الذين استحق عليهم الاوليان من
بينهم بالميت وصية التى اوصى بها الى غير اهل دينه او استحق الاوليان بالشهادة
من بين الورثة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ليظهر بهما كذب الكذابين وهو تثنية
اولى بمعنى احق وقرئ الاولين جمع اول ومعنى الاولية التقدم على الاجانب
فى الشهادة لكونهم احق بها وهو مجرور بالياء على انه صفة الذين فى من الذين استحق

فيقسمان اى يحلفان بالله لشهادتنا اى ليميننا احق اولى من شهادتهما اى
من يمين الكافرين يعنى اذا ظهر خيانة الحالفين يقوم اثنان اخران من قرابة
الميت فيحلفان بالله ان المتاع متاع صاحبنا ويميننا احق من يمينهما
لانا مسلمون وهما كافران خائنان وما اعتدينا اى ما جاوزنا الحد فى الشهادة
والقول بان شهادتنا احق من شهادتهما لان المراد بالشهادة هنا اليمين
ووجه ان اليمين كالشهادة على ما تحلف عليه انه كذلك وقد يقول القايل
اشهد بالله بمعنى اقسم بالله ويقولان انا اذا لمن الظالمين اى ان حلفنا كاذبين
لكنا من الظالمين ثم قال تعالى ذلك اى الذى حكمنا به من رد اليمين على
الخائنين لكذبهما فيه يعنى عدم سماع الشهادة منهما ورد اليمين الى المدعى
بعد ايمان الاخرين ادنى اى اقرب الى ان ياتوا اى الاوصياء او الشهداء
على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها اى وجه الشهادة يعنى ذلك الحكم اقرب
الى ان يقيم الشهود الشهادة كما كانت الواقعة فى الواقع بلا خيانة والمراد
من ضمير الجمع تميم الدارى وصاحبه عدى بن يزيد وكل من قام مقامهما من
الخصوم ولذا جمع ان ياتوا قوله او يخافوا اى اقرب الى ان يحذروا من ان
ترد ايمان اى ايمان الاوصياء بعد ايمانهم الى المدعى فيحلف على خيانتهم
وكذبهم فيفتضحون ويغرمون فلا يحلفون كاذبين بعد علمهم بذلك فقام عمرو بن
العاص والمطلب بن وداعة من اقرباء الميت وحلفا بعد صلوة العصر فدفع

الاناء اليهما والى اولياء الميت فانتقلت اليمين الى اوليائه بعد ظهور الخيانة
فيهما بحكم هذه الاية وهو قول الشافعى وغرم تميم وعدى ما اخذاه من ثمنه
للمشترى وكان تميم الدارى بعد ما اسلم يقول صدق الله وصدق رسوله انا
اخذت الاناء فاستغفر الله واتوب اليه وابو حنيفة لا يرى رد اليمين الى
المدعى فيحمل الاية على النسخ ثم قال واتقوا الله من الايمان الكاذبة والخيانة
فى الامانة واسمعوا المواعظ سماع قبول والله لا يهدى القوم الفاسقين
اى لا يرشدهم الى الحق باختيارهم الفسق والخيانة قوله يوم يجمع الله الرسل
نصب بمضمر اى اذكر يوم القيمة الذى يجمع فيه الانبياء فيقول الله لهم توبيخا
لمكذبيهم ماذا اجبتم اى اى اجابة اجبتم من قومكم فى التوحيد قالوا اى الرسل
يقولون ثم بعد علمهم ان السؤال لتوبيخ الكفار يعنى يقولون لا علم لنا فنفوا العلم عنهم
وهم قد يعلموا بما اجيبوا اثباتا للحجة على المكذبين او من شدة هول القيمة انك انت
علام الغيوب اى ما كان وما لم يكن قيل هذا عند زفرة جهنم فلا يبقى ملك مقرب
ولا نبى مرسل عند ذلك الا قال نفسى نفسى فعند ذلك قالوا لا علم لنا وقيل
ذلك عند اول البعث ثم يشهدون بتبليغ الرسالة بعد ذلك قوله اذ قال
الله بدل من يوم يجمع او نصب بمضمر اى توبيخ الكافر بسؤال الرسل وقت قول
الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى بالنبوة عليك وعلى والدتك باصطفائها
على نساء العالمين بان وهبتك لها بلا اب ونهن اذ ايدتك اى حين قويتك

واعنتك بروح القدس اى بجبرائيل تكلم الناس حال من المفعول فی
ايدتك في المهد وكهلا اى بعد ثلثين سنة وذلك حين اوحى اليه بالرسالة
يعنى تكلمهم بالكلام المعجز فى هاتين الحالتين من غير تفاوة كلامك فى حين الطفولية
وحين الكهولة الذى هو وقت كمال العقل قيل مكث فى الرسالة ثلث سنين
ثم رفع الى السماء وهو ابن ثلث وثلثين سنة واذ علمتك الكتاب اى الخط
بالقلم والحكمة اى الفقه والمعرفة والتورية والانجيل للحكم بهما بين الناس واذ
تخلق من الطين كهيئة الطير مفعول تخلق اى هيئة مثل هيئة باذنى اى بارادتى
وتيسرى فتنفخ فيها والهاء ترجع الى الكاف فى هيئة اى هيئة مثل هيئة الطير ولا
ترجع الى هيئة المضاف اليها لانها ليست من خلق على شیء ولا من نفخة بشیء فتكون
اى تلك الهيئة طيرا بلا الف وطايرا بالالف باذنى وتبرئ الاكمه اى تشفيه عطف
على اذ تخلق والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى اى تحييهم بالدعاء مع استجابتى
اياه واذ كففت اى منعت بنى اسرائيل اليهود عنك حين هموا بقتلك اذ جئتهم
بالبينات اى بعلايم المعجزة والدلالة الواضحة فقال الذين كفروا منهم اى
اليهود ان هذا اى ما عيسى الا ساحر مبين بالالف وبغيرها اى ما هذا الفعل
منه الا سحر ظاهر لا يخفى على من يراه او وصف عيسى بالسحر مبالغة واذ اوحيت
الى الحواريين اى الهمت اليهم او امرتهم على لسان رسولى ان امنوا بى اى
صدقوا بتوحيدى وبرسولى فلما بلغهم عيسى الرسالة قالوا امنا بالله وبرسوله

واشهد

واشهد يا عيسى بانا مسلمون اى مخلصون من اسلم وجهه لله اى اذا اخلص
دينه له اذ قال ظرف لمسلمون او لمضمر اى اذكر وقت قال الحواريون طلبا
لنفس الفعل بالاستفهام لاشكا فيه يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك بالياء
ورفع ربك كقولك لرجل هل تستطيع ان تقوم معى وانت تعلم انه قادر على
القيام معك او تستطيع بمعنى يطيع اى هل يجيبك ربك بالتاء ونصب
ربك اى هل تقدر دعاء ربك بتقدير المضاف ان ينزل علينا مايدة
من السماء اى خوانا فيه طعام قال عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين
اى مصدقين بالاخلاص فلا تسئلوا البلاء لانفسكم وقال بعضهم فى هذا القول
دليل انهم كانوا شاكين فى الايمان واجيب عنه بان الخطاب ليس متوجها
على الحواريين بما روى ان عيسى خرج الى مغارة ومعه خمسة الاف او اكثر
من الناس يطلب بعضهم الدعاء لمرض او علة من العمى والزمن او غير ذلك ولم
يكن معهم نفقة فى ذلك فجاعوا فقالوا للحواريين قولوا لعيسى حتى يدعو بان ينزل
علينا مايدة من السماء فقال عيسى قولوا لهم اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا
نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا بانك رسول الله ونعلم ان قد صدقتنا بانك
ارسلت الينا نبيا ونكون عليها من الشاهدين لله بالوحدانية والقدرة ولك بالرسالة
للدعوة اليه فثم قام عيسى ولبس الصوف وصلى ركعتين وتضرع وبكى ثم قال عيسى
بن مريم داعيا ربه اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء صفة مائدة اى كائنة

منها تكون لنا عيدا كائنا لاولنا اى لمن فى زماننا واخرنا اى لمن يأتى بعدنا
وانما سمى العيد عيدا لانه يعود مرة بعد مرة بالسرور من عاد اذا رجع والمعنى
نتخذ ذلك اليوم عيدا وكان ذلك يوم الاحد فصار عيدا لهم وآية منك اى
ويكون نزول المائدة علينا علامة منك لرسالتى اليهم ثم قال تاكيدا وارزقنا
اى واعطنا تلك المائدة وانت خير الرازقين من غيرك وانما سال
عيسى ربه واجيب ليلزمهم الحجة بكمالها ويرسل العذاب عليهم اذا خالفوا
قال الله موحيا الى عيسى انى منزلها بالتشديد والتخفيف عليكم بسؤالكم
اياها منى فمن يكفر بعد اى بعد نزول المائدة منكم بعيسى فانى اعذبه عذابا
اى تعذيبا لا اعذبه احدا من العالمين والضمير فيه راجع الى العذاب بمعنى
التعذيب يعنى لا اعذب تعذيبا مثل تعذيب الكافر بالله وبعيسى بعد نزول
المائدة واكلها احدا من عالمى زمانهم ويجوز ان يكون المراد جميع العالم مبالغة
فى الزجر لهم من الكفر روى ان المائدة لم تنزل لانهم ردوها بعد التهديد
والاصح انها نزلت بدعاء عيسى عليه السلام فى سفرة حمراء بين غمامتين من
فوقها ومن تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال
اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة فقال عيسى
ليقم احسنكم عملا فقال شمعون انت اولى بذلك فقال عيسى بسم الله
فكشف المنديل عنها فاذا فيها سمكة مشوية فيها طعم كل شيئ تسيل دسما

لاشوك

لا شوك فيها وعند رأسها ملح وذنبها خل وحولها من جميع البقول ما خلا الكراث
وخمسة ارغفة فى واحد عسل وواحد زيتون وواحد سمن [وواحد جبن] وواحد قديد فقال
شمعون امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة فقال عيسى ليس منهما ولكنه
شيئ اختلقه الله بالقدرة العالية كلوا من رزق ربكم واشكروا له
يمددكم من رحمته فقالوا لكن اول خلق اكل منها فقال عيسى معاذ الله انا
اكل منها فليأكل منها من سألها قيل فخافوا فلم يأكلوا منه فاطعمها
عيسى القافلة قيل اكل منه الف رجل وقيل خمسة الاف رجل وشبعوا فاذا
هى كهيئتها يوم نزلت وكانت تنزل ضحى وتطير بعد الزوال فقال الحواريون
يا روح الله لو رأيتنا من هذه الاية آية اخرى فقال يا سمكة احيى باذن الله
فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة
ثم عصوا بعدها وكفروا فمسخوا قردة وخنازير ثم هلكوا اجمعون قوله واذ قال
الله يا عيسى ابن مريم نزل تذكيرا لامة محمد اى اذكر اذ قال الله حين رفع عيسى
عيسى الى السماء يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس بالاستفهام عنه مع
علمه تعالى انه لم يقل به اظهارا لكذب بنى اسرائيل حيث زعموا ان عيسى امرهم
بقوله اتخذونى اى صيرونى وامى الهين من دون الله للعبادة والصحيح ان
هذا السؤال عنه انما يكون يوم القيمة لان هذا استفهام توبيخ واثبات للحجة
على قوم عيسى روى ان عيسى يدعى يوم القيمة ويدعى النصارى فيقفهم الله ويسأله

ليفضحهم على رؤس الاشهاد وقيل اذا سمع عيسى هذا الخطاب اخذته الرعدة من
هيبة ذلك السؤال حتى سمع صوت عظامه فى نفسه فانفجرت عين دم من اصل
كل شعرة ثم قال عيسى تبرئة لنفسه عن امره اياهم بذلك سبحانك اى انزهك
تنزيها عن الشرك ما يكون اى ما يصح وينبغى لى ان اقول ما ليس لى بحق اى قولا لا يثبت
لى بصدق وعدل ان كنت قلته لهم فقد علمته اذ لا يخفى عليك شئ تعلم ما فى
نفسى اى معلومى ولا اعلم ما فى نفسك اى معلومك وهذا من باب
المشاكلة وهو من فصيح الكلام انك انت علام الغيوب بضم الغين وكسرها
اى جميع غيب السموات والارض لانك خالقها ومالكها ما قلت اى ما ذكرت
لهم الا ما اى الذى امرتنى به اى بذكره لهم فى الدنيا من التوحيد ثم فسره مذكورة
لهم بقوله ان اعبدوا الله اى وحدوه ربى وربكم صفة الله او القول على معنى
والمفسر هو المامور به المقول بتقدير قل بعد ان المفسرة لا الامر لعدم استقامة
المعنى لان الله تعالى لا يامر بان اعبدوا الله ربى وربكم ولا القول لان الكلام
يحكى بعده بلا توسط حرف التفسير ولا يجوز ان يكون ان مصدرية فيكون بدلا
من ما امرتنى به او من الهاء فى به اما الاول فلانه يلزم ان يكون العامل قلت فيه
لان البدل فى حكم تكرير العامل المحذوف فيكون المعنى ما قلت لهم الا عبادته والعبادة
لا تقال واما الثانى فلبقاء الموصول بلا عايد اليه من صلته لان البدل فى حكم الساقط
وقيل يجوز كونها مصدرية بان يكون عطف بيان للهاء لا بدلا وفيه نظر لعدم استقامة

المعنى

المعنى بعين ما مر فالمعنى على ما قدرناه ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان قل لهم
اعبدوا الله وحده وكنت عليهم شهيدا اى على بنى اسرائيل رقيبا امنعهم من
الكفر والمعصية بتبليغ الرسالة منك ما دمت فيهم اى مقيما بين اظهرهم
فى الدنيا فلما توفيتنى اى قبضتنى ورفعتنى الى السماء كنت انت الرقيب
اى الشاهد والحافظ عليهم وانت على كل شئ شهيد اى عليم بمقالتى و
مقالتهم وبما احدثوا بعدى ثم بنى الكلام على ان التى تدل على عدم
الجزم بقوله ان تعذبهم فانهم عبادك اى مالكهم ومتصرف فيهم لا اعتراض
عليك فى تعذيبهم بعد استحقاقهم به وان تغفر لهم اى تتجاوز عن ذنوبهم و
كفرهم فانك انت العزيز اى القادر على الانتقام من المعاصى الحكيم فى فعلك
من الاثابة والعقوبة فانك لا تفعل شيئا الا عن حكمة وصواب لان المغفرة
حسنة لكل مجرم فى العقل وان لم يكن فى الشرع قال الله مخبرا عن كلامه
للعيسى بالسؤال الذى تقدم ذكره هذا اى هذا الكلام الذى بينى وبين عيسى
واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم بالنصب ظرف للخبر المحذوف لهذا وبالرفع
خبر هذا ولم يبن لاضافته الى معرب اى هذا اليوم يوم نفع الصادقين صدقهم
المستمر بهم فى الدنيا والاخرة كصدق عيسى وغيره من الانبياء والمومنين لهم جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم بصدقهم وطاعتهم و
رضوا عنه بالمغفرة وادخالهم الجنة برحمته ذلك اى الثواب المذكور الفوز العظيم

اى الظفر الكبير للمؤمنين الصادقين لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ من الخلق

فناعام يتناول العقلاء وغيرهم من الاجناس كلها فهو الاحق بالالوهية والعبادة

له وحده لا كما زعمه المشركون ان عيسى اله او ابن اله وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ من الايجاد

والاعدام كما يشاء وخلق بنفخ الروح من غير اب كخلق آدم بلا ام واب

